

الشيخ عبد العزيز بن أحمد الحميدي

شرح صحيح البخاري باب بدء الوحي

الدروس كاملة

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. خلق فسوّى وقدر فهدى، وكل شيء عنده بأجل مسمى. وأشهد أن نبينا وإمامنا محمداً عبده ورسوله، وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه. اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أما بعد:

فخير ما أنفقت فيه الأوقات وصرفت فيه الأعمار هو طلب العلم المقرب إلى الله سبحانه وتعالى، والموصل إلى رضوانه، ومعرفة شرعته التي أنزلها على نبيه صلى الله عليه وسلم. دلّ على ذلك قول نبينا عليه الصلاة والسلام: **((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ))** ⁽¹⁾ وهو ميراث النبوة الذي ورثه رسولنا عليه الصلاة والسلام لأمته. فإنه عليه الصلاة والسلام ترك ميراثاً عظيماً. من مت إليه بسبب وتوصل إليه بطريق ونسب، حصل على خير عظيم. ومن يعطى أو يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً.

والعلماء هم ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً؛ وإنما ورثوا علماً. فمن أخذه، فقد أخذ بحظ وافر. وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الفيصل بين الحق والباطل. قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (جادلوا أهل البدع) وفي رواية: (ناظروا أهل البدع بسنن فإن القرآن حمال الوجوه). القرآن يُلقي بقضايا عامة وقضايا كلية، تأتي السنة وتفصلها وتبين وتوضح وتشرح. فإذا جادلنا كل مبتدع أو ضال أو مضل بالهدي النبوي والسنن، اتضح الحق من الباطل، وزالت الشبهة، وظهر الحق، وبطل ما كانوا يافكون ويفهمون. و لذلك يوصي عمر الفاروق رضي الله عنه بتعلم السنن وتدارسها، ومناظرة ومجادلة أهل البدع بها، فإن القرآن كما قال: (حمال الوجوه).

(1) سنن الترمذي، باب: "فضل طلب العلم" رقم: 2570

وأيضاً يؤت عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أيضاً أنه قال: (إياكم وأصحاب الرأي) أو قال: (إياكم وأهل الرأي أعيتهم السنن أن يحفظوها، وتف لت عليهم أن يعوها، فقالوا في الدين برأيين فضلوا وأضلوا) لأن التقدم بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بحكم أو فتوى مجرد استحسان العقل والرأي، هذا يكاد يحسنه كل أحد. كل أحد يحسن هذا.

فكل من استحسّن برأيه وعقله أمراً، أفتى به وعمل به، أو دعا إليه، أو رأى أنه هو الصواب وما عداه باطل، هذا يحسنه كل واحد. ولكن تتبع سنن النبي صلى الله عليه وسلم، وتدارسها، ومعرفة الصحيح من الضعيف، والخاص من العام، والناسخ من المنسوخ هذا لا يحسنه إلا من وفقه الله جل وعلا للعلم النافع، والمدّ بسبب إلى ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولذلك فعناية علمائنا السابقين وسلفنا الصالحين بهدي النبي صلى الله عليه وسلم وتدارسه، والبحث عنه، والسفر والرحلة من أجله، وطلبه كما قال الإمام البخاري كما سندرس مستقبلاً إن شاء الله في "كتاب العلم" ما في الخروج في طلب العلم: فرحل جابر مسيرة شهر إلى الشام هناك إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد.

استرخص الصحابي جابر أن ينفق من وقته شهراً ذهاباً وشهراً إياباً مع ما في السفر في ذلك الوقت من مشقة وصعوبة وخطر، كل هذا استرخصه واستقله مقابل أن يسمع حديثاً واحداً لا ثاني له من عبد الله بن أنيس الأنصاري وكان يسكن في ذلك الوقت في بلاد الشام .

هذا كله يدل على أن إنفاق الوقت والجهد، واستقرار الذهن، والمكابدة في طلب علم السنة، كله

مما تشغف به نفوس الصالحين، وتزكو به قلوبهم، وتتنور به أذهانهم؛ لأن كما قلنا المعركة العلمية مع أصحاب البدع عموماً وعبيد وجوه الكفر أيضاً من ورائهم، هي في الأصل معركة علمية في بيان الحق ودحض الباطل، ولا يكون ذلك إلا لأصحاب السنة وحملتها، العارفين العالمين بمقاصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهديه، وشرحه، وتدبيره في أقواله وأفعاله وتقريراته بما أجمل وعمّم وقرب في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ودرسنا هذا أسأل الله جل وعلا أن يثبتته ويديمه، ويوفقنا وإياكم فيه بخير قول وعمل، وأن ينفعنا فيه جميعاً بما نقول ونسمع، وأن يجعل ما نقول ونسمع، ونكتب ونحضر دُخراً وعقبى خير عندما ننقلب إلى ربنا سبحانه وتعالى، هو في كتاب: "الجامع الصحيح" لإمام المحدثين الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم البخاري، وهو غني عن التعريف عليه رحمة الله. فقد بوأه الله جل وعلا في مقعد صدق عظيم من العلماء والصالحين في هذه الأمة .

ولا يزال علمه عليه رحمة الله وكتابه وبقية كتبه، علماً لا ينضب، ومورداً لا يجف أبداً للواردين والناهلين من فيض علمه رحمة الله. وما حرّره وبيّنه، واجتهد، واستقرأ حياته، وما وهبه الله من ملكات وذكاء خارق، وعبقريّة فذة لخدمة سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع ما نظنه فيه من صلوح النية، وحسن المقصد. ودليل ذلك ما بارك الله له في حياته، وبارك له أيضاً بعد حياته. ولا يزال كتابه: "الجامع الصحيح"؛ وهو ذروة سنام كتب أهل العلم، وأهل الإسلام، وأهل السنة منذ أكثر من ألف ومائتي سنة. وسيبقى كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وهذا الشرف، وهذا هو الرفعة الحقيقية. فهو عليه رحمة الله عاش حياته بسيطاً فقيراً لا يتميز عن غيره في هيئة، ولا في لباس، ولا معاش؛ وإنما عاش حياته رَحَّالاً يطوف الأرض شرقاً وغرباً، ما استقر له مكان، ولا استقر له قرار حتى قضى نحبّه. فنعدّه ونحسبه ممن عاهدوا الله وصدقوا في عهدهم مع الله. ونسأله أن يجعلنا جميعاً ممن ينتظر وما بدّلوا تبديلاً.

بطبيعة الحال لن نبدأ بدراسة الكتاب إلا ببعض المقدمات الضرورية، وإن كان سبق في إحدى الدورات الماضية قبل سنوات دراسة مفصلة لهذا الكتاب المبارك: "الجامع الصحيح". ولكن نشير هنا إلى بعض الإشارات الضرورية التي لا بد أن يعرفها، وتمس إليها الحاجة لكل قارئ ودارس لهذا الكتاب العظيم: "الجامع الصحيح" للإمام البخاري.

من المعلوم عند أهل العلم أن تصنيف الإمام البخاري لهذا الجامع الصحيح يعتبر ابتكاراً جديداً في علم التصنيف. وبيان ذلك، من المعلوم أيضاً أن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن مدونة ولا مكتوبة في عصر الصحابة رضي الله عنهم وعصر كبار التابعين إلا نسخ معينة عند بعضهم، واستغنوا عن الكتابة فيما وهبهم الله جل وعلا من حافظة قوية، وذهن وقاد. فكان حفظهم واستيعابهم، وشدة نطقه، وقلة... هي مؤهلاتهم التي بما استغنوا عن الكتابة والتدوين مع ما كان قد نهبوا عنه في بعض الأحاديث عن الكتابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، خشية أن يختلط كلامه عليه الصلاة والسلام بالقرآن الكريم. ثم الحديث المشهور ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((لَا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلَيْمَحُهُ))**.⁽¹⁾

فلما تمّ القرآن، وضُبط، وعُرف وجمع في عهد الصديق وعهد عثمان بن عفان، جاءت الحاجة وزال المانع بتدوين السنة. ففي طبقة صغار التابعين، ظهرت الحاجة ملحة إلى تدوين السنة، تماماً كما ظهرت

(1) صحيح مسلم، باب الثبوت في الحديث وحكم كتابة العلم رقم: 5326.

الحاجة في عهد الصديق لجمع القرآن وكتابته، لما جاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحديث المشهور والمُتفق عليه إلى أبي بكر وقال له: إن القتل قد استحرَّ بالقراء يوم اليمامة في قتال أهل الردة، القراء من الصحابة حفاظ القرآن قُتل عدد منهم، وإن بقي الأمر على كذا سيقتل منهم في الحروب والغزو والجهاد وكذا. فيخشى أن يضيع شيء من القرآن بفوت وموت وقتل حفظته وقراءته.

وكان أن ظهرت الحاجة إلى أن يجمع القرآن في صحف وتبقى محفوظة، بحيث نأمن من ضياع شيء منه. وبعد تردد من أبي بكر الصديق: (كيف أصنع شيئاً لم يصنع عهد النبي صلى الله عليه وسلم) ومناقشة واضحة من عمر. ظهرت الحاجة الملحة لذلك، فقام الصديق بمشروع مبارك لما استدعى زيد بن ثابت، أمر بتتبع القرآن وجمعه من صدور الرجال، وجمعه من اللحف والعُشب والعظام وأمثالها، حتى جمع كامل القرآن، ورُتب في الصحف التي كانت عند أبي بكر خلافته، ثم عند عمر خلافته، ثم عند حفصة أم المؤمنين بنت عمر إلى أن طلبها عثمان رضي الله عنه في حياته كما تعرفون، ونسخ المصاحف، وبعث إلى الآفاق، والأمر معروف مشهور معلوم.

نفس الحاجة ظهرت للعلماء في نهاية المائة الأولى للهجرة وبداية الثانية. انطلقت كثيراً من صغار

التابعين، لما دخل في الإسلام أفواج وأمم في شرق الأرض وغربها، وطبعاً الموت لا يمهّل. اندرج عصر الصحابة، واندرج عصر كبار التابعين ويخشى أن إن بقي الأمر هكذا أن يموت كثير من العلم وتذهب كثير من السنن بموت الأئمة والعلماء والحفاظ، فدعت الحاجة للتدوين.

فبدأت جهود فردية كما تعرفون، هذا كله وصف للمعلومة؛ لأن المعلومة لديكم. وظهور تدوين بعض الأئمة في ذلك الوقت. على سبيل المثال الربيع بن صبيح ألف وجمع ورتب. سعيد بن أبي عروبة أيضاً جمع ورتب، إلى أن دعت الحاجة وإلحاح أكبر أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز عليه رحمة الله فأمر بجمع السنن، وأمر كبار العلماء كأبي بكر بن حمن، ومحمد بن جابر زهري وأمثالهما بتتبع السنن وجمعها؛ (فإني خفت دروس العلم وذهابها بموت العلماء). نفس المبرر الذي حصل للصديق والفاروق لجمع القرآن. ولكن هذا كله الجمع أو التأليف هدفه شيء واحد؛ وهو الجمع بدون ترتيب معين ولا تدوين ولا استنباط، لكن قصده الجمع إلى أن قام كبار العلماء في المائة الثانية، فظهر نوع جديد من التصنيف والترتيب الذي عُرف بالمسانيد؛ المسند.

وكان همّ من ألف مسنداً أن يجمع أكبر قدر ممكن من الأحاديث؛ لأنه ما زالت الحاجة إلى تتبع السنن وبصرف النظر عن صحة الحديث أو ضعفه، ليس الآن.. مقصودها الجمع. ولذلك مما يميز المسانيد عن غيرها، ضخامتها وكثرة الأحاديث فيها. فصنّف أبو داود الطيالسي الإمام المشهور مسنده المشهور

الذي قيل إنه ضمّ أكثر من عشرين ألف حديث، ولكنه في حكم المفقود ولا يوجد منه اليوم إلا نسخة بسيطة فيها ألفي حديث لا تشكل عشر الكتاب كله.

وصنّف يعقوب ابن شيبة مسنده المشهور الذي قيل أيضاً أنه ضم أكثر من مائة ألف رواية، وهو أيضاً في حكم المفقود. وصنّف عبيد الله بن موسى العبسي مسنداً. صنّف مسدّد مسرهد البصري مسنداً، وصنّف أسد بن موسى الأموي المعروف بأسد السنة مسنداً. وصنّف الإمام أحمد إمام أهل السنة مسنده المشهور الذي كتب الله له البقاء، وحفظ ثروة هائلة عظيمة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ مسند الإمام أحمد عليه رحمة الله ويضم نحواً من عشرين ألف حديثاً.

وكذلك الحميدي شيخ البخاري صنّف مسنداً وهكذا، والذي ميّز الكثير في تلك الطبقة رغبة

الجمع أكثر من التحقيق وبيان الصحيح، أو الاستنباط. وما دام اسمه المسند، سيُرتب على مسانيد الصحابة، وكذلك الخلفاء الراشدين الأربعة في منزلتهم، ثم بالمتأخرين من الرواية كأبي هريرة وعائشة وابن عمر وجابر وأمثالهم، ثم من المتقدمين إلى أن يحصل على أكبر قدر من الرواية.

جاء عصر الإمام البخاري، وكان هو حامل راية الجمع والحديث والسنة بعد اندراج عصر أولئك

الأئمة أصحاب المسانيد. وكان الإمام البخاري هو النجم الساطع في سماء العلم والحديث في ذلك الوقت. وبحكم طلبه وحافظته وعبقريته ورحلته، جمع كمّاً هائلاً ووفقه الله جل وعلا لجمع كمّ هائل من

السنن والأحاديث والروايات، وكان يخرّجها في ذاكرته الفذة التي قلّ نظيرها في علماء الإسلام وأعطى تلك المؤلفات، وروى أكثرها وحفظها واستوعبها، وابتكر كما قلت في بداية القمه نوع جديد من التأليف؛ ليس قصده الجمع؛ لأن الحاجة الملحة للجمع فرضت على الطبقة المتقدمة كأصحاب المسانيد وغيرهم أن يؤلفوا المسانيد بقصد الجمع؛ ولذلك تتميز كتبهم بالضخامة واستيعاب أعداد ضخمة جداً من الأحاديث.

رأى هو أن الحاجة الآن ليس للجمع؛ لأن الجمع حصل؛ وإنما للتحقيق والتصحيح والاستنباط؛

لأن الأمة ما عندها استعداد لمجموعها أن كل شخص يذهب يحقق وينقب، ويعرف الصحيح من الضعيف ويستمر. هذا مهمة العلماء والأئمة ومن وفقهم الله جل وعلا ليكونوا من ورثة الأنبياء، والماتين بسبب إلى ميراث النبي صلى الله عليه وسلم. فرأى أن يؤلف لكن أنواع من التجديد والابتكار.

فابتدأ عصر التصنيف الذي يمكن أن نسميه التصنيف الحقيقي، الذي ليس هدفه هو الجمع بقدر

ما هو الاختصار. لكن مع التحقيق والتصحيح وحسن الاستنباط، فيقدم لأمة مشروع متكامل يريح من عناء البحث والتنقيب في الصحيح والضعيف، ومجموع الأمة.

وأيضاً يقدم لهم الفائدة الشرعية، والمعلومة الشرعية، هذه العبارة إذا صح الحكم الشرعي. سواءً كان حكماً عقائدياً، أو حكماً فقهياً، أو أخلاقياً، أو من الآداب أو من نحوها بعبارات مختصرة. والذي تقدم لهم بهذا المشروع، ليس إنساناً عادياً أو راوياً مجرد راوي بقدر ما هو إمام فذ. فتميز عن غيره من علماء الإسلام بحسن الاستنباط والتحقيق، مع شدة المتابعة والمراقبة فيما يخرج مع تحمله تبعات التصحيح. فهو أهل لهذه الأعمال الضخمة كلها، وأهل لهذا المشروع المتكامل كله، فظهر عصر التصنيف في الجوامع .

كلمة "الجامع" هذا نوع جديد من التصنيف والتأليف في كتب السنة ما كان معروفاً فيما تقدم. وأول كتاب جامع بهذا المشروع المتكامل هو كتاب هذا الإمام الفذ؛ الإمام البخاري، وكتابه: "الجامع الصحيح".

ولذلك وبتسمية الكتاب يظهر كما قال المحقق بعد قليل مقصود الإمام البخاري من هذا التأليف. مقصوده تقرير السنّة إلى عموم الأمة، واستنباط الأحكام بأقصر عبارة، وأوجز إشارة وهو في مصاف الأئمة الكبار؛ بل نستطيع أن نقول بمنتهى الراحة والطمأنينة أن الإمام البخاري لا يقل في فقهه واستنباطه عن الأئمة الأربعة، ولا عن غيرهم؛ بل قد يفوق كثيراً ممن أخذ منهم الفقه في زمانه وممن تقدم من زمانه بحسن الاستنباط وحسن التدقيق وحسن التصنيف.

والذي يظهر عندما نتدارس كيف أن الإمام البخاري لا يقلد أحداً؛ وإنما يجتهد. وملكاته اجتهاد وأدواته اجتمعت فيه. وهي إذا لم تجتمع أدوات الاجتهاد في مثله، ومثل ذكائه وحكمه وعبقريته مع ما نظنه فيه من صدق النية والإخلاص، وابتغاء وجه الله في كل أعماله عليه رحمة الله. إذا لم يكن مثله أهلاً لذلك، فمن يعطى هذا المقام في الاجتهاد والاستنباط.

ولذلك يروى في بعض تراجمه، يختار قولاً ليس عليه أحد من الأئمة الأربعة أصلاً، بحكم ما فهم وعلم ويستدل ويبرهن، وقد يكون بقوله في كثير من المسائل القوة الواضحة نظراً لاستناده إلى خبرته الواسعة، وحافظته الفذة، واستيعابه لأكثر سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما عزم البخاري على هذا المشروع، قوى عزمه على ذلك اقتراح اقتراحه شيخه الإمام إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، يقول الإمام البخاري فيما رواه عنه أبو بكر الإسماعيلي يقول: كنا ننظر في مجلس إسحاق، إسحاق ابن رهويه الإمام المشهور فقال لنا: (لو أنكم جمعتم كتاباً مختصراً)، شوف مختصراً. هذا الجمع الكثير يعني الآن حقق غاية المرید، خطوة أخرى مختصراً في صحيح. اختصاره أيضاً والاقتصار على الصحيح دون الضعيف، أو الموضوعة من باب أولى.

(لو أنكم جمعتم كتاباً مختصراً في صحيح سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام)، قال الإمام البخاري: (فوق ذلك في قلبي). يعني هذا الاقتراح وقع في قلبه وقام بمشروعه هذا المبارك الذي استمر واستنزف من حياته أكثر من ستة عشر عاماً في الكتابة ليس في الجمع .

الجمع عمره كله يجمع، ويبحث، ويرحل، ويدوّن، ويحفظ، ويراجع، وينظر، ويجادل ويبين ستة عشر عاماً في التصنيف في كتابة الصحيح. وهذا يدل على أن هذا مشروع عمر ك امل بالنسبة لهذا الإمام. ويضاف لذلك مشاريع علمية أخرى كبرى في التاريخ والرجال ونحوها، تدل على أن هذا الإمام قدّم للأمة ثروة علمية لا تقدر بثمن، وثمنها ما يحسبه هو واحتسبه عند ربه جل وعلا أجراً وثواباً عنده، وذكرها حسناً على ألسنة المؤمنين إلى قيام الساعة.

هذا الكتاب اسمه كما نقل ابن الصلاح في المقدمة، والنووي أيضاً في مقدمته لشرح البخاري يقول: سمى الإمام البخاري كتابه: الجامع، المسند، الصحيح، المختصر. أربعة أوصاف: الجامع، المسند، الصحيح، المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.

والحافظ ابن حجر في "هدي الساري" ذكر نفس الكلام فقال تقريباً إلا كلمة واحدة ما ذكرها

فقال: (اسمه الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه).

كلمة "الجامع" تشير إلى نوع من أنواع الت أليف في كتب السنة، كان للإمام البخاري السبق في

ابتكاره. فكلمة "الجامع" تعني أولاً أنه كتاب جامع لجميع أبواب العلم. فتأتي فيه العقائد، وتأتي فيه

الأحكام، وتأتي فيه المعاملات، وتأتي فيه أمور الآداب عموماً؛ آداب الطعام، والشراب، والنكاح و أمثالها، والرقاق، والمغازي، والسير، والفتن ونحوها. يعني جامع لكل أبواب العلم التي يحتاج إليها، غير مقتصرة على نوع معين أو نمط معين. هذه أول ما تفيد كلمة "الجامع".

تفيد أيضاً كلمة "الجامع" أنه يحتاج إلى نوع من التفجير إن صحت العبارة والتقسيم، ليس سرداً

للحديث هكذا. ما هو سرد، لكن يقسم على أبواب، وكتب، وهكذا صنع البخاري. فضمن صحيحه نحو من اثنين وتسعين كتاباً، كل كتاب في لون وفن من فنون العلم. اثنين وتسعين كتاب، أولها كتاب بدء

الوحي وآخرها كتاب: "التوحيد والرد على الجهمية" وفي كل كتاب وحدة علمية متكاملة تقريباً، تحقق

مقاصده لدارسه وقارئه والناظر فيه. هذا ما تفيد كلمة "الجامع". إذن هو الجامع الصحيح.

كلمة الصحيح أيضاً من شروح التعريف فهو عنايته فقط بما صح عن الرسول عليه الصلاة

والسلام؛ لأن الحديث الضعيف فضلاً عن الموضوع لا يقام عليه حكماً، ولا هدياً، ولا صنعاً. الحديث

الضعيف في حكم النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله أو فعله، فلا ينسب للدين بحديث ضعيف فيه شيئاً

مطلقاً. ولذلك الصحيح مادام المسألة استنباط وبناء أحكام، وتقويم هدي وسنة لأمة، لا تبني الأحكام ولا تستنبط ولا تبني الآداب ولا تؤخذ من الأحاديث الضعيفة فضلاً عنها الموضوعة.
إذن لا بد مادام أنا قصدنا بالتسمية الاستنباط وبناء الحكم، لا بد أن يقتصر على ما صح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام. وما هو المقياس الآن في الصحيح من الضعيف؟
المقياس إمام ما خلق الله بعده مثله في علمه وعبقريته، وسعة أفقه، وشدة شروطه التي وضعها، ينتقي من خلالها الحديث الصحيح.

"المسند"، كلمة المسند مهمة أيضاً. المسند كما تعرفون ودرستم في المصطلح، الحاكم أبو عبد الله يعرف المسند بما اتصل سنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقيّد المسند بقيدين الحاكم:
القيد الأول الاتصال، المنقطع فضلاً عن المعضل لا يعد عنده مسنداً. ويجب أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فالموقوف والمقطوع لا يعد أيضاً عنده مسنداً. فهو تعريف المسند فيه نوع من الريق.
كما جاء الخطيب البغدادي أبو بكر علي ابن ثابت وصنف كتابه المشهور: "الدراية في علوم الرواية" وسع التعريف قليلاً فقال بأن المسند هو ما اتصل سنده إلى منتهاه. سواء كان المنتهى صحابي أو النبي صلى الله عليه وسلم، أو من التابعين، المهم أن يكون السند متصلاً لا انقطاع فيه ولا إعراض، يسمى مسنداً. سواء انتهى السند إلى الصحابي من قوله وهو ما يسمى الموقوف، أو التابعين من قوله فيسمى بالمقطوع، أو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويسمى بالمرفوع كما تعرفون وهذا يعتبر عنده مسنداً.
وهذا التعريف تقريباً هو الذي عليه أكثر العلماء، وتصرفات البخاري تدل عليه. فإنه الحديث المسند؛ أي الذي يشترط له ثقة الرواة. طبعاً الصحيح يشترط له الثقة، لكن المسند يشترط له الاتصال بدون انقطاع فضلاً عن الإعضال؛ الانقطاع والإعضال علة تقدح في السنة. ولا يشترط أن ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم. قد ينتهي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد ينتهي أيضاً إلى قول الصحابي، فيعتبر عنده حديثاً مسنداً، لكنه إذا كان من قول الصحابي يعتبر موقوفاً، وإذا كان من قول النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر مرفوعاً. هذا قول في تعريف المسند.

القول الثاني وهو مهم جداً. لا يعتبر الحديث عند الأئمة مسنداً إلا إذا صدر بصيغة التحديث والإخبار كأن يقول المحدث أو صاحب الكتاب المؤلف : حدثنا فلان، أو يقول : أخبرنا فلان، أو يقول : أنبأنا فلان. لا بد من هذه العبارات حتى يكون مسنداً. أما إذا قال: عن فلان، أو قال: فلان، أو أنبئت عن فلان، أو بلغني عن فلان هذا لا يعتبر عندهم ماذا؟ مسنداً. معلقاً قد يسمى معلق، بلاغة من

البلاغات أي عبارة توضحه، لكن لا يعتبر مسنداً إلا إذا أسنده المحدث بصيغة التحديث والإخبار والعلّة داخل السند بشروطها المعتبرة المعروفة التي يعني ربما درستموها ومرت عليكم.

ولذلك الحديث في صحيح البخاري، الأحاديث المقصودة بالتعريف هي المسندة. لكن سيأتي معنا بعد قليل أن هناك أنواع أخرى ضمّنها البخاري صحيحة، ليست مقصودة لكن تذكر لفوائد أخرى كالمعلقات وما يرسله حديثاً في صيغة الترجمة.

فدلت كلمة المسند على أن الحديث المتصل المصدر بصيغة: حدثنا، أو أخبرنا هو المقصود من تعريف الجامع الصحيح. وما عداه في المعلقات بأنواعها المختلفة، أو ما يدرجه لفظ الترجمة، يكون لأسباب خارجة عن هذا المقصد كالاستنباط وغيره كما سنذكر.

الجامع الصحيح المسند المختصر، إذن هو ليس قصده استيعاب كل ما صحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم، إلا لو أراد ذلك لخرج كتاباً واسعاً ضخماً تفنى الأعمار دون ربما كتابته أو قراءته. والذي يدل على أنه قصد الاختصار، ما سبق ذكره بأنه كان يهدف إلى تقريب العلم والسنة والأحكام الشرعية إلى الأمة، وهذا لا يناسبه التطويل بقدر ما يناسبه الاختصار.

الأمر الثاني: روى عنه أبو بكر الإسماعيلي أنه قال، روى أبو بكر الإسماعيلي عن البخاري أنه قال: (لم أخرج في هذا الكتاب إلا صحيحاً) هذا دليل على أنه اشترط أن لا يخرج إلا صحيحاً، (وما تركت من الصحيح أكثر) يعني ليس قصده الاستيعاب ولكن قصده الاختصار. فنستفيد من هذه الكلمة المروية عنه عليه رحمة الله أنه ضمّ لنا وتعهد لنا _ وهو أهل لهذا الضمان والوفاء به _ أن لا يخرج لنا حديثاً مسنداً إلا ما يرى أنه صحيح. قد يُخالف وهو قصد أمر آخر.

وأيضاً أشعرنا وأخبرنا أنه ما قصد الاستيعاب بقدر أنه قصد الاختصار؛ لأنه قال: (ما تركت من الصحيح أكثر).

وروى عنه أيضاً الإمام الخطيب وغيره عن البخاري أنه قال: (انتقيت أحاديث هذا الجامع من سبعمائة ألف حديث).

شوف هذا إمام واسع الحفظ سبعمائة ألف رواية بين عينيه. ربما يقول إذا صحّ منها نصفها، أو ربعها يبقى ضخّم جداً. لكن هو اختار لك أربعة آلاف أحاديث أو ثلاث آلاف حديث من سبعمائة ألف حديث.

إذن مشروع كبير جداً. لو قُسمت هذه الأحاديث على طلبة الدراسات العليا اليوم، تذهب السنين وتنتهي الأعوام وتنقضي وما خلصوا من هذا المشروع الضخم الذي قام به هذا الرجل بجهده الخاص بما وفقه

الله. بالإضافة إلى المشاريع الكبرى الأخرى كـ"التاريخ الكبير" و"الأوسط" و"الصغير" و"الأدب المفرد" وغيرها.

أمور عظيمة جدا تدلك على أن هؤلاء الأئمة بالفعل قدّموا للأمة بما وفقهم الله جل وعلا خدمات لا تقدر بثمن، وحسابهم على الله جل وعلا. إذن فهمنا عنوان الكتاب ومقاصده واختصاره الذي قصده الإمام عليه رحمة الله.

ننتقل إلى نقطة أخرى. أنواع الأحاديث التي شملها هذا الكتاب المبارك الجامع الصحيح. كتاب الجامع الصحيح للإمام البخاري تضمن ثلاثة أنواع من الأحاديث:

النوع الأول: ما سبق ذكره وهو الأحاديث المسندة المتصلة، التي هي أصل مقصود التأليف عند الإمام البخاري. وعلامتها حتى يعني ترتاح؛ أي حديث في الصحيح يبتدئه البخاري بحدثنا أو أخبرنا أو حدثني أو أخبرني فهو الحديث المسند؛ وهو المقصود بأصل الكتاب، التي تبني عليه الأحكام والاستنباطات والاحتجاجات والآداب وغيرها. واضح ولا لا؟ هذا أول نوع وهو المقصود.

أضاف البخاري نوعاً آخر عُرف عند العلماء بالأحاديث المعلقة. أحاديث معلقة وعلامتها أن البخاري لا يقول حدثنا ولا أخبرنا. إما يقول لك: قال فلان، ذكر فلان، فيه فلان عن فلان. يقول لك مثلاً باب الفخذ عورة، فيه حديث أنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم، هو لا يذكر لك حديث. حكم... ((وإن كنت عابرة حتى أعرف ماذا يقصد...)) هذا حديث معلق. أو يقول مثلاً يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كذا. أو روى أبو هريرة عن النبي أنه قال كذا. روى، ذكر، فيه فلان، قال فلان هذه كلها ما فيها حدثنا أو أخبرنا، اصطُح على تسميتها بالأحاديث ماذا؟ المعلقة.

طيب، ما قصد البخاري من إدخاله لهذه الأحاديث المعلقة؟ العلماء لهم بحث طويل في أنواعها. قسموها قسمين: ما يعلقه بصيغة التصحيح كأن يجزم ويقول: قال فلان، روى فلان، ذكر فلان.

والنوع الثاني: ما يعلقه بصيغة التمرير المشعرة بعدم أو تضعيف تلك الرواية، كأن يقول يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا. يروى، قيل، وأمثال العبارات التي تشعر بأن فيه يعني نوع من الضعف. في هاتين الصيغتين؛ صيغة الجمع والتصحيح، صيغة التضعيف والتمرير، يدخل البخاري كماً هائلاً من الأحاديث المعلقة في ضمن الصحيحة.

ولذلك إذا أردت أن تعزو الأحاديث المعلقة من صحيح البخاري، لا يحق لك أن تعزوها وتقول رواه البخاري، أو موجود في صحيح البخاري. هذا لا يعنيك حتى تبين وتقول رواه البخاري معلقاً مثلاً، أو

تقول علقه البخاري في الصحيح، حتى لا يقال أنه ممن اعتمد عليه البخاري وأراده وقصده بالتأليف؛ وهو الأحاديث المسندة.

لماذا يذكر الأحاديث المعلقة؟ يذكرها إما لفائدة الاستنباط؛ لأن الاستنباط مادام هو مقصود. قد يكون الحديث المسند الذي في هذا الباب، الدلالة منه على الحكم الذي ترجم به غير ظاهرة وغير واضحة، تحتاج إلى عناية به وتفكير، وهذا ربما لا يحسنه كل أحد. فيأتي يعلق بعض الأحاديث التي لا يريد فيها ربما لأن فيها نوع من الضعف، ما وافقت شروطه التي اعتبرها لإخراج الحديث المسند، فيدخل حديثاً أو حديثين معلقة تقرب لك المعنى قليلاً، كأن يقول الحكم فيها أو دلالة من الحكم الذي في الحديث المسند الذي أخرجهم. فهمتم؟

يعني الحاجة إلى الاستنباط، جعلته يدخل بعض الأحاديث لكنه ما ارتضاها لضعف شروطها ربما، أو لضعفها هي ربما. ما ارتضاها لكنه أخرجها مسندة؛ لأنه هو هو يقول أنا ما سلمت لك إلا الصحيح وعندني شروط بحسب علمه. ولكن هذا الحديث مهم لأن هو الذي يثبت لك المسألة، أو يعطيك الحكم يعني مباشراً بدون ناحية إعماله وتفكير واستنباط التي لا يحسنها كل أحد؛ وهي من أهدافه كما قلنا تقرب العلم لعامة الأمة، فيعلق هذا الحديث ليشعرك ويقرب لك الحكم الاستنباطي.

ينضاف إلى هذا أمر آخر وسبب آخر في إخراج المعلقات؛ وهو يبين لك اختياره هو. المسائل

الخلافة كثيرة كما تعرفون ولا لا؟ والأئمة كل له اجتهاده. هذا يرى أن المسألة كذا، وهذا يرى أنه كذا. فكل إمام له اعتبارات، وله قواعد معينة، وله أصول معينة يستنبط بها. فقد يظهر في المسألة الواحدة قولين أو ثلاثة أو أربعة لأربعة أئمة، كلهم اجتهد بحسب جهده وعلمه وطاقته.

هو أيضاً كما عرفتم قبل قليل أنه لا يقلد أحداً من الأئمة قبله؛ بل يجتهد فيه بنفسه. وقد

اجتمعت فيه ملكة الاجتهاد كلها وهذا ممكن، وأدواته عليه رحمة الله، فأحدي أساليب البخاري يشعرك باختياره لهذه المسألة، وأنه اختار أن يورد المعلقات هذه. معلقين أو ثلاثة يوصل لك الحكم ويشعرك أن هذا هو اختياره، وهذا هو استنباطه. مثال ذلك باب الفخذ عورة. مسألة خلافية، هل الفخذ عورة بالنسبة للرجل أم غير عورة؟

البخاري اختار الفخذ عورة، والحديث الذي ينص على ذلك صريح حديث جرهد المعروف؛ وهو

قول النبي صلى الله عليه وسلم (الفخذ عورة)، نص صريح وواضح ومباشر. لكن حديث جرهد ما وافق شروطه، وهو إذ اختار هذا القول، فعلقه. علق حديث جرهد ليبين لك أنه يختار هذا القول، وأن الفخذ عورة وإن كان لم يخرج من الحالة المسندة ما يؤدي هذا المعنى.

فإحدى أساليب البخاري إضافة إلى الاستنباط وتقريب المعلومة، بيان اختياره. ولذلك عندما سنقرأ وندرس وأنت تقرأ في الشروح كالفتح وغيره. يقول لك أورد هذه المعلقات ليدلك على اختياره، وأنه اختار المسألة الفلانية، الحكم فيها كذا وكذا.

فالمعلقات إذن خدمت البخاري في تقريب رأيه واجتهاده واستنباطه واختياره. قد تقول لماذا لما أسنده ما وافق شروطه؟ يعني هو لا يريد أن يخرج الصحيح فقط؛ بل أصح ما يمكن، وأصح ما يستطيع، وهو التزم هذه الشروط ولم يرد أن يخل بها، في نفس الوقت ما حرمت الفائدة و لا حرمت هذه الرواية، ولا حرمت الاستنباط، فهو من الترجمة ومما علقه وتستنبط بسرعة، وتعرف رأي هذا الإمام الذي تقرأ كتابه أيضاً بسرعة.

من فوائد إيراد المعلقات تكثير الطرق لإخراج المتون الحديثية عن حدّ الغرابة أو العزة ونحوها. كأن يكون الحديث الذي أخرجه مسنداً قد يكون غريباً، يعني متن الحديث لم يروى إلا بسند واحد على مستوى من الصحة، فيورد من الأحاديث ما هو أقل منه شأنًا في الصحة مما يؤدي نفس المعنى. انتبهت ولا لا؟ مما يؤدي نفس المعنى، إذن خدمة للمتن لإخراجه عن حد الغرابة.

لكن هذه الأحاديث المعلقة التي قصدوا بها تكثير الطرق، تكثير طرق الحديث وإخراج متنها عن حد الغرابة، ما هي في مستوى هذه الحديث المسند، ويخرجه كما أخرجها، فأوردها معلقات بهذه الفائدة الإسنادية الحديثية؛ وهي بيان أن هذا المتن له معاني أخرى جاءت في الأحاديث. لكنها ليست على مستواه من جهة السند والاتصال، وقوة الرجال وشروطه، فعلقها.

كم فائدة الآن ذكرنا من سبب إيراد الإمام البخاري للمعلقات في صحيحه؟ ثلاث، ثلاث فوائد: الأولى: الاستنباط ووجه ذلك قد يكون المسألة المستنبطة فيها خفاء من الحديث المسند، لكن فيها ظهور أكثر في حديث آخر ليس على شرطه، فيعلقه لتقريب المسألة مادام هذا هو الاستنباط. وهذا هدف من أهداف التأليف للإمام البخاري.

الفائدة الثانية: يشعرك باختياره هو من بين الأقوال الكثيرة في المسألة الواحدة، و قلّ مسألة من مسائل العلم إلا وفيها للعلماء خلاف كما تعرفون بحسب الاجتهادات، وبحسب ما بلغه من ال سؤهد وهو إمام يختار ويستنبط. كيف يفهمك ويشعرك وهو يحلل ويقول وأنا اخترت هذه القول وقوله؟! لا، هو كتاب حديث فيعلق ويشعرك بالاختيار.

والفائدة الأخيرة إخراج متن الحديث عن حد الغرابة إذا كان الحديث المسند على شروطه، يحكم عليه بغرابة فتخرج الغرابة أو العزة أو الشهرة بتكثير الطرق الأخرى التي ليست على شرطه.

النوع الثالث: إذن النوع الأول الأحاديث المسندة المتصلة وعلامتها إذا صدرت بصيغة التحديث والإخبار. اتفقنا على هذا.

النوع الثاني: المعلقات بالصيغتين: صيغة التصحيح: قال، أو روى، أو ذكر، أو فيه فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم. أو صيغة التضعيف: يروى، يذكر، قيل، وأقوال ثانية. وفائدتها عرفناها.

النوع الثالث من الأحاديث الموجودة المضمنة في جامع صحيح للإمام البخاري، من ترجم به رواية الحديث. صحيح البخاري كله تراجم، باب كذا، باب كذا. ربما في بعض الأبواب يترجم، ونفس الترجمة يقول حديث، (باب إذا أقيمت صلاة فلا صلاة إلا التي أقيمت)، هذا لفظ الحديث كامل. (باب الفخذ عورة)، (باب البيعان بالخيار ما لم يفترقا)، وهكذا... هل كلها ألفاظ أحاديث تترجم لمتن الحديث.

ومادم ترجم بمتن الحديث، لابد هنا من فوائد. تقريب الفوائد السابقة التي في المعلقات، تتكرر معنا في صورة الترجمة. إذا ترجم بلفظ الحديث، يكاد يكون استقراره أن ما ترجم منه اختياره.

إذا قال: (باب الفخذ عورة)، تعرف أن مذهب البخاري أن الفخذ عورة خلاص. إذا قال: (باب

إذا أقيمت صلاة فلا صلاة إلا الصلاة المكتوبة) فهم أن اختيار البخاري عدم تجويز الصلاة أثناء إقامة الصلاة وهكذا. (باب البيعان بالخيار) خيار المجلس، موافقة للشافعي وأحمد ومالك وفقهاء الحديث وخلافاً لمالك وأبي حنيفة.

وهكذا فترجمته إصدار حكم منه، ولكن الخلل في الترجمة أنه في الغالب يتباين في الغالب هذا الحديث لا يوافق شروطه؛ بل ربما يكون فيه ضعف حتى لفظ الحديث. لكن الحكم منه واضح وهو يريد أن يداخله لفظ ترجمة، ثم يخرج في نفس الباب من الأحاديث المسندة ما يؤدي إلى ذلك المعنى أو لوجه خفي غير ظاهر وغير....

...ولا يتجاوز نحو مائة وستين ترجمة على ما ذكر وقيل.

إذن هذه أنواع الأحاديث التي ضمنها البخاري في صحيحه. المقصود أننا التي يحق لنا أن نقول رواها البخاري، هاه، أو التي ذكرها منه في صحيح البخاري التي أسندت. أما المعلقات، فلا يحق لك أن تعزوها للبخاري إلا مقيدة للتوضيح. تقول رواه معلقاً أو علقه. أما ما هو لفظ ترجمة، فلا تعزوه للصحيح؛ لأنه ما هو مقصود إلا للاستنباط وبيان الحكم. لا تقول رواه البخاري في باب الفخذ عورة، الترجمة. يجب الانتباه لمثل هذه الأمور.

البخاري عليه رحمة الله، من مذهبه في الجامع الصحيح تكرار الحديث في مواضع عدة وتقطيعه. أما التكرار، ففرضته الحاجة للاستنباط؛ لأن الحديث الواحد قد يكون فيه أكثر من حكم ولا لا؟ قد يكون في

الحديث الواحد أربعة، خمسة، عشرة أحكام في حديث واحد. وكل حكم من هذه الأحكام موجود في باب من أبواب العلم. حكم في الصلاة، وآخر في الحج، وثالث في الآداب.. فيخرج الحكم الذي في الصلاة من كتاب الصلاة. يترجم باب كذا ويخرج الحديث.

لما جاء كتاب الحج ترجم وأعاد نفس الحديث؛ لأن الشروط موجودة فيه. جاء في الآداب، وهكذا مرتين، أربع خمس، ست إلى عشر مرات ربما يكرر الحديث الواحد. لماذا يكرر؟

لأن الحديث الواحد قد يتضمن مجموعة من الأحكام. وهذه الأحكام بحكم التقسيم مفرقة على أبواب. ففي كل باب يرجع نفس الحديث لأجل الاستنباط. ومع ذلك كله لا بد أن يغير الإمام البخاري صيغة الحديث، إما في متنه، أو في سنده. بمعنى لن تجد حديثاً واحداً مكرراً بلفظ سنده ومعناه إلا ما نذر. إذا أخذ نفس الحديث إلى باب آخر، يغير يرويه عن صحابي آخر، يرويه عن شيخ آخر له، يرويه بسند آخر نفس المتن. فأفادت تكثير الطرق، وأفادت يعني خروج الحديث مثلاً عن حد الغرابة وأمثالها. أو يغير في المتن، فيرويه في موضع بلفظ ويرويه في موضع بلفظ آخر، يؤدي نفس المعنى، لكن اختلفت العبارات ونحو ذلك.

فمن هذا أن فيه فوائد كثيرة. الحديث واحد والأحكام واحدة، لكن مختلفان إما في سنده أو في متنه أو فيهما معاً.

ولن تجد حديثاً يكرره في الصحيح في نفس السند ونفس المتن إلا ما نذر. حتى الحديث الغليظ كحديث... كما سندرس أخرجه عنده في الصحيح، لكن في موضعين متشابهين. إما يغير شروطه، أو يغير شروط المتن. ما هو هدفه؟ بحسب طبعاً ما بلغ من الرواية؛ لأنه قد يروى الحديث بلفظ وهو نفس الحديث بلفظ آخر.

(إنما الأعمال بالنيات) في موضع آخر: (إنما الأعمال بالنية)، في موضع ثالث: (الأعمال بالنية) دون إنما. وهكذا ففي كل مرة يأتيك عبارات جديدة أو أخرى تؤدي نفس المعنى، أو يغير في الطرق من جهة الصحابي، أو من جهة التابعي، أو من جهة شيخه ولا يكرر حديثاً في موضعين تماماً إلا ما نذر. فالتكرار سببه إذن الحاجة إلى الاستنباط، يعني الحديث يضم مجموعة أحكام. أما التقطيع والمقصود بالتقطيع أن يكون الحديث فيه عدة جمل؛ مكون من عدة جمل. كل جملة فيها مثلاً مسألة أو حكم. فهو لا يريد أن يأتي في كل موضع بالحديث كاملاً لما فيه من تطويل ربما. هاه؟ فيأتي بالسند ويخرج الجملة التي يريدتها. يقطعها من مجموع حديث ويخرجها فقط هي.

ثم في موضع آخر يخرج نفس الحديث وجملة ثانية، هو نفس الحديث مع هذا كله لا بد بالاستقراء كما قالوا. لا بد في مواضع أن يكون الحديث كاملاً حتى تعرف وأنت تقرأ أن هذا هو الحديث الذي أخرج هذه الجملة منه في الباب الذي في الصلاة، وأخرج هذه الجملة منه في الباب الذي في الزكاة، وأخرج جملة ثالثة في الباب الذي في الرقاق، والخامسة في الفتن وهكذا.

لكن لا بد في أحد المواضع أن يخرج لك الحديث كاملاً غير مقطع لتعرف أن هذا هو الحديث بتمامه، وأنه أخذ هذه الجملة وقطعها لحاجته للاستنباط، وحاجته للاختصار لديه.

قد يكون الحديث طويل مثل حديث مثلاً قصة الإفك لعائشة، فيه أحكام كثيرة جداً. قصة بريرة فيه أحكام كثيرة جداً، وهو طويل قصة طويلة بحيث لو وضع الحديث كاملاً، ربما فيه نوع من التطويل لا يناسب مقصوده من الاختصار. فإذا أراد مثلاً في كتاب البيوع وترجم له (باب من اشترط في البيع شروطاً لا تحل)، أخذ جملة فقط: **((مَنْ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ))** ⁽¹⁾ كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وطرح القصة كلها ما في حاجة لها الآن.

جاء القول فيه حديث: **((فإنما الولاء لمن أعتق))** ⁽²⁾ خلال العتق أخرج جملة فقط قال: صلى الله عليه وسلم: **((فإنما الولاء لمن أعتق))**.

في موضع رابع متى مكاتبه، إذا كان المملوك يريد يكاتب سيده أحكام كثيرة، يخرج الجملة المقصودة الدالة على الحكم، ومع هذا لا بد في موضع من المواضع، يسرد الحديث كاملاً بجميع جملة وألفاظه. فقد يقطع الحديث وقد يكرره لهذه الفوائد. ومع ذلك إن كرر، لا يكاد يكرر حديثاً بنفس السند والمتن إلا ما نذر. فلا بد أن يغير مغايرة إما في سنده أو في المتن. وإذا قطعه لأجل الاستنباط والاختصار، لا بد في موضع من المواضع يعطيك الحديث كاملاً حتى تعلم أن هذا هو الحديث الذي أخرج هذه الجملة متفرقة منه بحسب الاستنباطات، وبحسب الأحكام يعني التي قصدتها وأرادها.

يقول الحافظ هنا تنمة للتقطع يقول: (ولم يقع في الصحيح حديثٌ اقتصر فيه البخاري على جملة منه وحذف الباقي ولم يذكره في موضع آخر) كما قلت قبل قليل أنه لا بد في موضع آخر أن يسرد الحديث كاملاً. لم يحدث في الصحيح كله أن الإمام أخرج جملة من الحديث وحذف الباقي ولم يذكره في موضع آخر الباقي المحذوف، ما حصل هذا إلا حديث واحد لا ثاني له على كلام الحافظ يقول:

(1) صحيح البخاري، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد رقم: 436

(2) صحيح البخاري، باب: الشروط في الولاء رقم: 2527

(إلا حديثاً واحداً؛ وهو حديث هزيل ابن شرحبيل عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه قال : ((إِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَا يُسَيَّبُونَ وَإِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يُسَيَّبُونَ))⁽¹⁾ أخرجه البخاري هذه المرة.

معروف السادة أيام الجاهلية ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ﴾ سائبة كان أهل الجاهلية من الأحكام التي اخترعها لهم وشرعها لهم طاغوتهم عمر ابن لحي السائب، وهذا يأتي في الرجل ينذر بعيرين أو بقرتين خمس سنوات سائبة للآلهة تسيب في الأرض، لا أحد يأكلها ولا أحد يأخذها ولا أحد يحتلبها. وهذا وقف السائبة على آلهة، هذا ما يُصنع وتطوف في الأرض حتى تموت أو حتى يأكلها سبع ولا.. ما ينفع اللات والعزى إبل ولا غنم. هكذا السائبة تعطى نذر يعني قرية للآلهة.

الله حرم ذلك وقال في سورة المائدة: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾⁽²⁾ ، فابن مسعود يقول: ((إِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَا يُسَيَّبُونَ))

ما فيه سائبة في الإسلام. معنى سائبة يعني إهدار المال بهذه الطريقة ما هو وارد. والأحكام الشرعية في القرايين لها شروطها وضوابطها ومواسمها. يعني ما تأتي تقول هذه القطيع سائبة لله تمشي في الشارع هكذا. ما عقدت المقصد ما أطعمت جائعاً ولا سقيت ضمناً، انحرها وتصدق بها، هذا الذي يتقرب به إلى الله، ما تخلي هكذا، وتريد من الناس أن يحترموا هذه السائبة، ما فيه تسيب في الإسلام. التسيب تضييع في معناه والإسلام والشريعة لا يرتضيه.

((إِنَّ أَهْلَ الْإِسْلَامِ لَا يُسَيَّبُونَ)) هذه الجملة أخرجها الإمام البخاري فقط من كلام ابن مسعود، فلها حكم الرفع، فلها حكم الرفع يعني بشروطها وما له حكم الرفع. هذه الجملة ضمن قصة طويلة، ذكر ابن مسعود نفسه، ابن مسعود نفسه رضي الله عنه ذكر قصة. قيل ما معنى السائبة؟ قصة طويلة فيما معنى السائبة. لماذا كان يصنعها أهل الجاهلية . وكيف حرمها الإسلام . هذه القصة ما ذكرها ليه؟ هو الآن الحديث الوحيد الذي اقتطع منه البخاري جملة وأهمل بقيته ولم يذكرها في موضع آخر؛ لأن البقية قصة في تفصيل معاني السائبة وما كان يصنع أهل الجاهلية، والآن ليس حاجة لهذه القصة ولا مكان لها. فأهملها البخاري لعدم الحاجة، واقتصر على ما هو مهم، الحال في الحكم: ((إِنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ..)) هذا الحديث الوحيد الذي لا ثاني له، فلن تجد في الصحيح حديثاً آخر اقتصر منه البخاري على بعضه وحذف الباقي، ولم يذكر في موضع آخر من صحيحه.

(1) صحيح البخاري، باب: ميراث السائبة، رقم: 6256

(2) المائدة: 103.

يكاد يجمع العلماء بل قد أجمعوا على أن الجامع الصحيح للبخاري هو أصح كتاب في علم السنة. أصح كتاب على وجه الأرض بعد كتاب الله جل وعلا. وهذه المنزلة العالية، تبوأها هذا الكتاب المبارك لأسباب عدة:

السبب الأول: ما كان عليه الإمام البخاري من العبقرية الناذرة، والحفظ الواسع الذي قلّ نظيره. ولو نذكر القصص الكثيرة في حفظه وعبقريته لضاق المقام. إذا كان وهو لا يزال شاب، غض، طري ما خرج وجهه أي ما نبت شاربه ولا لحيته يُسأل عن العلل والرجال والأحكام العويصة هذه، وهو يجري فيها كالسهم كما يقولون.

يقول أحمد : (رأيت أبا عبد الله البخاري في البصرة وقد غلبه أهل الحديث على مسألة فأجلسوه في بعض التل يسألونه عن العلل والرجال يمر فيها كالسهم وهو لم تنبث لحيته بعد) ستة عشر، خمسة عشر، أربعة عشر سنة في العلل، ما يعني إنسان يقول لك.. يعني في العلل يعني تحتاج إلى خبرة واسعة ومعرفة بطرق الحديث، ومعرفة المنقطع والمدلس وهكذا ما هي مسألة.. وهذا لسة لحيته ما نبتت. فكيف لما اكتهل، وتقدم سنه، واتسعت دائرته ورسخت قدمه، لاشك أن هذه منزلة عالية تبوأها هذا الإمام.

يقول الإمام أحمد: (ما استخرجت خراسان مثل محمد ابن إسماعيل البخاري).

هذه شهادة من إمام واسع الرواية، عظيم القدر والإمام أحمد يهاب الإمام... وهو يعلم على من يثني عليه ، عليه رحمة الله.

فمنزلة الإمام البخاري في العلم وشدة حافظته وعبقريته الفذة عليه رحمة الله، ولسنا لنا مقام لذكر هذه الروايات في حفظه، ومن ترجم لحياته المباركة سيجد العجب العجاب، العجب العجاب الذي لا يكاد يصدق فعلاً في خبرته وعلمه الواسعان.

فهذا العلم الواسع، والحفظ الشديد، والخبرة الهائلة في علم الرجال حتى قيل كما نقله أحمد بن سلمة يقول: (لا أعلم في أئمة الإسلام من يعلم رجال الحديث كالبخاري) مع أنه لقي أحمد ابن حنبل ويحيى ابن معين، وإذا قيل يحيى بن معين خاص في علم الرجال يقول: (ما رأيت مثل هذا).

لما خلاص "التاريخ الكبير"؛ البخاري في رواة الحديث، وسواء من الصحابة وغيرهم، التاريخ الكبير أوسع كتاب في تعريف علم الرجال للإمام البخاري، وأحضره إلى شيخه إسحاق ابن إبراهيم، أعجب به ودخل به على الأمير ابن طاهر وقال له: (أيها الأمير ألا أريك سحراً؟) شيء لا يصدق أربعين ألف ترجمة لأربعين ألف راوي وقال هو نفسه: «كل رجل له في التاريخ ذكرٌ هو قوله _ إلا وله عندي قصة، ولكن

كرهت تطويل التاريخ» كل رجل له ذكر أعرفه وأعرف خبره، ولو أردت ذكر كل من أعرف.. وهو ضخم أربعين ألف ترجمة. شيء لا يعقل فعلاً يدل على ذاكرة تكتنف علماً هائلاً قل نظيره.

ثانياً: ما قام به من تدقيق جراء خبرته وعمله، هو وضع شروط معينة للحديث الذي سيخرجه في الصحيح، لم يخرج إلا الصحيح، وليس كل صحيح أورده؛ بل أصح ما يمكن أن يوجد عليه. وضع شروط قوية. وعُرف أن البخاري بشروطه العظيمة الواسعة من ثقة الرواة، واتصال السند، وزوال العلل وهو إمام العلل وعدم وجود أي قاذح في الحديث.

فهذه الشروط أعطت العلماء طمأنينة أن البخاري عليه رحمة الله ما أخذ من الحديث إلا صحيحه. ولذلك عندما يناقشونه ما يناقشونه في أنه استخرج حديثاً ضعيفاً لا، يناقشونه فقط هل أخلفت بشرطك أم ما أخلفت. يعني كل كتاب التتبعي للدارقطني وما أدراك ما الدارقطني، وهو إمام عظيم؛ أبو الحسن علي ابن عمر ابن مهدي الدارقطني، لما تتبع البخاري ما تتبعه كما قبله بعض أئمة العلم أنه عشر على أحاديث ضعيفة في الصحيح لا، هي كل القضية أن الدارقطني قال أنت يا بخاري أراك أخللت في بعض شروطك التي عرفناها عنك في هذه الأحاديث، وهي نحو ستة وثمانين حديث. وردّ على الدارقطني وبيّن أنه ما أخل في شرطه فيها، ولم يسلم الدارقطني إلا بضعة أحاديث فقط خمسة أو ستة أو عشرة أخلها بشروطه، مع أنه ما زاد في حدود الصحيح ما نزل إلى الضعيف أبداً، وهذا يكاد يكون إجماع عند أهل الحديث. ولذلك سأذكر لكم بعد قليل أضعف ما ذكر في البخاري من أحاديث، ورد العلماء على ذلك إن بقي وقت.

بسم الله والحمد لله وصلى الله وسلم على رسوله ونبيه المصطفى وعلى آله وصحبه ومن والاه.
أما بعد:

قلنا قبل قليل أن غاية ما تتبعه واستدركه إمام عصره الإمام حسن علي ابن عمر ابن المهدي الدارقطني على إمام المحدثين أبي عبد الله البخاري في كتابه المعروف: "الإلزامات والتتبع" أنه يرى _ الدارقطني _ أن البخاري في هذه الأحاديث التي قلنا نحو ستة وثمانين حديث أو نحواً من هذا العدد أن البخاري أخلّ ببعض شروطه فيها، وأجاب عنها الحافظ ابن حجر وغيره أو عن أكثرها وسلم للدارقطني بعضها.

ولاشك أن حديثاً يخرجه البخاري عن مثل مالك، عن نافع عن ابن عمر ليس كحديث يخرجه عن من هو أقل منه شأنًا وعلماً. ولو أراد أن لا يخرج إلا من هو في مستوى مالك عن نافع ابن عمر ربما م

أخرج إلا بضعة أحاديث، واقتصر على ذلك. لكن الدارقطني يرى في اجتهاده مع أنه _ أي الدارقطني _ لم يحكم على شيء من تلك الأحاديث بأنها في حكم الضعيف والمختل بعلّة قاذحة ونحو ذلك. ولكن القضية في بيان هل أوفى بشروطه كاملة في هذه الأحاديث كغيرها أم أخلّ بشيء منها. وأكثر ما أخذ أو أضعف ما يمكن أن يقال استُدرِك على الإمام البخاري، وقيل بأن شروطه اختلت في هذين الحديثين، هما حديثان فقط. هذه أضعف ما يمكن، ومع ذلك الجواب عنها وارد، فكيف بما هو يعني هذه أضعف من الحديثان، يعني رأى بعض الأئمة أنها بالفعل يرون أنها ما كان لأبي عبد الله أن يخرجها ضمن صحيحه مسنداً متصلاً، ويرون أن العلة التي فيها يعني قاذحة إلى حد ما. حديثان:

الحديث الأول: حديث أخرجه البخاري من طريق فضيل بن عباس بن سهل بن سعد الساعدي، عن أبيه عباس بن سهل، عن جده سعد بن سهل الصحابي قال: **((كَانَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطِنَا فَرَسٌ يُقَالُ لَهُ اللَّحِيفُ))** ⁽¹⁾ بس سهل يخبر أنه كان للرسول فرس اسمها اللحييف. هل هي مسائل ولا شرائع ولا عقائد؟ خير من جنس إخبار السير، إن عملته يعني وإن جهلته يعني في الأمر متسع. خبر في كتاب المغازي للإمام البخاري عليه رحمة الله.

قالوا أباي ضعفه؛ أباي ابن عباس ابن سهل، ضعفه الإمام أحمد، وضعفه الإمام يحيى ابن معين، وضعفه أيضاً الإمام النسائي. فكيف يخرج البخاري حديث من غزو حكم الأئمة بضعفه؟ قالوا في الجواب، من أجاب قال يعني مع التسليم بأن فيه ضعف، ولم يخرج عنه البخاري أصلاً إلا هذه الرواية. ليس لأبي ابن عباس ابن سهل في الصحيح إلا هذه الرواية لا ثاني لها. والخبر كما سمعتم خبر مغازي، يعني ما بيني عليه أي شيء. فلعلّ البخاري تجاوز عن الضعف الذي فيه وبينه وخصوصاً أنه يروي حديث عن أهل بيته عن أبيه عباس، عن جده الصحابي سهل، لا يوجد منكر، وإن كان أعلم بحديث أبيه وجده من غيره. يعني هذه شفعت له.

مع هذا كله لم ينفرد أباي ابن عباس ابن سهل بهذه الرواية وقد توبع كما قال الحافظ توبع على رواية أصل الحديث، وتابعه أخوه المهيمن ابن عباس ابن سهل وأخوه وثقه الترمذي وابن ماجه وغيرهم. ولذلك موجودة رواية المهيمن في كتب السنن كالترمذي وأبي داود وابن ماجه وغيرهم، مع كما قلنا رواية الصيغ. وهذا منهج قديم لبعض الأئمة أنه يعني لا يحقق التحقيق المطلوب في أخبار المغازي والسير كما ينبغي، خصوصاً أنه شفع للبخاري أن أبي يعني على ضعف، هذا أولاً. ثانياً يروي الحديث عن أبيه عن

(1) صحيح البخاري، باب: اسم الفرس والحمار رقم: 2643

جده، فهو يعني لقياه لأبيه وجلسه معه وسماعه كثيرة جداً. فربما سمع منه هذا عن أبيه عن جده مرات كثيرة، وقد يضعف بعض الأمور مع أن أهل بيته ولا لا؟ ما هو حديث عن رجل بعيد و لا رجل غريب وكذا، ربما سمع هذا.

وهذه المسألة أضعف الناس علما سيحفظه ولا لا؟ وأقل الناس ذاكرة ما هي مشكلة عنده، كأن يقول الرسول كان له فرس معلومة ستبقى في ذهنه، سمع أباه يقولها مرات، وربما سمع جده يقولها مرة، ما هي معلومة تنسى بسرعة حتى ولو فرضنا أن حفظه ضعيف، وأن ضبطه يعني ليس بذاك.

ثاني من تابعه أخوه المهيمن ابن عباس وهو موثق عند أكثرهم، فدلّ على أن هذه المسألة وهذه المعلومة موجودة في أهل بيت سهل بن سعد وتابعوها بينهم، يروونها عن جدهم الصحابي سهل بن سعد. ثم من هذا كله المسألة يعني ما تحتل؛ لأنها خبر وكما تعلمون ليس في الأمر كبير شيء، هذا أضعف ما في الصحيح.

الثاني، الحديث الثاني حديث عبيد ابن إسماعيل ابن أبي أويس، عن خاله الإمام مالك ابن أنس _ الإمام مالك ابن أنس خال إسماعيل ابن أبي أويس _ عن زيد بن أبي أسلم عن أبيه أسلم مولى عمر عن عمر يعني هذا السند.

يقول البخاري: (حدثنا إسماعيل ابن أبي أويس عن مالك)، مالك خال، هذه معلومة مهمة كلمة خال مهمة بمعنى أنها ستدفع شيء من الانتقاد، خال إسماعيل (عن مالك عن زيد ابن أسلم عن أبيه أسلم مولى عمر) معروف أسلم مولى عمر. ماذا يقول؟ (استعمل عمر رجلاً يدعى هنية على إبل على خمس الصدقة) على إبل الصدقة.

خبر مثل ذلك كان للنبي فرس يدعى اللخيف. يقول عمر استعمل إبل الصدقة التي تؤتى للصدقات والزكاة، حملها عمر إلى المدينة تبقى ترعى فيها حتى لا يخالطها غيرها، حتى يوزعها كما أمر الله، يعني تحتاج إلى وقت للتوزيع. فحتى لا تضيع وكذا، ووضع رجلاً يعني يرعاها اسمه هنية. هذا اسمه اسمه هنية قصي اسمه ... ما عندنا فيه مشكلة اسمه ما يبطل حكم ولا يضعه.

هذه المعلومة كلها، استعمل رجل لصدقة أو ما استعمل يعني ليس فيها أمر مصلحي راجح. يعني أنت في وضعك الطبيعي إذا كان غنم تضع لها من يقوم بشأنها، هذا شيء ما يحتاج إلى حكم ولا.. هذه مسألة خبرية فقط، علمية جاءت في هذا ضمن هذا الكلام البحثي في الإبل والغنم والصدقة، ومع كل هذا قالوا: إسماعيل ضعيف تكلم فيه الأئمة؛ إسماعيل ابن أبي أويس. ومادام أنه ضعيف، إخراج هذه الرواية عنه يعني تقدح في هذا الحديث، وتنزل هذا الحديث عن مستوى الأحاديث التي اعتمدها البخاري في صحيحه.

أجاب المجيبون بما يلي:

أولاً: لم يخضع البخاري ما في حديث إسماعيل من الضعف. ولذلك البخاري قصد إسماعيل في المدينة وطلب منه _ وهذه مروية في ترجمة البخاري وغيره _ وطلب منه أصوله السماعية. كان عادة المحدث إذا شك في حفظ المحدث أو اختلط ربما، أو نسي، أو وهم. أو يطرأ شيء على صحته، ربما يكون ثقة. لكن اختلط في آخر عمره، نسي، بدأ يتلقن يرجعه إلى ماذا؟ إلى أصوله السماعية المقيدة التي كتبها عن شيوخه أثناء الطلب وقوله ليثبت صحة السماع عليها.

هذه ما تتغير مضبوطة، بعضهم ينسى يكرر ويهزم ويضعف. لكن المكتوب المنقول المبقى عليها بالسماع هذا موثق.

فالبخاري كان يعلم ما في حفظ إسماعيل وما سمعه وربما يرجع لبعض الأحاديث، وهذا الذي قدح فيه الأئمة. ووقف له في المدينة وطلب منه أصوله السماعية، فاستجاب له إسماعيل وقال له أصوله السماعية سماعه عن خاله مالك.

مالك خصه بسماع معين وموقع عليه، سمع مني هذه النسخة، هذا معنى السماع أي الإمام يكتب يعني الإمام لما يحدث بنسخة معينة، أو في كتاب حضره مجموعة بعد أن ينتهي يوقع لهم. سمع مني هذه النسخة فلان ويقيد أسماء المسمعين، وتبقى النسخة متداولة. حتى لو كان لا يذكر شيئاً، والنسخة موثقة وعليها توقيع الإمام، تعتبر يعني حجة وينقل منها. حتى لو كان نفس الراوي لها ضعيف في ذهنه، أو عقله بشرط يكون ثقة في دينه حتى لا يزور، أو يعني يدخل في النسخة ما ليس منها.

فإذن البخاري ترك الاعتماد على ذهن وحفظ إسماعيل، وترك أصولاً سماعية، فأخرج له إسماعيل أصوله السماعية؛ بل وقال له إسماعيل قال للبخاري: (انظر ما فيها من حديث مختل فعلم لي عليه حتى لا أحدث به).

وأنت ما شاء الله شوف الحديث الذي فيه ضعف وحط العلامة حتى لا أحدث به. هذا يدل على دين وإنصات وإلا إسماعيل ما عنده صعوبة، قال امش أعطيك أصولي السماعية، ما يمكن أن تبقى. قال له علم لي إذا رأيت حديث فيه خلل حتى لا أحدث به.

فإذن عندنا البخاري عندما يروي عن إسماعيل لا يروي عن حفظه الذي اختل ووهن وضعف؛ إنما يرويه مباشرة من أصوله السماعية. وأقوى حتى من حفظ كثير من وأثبت من حفظ كثير من الحفاظ. ولذلك لم يقتصر البخاري في رواية عن إسماعيل عن هذا الحديث، مع أن الأحاديث كثيرة جداً عن طريق إسماعيل مع العلم بما فيه من قوادح في حفظه؛ لأنه لا يروي من حفظه؛ إنما يروي عن أصله

السماعي. فزالت الشبهة، وثبت تدقيق هذا الإمام الذي جاء إلى المدينة مخصوص لينقل من الأصول السماعية وينتقي منها. وقد عملنا علمه وحفظه وذاكرته وهو عبقرى.

هذا أقصى ما قيل فيما أعلم وكما ذكرنا من الأحاديث الضعيفة التي قيل ربما يشوبها الضعف في

الأحاديث المسندة المتصلة، الموجودة في صحيح البخاري. إذن نؤجل هذه المسألة إلى وقت آخر.

مسألة: قد يخرج البخاري حديثاً فيه خلل ليشعرك بالخلل الذي فيه. ولهذا أساليب ونماذج سنذكرها

في حينها إن شاء الله تعالى.

بقي أن نحصى عدد الأحاديث في صحيح البخاري. إذا حذفنا المكرر عدا الأحاديث المسندة طبعاً

ما هي المعلقات المسندة. إذا حذفنا المكرر وأرجعنا المقاطع إلى بعضها. ابن الصلاح يقول أنها أربعة آلاف

والحافظ ابن حجر يقول بلها ألفين وستمئة وحديثين. إذا حذفنا المكررات والمقاطع ورجعت الأصول

المثنية التي رواها البخاري في صحيحه، مسندة متصلة ألفين وستمئة وحديثين. والتكرار الذي كثرت في

أحاديث الاستنباط أوصلها ربما إلى سبعة آلاف أو تسعة آلاف على ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في الطبعة المشهورة.

أعلى الأحاديث في صحيح البخاري الثلاثية، وأنذر الأحاديث السباعية وأنذر الأحاديث السباعية.

أنتم تعلمون كلما قل العدد بين الراوي أو صاحب الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم كان السند أحسن وأعلى وأضبط وأبعد عن دخول العلل فيه. لذلك كان الأئمة يطلبون علو الإسناد ما استطاعوا إليه سبيلاً.

البخاري بحكم عصره أعلى الأسانيد في صحيحه الثلاثية. والمراد بالثلاثية التي ليس بين البخاري

والنبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة رجال فقط: شيخه والتابعي والصحابي. هذه إذن أحاديث عالية جداً؛ وهي أعلى ما يمكن في صحيح البخاري.

والأحاديث الثلاثية في صحيح البخاري تصل إلى ثلاثة وعشرين حديث عددها. أربعة موقوفة

وتسعة عشر مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم. الأحاديث المرفوعة عنه الثلاثية العالية جداً هذه التسعة عشر حديث مرفوعة. وهناك أربع موقوفة فيكون العدد كم؟ ثلاثة وعشرين.

كل الأحاديث الثلاثية المرفوعة في صحيح البخاري بسند واحد. ما عدا ستة أحاديث أو سبعة

والباقية كلها بسند واحد يقول البخاري: (حدثنا المكي بن إبراهيم عن يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن

الأكوع الصحابي عن النبي صلى الله عليه وسلم)، إحدى عشر حديث بهذا السند الواحد من الثلاثية.

والباقية خمسة بسند آخر مثل السند الثلاثي لكنه شيخين. يقول: حدثنا أبو عاصم وهو الضحاك بن مخلد

عن أبي عبيد عن سلمة، خمسة أحاديث باقي من التسعة عشر كم؟ إحدى عشر وخمسة = سبعة عشر.
باقي اثنين ولا لا؟ أكملها بواحد عن عصام بن خالد عن حُرَيْز بن عثمان عن عبد الله بن بسر الصحابي.
والتاسع عشر خرجه يحيى عن جسر بن تهمان عن أنس بن مالك الصحابي هذه كل الثلاثيات
المرفوعة في صحيح البخاري. أما السباعية فهي كثيرة، السباعية وهي بين البخاري والنبي سبعة من الرجال.
هذه أنذر ما في الصحيح، كثيرة قد تصل، جمعتها في جمع صغير وصلت عندي إلى نحو من ثلاثة أو أربعة
وعشرين حديث سباعي. وباقي أحاديث الصحيح كلها بين رابعة أو خماسية. بين الرابعة والخماسية هذه
أكثر أحاديث الصحيح.

ابتدأ البخاري تأليف صحيحه في المسجد الحرام بمكة، تيمناً يعني بهذه البقعة المباركة. بعد موسم
الحج بدأ بالكتابة وقضاه وانتهى منه بعد ستة عشر عاماً في قريته في بخار ة هناك. الآن بخارة في باكستان
وأتمه في ستة عشر سنة.

كان يقول: "ما كتبت حديثاً" شوف الإمام شوف الثقة الذي يطمئن قلبك يقول: (ما كتبت في
الصحيح حديثاً إلا اغتسلت) اغتسال احتراماً لما سيكتب (وصليت ركعتين واستخرت الله) مع استفراغ
الجهد من التدقيق والتنقيب ومذهب... والسماعات مع الجهد البشري هذا يبقى هو يحتاج إلى المعونة من
الله جل وعلا فيصلي ويستخير؛ لأنه يكتب ديناً، ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم حديثاً. يصل بالله عز
وجل أحكاماً.

شوف التدقيق هذا، والوجل والحرص، فإذا رأى أن قلبه مطمئن كتب الحديث. بعد هذا كله بعد
انقضاء المشروع يقول: (عرضت كتابي هذا على أربعة أئمة) شوف برضه بعد هذا كله أربعة من الأئمة،
مناقشة مثل ما يصنعون اليوم في رسالات. أربعة أئمة: أحمد ابن حنبل، ويحيى ابن معين إمام آخر كما قال:
هذا لا يفوت هذا، وعلي ابن المديني إمام العلل، ورابعهم شيخه إسحاق هذا كل الشيوخ، إسحاق بن
إبراهيم الحنظلي.

فاستجابوه وأقروه إلا أربعة أحاديث. من هذا الكم الهائل أربعة أحاديث بعضهم ناقشه فيها. خلوا
السيرة السابقة من هذه الأربعة، يعني حديثين في ألوف، يعني ربما لو تركها أحسن واشتغل بالصحيح وكذا.
هو رأى أنه لا بأس بها. إذن هذين الأمرين سهل جداً إن شاء الله. وقال العقيل وهو إمام كبير: "والقول في
الأربعة أحاديث هو قول في البخاري والأحاديث صحيحة لا منزع فيها ولا مغضب".

بقي سسلك في هذا الدرس المنهج الآتي. سيكون درسنا متوسطاً يعني ليس طويلاً. أن ندقق عند
كل مسألة وعند كل كلمة، هذا طبعا سيطول الوقت به ولن نقطع شيئاً. وإن يكن أيضاً يعني مختصراً من

حيث يعني الفائدة المقصودة، سيكون في حكم المتوسط على المنهج الذي سلكناه في أثناء الدورة الماضية عندما شرحنا كتاب الإمام في الصحيح.

ثانياً: سنعتني بالناحية الحديثية الإسنادية، وهذه فيها يعني تدريب للطلاب وتحريك لذهنه ومعرفة بأسرار كثيرة في هذا العلم العظيم.

نترجم للرواة عندما يذكرون لأول مرة. أي اسم يذكر لأول مرة نترجم له. إذا جاء مرة ثانية ما نترجم له خلاص بحيث يعني ما نكرر الكلام يعني مرات ومرات. ذ. إذا حققنا مسألة في موضع وجاءت في موضع ثاني فنحيل. ما نقول لكم جاءت المسألة بعد شهر أو شهرين نقول أيضاً ونعيد الكلام فيها؛ لأن بهذه الطريقة سنتعطل. أي مسألة سواء سنديّة، أو كانت ترجمة راوي، أو حكم أو كذا حُقق الكلام فيه ثم جاء مرة أخرى في موضع آخر لن نعيد الكلام فيه وإنما نحيل على ما سبق ونراجع الأصول المعتمدة في ذلك والكتب والشروح وغير ذلك.

النسخة التي نريد أن تكون هي موضع الدرس؛ هي النسخة "اليونانية" وهي أضبط نسخ الصحيح، نسخة الحافظ شرف الدين اليوناني. التي قرأها على أصول سماعية كثيرة، قرئت في سبعين مجلس أيام الحافظ شرف الدين اليوناني، وحضر مجلس القراءة إمام النحو في زمانه جمال الدين ابن مالك فكان يصحح المشكلات، ويصحح له الإعرابات فضُبطت من جهة اللغة بحضور إمام اللغة، وضُبطت من جهة السند وصحة النسخة بتدقيق الحافظ اليوناني.

النسخة اليونانية هي التي طُبعت عليها النسخة السلطانية، هي أول طبعة لصحيح البخاري طبعها السلطان عبد الحميد سنة 1313 أول طبعة تخرج كطبعة حينما جاءت الطباعة هي النسخة السلطانية، النسخة التركية طُبعت في اسطنبول المطبوعة على الأصل الذي كان عند الحافظ الزولي المطبوعة على الأصل الذي كان عند الحافظ شرف الدين اليوناني، وهي النسخة الموجودة الآن في السوق التي عليها تحقيق وتعليق الشيخ أحمد شاكر.

إذا وجدت هذا: تحقيق أحمد شاكر، وكتب المقدم عن النسخة اليونانية وأثبت في الهامش فروقات النسخ هذه هي النسخة المتقنة التي أتقن ما يمكن من نسخ الصحيح.

أو نسخة عبد الباقي لا بأس بها مرقمة، أو نسخة اسطنبول المطبوعة على الأصل السلطاني، كلها أصول طيبة لكن نسخة أحمد شاكر هي التي هي النسخة اليونانية التي أتقن نسخ صحيح البخاري لمن أراد يعني التثبت من النسخ يعني ونحو ذلك.

هناك أمور يعني أخرى كثيرة تأتي أثناء الدرس إن شاء الله تعالى.
نسأل الله عز وجل أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، وأن يلهمنا وإياكم رشدنا، وأن يقينا شرور
أنفسنا وأن ينفعنا بما نقول ونسمع. وأن يعز دينه وأوليائه. اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك
الصالحين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



الدرس الثاني

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد:

فنبداً بتوفيق من الله تعالى وهداية وتيسير وإعانة في تدارس متن الجامع الصحيح للإمام البخاري عليه رحمة الله. فنبداً من أوله، تفضل.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين.

كتاب بدء الوحي.

(قَالَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى آمِينَ كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾)

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ عَلْقَمَةَ بْنَ وَقَّاصِ اللَّيْثِيِّ يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).

ابتدأ الإمام عليه رحمة الله جلّ وعلا ترتيبه لكتب الجامع الصحيح بالكتاب الذي يتحدث عن أمر الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتصدير لكتاب بدء الوحي له دلالة الواضحة في بيان أن أصل ومصدر ديننا وشريعتنا هو الوحي المنزل من عند الله جلّ وعلا، على رسولنا صلى الله عليه وسلم. فكل ما يأتي من كتاب الإيمان فما بعده، كله مأخوذ من مشكاة الوحي النازل على رسول الله عليه الصلاة والسلام. سواء كان قرآناً أو كان سنة وحديثاً.

وأراد البخاري أن يبيّن كيف كان يأتي الوحي إلى رسولنا عليه الصلاة والسلام، وما هي أنواعه، وما هي طرائقه، وما هي الأحوال التي كانت تعترى رسول الله صلى الله عليه وسلم حالة تلبسه بالوحي واتصاله

بالمملك كما سنقرأ في أحاديث قادمة إن شاء الله تعالى. ولكنه صدر بالحديث الدال على وجوب إحسان النية وتصحيح المقاصد فيما يأتيه ابن آدم في الأمور وأعمال يرتجي ثوابها، ويحتسب أجرها عند الله جل وعلا.

ولذلك كانت البداية قوله عليه رحمة الله كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. كيف هنا كما قاله غير واحد هي البحث عن حقيقة الشيء وحاله. ومن المعلوم أن اتصال الملك الموكل بالوحي؛ وهو جبريل عليه السلام. اتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم، كيفيته غيبية. لا نعلم كيف يتصل الملك برسول الله عليه الصلاة والسلام ويوحى إليه ما أراد الله جلّ وعلا أن يوحى. ولذلك الكيفية هذه ليست بحثاً عن هذه الجزئية الغيبية في حال اتصال الملك بالرسول، أو بعبارة شيخ الإسلام ابن تيمية: "حالة اتصال الرسول الملائكي بالرسول الإنسي". الرسول الملائكي: جبريل مرسل من الله. والرسول الإنسي هو محمد عليه الصلاة والسلام.

فهذا الاتصال بين الرسول الملائكي وبين الرسول الإنسي، كيفيته مجهولة غير معلومة لنا. فالبحت إذن ليس عن هذه الجزئية الغيبية؛ وإنما عما يشترك في إدراكه و تحصيله السامعون. ولذلك كما سيأتي في حديث الحارث ابن هشام؛ وهو ثاني أحاديث هذا الباب، لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: كيف يأتيك الوحي؟ السؤال عن الكيفية.

والكيفية قد عرفنا الآن أن لها جانبان: جانب غيبي، وهذا لا جواب عليه يحتاجه السامع أو يدركه؛ وإنما عدل عن الكيفية المدركة. ولذا قال له: ((أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس))⁽¹⁾ أي عند اتصال الملك به، يسمع الحاضرون عند النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت صوتاً يشبه صلصلة الجرس. أما ما وراء ذلك فلا يدركونه، ولا يعلمون حقيقته، ولا كيفيته.

فكان الكيف هنا كيف كان، و جاء سؤال الحارث بن هشام للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ وجواب النبي عليه الصلاة والسلام إنما هو عن القضية المشتركة التي يدركها السامعون والحاضرون. أما ما وراء ذلك من الجزئية الغيبية، فهذه في علم الله سبحانه وتعالى لا جواب عليها. وستكرر معنا مثل هذه الترجمة، (كيف كان) بدء الكيفية. السؤال عن الكيف مع ذكر الابتداء في نحو ثلاثين باباً في الصحيح كله. هذا أوله: كيف كان بدء الوحي؟ سيأتيك كيف كان بدء الأذان؟ سيأتيك كيف كان بدء الحيض، بدء الخلق، وأمثال ذلك.

(1) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، رقم: 2

البحث عن أوائل الاشياء ومبادئها، مقصود في العلوم الشرعية، ومطلوب للنفوس أيضاً. فلما كان الوحي هو أصل العلم الشرعي، كان البحث عن كيف ابتداء، وكيف اختار واصطفى الله نبيه محمد، وكيف حدث اتصال الملك به، وما أنواع ذلك وأحواله، كان بحثاً مطروحاً. ولذلك ستتكرر البحث عن ابتداء كثير من أنواع العلوم والمعارف في نحو ثلاثين باباً في الصحيح كما قلت لكم.

إذن كيف كان بدء؟ كلمة **(بدء)**، ذكر القاضي عياض بن موسى اليحصني المالكي في كتابه:

"مشارك الأنوار على صحاح الآثار"؛ وهو كتاب يبحث في غريب ألفاظ الحديث، وهو مخصص للصحيحين وموطأ مالك. كتاب "مشارك الأنوار على صحاح الآثار" للقاضي عياض، مطبوع موجود في جزأين يبحث في تفسير وضبط الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث التي في الصحيحين وموطأ مالك على وجه الخصوص.

قال القاضي عياض أن كلمة **(بدء)** تُضبط بضبطين اثنين:

— إما بتحقيق الهمزة (بدء)؛ وهو من الابتداء؛ أي البحث عن أول ذلك وابتدائه.

— والضبط الآخر بتحويل أو قلب الهمزة واوا. باب أو كيف كان بدو. والبدو هنا من الظهور والبيان. بدأ الشيء أي ظهر وبان. وابتداء أي خرج كأول مرة بعد أن لم يكن، أو حصل كأول مرة بعد أن لم يكن. فإذا استفدنا من هذا أن كلمة **(بدء)** إما أن تكون بتحقيق الهمزة على معنى ابتداء الشيء وأوليته،

من الابتداء أو تكون بالواو "بدو" على معنى الظهور. وكلاهما معتبر مقصود؛ لأنه سيأتي معنا حديث

عائشة الذي فيه إشارة إلى ابتداء الوحي، عندما قالت: **((أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ))** (1).

وسياتي في حديث جابر بن عبد الله بيان بدو الوحي؛ أي ظهوره وتتابعه على النبي عليه الصلاة

والسلام. فكلا المعنيين مقصودان، كلا المعنيين مقصودين سواءً الابتداء أو الظهور والتتابع وتنزل الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام بكثرة، بحيث أصبح نبوته ورسالته ظاهرة وواضحة.

إذن كيف كان بدء الوحي؟ كلمة **(الوحي)** لغة، الوحي لغة قالوا: هو الإعلام في خفاء. ولذلك

تدخل الإشارة والكتاب إذا كان سراً بين الكاتب ومن كُتب إليه، والإلهام، والإيماء كلها تدخل في معاني كلمة الوحي لغة.

(1) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، رقم: 3

الإشارة المفهومة التي قصد منها المشير أن يفهم من أشار إليه معنى معين لا يريد غيره أن يفهمه هذا فيه إعلام مع قصد إخفائه عن غيره، ومنه قوله تعالى عن زكرياء لما نظر لما قال: ﴿آيَتِكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾⁽¹⁾ فخرج على قومه فأوحى إليه؛ يعني زكرياء أوحى إلى قومه أن سبحوا. كيف أوحى إليهم وهو ممنوع من الكلام ثلاثة أيام؟ رمزاً كما في الآية الأخرى. أشار إليهم إشارة رمز بها وقصد بها أن يفهموا أن سبحوا الله بكرة وعشيماً.

فسمى إشارته المفهومة لدى من أشار لهم المفهومة لهم، لا بد تكون إشارة مفهومة؛ لأنه إعلام والإعلام يقتضي الإفهام بشرط أن يكون فيه وجه خفاء، فسمى هذه الإشارة سماها وحيماً، فأوحى إليهم. والإلهام الفطري كتنسير الله المخلوقات لما يصلح لها ويصلحها أيضاً يسمى وحيماً؛ لأن فيه نوع خفاء كما قال جل وعلا: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الشَّجَرِ مَا عَلَيْهَا رَبُّكَ يُخَبِّرُ بِهَا وَرَأَيْتَهُ إِذْ يَخْفَىٰ لِيَتَّبِعَ وَهِيَ يُخْفَىٰ لَهَا فَرَّخَتْ وَخَفَىٰ فَجَرَّدَ الْبَسْمَ الَّذِي يَرْتَجَىٰ خَفَاً فَكَرِهَ لَهُ مَا كَفَىٰ أَمْراً أَلَمْ يَكُن لَّهُ الْفَعْلَ الْوَحْيَ الَّذِي يُخَوِّفُ لِمَا كَسَبَتْ مَأْوَءَهُمْ لِيَكْسَبُوا بِهَا نَفْسَهُمْ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْبَلُوا لَهُم مِّنْهُ شَيْئاً فَذُقُوا حَرْثَهُمْ فَأُولَٰئِكَ نَسِيتُمْ لَكُمْ آيَاتِي أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّذْذَبِينَ﴾⁽²⁾ أي بايحاء فطري أن يفعل الأمر الفلاني، يحقق لك شيئاً ما أو مكسباً ما.

فكل هذا المعاني، والكتابة أيضاً، الكتاب يدخل، ولذلك يقول: وحيث وأوحيت إليه؛ أي كتبت إليه. ومنه قول الشاعر: "لقد ركان وحا الواحي"؛ لقد ركان كتبه الكاتب.

فلما كان القدر مكتوب لكنه خفي عليه هو مكتوب لكنه بالنسبة لنا خفي، لكنه بالنسبة لمن أمر بالكتابة وهو الله، أو المقرن بها أمر معلوم. والكتابة الخفي أيضاً التي لا يدرك معناها إلا الكاتب ومن كتب له أو كتب إليه تسمى أيضاً وحيماً.

أما في التعريف الشرعي، فنقلت ها هنا قال بدر العيني صاحب "عمدة القاري" وهو أحد الشروح الكبيرة المشهورة لصحيح البخاري. عرّف الوحي بالاصطلاح الشرعي بقوله _بدر الدين العيني_ الجزء الأول، صفحة ثمانية وتسعين يقول: "الوحي هو كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه". عرف الوحي بالاصطلاح الشرعي بأنه كلام الله المنزل على نبي من أنبيائه، فقيده بكلام الله، وبكونه المنزل، وبكونه مخصوصاً به من؟ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

أيضاً الحافظ ابن حجر وسّع التعريف قليلاً فقال في "الفتح": "هو الإعلام بالشرع". الوحي اصطلاحاً هو الإعلام بالشرع. فالمعْلَم هو الله والمعْلَم هو النبي صلى الله عليه وسلم. والمعلوم هو الأمور الشرعية التي قصد الله منها إثبات حكم، أو رفعه، أو تحليل، أو تحريم، أو بيان، أو توضيح، أو نحو ذلك.

(1) مريم:10

(2) النحل:68

وأضبط التعاريف حقيقة الذي يحدّ معنى الوحي حدّاً واضحاً، فيُدخل أفراده فيه ويخرج ما ليس منه منه، هو تعريف القسطلاني؛ أحمد القسطلاني في "إرشاد الساري" أيضاً الجزء الأول، مائة وستة وعشرين يقول: "الوحي هو إعلام الله تعالى؛ إعلام الله تعالى أنبياءه الشيء إما بالكتاب، أو بإرسال ملك، أو رؤية منام، أو إلهام".

هذا تعريف يضبط أنواع الوحي كلها. فهو إعلام الله سبحانه وتعالى أنبياءه. فالمعلّم إذن هو الله، أضاف الإعلام إلى الله. والمعلّم المبلّغ له الوحي هو يشترط أن يكون نبياً؛ لا وحي لغير الأنبياء. "إعلام الله أنبياءه الشيء، أي شيء من الأمور: علمياً، خبرياً، غيبياً، حكماً. أي أمر يعلمه الله إلى نبي من أنبيائه يدخل في معنى الوحي إما الوحي بكتاب ينزله الله جل وعلا كالقرآن الكريم، أو التوراة لموسى، أو الإنجيل لعيسى، أو إرسال ملك يرسل جبريل إلى النبي يخبره بما شاء جلّ وعلا. وكم جاء جبريل؛ بل كل الوحي ينزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، أو رؤيا منام من أنواع الوحي التي يدركها الأنبياء وبها يستفيدون علوم كثيرة وأحكام متعددة؛ الرؤيا المنامية.

فرؤيا الأنبياء حق وصدق ووحي، ووجب عليهم أن ينفذوا ما يؤمرون به في المنام. والدليل الواضح قوله تعالى عن خليل الله إبراهيم: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾¹ الأمر عظيم؛ وهو ذبح ابنه، لكن امتثل؛ لأن رؤيا الأنبياء ليست أضغاث أحلام مثل الكثير مما نرى من تلاعب الشياطين بنا. الأنبياء محروسون من هذا الجانب. فما يراه النبي، أي نبي من أنبياء الله في منامه فهو حق وصدق.

ولذلك سيأتي معنا حديث عائشة: ((أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

الْوَحْيِ الرَّؤْيَا) من الوحي "من" تبعية أي من أنواع الوحي الرؤيا الصالحة، أو قالت الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وضوحاً وبيانياً وتحققاً كما هو معلوم، أو الإلهام كأن يقذف الله في قلب نبي من أنبيائه المعرفة بالشيء إن لم يكن يعرفه، أو الحكم بشيء لم يتقدم.

هذا الإلهام أيضاً يدخل في أنواع الوحي، وهو لا يتم إلا أيضاً بواسطة الملك. لكن بغير خطاب

مباشر بالنعس، أو الإلقاء في النفس. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: ((**إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ**)) اللي هو جبريل عليه السلام ((**إِنْ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَخَ فِي رُوعِي**)) أو قال: ((**نَفَثَ فِي رُوعِي**))⁽²⁾ أي في نفسي وخاطري

(1) الصفات:102

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية (27/10)

وضميري. ماذا نفث؟ نفث علماً أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب.

إذن هذا أيضاً ما يقع في نفس النبي ويستقر، هذا من الإلهام الذي ينفثه ويقذفه الملك بأمر الله جل وعلا؛ وهو من أنواع الوحي.

تسمعون أو تلاحظون تعريف أحمد القسطلاني ضبط أو جمع أنواع أو وسائل الوحي البالغة من أنبياء عليهم الصلاة والسلام.

بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. طبعاً المقصود هنا هو نبينا عليه الصلاة والسلام، وإن كانت قضية الوحي قضية مشتركة بين الأنبياء جميعاً.

قضية الوحي قضية مشتركة؛ بل هي علامة النبوة. كيف يكون الرجل نبياً؟ إذا أوحى الله إليه. قبل أن يوحى الله إليه، لا يكون وصفه أن يكون نبياً. فالنبوة هو من الإنباء؛ وهو الإعلام والإخبار عن طريق الوحي من الله جل وعلا. فإذا نُبيء الرجل وأخبر، فهو النبي.

الوحي قضية مشتركة، لكن هنا في مقصود البخاري في هذا الباب، ليس الحديث عن أحوال الأنبياء وأخبارهم، وكيف يأتيهم الملك وكذا؛ وإنما المقصود هو ما كان يحصل لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام من أحوال وأمور، وكيف يأتيه الوحي بالوسائل المختلفة المتنوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(وقول الله) كلمة قول إما أن تكسر اللام: **(وقول الله)** عطفاً على أول الكلام. إذا كانت قراءتك بإضافة الباب إلى ما بعده.

فإذا قلت: **(باب كيف كان)** على إثبات الباب في بعض النسخ. (باب كيف كان) فأضفت الباب إلى كيف. ف(كيف) محلها الجر بالإضافة وإن كانت هي تأخذ حالة النصب دائماً لأنها مبنية، ليست مُعرّبة.

(باب كيف كان بدء الوحي للرسول وقول الله) أي باب قول الله على سبيل الإضافة والعطف.

وإن ابتدأت القراءة بالقطع والتنوين فقلت: (باب: كيف كان) يكون موضع (كيف) هنا على الرفع وعلى الابتداء، فيكون عطف كلمة (قول) عليها عطفها مرفوعاً. فتقول: (باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله) فابتدأوك للقراءة يحدد المعطوفات، وسيتكرر في الصحيح كثيراً؛ لأنه سيعطف عدة معاني على المعنى الأول.

إذا كانت القراءة بالإضافة، يجب أن تكون المعطوفات كلها مجرورة. إذا كانت القراءة بالقطع، تكون المعطوفات كلها مرفوعة. ولذلك قال: (وقول) أو (وقول).

(وقول الله جل ذكره: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿﴾) أورد هذه

الآية للإشارة التي ذكرتها قبل قليل؛ وهي أن قضية الوحي قضية مشتركة بين الأنبياء جميعاً، والآية نصت على ذلك عندما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿﴾ فالوحي قضية مشتركة بين الأنبياء جميعاً. ولكن هل يدخل في كيف التي في الكاف التي في الآية: ﴿كَمَا أَوْحَيْنَا﴾ الوسائل والطرائق التي بها يتصل الملك بالنبي. أم كل نبي بحسبه؟

موضع خلاف عند أهل الأصول، وإن كانت استظهر العلماء أن أيضاً من القضايا المشتركة بين الأنبياء جميعاً. في أصل الوحي الذي هو دليل النبوة، الفارق بين النبي وغيره أن يأتيه الوحي. وأيضاً الطرائق كيف يأتيه الوحي؟ بأي وسيلة؟ الإلهام، رؤيا المنام، إرسال الملك، إنزال الكتاب، هل هي كلها مشتركة بين الأنبياء كلهم ينبؤون بنفس الوسائل؟ أو بعضهم ينبأ ببعضها وبعضهم ينبأ بأكملها؟ موضع خلاف مشهور، استظهر جمهور العلماء أن الأنبياء كلهم مشتركون في الأنواع. والصواب في ذلك أنهم ليسوا جميعاً مشتركون. فمنهم من ينبأ ببعضها، ومنهم من ينبأ بأكملها. والدليل الواضح على ذلك أنه ليس كل نبي من أنبياء الله أنزل الله له كتاباً. أليس كذلك؟

والكتاب علمنا على أنه هو أحد أهم أنواع الوحي بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿1﴾ "أو" هذه تخييرية؛ أي منهم من يوحى بها كلها، ومنهم من يوحى بشيء أو ببعضها فلا يستكملها جميعاً إلا الأنبياء الذين أرسلوا وأنزلت عليهم الكتب.

وقد دلّ حديث أبي ذر الغفاري، في مسند أحمد وصحيح ابن حبان؛ بحاكم ابن حبان وحسنه جمع من العلماء، دلّ على هذا الفارق وأنه الأنبياء؛ بل الرسل ليسوا جميعاً أنزلت عليهم كتب؛ أنزلت الكتب على بعضهم. ولذلك في حديث أبي ذر الذي ذكرت لكم، وذكرت لكم مواضعه في مسند أحمد وصحيح ابن حبان، أبا ذر يسأل النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(وكم عدد الأنبياء؟ قال: مائة وأربعة وعشرون ألفاً، قال أبو ذر: وكم الرسل منهم؟ قال: "ثلاثة مائة وبضعة عشر" ثم سأله وقال: "كم أنزل الله من**

كتاب؟ قال: "مائة وأربعة" ⁽¹⁾ إذن مائة وأربعة من الرسل هم من نزلت عليهم الكتب، وبقية الثلاثمائة وأربعة عشر فضلاً عن مائة وأربعة وعشرين ألفاً لم تنزل عليهم كتب.

فنتج من هذا كله إلى أن الأنبياء مشتركون في أصل الوحي، وإن كان يوحي الله إليهم بما شاء من هذه الطرق السابقة، ومنهم من يوحي إليه بها جميعاً.

ثم دخل على رواية الحديث الإمام البخاري: **﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾** طيب، يقول: **(حَدَّثَنَا الْحَمِيدِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ)** ترجمته الوافية كما يلي اتفقنا في الدرس الماضي أن الراوي إذا ذكر لأول مرة، نترجم له ثم لا نعيد. إذا ذكر مرة أخرى نحيل على المرة الأولى.

اسمه عبد الله ابن الزبير ابن عيسى الحميدي القرشي، منسوب إلى حميد ابن أسامة، بطل من بني أسد بن عبد العزى فهو إذن من قريش، أسد بن عبد العزى قبيلة من قريش؛ لأنه أسد بن عبد العزى ابن قسي ابن كلاب، وهذا نسب قرشي واضح. فهو نسبة إلى حميد ابن أسامة ابن أسد ابن عبد العزى ابن قسي ابن كلاب.

أخذ الحديث عن سفيان بن عُيينة وهو شيخه في هذا الحديث الذي سنترجم له بعد قليل. سفيان بن عيينة الهلالي، ولا زال له ستة عشر عاماً. وأخذ الفقه والأصول عن الشافعي؛ فهو أحد كبار أصحاب الإمام الشافعي، الإمام المشهور صاحب المذهب عليه رحمة الله. ورحل معه إلى مصر، الحميدي رحل مع شيخه الشافعي إلى مصر واستقر فيها أيضاً فترة من حياته إلى وفاة الشافعي، ثم رجع مرة أخرى إلى موطنه الأصل وهو مكة.

يقول الإمام البخاري: إذا وجدت الحديث عند الحميدي، لا أتجاوزته إلى غيره. هذه العبارة تشعر بماذا؟ بشدة وثوقه. إذا وجدت الحديث عند الحميدي لا أتجاوزته؛ أي لا أحتاج إلى غيره لما للحميدي عند البخاري من الجلالة والتوثيق والضبط والإتقان.

قال الإمام أحمد عنه: "الحميدي عندنا إمام" له المسند المشهور؛ مطبوع مسند الحميدي في مجلدين. توفي سنة مائتين وتسعة عشر من الهجرة.

في الروايات الثلاثة يحملون هذا الاسم: الحميدي، أحدهما هذا الإمام عبد الله بن الزبير شيخ البخاري أحد أكبر أصحاب الشافعي، وأحد أيضاً كبار أصحاب سفيان ابن عُيينة، هذا صاحب المسند.

(1) موارد الضمان إلى زوائد ابن حبان 2079

الثاني ممن يحمل هذا اللقب أو هذه النسبة؛ الحميدي: أبو سعد أحمد ابن محمد ابن العباس، الخطيب الحميدي. هذا شيخ للإمام البغوي؛ أبي الحسين البغوي صاحب كتاب "شرح السنة" ومن اللطائف _ واللطائف كثيرة _ كما أن البخاري افتتح حديث كتابه الصحيح هنا بحديث الأعمال بالنيات بالرواية عن الحميدي، البغوي في "شرح السنة"، _ "شرح السنة" مطبوع موجود في ستة عشر جزءاً _ أول حديث ابتدأ به كتابه "شرح السنة" هو حديث الأعمال بالنيات وبالرواية عن أبي سعد الحميدي، ليوافق البخاري في أول حديث يفتتح به ويوافقه في اسم الشيخ، وإن كان حميده ليس كحميدي البخاري. أبو سعد الحميدي هذا يعني ليست له ترجمة إلا في كتاب "الأنساب" للسمعاني. أما في غيره فما وجدت له ترجمة.

الثالث ممن يحمل هذه النسبة؛ الإمام الحافظ المشهور. أبو عبد الله محمد ابن أبي نصر فتوح الحميدي. هذا إمام مشهور من علماء القرن الخامس الهجري، أحد مشاهير تلاميذ الإمام الظاهري المشهور ابن حزم، ولذلك هو ظاهري على طريقته.

من أشهر كتبه الحديثية؛ كتاب "الجمع بين الصحيحين" كتاب معروف مشهور مطبوع أيضاً في أربعة مجلدات. "الجمع بين الصحيحين" والمقصود به ذكر الأحاديث التي اتفق على إخراجها البخاري ومسلم مرتبة. "الجمع بين الصحيحين" وهو متقدم وسابق في هذه الفكرة على عبد الحق الإشبيلي الذي ألف نفس الكتاب في نفس الموضوع في الجمع بين الصحيحين، وكتاب الحميدي مطبوع كما قلت لكم. من كتبه الحديثية المهمة؛ كتاب اسمه: "غريب الصحيحين" وهو كتاب لغوي يهتم بشرح الألفاظ الغريبة الواردة في متون الأحاديث التي في الصحيحين على وجه الخصوص.

ومن مشاهير كتبه أيضاً كتابه المشهور في تاريخ الأندلس، المسمى: "جدوة المقتبس في تاريخ الأندلس" أيضاً كتاب مطبوع وحافل بتراجم العلماء الذين عاشوا في بلاد الأندلس. توفي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي سنة أربعمائة وثمانية وثمانين.

إذن قال ابن حميدي: **(قَالَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ)** اضبطوا هذه القاعدة: حيثما يرد في الصحيح الحميدي عن سفيان فهو سفيان ابن عيينة قولاً واحداً؛ إذ لا رواية للحميدي عن سفيان الثوري. عندنا اثنان مشهوران كلاهما يحملان اسم سفيان:

- سفيان الثوري الإمام المشهور أبو عبد الله وسيأتي له ذكر.
- وسفيان ابن عيينة أبو محمد الهلالي.

من طبقة واحدة، في عصر واحد، في مستوى من الإمامة والجلالة متقاربة إلى حد كبير. فيصعب التفريق بينهما إذا أتوا في متون الحديث إلا بمعرفة تلاميذهم الخاصين بهم، وقد يشتبهون في بعض المواضع. لذلك سيأتي معنا أثناء الدراسة أن الحفاظ توقفوا، هل هذا سفيان الثوري ولا سفيان بن عيينة؟ إذا اشتركوا في التلاميذ واشتركوا في الشيوخ. وأما هنا الحميدي عن سفيان، فإذا رأيت الحميدي عن سفيان، فهي علامة فارقة، فهو سفيان ابن عيينة قولاً واحداً. من هو سفيان ابن عيينة؟ هو سفيان ابن عيينة ابن أبي عمر الهلالي. كنيته أبو محمد، إمام أهل مكة في زمنه، وإن كان ولد بالكوفة. وهو ولد بكوفة، لكن عاش حياته كلها بمكة. من طبقة الإمام مالك، وطبقة الليث، وطبقة الثوري وأمثالهم. وهي طبقة أتباع التابعين، ليس من التابعين؛ من طبقة أتباع التابعين. بدأ طلب الحديث وعمره عشرين سنة، سمع أكثر من سبعين من التابعين. إذن كم هائل، أدرك كم كبيراً من التابعين. ثقة، حافظ، جليل، فقيه، إمام، حجة، من أثبت الناس في الرواية عن عمر بن دينار. توفي سفيان بن عيينة سنة مائة وثمانية وتسعين.

قال: **(قَالَ حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ)** أيضاً هو يحيى بن سعيد ابن قيس ابن عمر

الأنصاري المدني. يحيى بن سعيد ابن قيس ابن عمر الأنصاري المدني أبو سعيد الخزرجي. معدود في طبقة صغار التابعين. التابعين مقسمين إلى ثلاث طبقات:

- كبار التابعين: هم الذين نقلوا كبار الصحابة من أمثال سعيد بن المسيب ومن في طبقتهم.
- وأواسط التابعين: كالحسن البصري وابن سيرين وأمثالهم ممن أدركوا صغار الصحابة. أدركوا أنس، وأدركوا ابن عباس وابن عمر وأمثالهم.
- وفي طبقة صغار التابعين الليي يا بالكاد له رؤية بصحابي؛ يا بالكاد أدرك صحابياً ورآه أو روى عنه شيئاً يسيراً محدوداً. هذه طبقة صغار التابعين يدخل فيها مثل هذا يحيى ابن سعيد ابن قيس ابن عمر الأنصاري المدني.

أدرك أنس وسمع منه شيئاً يسيراً، وأدرك أبا أمامة ابن سهل. وأبو أمامة ابن سهل ولد في حياة النبي وليست له رؤية؛ لأنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان عمره ثلاثة أشهر، ابن ثلاثة أشهر لا يدرك. فهو معدود في طبقة التابعين، وإن ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم.

قال عنه الإمام أحمد: "من أثبت الناس" وهذه درجة توثيق عالية؛ "من أثبت الناس". روى عن جمع

غفير، وروى عنه جمعاً غفيراً. توفي سنة مائة وثلاثة وأربعين. كان قاضي المدينة في زمنه.

يحي ابن سعد الأنصاري يقول: **(قَالَ أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التَّمِيمِيّ)** أيضا نترجم له ترجمة سريعة. هو محمد ابن إبراهيم ابن الحارث ابن خالد ابن صخر التيمي المدني. كنيته: أبو عبد الله، من أواسط التابعين، حدث عن ابن عمر، وعن أبي سعيد الخدري وجابر. وهو ثقة جليل من طبقة نافذ مولى ابن عمر. توفي سنة مائة وعشرين.

محمد إبراهيم التيمي يقول أنه سمع علقمة ابن وقاس الليثي . هو علقمة ابن وقاس الليثي المدني، أدرك عمر ابن الخطاب وسمع منه؛ فهو إذن من كبار التابعين. وأدرك عائشة وسمع منها طبعاً. قيل هو معدود في المخضرمين، والمخضرمون اسم يطلق على من أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم إدراكاً بيننا لكنه لم يره، كأن يكون مثلاً نشأ في منطقة بعيدة وما تمكن من الهجرة إلى المدينة أو رؤية النبي عليه الصلاة والسلام. ففقدته لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم يفقده اسم الصحبة.

من شروط أن يكون رجل صحابياً: أن يكون مسلماً، رأى النبي صلى الله عليه وسلم. لا بد أن يكون مسلم فمن رآه وهو كافر طبعاً... ومن لم يره ولو كان مسلماً ولو كان معاصراً وعاشه، لا يعتبر أيضاً؛ لأنه فقد الرؤية وهي شرط ولو مرة واحدة، تكفي لإثبات صحبته. لكنه من جهة السن أكبر من عموم التابعين؛ بل ربما بعض المخضرمين حتى يأتيك أكبر من بعض الصحابة، أكبر من صغار الصحابة سناً.

فمن جهة الطبقة؛ طبقة الصحابة، لكن من جهة الرواية والسماع يعد في من؟ في التابعين لأنه لا رواية له عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشر لأنه لم يره. وأعطوهم اسم خاص وسموهم من؟ سموهم المخضرمون، لتشعر بهذا المعنى، يشعرونك بهذا المعنى.

وعدددهم قيل نحو سبعين رجل فقط. من مجموع الرواة والأئمة ثلاثة وسبعين رجل تقريباً هم من يوصفون بهذا الوصف وأنهم من المخضرمين. فإذا ثبت أن علقمة ابن وقاس الليثي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، طبعاً فاتته الرؤية، فليس صحابياً لفوت الرؤية وهو يعد في المخضرمين. عمّر حتى أدرك خلافة عبد الملك ابن مروان وتوفي في أثناء خلافته.

وعلقم ابن وقاس الليثي ليس له في الصحيح كله إلا هذا الحديث وحديثاً ثانياً سيأتي ذكره في أثناء الصحيح. وهذا يشرح أنه مقل من الرواية، وإن كان ثقة جليلاً.

(يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ) العدوي الصحابي المشهور. هذا الحديث قال الأئمة: هذا

الحديث حديث فرد غريب، لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا السند لا غير. لم يروه عن

صلى الله عليه وسلم إلا عمر ولم يروه عن عمر إلا علقمة ابن وقاس، ولم يروه عن علقمة إلا محمد ابن إبراهيم التيمي، ولم يروه عن محمد ابن إبراهيم التيمي إلا يحيى ابن سعيد الأنصاري.
هذا ما اسمه في علم الحديث الذي ليس له إلا طريق واحد؟ هو الحديث الغريب أو الفرد. ليس له إلا طريق واحد.

ثم من يحيى ابن سعيد استفاض، فحدث هذا الحديث أو روى هذا الحديث عن يحيى ابن سعيد كما قيل أكثر من مائتي راوي. ذكر أسماءهم كلهم الذهبي في ترجمة يحيى ابن سعيد في السياق. أكثر من مائتي راوي رويوا هذا الحديث عن يحيى ابن سعيد.

أما من يحيى ابن سعيد فما فوق إلى الصحابي، فلا طريق آخر، فهو حديث غريب. لكن الغرابة ليست بالضرورة تقتضي ضعف الحديث. إذا كان رجاله ثقة وأئمة كما سمعنا يحيى ابن سعيد الأنصاري، ومحمد ابن إبراهيم التيمي وعلقمة، والصحابي الفاروق عمر. ثقة الرواة هذه، جبرت انفراد الحديث بهذا السند، وإلا طبعاً الحديث إذا روي من أكثر من طريق، هذا يفيد تثبت وصحته أكثر. فيعوض، إذا أردنا أن نحكم الحديث الغريب أنه صحيح، إذا كان له رواة ثقة حفاظ، انتبهتوا وللا لا؟ أما إذا كان فيهم شيء من الضعف، أو شيء من كذا، يكون هذا قذف الحديث ولا جابر له؛ لأنه لا طريق له آخر. لا شواهد ولا متابعات.

فهنا يأتي مفهوم الحديث الغريب. ومع أن هذا الحديث فرد غريب، إلا أنه مهم للغاية، ويعتبر أصل من أصول الملة كما سنذكر بعد قليل. لكن العجب كما هنا عندنا يقول سمعت عمر ابن الخطاب يقول. ماذا يقول عمر؟

(يَقُولُ سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يَقُولُ) يعني عمر خطب بهذا الحديث. المفترض الخطبة طبعاً سيسمعاها الغالب جمع كبير؛ ليس واحد أو اثنين ومع ذلك ما رواه عنه إلا علقمة ابن وقاس الليثي.

هنا بالفعل يرد إشكال أو استشكل بعضهم كيف عمر يخطب بهذا الحديث ولا يرويه عنه إلا رجل واحد؟ هذا طبعاً لا يضر، ولا يقلع، وكم نقل خطب النبي صلى الله عليه وسلم في مواقف كثيرة أفراد. إما رجل أو رجلين مع أنه لم يخطب بها في مجامع كبيرة. حتى هذا الحديث نفسه في طرق أخرى، أي في مواضع أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب به على المنبر أيضاً. ومع ذلك ما رواه عنه إلا عمر ابن الخطاب

رضي الله عنه وأرضاه. فكونه يخطب به لا يمنع أن لا يصل الحديث، أو لا يسند، أو لا ينقل إلا عن طريق أفراد أو حتى ربما فرد واحد.

المهم كونه حديث غريب ليس له إلا هذا الطريق، لا يقدر في صحته. فرواته أئمة، حفاظ، ثقة، أمناء، فيجبر هذا؛ انفراد هذا الحديث بمثل هذا السند.

أيضاً الحديث لم يروه مالك في الموطأ إلا في نسخة محمد ابن حسن الشيباني. ليس عند مالك في الموطأ إلا في نسخة محمد ابن الحسن الشيباني.

أنتم تعلمون أن موطأ مالك له عدة روايات؛ أربعة عشر رواية، تختلف بعضها عن بعض زيادة ونقصاً. الرواية المشهورة المتداولة هي رواية يحيى الليثي؛ يحيى ابن يحيى المصمودي الليثي التي شرح عليها ابن عبد البار وغيرهم.

ومن الروايات التي وصلت لنا وطُبعت وعرفناها هي رواية عبد الله بن وهب القرشي؛ وهي رواية مهمة فيها زيادات عن رواية الليثي ورواية محمد ابن مسلمة القعني، ورواية عبد الله بن يوسف التنيسي، ورواية محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة مطبوعة موجودة. وفيها مائة حديث زائدة على رواية الليثي، منها هذا الحديث، رواه مالك في الموطأ في نسخة محمد ابن الحسن الشيباني في كتاب النوادر آخر حديث في كتاب النوادر في موطأ مالك برواية الشيباني. انتبهتوا لهذا الكلام؟ يحمل رقم تسعة مائة وثلاثة وثمانين، هذه طبعاً لمن أراد أن يكون مكتبة حديثة جيدة ينتبه لمثل هذه الأمور في نسخ الكتاب الواحد. كتاب واحد يروي عن إمام بعدة.. مالك يروي موطأ خلال أربعين سنة. كان يروي الموطأ ويسقط منه، ويضيف، ويعدل، فمن سمعه قبل عشرين سنة ستختلف النسخة؛ لأن مالك يزيد ويعدل، فله زيادات تصل إلى مائة حديث كما في رواية الشيباني؛ لأن الشيباني من قدماء من سمعوا من مالك موطأه. أما رواية يحيى الليثي فهي من الروايات المتأخرة جداً، وإن استقر عليها مالك في آخر حياته في رواية الموطأ.

يقولوا هنا بأن الحديث هذا قبل أن ندخل في معانيه له سبب. وسببه أن رجلاً خطب امرأة في مكة ليتزوجها فهاجرت. يقال لها أم قيس وقصتها مروية في مسند أحمد. فهاجر هو الآخر وليس في نيته ما في نية المهاجرين من الفرار بدينهم، واتباع نبيهم عليه الصلاة والسلام، وتجدد وسيلة نشر دينهم، ونحو ذلك؛ وإنما كان في خاطره وفي ضميره أن يتمكن من الزواج بأم قيس، فسمي مهاجر أم قيس.

وذكر بعضهم أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب بهذا الحديث بناءً على هذا الأمر. والصواب في ذلك أن نقول قصة مهاجر أم قيس صحيحة نعم، والرجل هذا مذكور ومعروف ومترجم له في الكتب، وهاجر فعلاً وفي نيته ذلك. لكن خطبة النبي بهذا الحديث ليس لأجل هذه القصة ولا علاقة له بها؛ بل

خطب بذلك وبين هذا الأمر قبل ذلك بفترة طويلة؛ لأن الأمر مهم جداً ويدخل في كل العبادات وفي كل شعب وأعمال الدين. فلا يُنتظر منه صلى الله عليه وسلم إبداء هذا الحكم المهم كما سنذكر عن الأئمة بيان أهميته حتى تأتي قصة مهاجر أم قيس.

فربطهم بين قصة مهاجر أم قيس وبين الحديث وأن هذا سببه، هذا الربط يجب أن يُفك. فلا علاقة بقصة مهاجر أم قيس بحديث الأعمال بالنيات.

عظّم الأئمة شأن هذا الحديث كثيراً. يقول الإمام البخاري: "ليس باب من أبواب العلم إلا يدخله هذا الحديث" نعم العلم كله أحكام شرعية حلال وحرام، وفعل وترك، هذه كلها تحتاج إلى نية؛ لأنها إذا فسدت النية العمل يصبح.. القاعدة في العمل لا بد أن تكون النية والتوجه والقصد. فهي قضية قصدية، وما من باب من أبواب العلم إلا ويأتي هذا الحديث قاعدة أساسية فيه.

قال الأمام الشافعي: "هذا الحديث يدخل في سبعين باباً من أبواب العلم". الشافعي يقول: هذا لحديث يدخل في سبعين باب من أبواب العلم. ولا يقصد الرقم بقدر ما يقصد أنه ما من باب من أبواب العلم الشرعي إلا يحتاج إلى تصحيح النية تصحيحاً.

ولذلك الإمام البخاري ابتداءً الصحيح كما قلنا بهذا الحديث؛ لأن الصحيح علم وأبواب علم. ويود منك أن تتنبه لتصحيح النية.

قال الإمام أحمد عليه رحمة الله: الإسلام يدور على ثلاثة أحاديث. الإسلام كل أحكامه يدور على ثلاثة أحاديث: حديث عمر: **((إنما الأعمال بالنيات))** أصل في تصحيح المقاصد؛ وهي قضية مهمة في الشرع؛ لأن الله عز وجل لا ينظر إلى الصور، ينظر إلى القلوب يريد النية. وللا لا؟

وأي شائبة التفات إلى غير الله في العمل، يترك الله العمل **((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ))**⁽¹⁾ أو تركته للذي أشرك. فلا بد من النية.

إذن يقول الإمام أحمد: الإسلام يدور على ثلاثة أحاديث:

— حديث عمر ابن الخطاب **((إنما الأعمال بالنيات))** أصل في تصحيح المقاصد.

— وحديث عائشة: **((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ))**⁽²⁾ أصل في رد المحدثات والبدع.

المحدثات والبدعة لا قيمة لها في الشريعة، ولا يثيب الله عليها؛ بل يعاقب لأنها إحداث في دينه.

(1) صحيح مسلم، باب: من أشرك في عمله غير الله رقم: 5300

(2) صحيح البخاري، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: 3243

__وحديث النعمان ابن بشير: ((**الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ**))⁽¹⁾ أصل في معرفة الحلال والحرام.

هذا هو الدين: مقاصد صحيحة، واهتداء وسنة، وعمل بالحلال، وترك للحرام.

أيضا أبو داود صاحب السنن يقول نفس كلام أحمد، ولكن يقول: الإسلام يدور على أربعة

أحاديث. فذكر الأحاديث الثلاثة السابقة، وأضاف إليها حديث ابن عمر: ((**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى**

خَمْسٍ))⁽²⁾ الحديث الذي في أركان هذه أصول جامعة، أحاديث تعتبر أصول. كلهم كما تسمع متفقون

على أن حديث النيات لا بد منه في كل موضع ، لا بد مره في كل موضع، في كل باب، في كل عمل؛ لأنه أصل عظيم من أصول الملة الإسلامية.

يقول: ((**سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**)) هذه (**إِنَّمَا**)

أداة حصر.

(**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) ولا بد فيها من تقدير. فتقول إنما الأعمال الصالحة بالنيات، أو تقول: إنما

الأعمال المقبولة عند الله بالنيات، أو تقول: إنما الأعمال يعني الصالحة المقبولة، لا بد من تقدير.

(**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) الأعمال يعني التي يقبلها الله والمعتبرة شرعاً، والتي تستحق أن تسمى عملاً

صالحاً لا بد أن يناط بنيتها. وبعضهم قال لا ؛ (**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**) قضية حكمية على كل عمل. بمعنى

أن أي عامل لأي عمل لا يعمل إلا بدافع دفعه إليه. فهو حديث عن طبيعة النفس البشرية.

أي عمل أنت تتوجه إليه، بصرف النظر عن كونه عملاً صالحاً أو فاسداً، خيراً أو شراً، حلالاً أو

حراماً لا تقصده ولا تتوجه إليه وتفعله إلا بنية دافعة ورغبة دافعة لك إليه.

لذلك سيأتي توسيع لهذا المعنى عندما نتحدث عن ما معنى النية، وما هي أهميتها، وما هي قيمتها.

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان المعنى صحيح أن كل إنسان يقدم على أي عمل إنما يقدم عليه

بدوافع كامنة في نفسه، لكن المقصود هنا الاعتبار الشرعي أنه يتحدث عن أعمال يعني الأعمال الشرعية

التي تسمى صالحة وتولد لصاحبها الحسنات والثواب والرفعة عند الله. يأتي صاحبها النية الصحيحة

والمقصد السليم في ابتغاء ما عند الله جل وعلا.

(1) صحيح البخاري، باب: "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات" رقم: 1910

(2) صحيح البخاري، باب: بني الإسلام على خمس" رقم: 7

(الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) مقابلة الجمع بالجمع. سيأتي في روايات أخرى في نفس الصحيح: (إنما

الأعمال بالنية) فقابل الجمع باسم الجنس. هنا لا يدخل مفرد تقول اسم جنس، كل عمل بنيته. وفي بعض الألفاظ بجذف (إنما) جملة مباشرة: (الأعمال بالنية) أو (الأعمال بالنيات) على اختلاف ألفاظ الحديث. ومعناها ربط العمل بنيته. فلا يعد صالحاً ولا مقبولاً إلا إذا صاحبه نيته السليمة.

طيب، ما معنى النية؟ ما معنى كلمة النية؟ النية في اللغة مصدر نوى ينوي نية. نوى ينوي نية، بمعنى عزم وتوجه وقصد. نوى: أي عزم وتوجه وقصد. هذه الأشياء الثلاث الكلمات هذه مهمة، حتى تكون معنى النية عزم وتوجه وقصد.

فمعنى هذا أن الخاطرة التي تخطر وتمضي، لا تسمى نية. الإنسان لا يخلو من الخواطر، سواءً خوطر لفعل خير أو ربما حتى خوطر لفعل.. فالخواطر التي تخطر وتمضي، ولا تبعته على توجه لعمل ما، أو قصد عمل ما، أو عزم على عمل ما، لا تدخل في باب النية. ولذلك سقطت حتى من الحساب. الخاطرة التي لا يكاد يسلم منها أحد.

أما إذا انتقلت الخاطرة إلى عزم أو إلى توجه وقصد، هنا تأتي المؤاخذة الشرعية. فإن عزم على خير يثاب، وإن عزم على _ عياداً بالله _ شر يعاقب، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: **((من همّ بحسنة))** المهم بمعنى العزم الذي سيبعثه على التوجه لذلك العمل. **((من همّ بحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف، ومن هم بحسنة ولم يعملها))** عاقه عائق معين أو شيء من هذا القبيل، تكتب له حسنة أيضاً. كيف تكتب حسنة ولم يعملها؟ لأن اكتفى الشارع بهم والعزيمة. إذن حصل معنا النية، فرتب عليها ثواب، وإن كان ثواب أقل من لو همّ وعمل. هناك عشرة إلى سبعة مائة ضعف، وهذه حسنة واحدة لا غير، مع أنه لم يعمل.

أيضاً في المقابل قال: **((من هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة))** لأن السيئة يمثلها في حكم الله. **((ومن هم بسيئة ولم يفعلها كتبت له حسنة))**⁽¹⁾ إذا تركها لأجل الله سبحانه وتعالى، لا لعائق، يعني ذهب ورأى مثلاً والده واستحى من والده، هذه مالها قيمة، ربما تدركه التقوى، يدركه شيء، يسمع موعظة فتدعه، هذا تكتب له حسنة. يقول: (همّ) فالهم خطوة أبعد ونقلة أبعد من مجرد الخاطرة أو العابرة. فما يسمى نية إلا إذا جاءت هذه الأوصاف: العزم، والقصد، والتوجه. سواءً فعل أو لم يفعل؛ لأن الفعل هو النتيجة، وليست مرادة هنا في معنى النية.

(1) السنن الكبرى للنسائي، الجزء: 4 رقم: 7670

النية هي العزم والتوجه والقصد. فلا تدخل معنى الخواطر العابرة التي تمر على ذهن الإنسان. يقول
المواردي: نوى الشيء أي قصده، وتطلق بمعنى العزم كما قاله صاحب "اللسان".
إذن نفس المعاني العزم والتوجه والقصد. لكن في الاصطلاح الشرعي، المراد عندنا في معنى الحديث
وفي غيره من المعاني، ما معنى النية؟

يقول الإمام النووي في شرحه على مسلم، يقول: النية هي القصد إلى الشيء والعزيمة على فعله.
ماذا يقول النووي في تفسير النية من الناحية الاصطلاحية؟ القصد إلى الشيء والعزيمة على فعله. اعترضوا
على النووي وقالوا له بأنك ما زدت على التعريف اللغوي شيئاً. العزيمة إلى الشيء والتوجه إليه، هذا خلاص
أخذناه عند الماوردي وصاحب "اللسان"، نريد المعنى الشرعي.

ولذلك خطئوا أو استدركوا على النووي هذا التعريف. يقول القراقي أحمد ابن إدريس في كتابه:
"الفروق"، كتاب مطبوع في أربعة أجزاء. يقول: النية قصد الإنسان بقلبه ما يريد به فعله. قصد الإنسان
بقلبه ما يريد به فعله، هذه فيها إشارة مهمة إلى الرابط القوي جداً والتلازم المهم جداً بين عزيمة الإنسان
ودوافعه النفسية، وبين أفعاله وأعماله.

فأعمال الإنسان هي نتيجة دوافعه ومضامين نفسه. ما فيه عمل يحصل هكذا. ولذلك يقول شيخ
الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله يقول: الإنسان، ما هو الإنسان؟ يقول: متحرك بإرادة، متحرك يعمل أي
عمل، لكن بماذا؟ بالإرادة. ليست حركات فطرية غريزية هكذا، أو حركات اضطرارية جبرية. لا، يتحرك
بإرادة دافعة لفعل الشيء، واختيار هذا الفعل دون غيره، والتوجه إلى ذلك العمل دون غيره.

قال شيخ الإسلام: الإنسان متحرك بالإرادة، وأصدق وصف يوصف به الإنسان أنه حارث وهمام.
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أصدق الأسماء)) يعني تسمى بها الإنسان ((حارث وهمام))⁽¹⁾
حارث يعني متحرك يعمل كطبيعة الإنسان، ما يمكن يسكن هكذا فترة طويلة، ما يمكن لا بد يتحرك، لا بد
يعمل. لكن هذا الحارث تسبقه همم، همم أي من المهم أي كثير التوجه، كثير المقاصد.

والحالة الطبيعية أن مقاصد الإنسان ورغباته أوسع بكثير من أعماله. ولو أراد الإنسان يفعل كل ما
قصده وكل ما نواه، ما تستوعبه جهده، ولا وقته. ما يستوعب كل وارداته وإيراده. لذلك العاقل يتخير من
واردات نفسه وهمها وعزمها أحسن ما يمكن، وأصلح ما ينبغي. سواءً في الأعمال الدنيوية في أمر معاشه،

(1) الجامع في الحديث/ باب الأسماء. رقم: 71

أو في الأعمال الشرعية الدينية في أمر آخرته ومعاده، وإلا لا يستطيع الإنسان بوقته وعمره المحدود وطاقته المحدودة أن يستوعب كل رغباته وهمومه.

ماذا يقول المتنبّي؟

إذا كانت النفوس كباراً
تعبت في مرادها الأجسام

إذا كان طموح المرء طموح كبيرة جداً، لا بد يتعب نفسه. هذا الطموح ما يناسب كثرة النوم. إذا كان كثير الهم وكثير الطموح، تجده يعمل ويفكر ويختصر أوقات نومه وأوقات راحته وأوقات لهوه ليحقق طموحاته. فكلما سمت همته، وعلت رغباته، وتوسعت مداركه ومقاصده، كلما استوعب شيء أكبر من جهده وطاقته. فطبعاً فيه نوع من الجهد الكبير كما أشار إليه الشاعر.

إذن القرافي يقول: قصد الإنسان بقلبه ما يريد به بفعله.

الخطابي يقول في التعريف: في كتابه "إعلام السنن" هو قصدك الشيء بقلبك.

لاحظ كما تسمع الآن كلهم ينوطونها بالأمنية والخاطر والضمير والقلب، ولا يشترطون حصول

الفعل حتى تسمى نية. يكفي التوجه والعزيمة والقصد.

يقول ابن لقيم في كتابه: "بدائع الفوائد" النية هي القصد، غير أن بين النية والقصد فرق. شوف ابن

القيم يعني يدقق، يتفنن في المعنى. يقول: بين النية والقصد فرق. ما هو الفرق؟ يقول: القصد يتعلق بفعل

الفاعل نفسه وبفعله وبفعل غيره.

القصد يتعلق بفعل الفاعل نفسه وبفعل غيره. والنية لا تتعلق إلا بفعله. يعني النية فعلك أنت، لكن

القصد قد تقصد من غيرك أن يفعل الأمر الفلاني لأنه يحقق لك شيئاً ما أو مكسباً ما، فيرى أن القصد أن

القصد أوسع من النية لأن القصد يتعلق بفعلك بنفسك وفعل غيرك قد تقصد من غيرك أن يفعل لذلك قد

توجهه لهذا الفعل ببحثه عليه أو ترغيبه فيه وتمنعه من ذلك الفعل بتخذيالك له ؛ لأنك لك له مقصد في فعله

أو لك مقصد في تركه. تدقيق، ابن القيم.

يقول أيضاً: (والقصد يتعلق بفعل مقدور يقصده الفاعل والنية تتعلق بفعل مقدور ومعجوز)، يعني

النية من جهة الخواطر والرغبات أوسع والقصد من جهة العمل أوسع.

القصد من جهة العمل يشمل فعلك وفعل غيرك قصداً. تقصد أن تفعل أنت وتقصد من غيرك أن

يفعل. أما النية يقول أوسع من النية في جهة داخل النفس يعني. فأنت لا تقصد إلا أمراً محتملاً ممكناً في

الفعل، ما تقصد من نفسك أو من غيرك فعل أمر معجوز عنه. لكن ربما تتمنى وترغب أن تفعل شيئاً وأنت

تعلم أنه أو يحصل لك شيء وأنت تعلم أنه من الأمور المعجوز عنها. هذا تدقيق من ابن القيم يعني وإلا أكثرهم يرى أنهما بمعنى واحد.

طيب، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية _ هذه فائدة مهمة، يقول: "النية من جنس العلوم والاعتقادات ومن جنس القصد والواردات". النية من جنس العلوم والاعتقادات ومن جنس القصد والواردات.

إذن النية تدور بين معرفة الشيء، والقناعة به، واعتقاده، ثم قصده والرغبة في الورد إليه. هذه هي النية، وهذا التعريف من ابن تيمية فيه يعني توسيع جميل.

أولاً كيف تنوي شيء وأنت تجهله؟ فالعلم مقدمة النية أليس كذلك؟ بل هو شرط النية؛ بل هو شرط ضروري. كيف تنوي وتقصد أمراً وأنت لا تعلمه؟ فتقدم العلم على النية ضروري، فهي من جنس العلوم.

ثم العلوم هذه ما يكفي فيها أن تبقى علماً حتى تتحول إلى قناعة وإلى اعتقادات. انتبهتوا ولا لا؟ لأن القناعة هي التي تدفعك لفعل الأمر. إذا اقتنعت بالدين، فأمنت وأسلمت وصليت وجاهدت، هذه قناعة مو مجرد معرفة علمية أن هذا خير وذاك شر.

فالمعرفة التي لا تتحول قناعة، أي لا تتحول عقيدة يعني معرفة ذهنية كأني خبرت سمعته من الأخبار التي في هذا العالم، ولا يحرك فيك ساكناً، ولا علاقة لك به. فإذا بدأنا بناحية علمية، تحولت ناحية قناعية اعتقادية، ثم يأتي عند ذلك القصد والوارد الدافع لذلك الفعل.

فكأن ابن تيمية يرى أن النية لها محاور أو إن شئت قل لها درجات. فهي تبدأ فكرة وعلماً ومعرفة بالشيء، ثم المعرفة هذه تتحول إلى قناعة واعتقاد، ثم هذه القناعة والاعتقاد يتحول إلى قصد ووارد وتوجه، عند ذلك تسمى نية.

ف هو يتكلم عنها من جهة طبيعتها وعلاقتها بالنفس، إذ من غير المعقول أن تقصد شيء وأنت تجهله، أو تتوجه إلى شيء وأنت غير معتقد أو لا ترغب ولا ترغب فيه.

النية تطلق في كلام العلماء على نوعين اثنين، النية تطلق في كلام العلماء على قسمين أو نوعين

اثنين:

القسم الأول: النية الفقهية المميزة بين الأعمال. لا بد تنوي صلاة ظهر ولا عصر، أداء ولا قضاء، هذا صيام فريضة ولا قضاء ولا نافلة. لا بد النية، تحدد جنس العمل و لا لا؟ هو يدخل في عموم قول: ((إنما الأعمال بالنيات)).

لذلك عندما تصلي الفريضة، تكون نيتك أنها الفريضة لا نافلة. وتنوي ما هي الفريضة: هي الظهر، أم العصر، أم الغرب، أم العشاء. لا بد من هذا. وعندما تصوم، لا بد أن تكون نيتك صيام فريضة، أو صيام قضاء لفريضة، أو صيام نافلة. يعني يترتب عليها أحكام.

هذه النية الفقهية وتكثر في كلام الفقهاء، لذلك يقول لك: من ابتداء الصلاة وهو ناوي أن تكون نافلة، لا يقلبها فريضة والعكس صحيح. يعني النية هنا في كلام الفقهاء هي النية المميزة بين الأعمال، سواءً كانت الأعمال هذه فريضة أم نافلة، قضاءً أم أداءً، تطوعاً أم فرض وهكذا. وهذه تدخل في كلام الفقهاء وهي المميزة للعمل عن العمل والعبادة عن العبادة.

النوع الثاني: النية القصدية الغائية، النوع الأول النية الفقهية المميزة بين الأعمال كما عرفنا. النوع الثاني: النية القصدية الغائية. أنت لما تصلي وتصوم، لك مقصد بعيد وغاية تصبو إليها، ما هي؟ أن يثيبك الله ويرحمك ويغفر لك وينجيك والا لا؟ هذه النية لا بد تكون مستحضرة أيضاً. وهذه هي التي تكلم عليها علماء الاعتقاد وعلماء تصحيح المقاصد. يتكلمون عن الإخلاص، والصدق، والتحذير من الرياء، ونحو ذلك.

قصدهم بالنية، القصد. قصدك من عملك هذا عندما آمنت وصليت وصمت وجاهدت. ما هي هدفك من هذا كله؟ هل هو كسب ثناء ومدح؟ ولا كسب مقام وجاه؟ ولا كسب مال؟ وإلا كسب رضا الله جل وعلا، هذا الغاية.

أيضاً الأعمال بالنيات بمعنى أن الله لا يقبل هذه الأعمال إلا إذا كانت الغاية منها في قصد العبد هي وجهه سبحانه وتعالى، كما دلت عليه الأدلة: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾⁽¹⁾، ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ﴾⁽²⁾، ما يكفي حتى تقول: مخلصاً له ديني، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾⁽³⁾.

سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة، والرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل مغنماً. المقاصد مختلفة، هذا حمية لقومه، هذا خير على شر ما هو سائل في الموضوع؛ (وما أنا إلا من غزوة). والآخر ليظهر براعته وشجاعته، وأنه لا يقهر ولا يغلب. والثالث له طمع، يمكن يحصل له شيء من الأموال. أي ذلك في سبيل الله؟

(1) الزمر:3

(2) الزمر:14

(3) البينة:5

بالنظر إلى القصد الغائي، كل هذا ما يحقق المقصود الشرعي فقال عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))⁽¹⁾ ومعنى أن الأمثلة السابقة كلها ساقطة من الحساب. وكذلك من صلى، وكذلك من صام، وكذلك من تصدق وأنفق. كلها إذا لم يكن قصده ورغبته ونيته التي يضمها في نفسه، والتي لا يعلمها إلا الله جل وعلا هو ابتغاء ما عند الله وإلا لا يفرح بثواب، وإلا لا يفرح بثواب فعله ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشْرَكَهُ))، ((أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ))⁽²⁾ يقول جل وعلا في الحديث القدسي.

فهذا معنى النية بالمعنى الثاني القصدية الغائية التي تميز بين إخلاص العمل لله، وبين النفاق والرياء والسمعة وشهوات النفس وأمثالها.

(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) الباء هنا، يسمونها باء المصاحبة. والمعنى إن كل عمل تصاحبه نيته، أو أنها سببه، أو أنها سبب له وتصاحبه، أو أنها سببه وغايته كل هذه المعاني صحيحة. الباء لا بد تكون موجودة، يعني العمل يدفعك له النية، وأثناء العمل لا بد تبقى النية، وبعده لا بد أن تبقى النية فلا تفسدها بقصد آخر.

إذن النية هي الدافع للعمل، وهي المصاحبة له، وهي أيضاً المضمومة أو المختمة له بحيث لا يفسدها ولا يدخل عليها شيئاً آخر.

يدخل في قوله الأعمال ثلاثة أنواع:

- النوع الأول: الأفعال التي يفعلها الإنسان بجوارحه وأدواته وذاته، وهي داخلية في المعنى دخولاً قصدياً أولاً.
- والنوع الثاني: الأقوال، والأقوال داخلية قطعاً في هذا المعنى؛ لأنها أعمال، ولأن كثير من العبادات قولية محضة كتلاوة القرآن الكريم، وعموم ذكر الله جل وعلا، وأجزاء كثيرة من الصلاة قولية كما تعرفون ونحو ذلك. فلا بد أن تدخل الأقوال في معنى الأعمال، فتحتاج إلى النية بمعنيها السابقين.

- أما القسم الثالث: فهو الترك، التروك. هل ترك العمل يسمى عملاً أم لا؟ أهل الأصول أصول الفقه لهم في هذا المبحث قولان مشهوران:

(1) صحيح البخاري، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً، رقم: 120

(2) صحيح مسلم، باب من أشرك في عمله غير الله رقم: 5300

فجمهورهم لا يرى ترك الفعل فعلاً؛ لأن الترك ناحية سلبية تركية محضية، فلا تسمى فعلاً، وبالتالي لا تدخل عندهم في معنى العمل، وبالتالي لا تحتاج إلى نية ولا إلى غيرها. هذا استظهره عدد أو كبير من علماء الأصول.

وذهب فريق آخر من علماء الأصول، منهم تاج الدين السبكي، والقرافي وغيره ومنصوص عن بعض القدماء إلى أن الترك الفعلي هو في الحقيقة فعل. تركت للفعل فعلاً. يسمى فعل، وبالتالي تدخله النية، وتدخله الأحكام التكليفية.

قال تاج الدين ابن السبكي في شرحه على جمع الجوامع: "وقد ضاق على أهل هذا القول إيراد دليل من القرآن على أن الترك الفعلي يسمى فعلاً".

لما أرادوا أن يأتوا بدليل لما قيل لهم إذا جعلتم الترك أي ترك الفعل جعلتموه فعلاً، أين الدليل على أن الترك يسمى فعلاً؟ قال: ضاق عليهم، ما وجدوا ثم هو قال: "فتأملت القرآن" تاج الدين ابن السبكي يقول: "فتأملت القرآن فوجدت آية تدل على أن ترك الفعل يسمى فعلاً". آية واحدة؛ وهي قوله في الفرقان: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾⁽¹⁾ فسمى هجرهم للقرآن؛ وهو ترك اتخاذاً وفعلاً. ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ما هو الفعل الذي فعلوه؟ ترك القرآن الذي يسمى الهجر. الهجر هو ترك ولا لا؟ فسماه اتخاذاً وفعلاً، وذمهم عليه. وصار هو موضع حزن الرسول وشكواه إلى ربه لما قال: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾.

وأضاف أيضاً غيره من العلماء آية أخرى، أضافها الإمام الشنقيطي عليه رحمة الله صاحب "الأضواء" قال: (وفي القرآن موضع آخر يدل على أن ترك الفعل يسمى فعلاً، وهي قوله تعالى في المائدة _ سورة المائدة _ في وصف بني إسرائيل ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾⁽²⁾ فسمى تركهم التناهي عن المنكر صنفاً، وفعلاً وذمهم عليه ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ ايش تفهم من هذا الكلام؟ ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أي تركوا نهي بعضهم بعضاً عن المنكر، وتخلوا عنه، فاعتبر هذا الترك منهم صنفاً فقال: ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ وذمهم عليه.

فصار معنا دليلين من القرآن على أن الترك يسمى فعلاً. واستشهدوا أيضاً بقول الصحابة رضي الله عنهم في الرجز المشهور الذي وضعه لهم عبد الله ابن رواحة، وهم يبنون المسجد. لما كانوا يبنون المسجد مع

(1) الفرقان:30

(2) المائدة:79

النبي صلى الله عليه وسلم، كانوا يعملون فكانوا يشجعون بعضهم على العمل بقولهم: (لئن قعدنا والنبي يعمل) نحن قعدنا تركنا (لئن قعدنا والنبي يعمل لذلك منا العمل المضلل)، فسموا قعودهم عن العمل وتركهم له عملاً. واعتبروه عمل ضلال. كيف يتكون العمل مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ فاعتبروا الترك عملاً. والتحقيق في هذه المسألة أن الترك نوعان. ليس كل ترك يعتبر عملاً، فيحتاج إلى نية وتدخله الأحكام التكليفية من الذم، والمدح، والعقاب، والثواب، والوجوب، والندب، ونحو ذلك. ليس كل ترك، ولذلك قسموا الترك إلى قسمين: ترك مقصود، وترك غير مقصود.

الترك المقصود: أن يقصد التارك ترك ذلك الأمر، وهو في الغالب؛ بل هو دائماً لا يقصد ترك أمر إلا لانشغاله بضده كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية. لا يمكن للإنسان أن يخلو من أحد الضدين فيما تتوجه إليه الرغبات. فإن تركت أمراً وأعرضت عنه، يكون سبب ذلك انشغالك بضده.

فتارك الإيمان، تركه لانشغاله بكفره الذي هو فيه. وتارك العمل الصالح يتركه لما هو فيه من اللهو واللعب وحب الشهوة. تارك الزكاة والصدقة لخبه للمال. تارك الجهاد لخبه... وهكذا، تارك الصلاة لخبه للنوم والخمول والكسل، إلى.. فما يترك شيئاً إلا وهو منشغل بضده.

فإذا كانت هذه حاله، ترك شيئاً انشغالاً بضده. هذا ترك مقصود، يعاقب عليه. لذلك يعاقب إذا ترك الصلاة، انتبهتوا وللا لا؟ ويعاقب إذا ترك الزكاة، ويعاقب إذا ترك الإيمان؛ لأنه ترك مقصود لانشغاله بأضداد ما أمر به، لانشغاله بضد ما أمر به. هذا الترك المقصود.

وفيه ترك غير مقصود ايش معنى الترك الغير المقصود؟ أنت الآن في أثناء جلوسك في المسجد الآن في هذه اللحظة، أنت تارك للزنا، وتارك للغيبة، وتارك.. ما هو وارد عندك الآن.

أعطيكُم مثل واضح، لو أن رجلاً _ كتقريب للمسألة _ عرضت له شهوة من الشهوات، دعته امرأة ذات منصب وجمال مثلاً، في خلوة من الناس والداعي ذا منصب وجمال، فتحرك عنده الشهوة الآن، لكنه منع نفسه وقال: (إني أخاف الله رب العالمين)، هل ترك هذا مثل ترك النائم في بيته للزنا؟ هذا ترك نائم ما هي واردة عنده القضية نهائياً، ليس كترك من توفرت الدواعي للفعل، فهو خاصمها وعاندها.

هذا يحتاج إلى عزيمة، ويحتاج إلى نية، ويحتاج إلى جسارة، ويحتاج إلى قوة قلب، ويحتاج إلى إيمان وإلى تقوى حتى تمنعه وتحجزه وتردعه عن ذلك الفعل. انتبهتوا و لا لا؟ ليس كتارك الذي ما خطر له هذا الأمر على بال أو لانشغاله بشيء أمر آخر بعيد.

لذلك لما قيل لعمر ابن الخطاب: (أيهما أفضل رجل تدعوه نفسه إلى المعصية فهو يجاهدها) نفسه ترغبه فهو يجاهدها (ورجل لا تخطر له المعصية على بال أيهما أفضل؟) هذا ترك تركين، هذا ترك لكن

بمجاهدة، وذاك ترك لأن القضية ما وردت عنده أصلاً. كلاهما تارك، لكن الحال مختلف. هناك تارك لتوفر الدواعي والنفس وكذا، لكن يجاهد، يتذكر أمر الله فيدفع نفسه. وذاك تارك لأن القضية ما خطرت له على بال.

فكان جواب عمر أن الصنف الأول هو الأفضل، الذي توفرت له الدواعي لفعل معصية الله بشهوة النفس، والمرغبات، ونحوه والفتن ونحو ذلك، لكنه جاهدتها. فهو مجاهد حقيقي فعلاً. وجهاده هذا ما هو يوم أو يومين، ربما يستمر معه حياته كلها. أما ذاك الذي ترك من غير كلفة، لعدم وجود المرغبات، فذاك تركه غير مقصود. ولذلك لا يمدح به، لا يمدح به.

لذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: **((رجل دعته امرأة))** **((فقال إني أخاف الله))** هذا ترك الزنا، لكن مُدح هنا وأثنى عليه وجعل من السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه لماذا؟ ما يعطي الحكم لكل تارك للزنا، لا؛ لأن الدواعي كانت موجودة، والمرغبات كانت حاضرة، وما بقي إلا أن يفعل، وأمن الرقيب وأمن المؤاخذة، لكن بقي عنده الرادع في إيمانه **((فقال إني أخاف الله))** ليس هذا كحال غيره. لذلك كان هذا من السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم لا ظل إلا ظله.

فتحقيق الأمر إذن أن التروك على قسمين: ترك مقصود؛ وهو انشغاله بضده. حتى تارك المعصية عندما يتركها، يتركها لانشغاله بخوفه بالله وبانشغاله بالطاعة، أو انشغاله مثلاً في رغبته في ثواب الله. فيه شيء يردعه، لا بد فيه نية تمنعه من هذا الترك. لذلك سمينا تركاً مقصوداً، به يُمدح، وعليه يثاب وتدخلة الأحكام التكليفية. أما الترك الغير المقصود فلا ورود له في هذا المعنى، فتنبهوا لذلك.

إذن يقول عليه الصلاة والسلام: **((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى))**. يقول القرطبي أبو العباس في كتابه "المفهم" (هذه الجملة "إنما لكل امرئ ما نوى" تأكيد للجملة الأولى) اعتبرها من باب التأكيد اللفظي. (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى).

وقال غيره: (بل الجملة الثانية تأسس معنى جديد غير ما أسسته الجملة الأولى. ماذا قالوا؟ قالوا: الجملة الأولى دلت على أن العمل يتبع نيته صحة وفساداً قبولاً ورداً).

((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ)) بقاء المصحابة، إذا كانت النية صحيحة قصداً غائياً، أو صارت النية الصحيحة والعمل مقبول وطيب. إذا فسدت، فسد العمل تبعاً لفساد النية.

والجملة الثانية وهي قوله: (وإنما لكل امرئ ما نوى) بيان أن الإنسان لا يحصل إلى ما نوى، لا يحصل إلا ما نوى ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾⁽¹⁾ إذا نويت الدنيا يؤتكَ الله منها. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾⁽²⁾ كما في قوله تعالى.

إذن كل إنسان يحصل ما نوى. ولذلك الإنسان المنافق يوم القيامة، والمرائي يقال له عملت ليقال وقد قيل، يعني ما نويته وحصلته. إذن لا ثواب له في الآخرة.

(إنما لكل امرئ ما نوى) بيان أن الإنسان لا يحصل إلا ما نواه وقصده وتوجه إليه في حكم الله سبحانه وتعالى. ومن أراد الدنيا وزينتها وسمعتها، يعطيه الله منها لمن يشاء سبحانه وتعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ﴾⁽³⁾ ليس له في الآخرة نصيب؛ لأنه نوى شيئاً وحصله. خلاص انتهى الموضوع، المسألة قفلت والمعادلة انتهت، المقدمة والنتيجة حصلت. ومن كان أراد الله والدار الآخرة والثواب، فهذا يحصل نيته عند الله سبحانه وتعالى.

المنافقون ماذا يقولون لما يضرب..؟ ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾⁽⁴⁾ قالوا: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾⁽⁵⁾ الصورة واحدة، والأعمال ربما في أحيان كثيرة أيضاً واحدة. كنا معكم صلينا وصمنا ليش اختلفت النتائج بيننا وبينكم؟ أنتم في الرحمة ونحن عياذا بالله في العذاب؟ قالوا بلى كنتم معنا، الشكل والظواهر والأعمال ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾⁽⁶⁾ إذن العلة في المقاصد، مقاصدكم هي التي أوردتكم هذا المورد ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾⁽⁷⁾ عفانا الله وإياكم من ذلك.

((فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبْهَا)) هكذا وقع في هذا الموضوع. الحديث فيه اختصار وتماه كما تعرفون: ((فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ

(1) الشورى:20

(2) الشورى:20

(3) هود:16

(4) الحديد:13

(5) الحديد:14

(6) الحديد:14

(7) الحديد:14

كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا)⁽¹⁾ لكن هنا وقع اختصار انتقل مباشرة إلى (فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها فهجرتة إلى ما هاجر إليه).

جرح الخطابي إلى وجود خرم في النسخة التي عنده في صحيح البخاري، أسقطت شطر هذا الحديث. وأجاب الحافظ ابن حجر أنه ليس في النسخة خرم؛ وإنما البخاري اختصر الحديث. وقد علمنا في الدرس الماضي أن الإمام البخاري من منهجه اختصار الحديث.

فيرد السؤال، لماذا اختزل هذه الجملة؟ وهي قوله: (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرتة إلى الله ورسوله) وعدل إلى الجملة الذميمة، ترك الجملة المدحية؛ وهي في مدح من توجه إلى الله بقصده والثناء عليه إلى الجملة الذميمة أن من هاجر إلى الدنيا ليصيبها أو لامرأة ينكحها فهجرتة إلى ما هاجر إليه. قال الحافظ لعله قصد من ذلك ألا يزكي نفسه. لما يريد يفتح كتابه ببيان النية، يا يريد أن يزكي نفسه أنه فعل هذا لله تماماً. يعني على عادة المؤمن في اتهام نفسه دائماً.

المؤمن الصادق متهم لنفسه على الدوام، لا يضمن ولا يظن في نفسه يعني الصلاح والصواب والسداد. دائماً متهم نفسه، ومتهم نيته، هكذا حاله؛ لأنه بالفعل كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في حديث ابن مسعود يقول: (النفاق لا يأمنه إلا منافق ولا يخافه إلا مؤمن). المؤمن تجده خائف متهم لنفسه، يخشى أن يكون في نيته شائبة، يخشى أن يكون فعله من أفعال المنافقين. لذلك تجده محتاط، منتبه، حذر، حزين، خائف يترقب. أما المنافق الأمور عنده يعني واقع في النفاق، فماذا يرقب وماذا يخاف وماذا يرائي وماذا يراقب؟

هذا ناحية يعني ناحية اعتذارية لاختصار البخاري وإسقاطه الجملة المدحية التي في الحديث، واقتصاره في هذا الموضع على الجملة الذميمة. لكن في مواضع أخرى، أخرج الحديث بتمامه ابتداءً من قوله: **((فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبَهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحَهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَجَرَ إِلَيْهِ))**⁽²⁾.

طيب بقي معنا الهجرة وأنواعها، وجواب الشرط وما يتصل به. نكملها في الدرس القادم إن شاء الله تعالى. زادنا الله وإياكم علماً ونفعاً وإياكم بما نقول ونسمع. والحمد لله وصلى الله وسلم على رسوله ومصطفاه نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(1) صحيح البخاري، باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى رقم: 4682.

(2) صحيح البخاري، باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى رقم: 4682.



الدرس الثالث

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين، وقيوم السموات والأرضين. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، خاتم الأنبياء والمرسلين وصلى الله عليه وعلى آله وصحابه وأزواجه وأتباعه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
أما بعد:

الحديث موصول في أول حديث صدر به الإمام البخاري رحمه الله صحيحه؛ وهو حديث عمر رضي الله عنه في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا) كما في النسخة التي قرأناها كما هو موجود. (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ).**

وقف بنا الحديث عند هذا الموضع. وكما هو معلوم من نص الحديث، ليس في رواية البخاري ذهاب الحديث في هذا الموضع، وهو أول حديث في الصحيح قوله: **((فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ))**⁽¹⁾ هذه العبارة ليست موجودة في نص الحديث في هذا الموضع، مع أن البخاري روى الحديث في مواضع كثيرة كاملاً وتاماً.

(1) صحيح البخاري، "باب من هاجر أو عمل خيراً لتزويج امرأة فله ما نوى" رقم: 4682.

وأقرب موضع سيأتينا إن شاء الله في كتاب الإيمان، "باب الأعمال بالإيمان والحسبة والنية". وأيضاً شيخ البخاري؛ وهو الإمام الحافظ عبد الله بن الزبير الحميدي روى الحديث في مسنده. ونبهتكم إلى أن مسند الحميدي موجود مطبوع روى الحديث أيضاً تماماً كاملاً كما هو معلوم.

ولذلك صار عند العلماء وعند الشراح إشكال. فالخطابي أبو سليمان حمد ابن سليمان الخطابي في شرحه للبخاري، المسمى "إعلام السنن"؛ وهو من أوائل شروح صحيح البخاري، قال بأنه ربما وقع في نسخة الصحيح خرم، أسقط هذا الخرم أو ذهب بسببه هذه العبارة التي هي من أصل متن الحديث. وجوّز بعضهم كابن العربي، الشارح الإمام أبو بكر بن العربي في شرحه على الترمذي، جوّز أن يكون البخاري أسقط هذه العبارة عمداً من متن الحديث.

والذي حرّره الشهاب بن حجر الحافظ عليه رحمة الله أنه لا يوجد خرم، ولا يوجد إسقاط؛ وإنما هو من باب الاختصار. فإنه عُلم من عادة الإمام البخاري أنه يختصر الحديث، ولكن العادة جرت أن الاختصار يتم إما من أول الحديث أو من آخره بحسب الحاجة. أما في هذا الموضع، فقط كان الاختصار من أثناء الحديث في وسطه، وهي تعتبر حالة نادرة في الاختصار. وسببت بذلك إشكالاً، فجوّز بعضهم أن تكون النسخة مخرومة، وجوّز الفريق الآخر أن البخاري أسقطها تعمداً. والبخاري لا يسقط شيئاً من متن الحديث تعمداً؛ وإنما يختصر. والاختصار قد تفرضه حاجة الاستنباط، وحاجة الاستدلال، وهذا حررناه في أول درس من دروسنا هذه.

المِهْجَرَةُ: مصدر هَاجَرَ يُهَاجِرُ هِجْرَةً. فعلها الماضي لا بد أن يكون رباعي: هاجر. لنفرك بينه وبين المَهْجَر؛ بين المِهْجَرَة والمَهْجَر.

المَهْجَرُ: مصدر الفعل الثلاثي هَجَرَ، يَهْجُرُ هَجْرًا. أما المِهْجَرَة فهي مصدر للفعل الرباعي هَاجَرَ، يُهَاجِرُ، هِجْرَةً.

وأصل معنى المهر هو الترك والانتقال. ولا بد أن يُلاحظ فيه أمرين اثنين:

● متروك مهجور.

● ومطلوب مهاجر إليه.

هذا المعنى لا بد، يعني لا بد في معنى المِهْجَرَة و المَهْجَر من أمر تُرك وانتُقِل عنه إلى أمر تُلب و رُغِب فيه وهو جَر إليه. فإذا تحقق الطرفان؛ طرف الترك، ويمكن نسميه طرف السلب، وطرف الابتغاء والانتقال والطلب أو طرف الإيجاب، يأتي معنا هَجَرَ وهاجر. فالهاجر لا بد أنه ترك شيئاً لشيء آخر. والمهاجر لا بد أنه ترك شيئاً أيضاً لشيء آخر.

فالمجرة الشرعية هي انتقال وترك من شيء إلى شيء. ترك لشيء لطلب غيره، وانتقال من مكان لمكان غيره، وهي على أنواع. الهجرة الشرعية على أنواع. أفضل هذه أنواع الهجرة الشرعية وأكملها، وأجلّها، وكل ما بعدها تبع لها، ومفترّع عليها، وهي واجبة وجوباً عينياً على كل أحد؛ الهجرة إلى الله رب العالمين جلّ وعلا.

يجب على كل مسلم أن يهاجر إلى الله؛ بل يجب على كل مكلف من الإنس والجن أن يهاجر إلى الله. فإذا قلنا الهجرة إلى الله واجبة وجوباً عينياً. يهجر ماذا؟ ويترك ماذا؟ في طلب ماذا؟

لابد لكل إنسان _ وهذا واجب عليه كحق لخالقه _ أن يهجر جميع الآلهة، وجميع المعبودات، وجميع ما اتخذ ربّاً أو إلهاً من دون الله. كل ما سوى الله، يجب هجره وترك عبادته، وعدم قبولها؛ بل عدم تجويزها وتصويغها. إلى أين التوجه؟ وإلى أين الهجرة؟

يتوجه المسلم ويهاجر إلى الله جلّ وعلا. ووجه الهجرة أو مناطها هو التبعّد والتأله. فلا يجوز في حق كل مكلف أن يعبد ويأله إلا الله رب العالمين سبحانه وتعالى.

فالهجرة إلى الله بتوحيده وعبادته وتألهه، واجب عيني على كل أحد. وعلى ضوءها انقسم الناس

إلى فريقين:

- مؤمنين مهاجرين إلى الله تعبداً، وذلاً، ورغبةً، ورهبةً، فهم السعداء أهل الجنة.
- وكافرين ومشركين، هاجروا هجرةً عكسية فعلاً، تركوا الإله الحق والمعبود الصدق وهو الله، وذهبوا يتخذون لهم من دونه آلهة شتى، لا تضرهم ولا تنفعهم، ولا تملك لهم شيئاً. هذه هجرة عكسية ضد المقصود. فهؤلاء هم الأشقياء أهل النار الذين لا مخرج لهم ولا مناص لهم عنها ﴿التَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَسَّ الْمَصِيرُ﴾⁽¹⁾.

والهجرة الثانية، النوع الثاني هي الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان به نبياً رسولاً خاتماً، لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم، واتخاذ وحده قدوةً وأسوةً، وتحليل ما أحلّه، وتحريم ما حرّمه، وألا يعبد الله جلّ وعلا إلا بما شرع نبيه. هذه هجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان به، واتباعه، واعتقاد ختم النبوة به، وأن عبادة الله لا تكون إلا بهديه وشرعه وسنته.

هاتان الهجرة واجبتان على كل أحد من المكلفين من الإنس والجن، ومن لم يهاجر هاتين الهجرة اللتان هما مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله؛ وهي الهجرة إلى الله. ومقتضى شهادة أن محمداً رسول

الله، وهذه هي الهجرة إلى رسول الله. من لم يشهد هاتين الشهادتين، ولم يهاجر تلك المهجرتين، فهو من الأشقياء، أهل النار.

ومن شهد الشهادتين وهاجر المهجرتين، فقد طرق باب السعادتين، وولج دار الحسنين في الآخرة والأولى. وهو المعنى الذي شرحه وفصله بتوسع كبير الإمام ابن القيم عليه رحمة الله في كتابه الذي من عنوانه تفهم فحواه ومحتواه؛ وهو كتابه المسمى: "طريق المهجرتين وباب السعادتين".

المهجرتان هجرة إلى الله بعبادته وحده لا شريك له. ما طريق ذلك؟ وهجرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالإيمان به، واتباعه، واتخاذ أسوة. ما طريق ذلك؟

فمن طرق طريق المهجرتين، أو سلك طريق المهجرتين طرق باب السعادتين؛ السعادة في العاجلة والسعادة في الآجلة. السعادة في الحياة الدنيا والسعادة في الحياة الآخرة.

والهجرة الثالثة والنوع الثالث من الهجرة، هي ما ضُمن معنى الانتقال من مكان إلى مكان. وقسموها قسمين:

القسم الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن. إذا كان المسلم لم يأمن على دينه، أو نفسه، أو ماله، أو عرضه بأرضٍ، فعليه أن يطلب له أرضاً يأمن فيها على هذه الأمور الأربع. أولها وأجلها دينه، ثم دمه وماله وعرضه.

فحيثما تعرضت هذه الأمور الأربعة _ وأجلها الدين _ للخوف واحتمال التفويت فيما يُسلط على المؤمنين في أرض ما من الأرض من عذاب، أو مضايقة، أو تشديد، أو تخويف، فعليهم كناية مخرجة لهم ليأمنوا على دينهم أولاً، ثم أموالهم ودمائهم وأعراضهم، أن يطلبوا لهم أرضاً يأمنون فيها.

ولذلك ما عذر الله جلّ وعلا من زعموا أنهم كانوا من المستضعفين في مكة في أيام دعوة النبي صلى الله عليه وسلم. ما عذرهم لأن الاستضعاف ما تحقق فيهم كما ينبغي، وكان بإمكانهم الخروج من الدار التي خُوفوا فيها، والدار التي أودوا فيها، والدار التي لم يأمنوا على دينهم وأموالهم وأعراضهم فيها إلى أخرى يمكن أن يأمنوا فيها على دينهم وأموالهم وأعراضهم وأنفسهم. ولذلك يقول جل وعلا في سورة النساء: ﴿إِنَّ

الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾⁽¹⁾ فادّعوا أنهم كانوا مستضعفين.

(1) النساء: 97.

وهذا الاستضعاف أدى بهم ربما إلى أن يفقدوا دينهم أو شيئاً منه، أو كثيراً منه بدعوة أنهم مستضعفين، ومخوفين، ومؤذون. ولكن هذا العذر ما قُبِلَ لهم لإمكان أن يتركوا ويهجروا ويخرجوا من الدار التي خُوفوا فيها إلى الدار التي يمكن أن يأمنوا فيها. ما ضاق عليهم السبيل بعد.

﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ﴾ جواب الملائكة لهم: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا

فِيهَا﴾ ولم يحدّد داراً معينة؛ لأن المقصود طلب الأمن على النفس والدين والعرض والمال. فحيثما وُجد، فهذا هو المهاجر على نص الآية: ﴿فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾⁽¹⁾.

واستثنى الله من هؤلاء الذين تحقق فيهم فعلاً الضيق، بحيث أنهم لم يستطيعوا أن يطلبوا لهم مكاناً

آخر ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَّا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ (98)

﴿فَلَوْلِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا﴾⁽²⁾ ولذلك اشترط العلماء لجواز الهجرة من دار الخوف والرهب وعدم الأمن إلى دار الأمن، اشترطوا شروطاً.

الشرط الأول: أن يتحقق الخوف، وتتحقق الفتنة، ويتحقق الأذى. ليس بمجرد الظنون أو

بالاحتمالات والتوقعات. ما تبنى الأحكام الشرعية على الظنون والاحتمالات والتوقعات، أن يتحقق ذلك فعلاً، ويقع الخوف وعدم الأمن على الدين أولاً، ثم على ما لا تقوم الحياة إلا به من النفس والعرض والمال بالنسبة للمؤمنين والمسلمين.

فإذا تحقق الخوف فعلاً، وضاق السبيل، عليهم أن يأمنوا على هذه الأمور الأربع، وجب عليهم

النقلة حتى لا يفتنوا في دينهم، ولا يعرضوا أنفسهم إلى ما لا قبل لهم به من الأذى الذي ربما مع كثرة التخويف يؤثر ذلك سلباً على دينهم كما هو معلوم معروف.

فإذا تحقق مقتضى الخوف بهذه الطريقة، وجب عليهم الهجرة والترك. إلى أين؟ إلى حيثما يأمنوا على

دينهم فيعبدوا الله بدون ضغوط عليهم، وبدون يعني تخويف، وبدون فتنة يفتنون بها عن دينهم، ويأمنوا بعد ذلك على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم. وهذا ما وقع أيام الصحابة رضي الله عنهم، لما أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الأولى إلى أرض الحبشة. هذا قبل الهجرة الثانية إلى المدينة.

لما اشتد أذى المشركين على أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، كان أصحاب النبي عليه الصلاة

والسلام على أنواع:

(1) النساء: 97.

(2) النساء: 98-99.

- منهم من هو شريف في قومه، أثير عندهم، فامتنع من الأذية بحسب عشيرته كالصديق أبي بكر كان شريفاً في بني تميم وكعمر وعثمان وأمثالهم.
 - ومنهم من كان يعني صاحب شكيمة وصاحب قوة، بحيث يستطيع أن يمنع نفسه كحمزة مثلاً ومن على شاكلته.
 - ومنهم البقية المستضعفين، الذين لا خطر لهم في قبائلهم. فقبائلهم أهملتهم ولا تدخلت حتى بمقتضى العنصر القبلي والعصبية القبلية لحمايتهم من أذى وطغيان المشركين، وليس عندهم من القوة والمكينة والشوكة ما يدفعون عن أنفسهم، والضغط شديد، والتخويف متتابع، وتعذيب، وفتنة عليهم، وربما تحت الضغط يؤثر ذلك على إيمانهم وعلى إخلاصهم، وعلى ربما حتى يرتد بعضهم، فقد حصل لبعض من فُتن في مكة.
- فكان المخرج من هذا الحال أن أذن لهم النبي صلى الله عليه وسلم. قال لهم اذهبوا إلى أرض يقال لها أرض الحبشة. ليش اختار أرض الحبشة من غيرها؟ مع أن أرض الحبشة أرض باعتبار سكانها على ملة النصارى، وهم بالاعتبار الشرعي الإسلامي أيضاً يشملهم اسم الكفار، أليس كذلك؟ وإن كانوا النصارى نوعاً ما أحسن حالاً باعتبار سابقة كتابهم من الوثنيين، لكن اختيار الحبشة لا لأجل أنهم أهل كتاب، ولا لأجل اعتبارات شرعية دينية، بقدر ما أنها دار أمن. فإن فيها ملك كما قال لهم صلى الله عليه وسلم لا يظلم عنده أحد.
- وما دام لا يظلم عنده أحد، إذن الأمن متحقق فيها على الدين يعبدون الله يعني براحتهم دون ضغوط، ولن يتدخل عليهم أحد بإرهاق، أو تعذيب، أو فتنة، أو شيء من هذا القبيل.
- فاختيار أرض الحبشة في ذلك الوقت كان لأجل طلب الأمن، فهي تدخل في هذا النوع. الهجرة: ترك دار الخوف والرهب والرعب، التي لا يأمن فيها المؤمن على تلك الأمور الأربع التي لا قوام له إلا بها _ وأهمها دينه _ إلى أرض يأمن على نفسه فيها.
- فهاجر كما هو معلوم سبعون من الصحابة أو نحو هذا العدد إلى أرض الحبشة، واستقروا فيها، وأمنوا فيها أيضاً إلى أن رجعوا بعد ذلك بدرجات متفاوتة.
- وهذا الحكم قد يحتاجه بعض المسلمين في الوقت الحاضر. فقد يضايق المسلم في دينه مضايقة شديدة، أو يخشى على نفسه، أو على عرضه، أو على ماله نظراً لطغيان الكفر. حتى في البلاد التي ربما تسمى جغرافياً يعني العالم الإسلامي، قد يقع فيها من الإرهاق والإزهاق والفتنة ما لا يقع نظيره حتى في البلاد الكافرة الصرفة.

فهنا يحتاج لهذا الحكم بعض من فتنوا في دينهم، فرمما يحتاجوا إلى أن يخرجوا هنا وهناك طلباً لنوع من الأمن على دينهم، ليعبدوا الله جل وعلا على بصيرة كما شرع الله، لا كما اصطاح عليه الناس. واصطلاحات الناس لا تغير أحكام الله جل وعلا. ويأمنوا ثانياً على أنفسهم من الإزهاق، وعلى أعراضهم، وعلى أموالهم.

فإذا تحقق موجب الخوف بالطريقة التي ذكرت وشرطها العلماء، وخيف على أحد هذه الأربع، أو عليها كلها وهي في الغالبة متلازمة، فإن الفتنة في الدين، أو ضغط الفاتنين في الدين، سيؤدي بهم طغيانهم إلى أن يضغطوا على المسلم بتعريض حياته للخطر، أو ماله أو عرضه ليكسبوا فتنته كما قال الله جل وعلا عن الفريق الأول في قصة أصحاب الأخدود: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا﴾⁽¹⁾.

النقمة التي بينهم أنهم آمنوا بالله، فتسلط عليهم الكفار يريدون ليرجعونهم إلى ملتهم الكافرة، واستخدموا وسيلة الضغط وهي التحريق بالنار. ليس قتل فقط؛ بل اختاروا صورة من أبشع صور القتل، ليكون ذلك وسيلة الضغط شديدة عليهم، ليصدوهم. ولذلك يقول جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾⁽²⁾ أي فتنوهم بالضغط عليهم، بتعريض حياتهم للإحراق والقتل والخطر. فمثل هذه الأحوال، يضطر المؤمن إلى أن يلجأ إلى هنا وهناك ليأمن على دينه أولاً، ثم نفسه وماله وعرضه فيبقى الحكم مستقراً متى يلجأ إليه ويحتاج إليه كل مسلم، متى وجد تحقق موجب الخوف والرهب والرعب، وطلب له مكاناً يأمن فيه على دينه ونفسه وماله وعرضه. والقدوة في ذلك هجرة الصحابة إلى الحبشة.

النوع الثاني من النقلة من المكان إلى مكان آخر؛ الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام. الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام، وهذه شرعها النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الثانية من مكة إلى المدينة، لما رفض أهل مكة الاستجابة للنبي عليه الصلاة والسلام، ورفضوا ترك عبادة الأصنام والأوثان، ورفضوا الإسلام، وما وجد النبي مجالاً لينشر دعوته وينشر ملته عليه الصلاة والسلام إلا أن ينتقل من هذه الدار التي كانت في ذاك الوضع وتلك الحالة دار كفر، إلى دار الإيمان وهي المدينة التي آمن جلّ أهلها قبل أن يهاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم، والذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن

(1) البروج: 5-8.

(2) البروج: 10.

قَبْلَهُمْ (1) أي قبل أن يهاجر إليهم المهاجرون، فتحقق في المدينة اسم دار الإسلام قبل أن يهاجر إليهم. فكانت النقلة من مكة إلى المدينة واجبة في تلك الحالة عينياً لا رخصة لأحد في تركها، حتى ولو كان آمناً على نفسه، حتى ولو كان آمناً على دينه.

الآن اختلف مناط الحكم. مناط الحكم في النوع الأول الأيمن، وطلبه عند تحقق الرهب والرعب والخوف. لكن مناط الحكم في الهجرة الثانية، هو النقلة من دار الكفر؛ لأنها دار كفر على أي نوع كان هذا الكفر وثنياً كان، أو يهودياً، أو نصرانياً، أو ما كان، إلى دار الإيمان ودار الإسلام التي يقام بها أمر الله جل وعلا، ويعبد فيها الله وحده لا شريك له.

هذه وجوب عيني، ولا يُعذر أحد في تركها حتى ولو كان كما قلت لكم آمن. ولذلك هاجر كبار الصحابة ممن لم يحتاجوا إلى الهجرة الأولى كالصديق أبي بكر وذاته النبي صلى الله عليه وسلم، وبعض من كانوا من أشرف قريش ممن أسلموا، الذين ما احتاجوا إلى الهجرة الأولى؛ لأنهم كانوا ممتنعين إما بقبائلهم، وإما بما كان لهم من قيمة وشرف في مجتمعاتهم، وإما بشكيمتهم وقوتهم كحمزة وعمر وأمثالهم. هؤلاء لما لم يحتاجوا إلى النوع الأول، تركوه ما هاجروا. لكن النوع الثاني صار حكم شرعي، يلزم كل مسلم في تلك الحالة وفي كل حالة تشابهها أن ينتقل من الدار التي لا يعبد فيها الله، أن ينتقل من الدار لا يقام فيها أمر الله إلى الدار التي يعبد فيها الله وحده لا شريك له، ويقام فيها أمر الله. أي دار الكفر يتركها إلى دار الإسلام.

ولا يجوز لمسلم متى تحقق المنطقتان _ دار الكفر ودار الإسلام _ أن يبقى بين الكفار، أو في دارهم لا ينتقل إلى دار الإيمان، لا يجوز ذلك في حقه. لذلك أصّل النبي عليه الصلاة والسلام هذا الحكم بقوله في الحديث المشهور المعروف: **((أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ))** (2) ليه؟ لأنه صار فيه دار إيمان، يقام فيها أمر الله، ويقام فيها حكم الله أي في المدينة في ذلك الوقت، ويعبد فيها الله وحده لا شريك له، والدين عموده ظاهر، ومناره باهر، وإلى آخر هذه المقتضيات. فما كان فيه هناك مبرر لمسلم أن يعيش ويبقى عائشاً بين الكفار، سواءً كان في مكة أو في غيره. لذلك أعلن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحكم، فأصبح موجوباً عينياً على كل مسلم في مثل هذه الحالة.

(1) الحشر: 9

(2) سنن الترمذي، باب ما جاء في كراهية المقام بين أظهر المشركين رقم: 1530

لكن هنا ملحظ وهو الهجرة من ذات مكة باعتبارها كانت دار كفر في ذلك الوقت، إلى ذات المدينة النبوية التي كانت في ذلك الوقت هي دار الإسلام، انقطع وانتهى بعد فتح مكة. ليه انقطع وانتهى؟ لأن مكة ذاتها بعد الفتح شملها اسم دار الإسلام ولا لا؟

هُدِمت الأصنام، وأبطل الله دين المشركين، وعُبد الله وحده لا شريك له. فمن أراد أن يهاجر بعد فتح مكة إلى المدينة، الهجرة في ذلك الوقت ما أصبح لها مبرر.

ولذلك لم جاءه رجل من أشجع، حديث في صحيح مسلم. جاء رجل من أشجع من قبيلته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: أبايعك على الإسلام والهجرة. هذا بعد فتح مكة. قال: أما الإسلام فنعم، أما الهجرة فلا هجرة بعد الفتح.

هذا ليس إلغاء لأصل الحكم. لاحظ هذه النقطة التي أريد أنبهك إليها. ليس إلغاء لأصل الحكم؛ وهو النقلة أو وجوب النقلة من دار الكفر إلى دار الإسلام. هذا الحكم سيبقى إلى يوم القيامة متى تحقق أن هذه دار كفر وهذه دار إسلام. لكن الهجرة المخصصة، الهجرة من مكة إلى المدينة، أو الهجرة من نواحي أطراف العرب إلى المدينة باعتبار أن المدينة قبل أن تُفتح مكة وينتشر نور الله في الجزيرة، كانت المدينة فقط هي دار الإسلام وما عداها وثنية يعبدون الأصنام بما فيها مكة.

فلما فُتحت مكة، وكان فتحها علامة على سقوط الوثنية ورموزها وأصنامها من جزيرة العرب بعد ذلك كلها، ما أصبح للهجرة معنى في ذلك الوقت من مكة إلى المدينة.

أصبح كل مؤمن كل مسلم في أي أرض من أرض الجزيرة في ذلك الوقت في دار الإسلام؛ لأن اسم الإسلام وحكم الإسلام وشرعة الله ودين الله جل وعلا، أصبح هو المقام فيها والحاصل فيها.

أما أصل الحكم؛ وهو الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام متى وُجدت، فهو لازم وواجب ، ويجب المصير إليه متى تمايزت دار الكفر عن دار الإسلام ودار الإسلام عن دار الكفر.

قوله على اعتبار أصل الحديث بدون الاختصار: **(فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِيَ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ)**

الأصل أن يغاير بين الشرط وجوابه. انتبهتوا وللا لا؟

إذا أتيت بأسلوب الشرط في اللغة العرب، أن يكون جواب الشرط مغاير لفعل الشرط في اللفظ

ومغاير له في المعنى. انتبهتوا ولا لا؟

فكان الأصل أن يقال: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فله الثواب مثلاً وله الأجر العظيم وله... كمن يقول مثلاً: من صلى كذا، حصل على كذا. من بنى لله مسجداً، بنى الله له. ولكن لو قال: من بنى لله مسجداً فقد بنى لله مسجداً، كأنه ما حصل جواب للشرط، إعادة نفس الكلام. هنا ورد هذا الجواب في السؤال: من كانت هجرته لله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله. كأن الجواب لم يأت بعد. انتبهت لمورد السؤال؟ بماذا أجاب الأئمة؟

شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمه الله أجاب بما يلي. فقبل أن اقرأ جوابه، شيخ الإسلام ابن تيمية له شرح ضافٍ وافٍ واسع في هذا الحديث؛ حديث الأعمال بالنيات، باعتبار أن هذا الحديث كما قلت لكم في الدرس الماضي أصل من أصول الشريعة، من أصول الملة. فاهتم به شيخ الإسلام ابن تيمية وشرحه شرحاً وافياً. مطبوع في ضمن الفتاوى في الجزء الثامن عشر. مطبوع في "المجموعة المنيرية" أيضاً الجزء الثاني، ومطبوع مستقلاً في رسائل كثيرة.

يقول شيخ الإسلام: "ليس هذا تحصيل حاصل كما قد يُظن" فقد يقول قائل: فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله هذا تحصيل حاصل. جواب الشيخ يقول ابن تيمية يقول: "ليس هذا تحصيل حاصل كما قد يُظن، ولكنه إخبار بأن من نوى شيئاً، فقد حصل له ما نوى. فمن قصد بهجرته الله ورسوله، حصل له ما قصده، وهو تفصيل بعد إجمالٍ مضى".

الإجمال: الأعمال بالنيات. هنا تفصيل (من كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله

ورسوله...) يفصل أو كما تقول والتفصيل قد يكون بضرب المثل، وذكر النماذج. انتبهتوا ولا لا؟

قد تذكر قاعدة ولست في حاجة أن تذكر كل ما يدخل تحتها. أنت تذكر مثل، مثلين، ثلاثة

ليقيس السامع على هذه الأمثلة بجامع تلك القاعدة. هذا أسلوب في التفهيم معلوم، وهو مسلوب في هذا الحديث: **((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى))** هذه القاعدة عامة.

يحتاج السامع إلى نوع من الأمثلة، أتى النبي بالأمثلة (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله) وقس

عليها من كانت صلواته لله فصلاته لله، من كان صيامه لله فصيام... يعني كل عمل صالح يُقصد به الله،

فإلى الله وثوابه عند الله واحتسابه إلى الله وهو أكرم الأكرمين سبحانه وتعالى، لا يخطر في ظنك أنه

سيهضمك أو سيظلمك؛ بل سيكافئك بأعظم بكثير مما عملت، وهذا هو الظن بالله سبحانه وتعالى.

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) فهو

تفصيل بعد إجماع كما أجاب الشيخ.

ابن دقيق العيد في شرحه على عمدة الأحكام، المسمى "إحكام الأحكام شرع ذات الأحكام" يقول: لا بد من تقدير في الكلام. ابن دقيق العيد يقول: "نعم الأسلوب فيه نوع من الاختصار، لكن الكلام الفصيح من عادة العرب الاختصار، والسامع يقدر".

السامع يقدر هذا المختصر بحسب فهم الكلام العربي. يقول: "لا بد من تقدير في الكلام، فيكون التقدير كما يلي" _ على كلام ابن دقيق العيد _ يقول: "من كانت هجرته إلى الله ورسوله نية وقصدًا، فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً".

وهذا كلام صحيح، وهو يوافق في الجملة كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. من قصد بالهجرة، سواء سعى للهجرة إلى الله بالعبادة، أو الهجرة إلى الرسول بالإتباع، أو النقلة من دار الكفر إلى دار الإسلام، أو مضى إلى الأعمال الصحيحة، إذا قصدت بها الله ثوابه وأجره وإحسانه وفضله. إذا كان هذا قصدك، فالنتيجة فهجرتك إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً، وبالتالي ثواباً وأجرًا ومكرمةً ورفعةً ودرجات ونعيم لا يحيط لك على بال.

الحافظ شهاب بن حجر في الفتح عندكم هنا يقول: "التغاير لا يشترط أن يكون في اللفظ، فقد يكون في اللفظ وهو الأصل. لكن قد يكون أيضاً في المعنى ويفهم ذلك من السياق" يعني قطعاً النبي لما يقول: من كانت هجرته للنبي ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ما يريد يكرر نفس الجملة.

الكلام الفصيح يأبي تكرار كلام، ويبقى ناقصاً؛ لأن إذا استخدمت أسلوب الشرط، لا يكون كلامك فصيحاً مؤدياً الغرض إلا أن تأتي بالشرط وجوابه تماماً كالمبتدأ والخبر، ما يكون كلامك كاملاً إذا لم تأت بخبر. لكن قد يحذف الخبر، وأنت تقدره. قد يُحذف وأنت تقدره.

أما يقولون في إعراب كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" يقول: "لا": نافية للجنس، و"إله": منصوبة على أنها اسم، أو مبنية على النصب على أنها اسم لـ "لا" النافية للجنس. و"لا" النفي بشكل عام إنما تحتاج خبر. الاسم هو "إله" أين الخبر؟ كلهم يقولون محذوف في اللفظ، لكن مقدر في المحل. أي لا إله بحق أو حقيق أن يعبد أو جدير أن يعبد إلا الله.

فأنت بحكم فهمك اللسان العربي والكلام الفصيح يُقصد فيه الاختصار كثيراً، وتقدير الخبر كثير في لغة العرب، وتقدير جواب الشرط أيضاً كثير، وهذا يفهم من السياق.

فالحافظ يريد أن يقول: نعم جواب الشرط قد يكون لفظياً، فلا بد أن يكون مغايراً لفعل الشرط في الألفاظ. لكن قد يكون معنوياً وتفهمها أنت من السياق، والتقدير: قدر ما شئت.

من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيةً وقصدًا، فهجرته إلى الله ورسوله حكماً وشرعاً. من هاجر إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله أي ثواباً وأجرًا. حطّ ما شئت من تقديرات، تحقق المقصود العام والفحوى العامة.

فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، مع ملاحظة يقول الإمام ابن القيم: "كثير من الأعمال الشرعية الصالحة التي جاء الترغيب فيها، يُذكر فيها عين الأجر" يعني الله عز وجل ورسوله إذا رغب الله المؤمنين، أو رغب الرسول المؤمنين في عمل ما، قد يذكر الأجر المترتب عليه. أليس كذلك؟ مثلاً حين يقول: **((مَنْ بَنَى مَسْجِدًا لِلَّهِ بَنَى اللَّهُ لَهُ فِي الْجَنَّةِ))** ⁽¹⁾ حدّد الأجر.

لكن في بعض الأعمال لا يحدد الأجر، ويوكل إلى الله جل وعلا. هل هذا بخس لهذا العمل أم أنه إجلال له ورفع له عن غيره؟ كيف تفهم؟ مثلاً عندما يقول الحديث القدسي: **((إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ))** ⁽²⁾ هذا تفخيم لأمر الصوم وتعظيم له على غيره، وإلا حطّ من منزلة الصوم عن غيره؟ كل عمل بني آدم له الحسنة بعشر إلا الصوم، قال اتركوا الصوم لي وأنا أجزيء به، ولم يحدد جزاءً معيناً. هذا تعظيم لأمر الصوم؛ لأنه أوكّل الثواب إليه جل وعلا. والله جل وعلا من أسمائه الشكور والشكور هو الذي يعطي من الأجر أكثر من ذات العمل، الذي يعطي من الأجر ويكافئ على الأجر على العمل بأكثر منه م. هذا معنى كلمة الشكور؛ لأن معنى الشكر هو النماء والزيادة في أصل اللغة. فإذا قدّمت عملاً قليلاً، قدم الله لك ثواباً كثيراً، خصوصاً وقد أوكّل الثواب إليه جل وعلا وهو الجواد الكريم الشكور الذي يعطي بلا حساب سبحانه وتعالى.

وكذلك الصبر **﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾** ⁽³⁾ هذا تعظيم لأمر الصبر، فجعله بغير حساب وغير تحديد معين وهكذا.

فهذا من هذا المعنى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، لم يحدد ثواباً معيناً. ما قال لك فله كذا، أول له الجنة. الجنة قد تصل لها بصلاة ركعتين خالصة لله جل وعلا، إذا قبلها الله سبحانه وتعالى. لكن يريد أن يضحّم أمر الهجرة بمعانيها كلها: الهجرة إلى الله بالعبادة، والهجرة للرسول بالإتباع، والهجرة إذا احتيج إليها من دار إلى دار.

(1) صحيح مسلم، باب فضل بناء المساجد رقم: 5298

(2) صحيح البخاري، باب ما يذكر في المسك رقم: 5472

(3) الزمر: 10

(فهجرته إلى الله ورسوله) إذن لا تسعى لأجر، فإنه أجر عظيم وكفى بالله جلّ وعلا مثيباً وكفى

به كريماً جواداً وهو أهل للتقوى وأهل للمغفرة سبحانه وتعالى.

ثم قال: **(فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا)**، كلمة **(دنيا)** يقول: فُعلَى من الدنو؛ فُعلَى. سميت

دنيا، بعضهم قال سميت دنيا لأنها أسبق، مقدمة على الدار الثانية الأخرى التي هي المصير الذي سينتظر الخلق؛ الدار الآخرة.

سميت دنيا لأنها سابقة لها متقدمة عليها، وهذا صحيح. وبعضهم قال: سميت دنيا لانحطاط منزلتها

عن الدار الآخرة، أي من الدنو وهو الانحطاط والسفول، وهذا حق قال الله جل وعلا: **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا**

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾⁽¹⁾ متاع بسيط زهيد، لا مجال بأن يقارن المسلم بين الدنيا الفانية الزائلة المنحطة هذه، وبين ما ينتظر المؤمنين في الدار الآخرة.

في طرفي الثواب والعقاب حتى، أشد آلام الدنيا وبؤسها وشقاءها لا يقارن بما ينتظر الكفار والمجرمين

والظالمين من العذاب الأليم والنكاد الشديد.

وأعظم نعيم في الدنيا يمكن أن يتصور أو يقع فعلاً، لا يُقارن بأبسط ما في نعيم الآخرة مما أعده

الله. يعني هي منحطة في طرفي الثواب والعقاب. ألم يقل نبينا صلى الله عليه وسلم في حديث أنس بن

مالك وهو في الصحيحين متفق عليه، يقول: **((سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: يُوْتَى يَوْمَ**

الْقِيَامَةِ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ)) أنعم إنسان عاش في الدنيا في غاية الترف، والنعيم، والراحة،

والأنس، واللهو. أنعم إنسان تخيل هذا، لكنه من أهل النار لفسوقه وكفره.

قال: **((فيغمس في النار غمسة واحدة))** أنت تعرف أن الغمس يدخل هكذا، ثم يرفع مباشرة. ما

مسه شيء، فقط رآه ونظر أهوال ما كان يتصورها أصلاً، ثم رُفِعَ فْقِيلَ لَهُ: **((أَيُّ عَبْدِ اللَّهِ هَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا**

قَطُّ، فَيَقُولُ لَا وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ نَعِيمًا قَطُّ)) يعني ستين أو سبعين سنة عاشها في الدنيا وهو أنعم إنسان

ضاعت كلها في غمسة واحدة. أما إذا قيل: **﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ (8) فِي عَمَدٍ مُّمدَّدةٍ﴾**⁽²⁾ إيش

يقول! إذن لا مقابلة.

في الصلوة الثانية يقول عليه الصلاة والسلام: **((ويؤتى يوم القيامة بأبأس أهل الدنيا من أهل**

الجنة)) أشقى إنسان، حياة كلها بؤس وفقر ونكد وشقاء وهم وغم. وأنت تعرف البؤس وما يجلب من

(1) الرعد: 26

(2) الهمزة: 8-9

تعاسة على النفوس. سواءً كان فقراً مدقعاً، أو عدواناً أو يعني بؤس، لكنه من أهل الجنة صبر واحتسب وقضى هذه الحياة حتى مرت وعدت. فيغمس يؤتى بهذا البئس الذي عاش في الحياة الدنيا أبأس إنسان، ((فيغمس في الجنة غمسة واحدة)) يدخل هكذا فيرى ملكاً ما كان يخطر له في التصور حتى و الخيال، ثم يقال له: **((أي عبد الله هل رأيت بؤساً قط، هل مرت بك شدة قط، فيقول: لا والله ما رأيت بؤساً قط ولا مرت بي شدة قط))**⁽¹⁾.

إذن حسابات الدنيا تسقط تماماً في طربي النعيم والترف، وفي طرف أيضا البؤس والشقاء إذا قورن ذلك بما أعهده الله من نعيم للمؤمنين، وحجيم لأعدائهم من الكافرين والظالمين والمجرمين عفانا الله وإياكم.

إذن الدنيا لا نخطاطها وسفول أمرها، بالنسبة إذا قيست بالحياة الآخرة العظيمة الباقية الخالدة. أيضاً سميت دنيا لاعتبار ثالث أيضاً. قلنا:

● الاعتبار الأول: لأنها سابقة متقدمة على الآخرة وهذا صحيح.

● والاعتبار الثاني: في تعليل سبب تسميتها الدنيا لانخطاطها وسفولها ودنو شأنها بالنسبة للآخرة.

● الاعتبار الثالث: قال سميت دنيا لدنوها وقربها إلى الزوال. يدوبها راحت لا خلود فيها، ولا تستقر

لك على حق. أليس كذلك؟ أقرب شيء إلى الزوال الحياة الدنيا كما وصفها الله جل وعلا مثل مطر نزل، فانبت في الأرض نبات ثم عما قليل هشيماً تدره الرياح. انتهت ما كأنها وُجدت. وهي أقرب ما يكون إلى الزوال والفناء.

فالعاقل إذن المؤمن الراشد لا يقدم الزائلة الدانية السافلة المنحطة، على الخالدة الباقية الدائمة الجليلة

الشريفة، والمسألة واضحة، والمعادلة بسيطة. والسعيد من وفقه الله جل وعلا. هذا سبب تسميتها دنيا.

قالوا بأنها ممنوعة من الصرف من الناحية اللغوية للعلمية؛ لأنها علم، والتأنيث. وإذا اجتمعت علتنا

العلمية والتأنيث، يمنع الاسم من الصرف، فلا يظهر عليه التنوين. وإن كان حكى صاحب القاموس وجهاً بتنوينها. قال: "روي عن بعض العرب في شعرهم أنهم نونوها فصرفوها، وحكى شاهد على ذلك قول المثلم بن الرياح المري:

إني مقسم ما ملكت فجاعل
جزءاً لآخرتي ودنياً تنفع

فنون "دنيا" وهي لغة مسموعة عن بعض العرب.

(1) مسلم (2807) عن أنس بن مالك.

(فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا) ولاحظ هنا أتى بكلمة (دنيا) مجردة من التعريف، أي نكرة: دنيا. لم يعرفها، لم يقل: "إلى الدنيا" أو إلى دنيا وأضافها إلى شيء معين؛ لأن التعريف في الأسماء لا بد أن يكون إما بـ "ال" أو بالإضافة. هنا لا "ال" ولا إضافة، فهي نكرة، والنكرة يؤتى بها لإفادة العموم. فأى مقصد من أمور الدنيا قصده ينطبق عليه هذا المعنى.

(إلى دُنْيَا يُصِيبُهَا) أي كان مالا، شرفاً، مجداً معيناً.. أي شيء لكنه في حدود الدنيا لا علاقة له بأمر الله جل وعلا يقصده ليصيبه، فهجرتة بحسب قصده. سواءً أصاب ما قصد أو لم يصبه. أي لا ثواب له عند الله، ولا حظ له في الدار الآخرة **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا﴾**⁽¹⁾ هذا هو حكم الله سبحانه وتعالى.

ثم يأتي بعد ذكر الدنيا من باب ذكر الخاص بعد العام، وهذا يكثر في الكلام العربي. ويذكر

الخاص بعد العام تأكيداً عليه واهتماماً به، ولكونه له سمة معينة عن نظائره. قال الله جل وعلا:

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ ثم قال بعدها: **﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾**⁽²⁾ حافظوا على الصلوات كافية، كل

صلاة حافظوا عليها. لكن أعاد ذكر الصلاة الوسطى تأكيداً عليها، واهتماماً بها، وتنوياً بشأنها.

وأمثالها **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾** ثم قال: **﴿وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ**

مَرْيَمَ﴾⁽³⁾ مع أن الجملة الأولى كانت كافية، أخذ من النبيين، لكنها أكدها بأن هؤلاء الخمسة المذكورين

يعني متميزين على غيرهم باعتبارهم أهم أولي العزم من الرسل، ورسائلهم هي أبرز رسائل الأنبياء

وأعظمها مقداراً، خصوصاً رسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

فذكر قول: **(أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا)** من باب ذكر الخاص بعد العام؛ لأن الفتنة بالنساء كما قالوا

أعظم ربما من الفتنة بالمال، وأعظم من الفتنة مثلاً بالطعام أو باللباس أو بالدار أو بالمراكب أو غيرهم.

الفتنة بالنساء فتنة عظيمة، ومن لم يعصمه الله جل وعلا منها، فإن المنزلق فيها خطير. والعالم الحاضر

شاهد على هذا الأمر في الاستخدام السيئ للمرأة في الإغواء، والفتنة، والإضلال، ونحو ذلك، وفتح باب

الشهوات على مصراعيه، عفانا الله وإياكم.

(1) هود: 15-16

(2) البقرة: 238

(3) الأحزاب: 7

قلت في أول درس في بداية شرح الحديث أن بعض الشراح ربط بين هذا؛ حديث: (إنما الأعمال بالنيات) وبين قصة الرجل الذي هاجر ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس. وحديث أخرجه الطبراني وغيره من حديث ابن مسعود قال: **((خطب رجل امرأة مهاجرة فأبت إلا أن يهاجر، فهاجر ليتزوجها فسميها مهاجر أم قيس))**⁽¹⁾.

الناس يهاجرون إلى الله ورسوله وإلى الجهاد، وهذا يهاجر ليتزوج فلانة. فهي صارت مقدر فيه أو يعني غضباً من شأنه في ذلك الوقت، لما كان الناس يهاجرون لا لشيء، تركوا أهلهم، ومنهم من ترك نساءهم اللاتي أبين أن يسلمن أو يهاجرن، منهم من ترك ماله، وتركوا عشائهم، وتركوا أوطانهم طلباً لأجل الله وثوابه. أليس كذلك؟ وهذا عكس الموضوع.

قصة مهاجر أم قيس صحيحة وواردة، لكن لا علاقة لها بهذا الحديث أنهم ربطوا فقالوا النبي حدث بهذا الحديث لأجل قصة مهاجر أم قيس. فجعلوا سبب ورود حديث الأعمال بالنيات ما جرى من تلك القصة.

والحقيقة أنه لا علاقة لهذه بهذه وإن كان فيها ارتباط معنوي أو علمي. فإن كل من قصد شيئاً بهجرته، أو قصد شيئاً بعموم عمله، فله ما نوى.

(أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) أي لن يحصل إلا ما قصد من الدنيا التي يريد إصابتها، أو المرأة التي يريد ينكحها، وقد لا يحصل فيفوته لا أمر الدنيا ولا أمر الآخرة، كما قال الله جل وعلا: **﴿حَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾**⁽²⁾ نكتفي بهذا القدر في حديث النيات، نقرأ في الذي بعده.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين. قال المصنف رحمه الله تعالى:

باب: (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَنْفِصُمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا

(1) رواها الطبراني في المعجم الكبير (9/103)

(2) الحج: 11

فِيكَلِّمُنِي فَأَعْي مَا يَقُولُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ
الْبُرْدِ فَيَقْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا).

يقول الإمام عليه رحمة الله : (حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ) وعبد الله بن يوسف التنيسي الكلاعي أصله شامي من دمشق، وسكن التنيس بالتشديد "التنيس" وهي بلدة من أعمال مصر على ساحل البحر ولذلك يقال له في بعض التراجم "المصري" باعتبار سكناه ووفاته، وإلا أصله شامي دمشقي. عبد الله بن يوسف بن أحمد التنيسي الكلاعي، أصله من الشام من دمشق. سمع جمعاً من العلماء كمالك، والليث، وسفيان وغيرهم.

انفرد البخاري بالرواية عنه مباشرة من بين الكتب الستة. أصحاب الكتب الستة ما أدركوا عبد الله بن يوسف التنيسي، ولا حدثوا إلا البخاري. مسلم لم يرو عنه شيئاً في الصحيح. وأصحاب السنن: أبو داود، والترمذي، والنسائي رووا عنه لكن بواسطة، ما لقوه مباشرة. فهو يعتبر شيخ شيخه، لم يلقوه مباشرة.

فحصل من هذا أن عبد الله بن يوسف التنيسي، انفرد البخاري من بين أصحاب الكتب الستة بالرواية عنه مباشرة. أما مسلم فلم يرو عنه أصلاً، لا بالمباشرة ولا بغيرها، لم يلقه أصلاً ولم يرو عنه. وأما أصحاب السنن فرووا عنه لكن بواسطة؛ لأنهم ما أدركوه؛ لأنه مات قبل أن يرحلوا إلى مصر ويسمعوا من محدثيها وعلمائها في ذلك الوقت. فرووا حديث عبد الله بن يوسف عن طريق تلاميذه. فانفرد البخاري بهذه الميزة؛ وهو أنه يروي عن عبد الله بن يوسف التنيسي من بين أصحاب الكتب الستة مباشرة. توفي عبد الله بن يوسف التنيسي سنة مائتين وثمانية عشر.

هنا مسألة: عبد الله بن يوسف التنيسي أحد رواة الموطأ عن الإمام المشهور مالك بن أنس. وموطأ مالك زوي عن صاحبه بروايات عدة، بلغت أربعة عشر رواية في رواية الموطأ عن مالك. التي وصلت إلينا منها كاملة، قليلة جداً. التي وصلتنا رواية يحيى بن يحيى الليثي المصمودي؛ وهي الرواية المشهورة التي شرح عليها ابن عبد البر وغيره.

- ووصلت أيضاً رواية القعني؛ محمد بن مسلمة القعني وسيأتي لها ذكر.
- ووصلت رواية عبد الله بن وهب القرشي، أو بعضها ليست كاملة طبعتها.
- ووصلت رواية محمد بن حسن الشيباني فيما أعلم، وبقيتها إما اندثر أو ضاع، لكن مضمنة في الكتب الأخرى.

فأحاديث مالك التي في الموطأ، يكاد يكون البخاري أخرجها جميعاً في الصحيح. أحاديث مالك المسندة المتصلة في الموطأ، أخرجها جميعها تقريباً البخاري في الصحيح. هي ستمائة حديث، هي المتون المسندة الموصولة في موطأ مالك. ستمائة حديث، والباقي بلاغات، وفتاوى وعمل أهل المدينة. أما الحديث المسند المتصل في موطأ مالك، في حدود الستمائة، وأخرجها معظمها أو أكثرها البخاري في الصحيح. لكن البخاري إذا أراد البخاري أن يخرج حديثاً من أحاديث موطأ مالك، يخرج من أحد أربعة طرق أو أربعة رجال.

- إما يخرج من طريق عبد الله بن يوسف التنيسي؛ لأن البخاري سمع موطأ مالك عنه كاملاً.
- وإما يخرج من رواية محمد بن مسلمة القعني، وسيأتي له ذكر وروايات كثيرة. وقد سمع البخاري موطأ مالك من محمد بن مسلمة القعني أيضاً.
- وإما يخرج من طريق عبد الله بن وهب القرشي، فقد سمع البخاري موطأ مالك مرة ثالثة أيضاً عن عبد الله بن وهب القرشي.
- وإما يخرج من طريق ابن أخت مالك؛ وهو إسماعيل ابن أبي أويس الأصبحي، الذي لنا مر ذكر له أثناء درس المقدمة.

هؤلاء الرجال الأربعة هم الذين يخرج البخاري أحاديث مالك عن طريقهم التي في الموطأ. الكلام واضح ولا غير واضح؟ مع ذلك قد يخرج البخاري وهو قد أخرج أحاديث عن مالك ليست في الموطأ. هذه المسألة تنتبهون لها.

فيه أحاديث في الصحيح، وسيأتي التنبيه عليها أخرجها البخاري عن مالك وليس في الموطأ، وهي قليلة. مالك ما كان يحدث إلا بالموطأ في الغالب. لكنه لم ابتداء تصنيف الموطأ، ابتداءً ضخماً كبيراً، ثم ما زال يختصره مالك ويسقط منه، ويختصر ويسقط منه خلال أربعين سنة، حتى استقر على صورته أو صورته الأخيرة.

خلال أربعين سنة، ربما تجاوز مالك أو ترك التحديث بأحاديث كثيرة جداً. ولذلك تتفاوت نسخ الموطأ. رواية محمد بن حسن الشيباني فيها مائة حديث أو مائة وعشرة أحاديث زائدة عن الرواية المشهورة؛ وهي رواية يحيى الليثي. مائة وعشرة هذا الكم يعتبر نوعاً ما كبير.

فربما يخرج البخاري من أحاديث مالك ما ليس في الموطأ. وحيثما يفعل ذلك، فهو يخرج في الغالب الأعم من طريق إسماعيل، فيختفي اسم عبد الله بن يوسف التنيسي؛ لأن روايته من الموطأ. ويختفي اسم القعني، واسم بن وهب القرشي.

وفي الغالب إذا أراد البخاري إخراج حديث عن مالك، ليس من أحاديث الموطأ، وهي نسخ سمعها من عدد من الرواة عن مالك، يخرج من طريق إسماعيل بن أبي أويس الماضي ذكره. وسيأتي لهذا طبعاً تنبيهات بحسب المواضع.

(قَالَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ) الإمام المشهور، أحد فقهاء الأربعة المتبوعين في هذه الأمة. وإمامته وجلالته موضع اتفاق عند الأمة. إمام دار الهجرة عليه رحمة الله. ولد سنة سبعة وتسعين، وقيل خمسة وتسعين، وتوفي سنة مائة وسبعة وثمانين.

مالك لم يهاجر طبعاً خارج المدينة. ولذلك كل حديثه عن علماء المدينة، وهو أدرك عدداً من التابعين. ولذلك تجد في موطئه أحاديث ثنائية، ليس بين مالك والنبي صلى الله عليه وسلم إلا رجلين: التابعي والصحابي فقط، كثير من الطبقة متقدمة، فما احتاج إلى الرحلة لاستغنائه بأحاديث أهل المدينة، وكان فيهم الفقهاء السبعة وكثير من أئمة التابعين.

(عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ) ابن الزبير ابن العوام القرشي الأسدي. هشام بن عروة ابن التابعي المشهور؛ عروة ابن الزبير. هشام بن عروة موثق، تكلم فيه بعضهم بما لا يقدر فيه. وإن كان بعضهم فرق بين حديثه في المدينة وحديثه في العراق. فقالوا: ما حدث به هشام بن عروة في المدينة، فهو حديث مقبول صحيح مضبوط. وما حدث به في العراق، لما ذهب إلى العراق فترة من عمره، حدث فيه نوع من الوهم والتقديم والتأخير.

بعضهم ذكر هذا واعتبر ما رواه هشام في العراق من قبيل الحديث الذي يدخله الخلل ويطرقة الخلل. ولكن كما ستلاحظ عندنا هنا في الصحيح، هشام بن عروة إذا ذكر، مباشرة يأتي بعده اسم والده. فكل ما رواه، أو جل ما رواه البخاري من حديث هشام بن عروة، هو من روايته عن أبيه عروة بن الزبير. ليس فقط في المدينة؛ بل عن أبيه حتى عروة بن الزبير. ولم يرو عن حديثه العراقي شيئاً يذكر.

(عَنْ أَبِيهِ) التابعي المشهور عروة بن الزبير ابن العوام، ابن الصحابي الزبير بن العوام أحد العشرة، وحواري النبي صلى الله عليه وسلم. عروة بن الزبير أحد فقهاء المدينة المشهورين المعروفين السبعة.

(عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ) يكاد يجمع العلماء أن هذا

الحديث من مسند أم المؤمنين عائشة؛ فهي التي حدثت به. تقول هي أن الحارث بن هشام، هي التي ترويه. والحديث كما سمعت هو أسئلة أو سؤال سأله الحارث بن هشام للنبي صلى الله عليه وسلم وأجاب.

فمادام عائشة حدثت، قطعاً تكون قد حضرت السؤال والجواب. قد يكون الحارث بن هشام لما

سأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال: (كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ) وأجابه النبي بقوله: (أَحْيَانًا يَأْتِينِي) إلى

آخر الحديث، أن تكون عائشة حاضرة، فسمعت السؤال وسمعت الجواب، وحدثت. وكانت تقول أن

الحارث سأل وأجاب النبي كذا، وعلى هذا جرى أصحاب الأطراف.

_ أبو مسعود الدمشقي في أطراف الصحيحين، عدّ هذا الحديث من مستند عائشة.

_ المزي، أبو الحجاج المزي في "تحفة الأشراف" في أطراف الكتب الستة، عدّه أيضاً من مسند

عائشة.

_ الحافظ يقول في الفتح هنا بأنه هناك روايات أخرى تدل على أن ربما عائشة لم تحضر هذه

القصة، ولكن سمعتها من الحارث بن هشام. فتارة تسندها عنه، تقول: "عن الحارث بن هشام، قال سألت

النبي " فيكون من رواية من مسند الحارث، أو تحدث عنه مباشرة باعتبار أنها سمعته منه.

فإذا قبلنا _ وهو القول الأقرب إن شاء الله _ أنه من كلام عائشة وحضرت القصة، فلا إشكال

ولا سؤال. وإن كانت لم تحضر القصة وسمعتها من الحارث بعد ذلك، هذا الذي يسمى مرسل الصحابي.

قد نبهت لكم ما معنى مرسل الصحابي في أول درس.

مرسل الصحابي أن يحدث الصحابي حديثاً أو قصة لم يحضرها كأن تكون حصلت قبل أن يخلق أو

يولد، أو حصلت في مكان ليس هو فيه. فيحدث بها بما يشعر أنه سمعها وحضرها. هذا يسمى مرسل

صحابي، محمول على الاتصال بإجماع المحدثين؛ لأن الصحابي قطعاً إما سمعها من النبي صلى الله عليه وسلم

بعد ذلك، أو سمعها من صحابي آخر حضر القصة. وفي كلا الحالين، الاتصال مضمون.

وعادات الصحابة موضع اتفاق، والحمد لله لا تدليس، ولا خشية وهم في أحوال الصحابة رضي

الله عنه وأرضاهم. والأقرب أنه من مسند عائشة وأنها قد حضرت هذه القصة.

يقول: (أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ) هو المخزومي من بني المغيرة بني مخزوم، وهو أخ أبي جهل بن هشام

حامل راية العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم.

الحارث بن هشام من مسلمة الفتح، أسلم عام الفتح، وحسُن إسلامه. هو شهد الفتح بعد ذلك، وكتب الله له الشهادة فاستشهد في غزوة اليرموك مع الروم في آخر خلافة أبي بكر الصديق. هذا الخلاف المشهور في غزوة اليرموك، هل كان سنة ثلاثة عشرة أو كان سنة خمسة عشر، فيه خلاف مشهور. والراجح أنها ثلاثة عشرة في آخر حياة أبي بكر وأول خلافة عمر؛ بل إنه لما انتهت معركة اليرموك، جاءهم الخبر بوفاة الصديق وولاية الفاروق رضي الله عنهم أجمعين.

الحارث بن هشام رضي الله عنه يقول أنه سأل رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ)** هذا السؤال مناسب للترجمة، لما قلنا: "باب كيف كان بدء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا كيف نحتاج فيه إلى عنصريين:

● الأول: البداية: ما أول دفعة من الوحي جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام؟ وهي قصة الغار. وسيأتي في الحديث الذي بعدها وفي حديث عائشة الذي أوله قولها: **(أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا)** (1).

● والعنصر الثاني: أنواع الوحي؛ أي كيف اتصال الملك بالنبي عليه الصلاة والسلام. شرحتها لكم في الترجمة، وقلت أنها فيها جانب غيبي، وجانب حسي. الجانب الحسي: ما يسمع من دويّ وصوت عند النبي عليه الصلاة والسلام حالة اتصال الملك به. إما يكون على هيئة صلصلة الجرس كما هنا في الحديث، أو يكون على صوت دويّ نحل. تعرف دوي النحل لما يجتمع يصدر صوتاً قريب من صوت الجرس وجلجلته. هذا بالنسبة للسامعين الحاضرين الذي ليس لهم إلا عالم الشهادة. أما ما وراء ذلك في كيفية اتصال الملك به، هذا من علم الغيب الذي لا يعرفها الخلق.

فالنبي صلى الله عليه وسلم في الجواب ذكر القدر المشترك بينه وبين عموم السامعين الحاضرين، الذي ليس لهم إلا حظ وعلم الشهادة؛ وهو أن يُسمع عنده دوي وصوت، شُبّه في بعض الأحاديث بصلصلة الجرس كما هنا، وشُبّه في أحاديث أخرى بدوي النحل مع ما يعتري النبي عليه الصلاة والسلام من أحوال خارجة عن المألوف، كأن يحمر وجهه عليه الصلاة والسلام، ويغط غطيظاً شديداً لثقل الوحي عليه، ويتفصد جبينه عرقاً — كما سنقرأ في نفس الحديث — في اليوم الشديد البرد. وفي اليوم الشديد البرد لا معنى للعرق ولا وقت له، ويثقل جداً حتى ولو كان على الدابة تَبْرُك، في قصة زيد بن ثابت لما قال:

(1) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، رقم: 3

(كانت فخدي تحت فخده فكادت أن ترض فخدي) من شدة الثقل الذي نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فأثقل قدم أو فخذ زيد بن ثابت رضي الله عنه. هذه الحوارات كلها هي دلالة اتصال النبي صلى الله عليه وسلم بالملك عليه الصلاة والسلام، أو اتصال الرسول الملائكي بالرسول الإنسي على عبارة العلماء. أما ما وراء ذلك، فليس السؤال عنه وليس الجواب عنه.

(كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ)، لا يسأل عن القضية الغيبية، يسأل عن الأحوال التي تعتره حال ذلك،

أعراض النبي ما قال فصل له في الجوانب الغيبة؛ لأنه لا مجال لذكرها الآن من أمر الله جل وعلا، وذكر له القدر المشترك الذي يشترك فيه هو صلى الله عليه وسلم مع السامعين من الثقل والغط وصوت صلصلة الجرس.

ولا حاجة كما قلت لكم في كلام المتكلمين والغزالي في أن أجزاء هذا الرسول الملائكي تتلطف حتى تدخل في مسام جسد النبي. كلام غيبي كأنه شاهد على الغيب هذا. يعني رجم بالغيب بلا شك. إذن كيف يأتيك الوحي؟ يأتيك الوحي... بعد الأذان نكمل. بسم الله الرحمن الرحيم.

يسأل الحارث بن هشام فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم: **(كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ)** يقول أهل

البلاغة في جملة: **(كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ)** أن فيها ما يسمى بالمجاز الإسنادي أو المجاز العقلي. والتقدير: (كيف يأتيك حامل الوحي) الملك يعني مثل قولهم: أنبت الربيع العشب مثلاً، أو البقلة.

الربيع لا ينبت، الذي ينبت هو الله جل وعلا. لكن الربيع هو ظرف، أو زمن للإنبات، فأسند إليه من باب المجاز العقلي أو المجاز الإسنادي وهو إسناد فعلي إلى ظرفه الزماني أو المكاني أو ملابس له _ كما يقولون _ وإن كان الفاعل غيره. وهذا معلوم ومعروف.

السؤال: كيف يأتيك الوحي أي حامله. الوحي أمر معنوي، والمقصود حامل الوحي؛ وهو الملك

النازل من عند الله جل وعلا بالوحي.

فبهذا نستفيد. طبعاً إذا قبلنا الكلام البلاغي في المجاز، ليس الموضوع تفصيلي، ويسميه بعضهم

"الاستعارة المكنية" استخدام الكناية والاستعارة في هذا المجال على سبيل الاختصار، والفحوى من الخطاب تُفهم. وإن كان الشيخ الإسلام ابن تيمية لا يستخدم مثل هذه الأمور، واستبدالها بنظرية السياق؛ أي سياق الكلام يحدد المعنى.

فإذا قال قائل: أنبت الربيع العشب، قد علم جميع العقلاء أن الربيع ظرف، و لا لا؟ هو زمان، وذلك أن هذا الزمن هو الوقت الذي جرت به العادة في النبات، في كثرة المطر وكذا. فالإسناد إليه يحدده السياق، وإن كان قد علم الجميع أن الربيع بذاته لا ينبت؛ وإنما المنبت هو الله جل وعلا. انتبهتوا ولا لا؟ وأمثال ذلك، والتوسع في هذا المجاز قد يلغي طبائع الأشياء، وهذا وقع فيه المتكلمون.

لما توسعوا في الاستعارة، توسعوا في المجاز حتى توصلوا إلى قولهم: لما تقول أحرقت النار، يقول: لا النار ما أحرقت، النار هي وسيلة الإحراق والذي أحرق هو الله. فاعتبروا النار غير محرقة بطبعها، والثلج غير بارد بطبعه. فدخلنا في متاهة واسعة جداً.

هذه أشياء خلقها الله على طبيعة معينة. الثلج دائماً بارداً، والنار دائماً حارة. ما يمكن ألا يقع خلاف ذلك، وإن كان الذي خلق النار وخلق طبيعتها النارية الحرارية، هو الله جل وعلا وهذا شيء معلوم مفروغ منه. لكن جعلهم أن النار لا تحرق بطبعها؛ وإنما يخلق الله عند ملامسة جسدك للنار شيئاً يسمى الإحراق. ما فيه داعي لهذا التطوير العقلي والذهني للمجاز العقلي.

نعم قد يكون مقبولاً في بعض الصور البلاغية الإسنادية، مثل مجاز الإسناد وغيره التي ما ارتضى حتى شيخ الإسلام ابن تيمية استخدام قضية المجازي، أو الإسنادي، أو الكناية فيها، واستخدام بدلها ما يسمى بنظرية السياق.

وخلصتها أن أي متكلم يقصد بكلامه التوضيح والبيان، يأتي بأحصر العبارات وأوجزها تبلغ المقصود. التي تبلغ ماذا؟ المقصود. والسامع يفهم من فحوى الكلام وسياقه المعنى الجملي الكلي الذي أراده المتكلم. انتبهتوا ولا لا؟ ولذلك إذا أردت التعمية أو أردت أن تلغز على شخص لتبعد به نوعاً ما المعنى الذي تأتي به، تأتي بعبارات موهمة مبهمه تجعل المتكلم حائراً في أي معنى أنت تريد. ولا لا؟

لكن الذي يقصد البيان كما قصده النبي صلى الله عليه وسلم، وكما هو مقصود القرآن. القرآن جاء للبيان، ما جاء للإلغاز وجعل الاحتمالات كلها واردة في المعنى. وكلام النبي مقصوده البيان والتوضيح، فتمنع عنه المجازات العقلية والمجازات الإسنادية إذا كان تحتاج إلى القرائن اللغوية لإثبات المقصود؛ وإنما سياق الكلام كما يقول ابن تيمية عليه رحمة الله هو الذي يحدد المعنى.

فعندما يقول: (يأتيك الوحي) قد علم السامعون أن الوحي قضية معنوية، لا تأتي بذاتها. لا بد لها من وسيلة تأتي بها. أليس كذلك؟ الوحي إسم، أو اصطلاح، أو تعريف، أو كلمة، أو عنوان لوحي الله إلى أنبيائه، ولا بد من وسيلة.

● إما أن يكلمه الله مباشرة، فكانت الوسيلة هي كلام الله جلّ وعلا.

- وإما أن يقذف في قلبه معنى من المعاني، وكان القذف هو الوسيلة.
- وإما الرؤيا المنامية، فكانت الرؤيا الوسيلة.
- وإما يرسل الملك، فيتصل الملك بالني في قضية غيبية كما قلت لكم، تُعرف بظواهرها التي تظهر من الصوت وحال النبي صلى الله عليه وسلم، فيوحي إلى عبده ما يريد أن يوحيه الله جل وعلا. واضح الكلام ولا لا؟

نضيف أيضاً ونقول هذا السؤال: كيف يأتيك الوحي؟ هو سؤال عن نوع واحد فقط من أنواع.. أو وسيلة واحدة من وسائل وصول الوحي للنبي.

لم يسأل الحارث بن هشام عن الوسيلة الأولى وهي كلام الله المباشر؛ لأن هذه ما حصلت إلا لموسى عليه الصلاة والسلام لما خاطبه الله: ﴿نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى﴾⁽¹⁾ وحصلت للنبي عليه الصلاة والسلام مرة واحدة ليلة المعراج. وحصلت لآدم في أول الأمر لما عاتبه ربه من أكله من الشجرة، القصة المعروفة. أما غير ذلك ما حصل. فهي وسيلة محدودة جداً محدودة جداً ما أعطاهما الله إلا لموسى ولمحمد عليهما الصلاة والسلام.

ولم يسأل عن الرؤيا المنامية؛ لأن الرؤيا المنامية أيضاً غير الأنبياء قد يرون رؤيا وتقع حقاً. ولذلك يقول عليه الصلاة والسلام: ((الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوَّةِ))⁽²⁾ وهذا معلوم.

ولم يسأل عن الإلهامات والأشياء هذه؛ لأنها أيضاً قضية مشتركة قد يُلهم غير النبي ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾⁽³⁾ أي ألهم النحل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى﴾⁽⁴⁾ أي ألقاها في قلبها. فليس من خواص الأنبياء.

إذن سأل عن الذي هو من خواص الأنبياء فعلاً غير الكلام المباشر؛ لأنه ضيق جداً. ما حصل إلا لموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وفي مراحل معينة فقط .

السؤال عن الوسيلة التي بها ينزل الوحي في الغالب الأعم، والتي هي من خصائص الأنبياء، لا رؤيا منامية يشترك غيرهم فيها بجامع الصدق، وإن كان فيه فوارق كبيرة بين رؤيا الأنبياء ورؤيا غيرهم، ولا الإلهامات وما يلقي في القلوب؛ لأن غيرهم أيضاً يحصل له شيء من ذلك مع الفوارق أيضاً. لكن السؤال

(1) القصص: 30

(1) صحيح البخاري، باب الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، رقم: 6474

(2) النحل: 68

(3) القصص: 7

عن وسيلة اتصال الملك بالنبي؛ لأنها من جانب من خواص الأنبياء، ما يشترك غيرهم فيها معهم فيها. ومن جهة ثانية، هي أغلب طرق ووسائل نزول الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

حتى القرآن، القرآن كله نزل عن طريق جبريل ولا لا؟ أما قال جل وعلا: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (1) ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ (2) فالقرآن ينزل به جبريل، كما ينزل بالحكمة وهي سنة النبي صلى الله عليه وسلم قولية وفعلية أو غيرها.

(كَيْفَ يَأْتِيكَ) إذن لما كان السؤال هذا موضعه، كان الجواب مناسب. لم يذكر الكلام المباشر ليلة المعراج في جوابه عليه الصلاة والسلام، ولم يذكر الرؤى المنامية، ولم يذكر غيره؛ وإنما ذكر وسيلة الملك. يعني كيف يبلغ الملك الوحي إلى النبي، فذكره بالصيغتين أو بالصفتين:

- إما الاتصال بصفته الملائكية في قضية غيبية كما قلت لكم لا نعرفها.
- وإما أن يتمثل له الملك رجلاً، فيحدث النبي بما يريد أن يحدثه به. ويعلم النبي أنه هذا هو جبريل، وإن كان غيره ربما لا يعلم إلا بعد ذلك.

إذن هذا معنى قوله: **(كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ)**. فقال النبي صلى الله عليه وسلم في جوابه: **(أَحْيَانًا)**، أحياناً جمع مفردها: "حين" وهو الجزء من الوقت والزمن. كأن يقول: أوقاتاً يأتيني كذا، بمعنى وهذا الكلام أحياناً يشعر بأن إبلاغ الملك الوحي للنبي يتم على هيئات معينة. ذكر في الحديث هيتان:

- ففي بعض الأحيان يتصل به هذا الاتصال، وذلك في طبيعته الملائكية وهذا في طبيعته الإنسية، ووسيلة الاتصال غيبياً، أو كيفية الاتصال غيبية.
- وإما يتمثل الملك في هيئة رجل، فيكلم النبي عليه الصلاة والسلام، فيعي عنه ما يريد أن يكلمه به أو ما كلمه به، أو ما أوحاه إليه.

هذا معنى قوله: **(أَحْيَانًا)** والانتصاب، ليه قال: **(أَحْيَانًا)**؟ النصب ما هو مورده هنا؟ وجه النصب الظرفية، الظرفية الزمنية، الظرفية الزمنية **(أَحْيَانًا)** هذا إعراب ابن مالك على الظرفية الزمنية كما تقول: يوم كذا، حصل كذا. يوم ليش نصبت يوم؟ على الظرفية الزمنية، ظرف الزمان يأخذ النصب وظرف المكان كذلك. وهناك إعرابات أخرى.

(4) الشعراء: 193-194

(5) النحل: 102

(أحياناً يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ) ، (يَأْتِينِي) الضمير هنا يعود على ماذا؟ على الملك. السؤال

عن الوحي، لكن لا بد تقدير حامل الوحي؛ وهو الملك. سواءً قبلنا كلام البلاغيين في المجاز الإسنادي العقلي، أو نظرية السياق التي ذكرها ابن تيمية. لا بد، الوحي قضية معنوية انتبهتوا و لا لا؟ لا بد له من وسيلة. إحدى الوسائل اتصال الملك؛ نزول الملك.

(يَأْتِينِي) أي الملك. (مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ)، (مِثْلَ) هنا وجه نصبها ذكروا لها إعرابين. نصّ عليهما

ابن مالك في "شواهد التوضيح" الإعراب الأول:

● نزع الخافض، انتصبت بنزع خافض، والتقدير على مثل صلصة الجرس، هذا أصل الجملة. فإذا

نزعت الخافض وهو "على"، الخافض يعني حرف الجر، نزعته لا بد تنصب ما بعده. فيكون بدل "على مثل" صار: "يَأْتِينِي مثل". هذا أحد أوجه النصب، بنزع الخافض.

● أو على الحال: يَأْتِينِي حالة كونه مثل صلصة الجرس.

هذا وجه نصب كلمة (مِثْلَ) إما حالية أو منصوبة بنزع الخافض. (مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ) أؤكد مرة

أخرى فأقول ذكر النبي صلى الله عليه وسلم القضية المشتركة بينه وبين السامعين، الذين ليس لهم إلا عالم الشهادة. هم يسمعون الصوت، ولا يدرون ما وراء ذلك. ورد عن ما وراء ذلك لأنه لا مجال للجواب عنه؛ لأنه من علم الله ومن غيب الله سبحانه وتعالى.

(مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ) أي يُسْمَعُ عند النبي صلى الله عليه وسلم صوتاً مثل صوت صلصة الجرس،

أو دويّ النحل.

(وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ) يعني أشد حالات اتصال الملك. أشد حالات الوحي على النبي عليه الصلاة

والسلام، عندما يتصل به الملك هذا الاتصال. عندما يتصل به جبريل هذا الاتصال، هذا أشده على النبي عليه الصلاة والسلام.

ولذلك يتغير حاله تغيراً كاملاً. يحمر وجهه، ويغطّ غطّاً شديداً صلى الله عليه وسلم، ويتفصد العرق

الكثير، ويثقل جداً صلى الله عليه وسلم كما في حديث يعلى ابن أمية قال: ((قلت لعمر أرني كيف يأتي

الوحي بالنبي)) يريد أن يرى النبي حالة ورود الوحي إليه. ((فبينما نحن في مكة)) عام حجة الوداع،

القصة المشهورة ((جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام يسأله وكان في ثوبه أثر الخلق)) الطيب،

يعني في ثوب الإحرام ((فنزل الوحي عليه صلى الله عليه وسلم وهو في نمرة أو في قبة له)) ليأتي

بالجواب لهذا السائل جاءه الوحي (فاستدعاني عمر فرفع سجف الخيمة أو جانب الخباب، فنظرت

فإذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر وجهه عليه الصلاة والسلام يغط غطاً شديداً ((الغطيظ صوت الشخص المضغوط الذي عليه ضغط شديد. ((يغط غطا شديداً وقد ثقل جداً عليه الصلاة والسلام، وإن جبينه ليتفصد عرقاً، حتى سري عنه وعاد إلى حالته الطبيعية فقال: أين السائل فاستدعاه فقال: اغسل عنك أثر الخلق))⁽¹⁾ الحديث المشهور.

(وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ) والشدة عرفنا سببها. وقد قال الله جل وعلا في وصف الوحي عموماً والقرآن خصوصا بأنه ثقل ﴿إِنَّا سَنَلْقِيْكَ عَلَيَّكَ قَوْلًا ثَقِيْلًا﴾⁽²⁾ فهو ثقل، وكان يعاني منه النبي شدة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(فَيَقْصِمُ) فيفصم بكسر الصاد، هذا هو الضبط الصحيح.

(عَنِّي) أي الملك يتصل بالنبي عليه الصلاة والسلام. وحال الاتصال يتغير عن وضعه الطبيعي

بالصورة التي عرفناها وصلصلة الجرس. فإذا انتهت هذه الحالة، هذه علامة انفصام الملك عنه.

(فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ)، (وَقَدْ وَعَيْتُ) سواءً كان ما قاله الملك له قرآناً أو كان من

غير القرآن. كلاهما يصل بهذه الطريقة إلى النبي عليه الصلاة والسلام. على أن بعض العلماء يقول: القرآن لا يأتي للنبي عليه الصلاة والسلام إلا بهذه الصورة.

إذا كان الوحي المنزل قرآناً، ما يتمثل الملك رجل فيأتي فيقرأ. لا، يتصل به هذا الاتصال. أما غير

القرآن فرمما يأتي بهذه الصورة، وربما يأتي بصورة تمثل الملك رجلاً فيخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يخاطبه به.

ولذلك سيأتي حديث ابن عباس ملم يدل على هذا دلالة واضحة. ابن عباس يقول: ((كَانَ رَسُوْلُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ))⁽³⁾ التنزيل هنا كلمة التنزيل ليس عموم الوحي، التنزيل يعني

القرآن. ((شِدَّة)) ما وجه الشدة؟ لما يتصل به الملك وهو في هذه الحالة من الكرب عليه الصلاة والسلام،

الملك يقرأ عليه القرآن فالنبي صلى الله عليه وسلم خوفاً من أن ينسى شيئاً مما قرئ عليه، يقرأ مع الملك، يحرك لسانه بالقرآن.

(1) سنن أبي داود، باب الرجل يجرم في ثيابه رقم: 1553

(2) المزمّل: 5

(1) صحيح البخاري، باب بدء الوحي، رقم: 4

وأنت إذا أردت تُحفظ شخصاً، تطلب منه أن يردد خلفك لتضمن حفظه. النبي خوفاً وحرصاً أن يفصم عنه الملك، فيضيع شيء مما تلاه عليه من القرآن، كان يردد. طبعاً في هذه مشقة، يسمع في حالة الاتصال التي فيها تلك الكرب العظيمة، ولا يردد. يعني مشقة تلو مشقة، وشدة فوق شدة، فطمّنه ربه. كان النبي يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفّته من القرآن حال اتصال الملك به فطمّنه ربه بقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أي في قلبك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾⁽¹⁾ أي تقرأه على غيرك. ليس هذا فقط؛ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾⁽²⁾ أي بيان معانيه بما يوحيه الله لنبه من عموم السنة. سيأتي هذا الحديث بتفصيله إن شاء الله تعالى.

(وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ وَأَحْيَا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا لَّا َ) هذه نقف عندها. نستكملها في

الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

زادنا الله وإياكم علماً وفهماً، ونفعنا وإياكم بما نقول ونسمع. ونسأله جل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن يفرج عنا وعنكم وعن سائر المسلمين كل كربة وهمّ وضيق. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على الخاتم الأمين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



(2) القيامة: 16 - 17

(3) القيامة: 19

الدرس الرابع

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلق أجمعين. وأشهد أن لا إله إلا الله، إله الأولين والآخرين، وقيام السماوات والأرضين. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
أما بعد:

فلا يزال الحديث موصولاً بشرح حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، في سؤال الحارث بن هشام ابن المغيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقوله: **(كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ)**، وجواب رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: **(أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَلَيَّ وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ)** وقد تقدّم شرح هذه الجملة في الدرس السابق.

ونشرح اليوم أو نتلّم على الجملة الثانية من الحديث، أو من جواب النبي صلى الله عليه وسلم وهي قوله: **(وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْبِي مَا يَقُولُ)** قلنا بأن كلمة **(أَحْيَانًا)** جمع مفردا "حين" وانتصباها على الظرفية الزمنية.

(يَتَمَثَّلُ) التمثّل هو التهيؤ والتشكّل على مثال وشكّلة شيءٍ آخر. والتهيؤ والتمثّل والتشكّل، هذا قدرة أعطها الله جل وعلا للملائكة.

فالملك مع أن الملائكة كما نعلم خلقت من نور، أعطاهم الله القدرة على التهيؤ والتمثّل والتشكّل في صورة إنسان أو غيره.

وهذه القدرة أيضاً أعطها الله جل وعلا للجانّ، فالجني يستطيع أن يتهيأ أو يتمثّل أو يتشكّل في صورة إنسي أو غيره، من غير انتقال عن جبلته وطبيعته الحقيقية. فالملك يقيم ملكاً وإن تهيأ وتشكّل في صورة إنسان، والجانّ يقيم جانّاً وإن تشكّل وتمثّل وتهيأ في صورة إنسان أو غيره.

والدليل على أن الملك عندما يتمثّل أو يتهيأ أو يتشكّل في صورة إنسان، لا ينتقل عن حقيقته وطبيعته وجبلته النورانية التي تُخلق عليها، القصة المشهورة؛ قصة ضيف إبراهيم المكرمين. وقد ذكرها الله في

مواضع من كتابه: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾⁽¹⁾ جاءته الملائكة، قيل ثلاثة وقيل غير ذلك في صورة رجال صباح الوجوه، حسانٍ على هيئة وبزة جميلة، ونزلوا ضيوفاً على الخليل إبراهيم.

إبراهيم كان يظنهم ضيفاً من جنسه، فقام وهياً لهم الضيافة والطعام ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجَلٍ سَمِينٍ﴾⁽²⁾ وفي الآية الأخرى: ﴿بِعِجَلٍ حَنِيدٍ﴾⁽³⁾ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾⁽⁴⁾ فالذي حصل أن الملائكة أو هؤلاء الذين جاءوا في صورة رجال لم يمدّوا أيديهم، ولم يأكلوا من الطعام شيئاً. وسبب ذلك أن الملائكة بحكم طبيعتها وجبّلتها لا تأكل ولا تشرب كما هو معروف في صفات الملائكة.

الملائكة لا تأكل ولا تشرب، وليست ذات جوف. هي مصمّمة ليست لها أجواف، ولا تحتاج إلى

الهواء، ولا إلى الطعام، ولا إلى الشراب، ولا إلى الراحة، لا يسأمون، ولا يفترون، ولا يضعفون، ولا يتناسلون، ولا يتناكحون.

كل ما يلزم البشر في أحوالهم من الطعام، والشراب، والراحة، والنفس، والجوف، والتناسل،

والتناكح. هذا قانون معزول عن حال الملائكة. وسبب ذلك هو الذي جعلهم لا يأكلون من طعام إبراهيم

شيئاً ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾⁽⁵⁾ فأخبروه أنهم رسل ربه، وأنهم جاؤوه بالبشارة، وأنهم أرسلوا في الأصل إلى قوم لوط لينفذوا فيهم أمر الله سبحانه وتعالى.

ولسنا بحاجة إلى كلام المتكلمين والفلاسفة الطويل في تحديد طبيعة الملك، وهل هي جواهر حسية

جثمانية، أو ألطاف نورانية شفافة لا جرم لها. وبالتالي رتبوا على هذا الخلاف الخلاف الآخر عندما يتشكل

الملك جبريل، خلقه الله في سورة عظيمة، وهي تَحْ هَائِلَةٌ رآه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته التي خلُق

عليها مرتين، وقيل أكثر قد سدّ ما بين الشرق والغرب، له ستمائة جناح. كيف يصبح هذا الخلق العظيم

في سورة رجل واحد؟ أين ذهبت الستمائة جناح؟

دخول في غيبات. منهم من قال تفنى، وعندما يعود على طبيعته يستحدثها الله مرة أخرى. ومنهم

من قال تزول، ولكنها لا تفنى. خلاف لسنا بحاجة إليه؛ لأننا عندنا قاعدة وهي أن الدخول في الأمور

الغيبية بالقوانين العقلية البشرية متاهة، متاهة واسعة ولا نخرج فيها إلا بالظنون والأوهام، كما قال الله جل

(1) الذاريات:24

(2) الذاريات:26

(3) هود:69

(4) الذاريات:27

(5) هود:70

وعلا لمن أعرض عن اتباع الخبر الشرعي عن الحكم الغيبي إلى التفكير العقلي، أنه في الحقيقة ترك الحق المبين إلى الظن والتوهم والخيال قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى﴾⁽¹⁾ وقال في آية أخرى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾⁽²⁾ لأنه عندنا أن الإنسان حتى يصل إلى أي معرفة من المعارف وأي علم من العلوم، ليس له إلا أحد ثلاثة طرق. إما أن يصل إلى المعرفة والعلم بحواسه ومداركه، كسمعه وبصره، وهذه تبلغه معارف كثيرة. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾⁽³⁾ لتكون أدوات وأجهزة وآلات، ليحصل بها الإنسان على معارف وعلوم كثيرة. لكن الحس والمشاهدة، هذا تبقى طريقاً ضيقاً.

فنتقل إلى الطريق الثاني وهو أرحب وأوسع؛ وهو ما أعطاه الله للإنسان من القدرات العقلية والاستنتاجات والاستنباطات. فالإنسان بعقله وحسن استنتاجه، يستطيع أن يتوصل إلى معارف وعلوم كثيرة.

وأكثر معارف البشرية هي في الحقيقة استنباطات واستنتاجات عقلية، بشرط أن تكون المقدمات صحيحة التي بُني عليها الدليل، لنصل إلى نتائج حقيقية وصحيحة. مثل قوانين السببية، وغيره من القوانين العقلية التي يستخدمها الإنسان دائماً.

مع ذلك تبقى هناك معارف، نسميها نحن المسلمون المعارف الغيبية. ومادام اسمها غيبية، إذن معزولة عن عالم الشهادة، لا الحس والمشاهدة تسعف فيها ولا العقل؛ لأنه ما فيه مقدمات يبني عليها. فلا العقل له مجال، ولا الحس والمشاهدة أيضاً لها مجال.

فنحتاج إلى الطريق الثالث؛ وهو الخبر وهو أن يبعث الله لنا رسل وأنبياء، يوحى إليهم من علم الغيب ما لا يعلمه أحد وهم يخبروننا بهذا الوحي. وبذلك عرفنا الله، وأسماءه، وصفاته، وما يريد منا، وكيف نعبده، وما هو الموت، وماذا بعد الموت، والدار الآخرة، والتفاصيل الغيبية هذه كلها، لا سبيل لمعرفتها لبني الإنسان إلا عن طريق الوحي الخبر؛ وهو كلام الله جل وعلا وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام.

فإذا أردنا أن نقحم العقل في مجال الغيب المستور، هنا في الحقيقة ندخل في باب الظن. والظن خيال وتوهم واحتمال. وكل إنسان يستطيع أن يضع احتمالات للقضايا المعزولة عن التفكير والتقدير

(1) النجم:23

(2) النجم:28

(3) النحل:78

والحس والمشاهدة، ليضع ما يشاء من احتمالات. وبالتالي تتعدد الأقوال وتكثر الاحتمالات، عندما يأتي فيلسوف هنا ومتكلم هنا ونحو ذلك ليتكلم عن قضية من القضايا الغيبية كهذه القضية: ما الذي يحصل للملك عندما يتشكل؟

نحن نعتقد ونؤمن بأن الله جل وعلا على كل شيء قدير سبحانه وتعالى. ومن قدرته أنه أعطى للملائكة هذه القدرة على التهيؤ والتشكل. وأعطاهما أيضاً للجنان هذه القدرة على التهيؤ والتشكل من غير انتقال عن أصل خلقته وطبيعته الجبلية، ولكل عالم من عوالم الله، ولكل خلق من خلق الله قانونه ونظامه الذي به يحيى وبه يعيش. قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ أي خلقه مناسب له ﴿ثُمَّ هَدَى﴾⁽¹⁾ أي هداه لقانونه وهداه لما يصلح له بحكم طبيعته وجبلته التي خلق عليها. فما هو في حال الملائكة، لا يكون مناسباً لحال البشر. وما هو في حال البشر، غير مناسب لحال الجن وهكذا.

إذن التهيؤ هذا والتشكل، قدرة أعطاهما الله للملك. ولذلك أحياناً جبريل عليه الصلاة والسلام يأتي للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة رجل، في صورة إنسان، فيه صورة. بينما الحقيقة هو ملك، هو جبريل، هو نفسه الذي خلقه الله.

يأتي في صورة ملك بالنسبة للناظرين كالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ربما يكون حاضراً عند النبي عليه الصلاة والسلام كما في القصة المشهورة، لما قال لهم لما جاءهم رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد. رجل غريب لم يشهدوه من قبل، وبزته وهيأته جميلة ورائعة، وشديد بياض الثياب، وشديد سواد الشعر.

فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله تلك السؤالات: أخبرني عن الإسلام، أخبرني عن الإيمان، عن الإحسان، متى الساعة.. الحديث المشهور. في آخره لما ذهب هذا الرجل وغاب عنه، قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه اطلبوا الرجل فطلبوه ولم يجده. قال رأيتم أو سألمهم وقال لهم: هل علمتم من هذا؟ أو نحو هذا الكلام، ثم قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ((فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ))⁽²⁾ حتى الصحابة رأوه، لكن رأوه في صورة ذلك الرجل الجميل الوسيم بالبزة والهيأة الجميلة. يتمثل هذا هو التمثل.

(1) طه: 50

(1) صحيح مسلم، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: 9

(يَتَمَثَّلُ لِي) اللام في كلمة (لي) يسمونها لام التعليل أو التعليلية؛ أي يتمثل لأجلي أو من شأني، لتكون وسيلة أخرى وقناة أخرى لتبليغ الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام بعد الوسيلة السابقة؛ وهي أن يتصل الملك به.

في الجملة السابقة، لما قلنا بأن الملك جبريل يتصل بالنبي عليه السلام بطريقة وحالة غيبية، لا يلحظ الناظرين والسامعين إلا صوت مثل صوت صلصلة الجرس عند النبي عليه الصلاة والسلام. هذه صورة ثانية أو اسطععت أن تقول حالة أخرى، أو نموذج آخر، أو وسيلة أخرى يبلغ بها الملك وهو جبريل الوحي للنبي عليه الصلاة والسلام؛ وهي التمثل والتشكل.

(يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ)، (الْمَلَكُ) مفرد الملائكة، وهي مشتقة من الألوكة كما يقولون وهي الإرسال. وسمي الملك ملكاً؛ لأنه يرسل في مهام كثيرة. المرسل هو الله جل وعلا، والمرسل هو الملك.

ونحن نعلم ونعتقد نحن المسلمين أن الملائكة الكرام عليهم السلام هم الذين يديرون أمر العالم بأمر الله سبحانه وتعالى. كل له مقامه، وكل له موضعه، وكل له مهمته. فمنهم الموكل بالجبال، ومنهم الموكل بالقطر والسحاب والمطر، ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بالنطفة ونفخ الروح، ومنهم سياحون في الأرض يتطلبون حلق الذكر، ومنهم ما شاء الله من عمّار السماء والمتردد بين السماء والأرض كقوله: ((يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ))⁽¹⁾ هم جند الله الذين يديرون أمر العالم بأمر الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾⁽²⁾ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾⁽³⁾ فوظائفهم ومهامهم عظيمة وجليلة وكبيرة.

فكلمة (الْمَلَكُ) مفرد وجمعها الملائكة. لكن كلمة الملك تطلق ويراد بها الواحد من الملائكة كهذا الموضع (يأتيني الملك) واحد معين، وتطلق ويراد بها اسم جنس للملائكة عموماً ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾⁽⁴⁾ هنا هو المقصود ملك واحد، لكن جنس الملائكة.

واستخدام اسم الجنس للاستغراق . إذا أردت أن تأتي بوصف يستغرق جميع أفراد من يطلق عليه هذا الاسم، تستدعي اسم الجنس مثل الإنسان . الإنسان لا يطلق على شخص، يطلق على عموم من

(2) صحيح البخاري، رقم: 6878

(3) الصافات: 166_164

(4) مريم: 64

(1) الفجر: 22

يشترك في هذه الصفة كالمملك ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾⁽¹⁾ اللام في كلمة: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ واللام في كلمة ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ يسمونها لام الجنس، لتستغرق جنس الملائكة.

أما اللام في هذا الموضع (الملك) يسمونه لام العهد. يعني ملك معين واحد، عهد وعرف أنه هو الذي يأتي بالوحي؛ وهو أمين الوحي جبريل عليه الصلاة والسلام. من الذي يأتي بالوحي؟ جبريل هو الذي يأتي بالوحي للأنبياء جميعاً وللنبي عليه الصلاة والسلام.

وهذا يضعف ما حكاه البيهقي في الدلائل؛ دلائل النبوة عن بعضهم أن إسرائيل هو الذي كان ينزل بالوحي على النبي عليه الصلاة والسلام مدة ثلاث سنوات، ثم نقلت هذه المهمة من إسرائيل إلى جبريل. هذا كلام ضعيف ولا دليل عليه.

والقرآن والأحاديث كلها تدل على أن مهمة الوحي مهمة جبريل، ولذلك سماه الله الأمين ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾⁽²⁾ وسماه روح القدس ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾⁽³⁾ والنبي عليه الصلاة والسلام كما سيأتي من حديث جابر؛ وهو رابع أحاديث كتاب الوحي، لما قال: فإذا بالملك الذي جاني بحراء ساداً ما بين المشرق والمغرب أو كما قال. فهو جبريل ولا علاقة بإسرائيل.

ربما يأتي مع جبريل غيره في مواضع، لكن يبقى جبريل هو الكفيل، وهو المسئول عن مهمة بلاغ الوحي من الله لأنبيائه ورسله، ولنبينا عليه الصلاة والسلام محمد على وجه الخصوص. إذن الملك هنا ليس اسم الجنس؛ وإنما مقصود ملك معين وهو أمين الوحي جبريل وهو كبير الملائكة عليه الصلاة والسلام.

﴿يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا﴾ ، ﴿رَجُلًا﴾ قالوا منصوبة إما على التمييز؛ يتمثل لي الملك مثل رجل، فحذفت كلمة (مثل) وأقيمت كلمة (رجلاً) مقامها وأخذت موضعها الإعرابي، أو على المصدرية، أو على التمييز كقولهم: "امتلاً الإناء ماءً" كلمة "ماءً" تمييز. فرجل هنا تمييز.

(2) الحاقة: 17

(3) الشعراء: 193_194

(4) النحل: 102

(يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا) يتمثل ماذا؟ إنساناً؟ رجلاً؟ حيواناً؟ لا بد من تمييز يحدد حقيقة وكيفية التمثل أو وضعيته، فتأتي كلمة (رجلاً) ميزته، والتمييز من المنصوبات كما تعرفون. أو على الحال، أي على هيئة رجل.

(فِيكَلِّمُنِي) تكرر نزول جبريل إلى النبي عليه الصلاة والسلام في صورة رجل، تارة في صورة رجل غريب لا يعرفه أحد، كما في قصة الحديث السابق : ((رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر)) . وتارات كثيرة يأتي جبريل متمثلاً في صورة صحابي مشهور، هو دحية ابن خليفة الكلبي رضي الله عنه وكان من فضلاء الصحابة، وكان كما ذكر في ترجمته معروفاً بالجمال والوسامة وحسن الهيئة والبنوة.

فكان جبريل كثيراً ما يأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام في صورة دحية. فرمما أشكل ذلك حتى على بعض من كان حاضراً كما في الحديث الذي في السنن أن عائشة رأت النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث مع دحية، فتظنه الصحابي دحية المعروف . فلما خرج قالت له: ما لي أرى دحية أطال المكث عندك اليوم؟ المعروف أن الذي يطيل المكث أبو بكر وعمر. دحية غريبة اليوم، أطال الجلسة ، قال: ليس ذاك دحية ذاك جبريل؛ لأنه متهمي متشكل . الصورة صورة دحية، والحقيقة أنه جبريل. فكانت عائشة تظن أنه دحية ابن خليفة الكلبي رضي الله عنه الصحابي، فبين لها أنه ليس في الحقيقة دحية الصحابي؛ وإنما هو أمين الوحي جبريل صلى الله عليه وسلم.

(فِيكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ) هنا غاية، في الجملة الأولى لو راجعتها تجد قال: (فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ) استخدم فعل الماضي وللا؟

هنا قال: (فَأَعِي) استخدم فعل المضارع. فيه مغايرة في الأسلوب، هناك قال: (وعيت) لما يتحد ويتصل الملك بالنبي صلى الله عليه وسلم في الصورة الأولى على مثل صلصلة الجرس ، قال: (فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ) بصيغة فعل الماضي. هنا لما قال: (يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي) استخدم الفعل المضارع الدال على الحالية والاستمرارية.

أجاب بعضهم؛ بعض الشراح بأنه أتى بكلمة (وعيت) في الجملة الأولى؛ لأن هذا لا يكون إلا بعد الانفصام، لا يكون في أثناءه ولا قبله، في أثناءه يستوعب، يستوعب، يستوعب. فإذا فصم، استقر ما ألقاه الملك في ذهنه. ولذلك ذكرت لك في الدرس السابق أن النبي صلى الله عليه وسلم — وسيأتي هذا في حديث ابن عباس — كان يعالج من التنزيل شدة؛ لأن الملك لما كان يتصل به إضافة إلى كرب الوحي من

العرق، والثقل الذي يصيب النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يجرّك شفّتيه حتى يستوعب ما يلقيه عليه الملك، خوفاً من ضياعه وتقلّته بعد أن يفصم الملك عنه، فطمّنه ربه وقال له: **﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾** أنصت واستمع حال اتصال الملك. فإذا فصم الملك عنه، إذا كل ما أوحاه مرقوم في قلبه عليه الصلاة والسلام، فأتى بقوله: **(وعيت)** لأن الموضوع انتهى بعد الانفصال.

أما قوله: **(فأعي)** أي لما يأتيه في صورة رجل مع الحوار والتكلم معه، يستوعب النبي شيئاً فشيئاً، فيعي عنه ما يقول في أثناء المحاورة، وأثناء المناقشة لا قبلها قطعاً، ولذلك غير بين الأسلوبين.

(قَالَتْ عَائِشَةُ) قالت عائشة يعني بنفس السند السابق، يعني الحديث موصول إلى عائشة؛ لأننا قرنا فيما مضى أن الحديث هذا من مسند عائشة، فهي تحكي سؤال الحارث ابن هشام للنبي عليه الصلاة والسلام. فلما انتهى جواب النبي عليه الصلاة والسلام للحارث ابن هشام، عائشة تزيدنا وتقول لنا: **(قَالَتْ عَائِشَةُ وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ)** تذكر لنا طرفاً من الكرب العظيمة التي كان يعانيتها المصطفى صلى الله عليه وسلم حال اتصال الملك به، وإلقائه الوحي عليه.

(وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ) قد قرنا هنا أنه لا بد من تقدير، الوحي يعني صاحب الوحي، وهو الملك. ما يأتي الوحي هكذا، لا بد له من وسيلة، والوسيلة هي الملك، والملك كيف يوصل الرسالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم؟ عندك إما:

- بالاتصال.

- أو بأن يتهياً في صورة رجل فيكلمه فيعي عنه ما يقول.

(يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفْصَدُ) والتفصد هو في

الأصل قطع العرق لإخراج شيء من الدم، يسمى الفصد.

فجسمه ينضح عرقاً غزيراً كثيراً مع أن الوضع والواقع أنه برد شديد لا يناسب، وكثرة العرق. ولكن لشدة ما يقع على النبي عليه الصلاة والسلام من كرب الوحي صلى الله عليه وسلم، يتفصد عرقاً في اليوم الشديد البرد.

يكفي هذا نقرأ.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين. قال المصنف رحمه الله تعالى:

باب:

(حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ قَالَ مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ اقْرَأْ قُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾. فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فَوَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمَلُونِي زَمَلُونِي فَزَمَلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ فَانطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْمُخِرَجِي هُمْ قَالَ نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤْفَى وَفَتَرَ الْوَحْيَ).

هذا الحديث، حديث عظيم وجليل، وفيه فوائد عظيمة سنأتي على بعضها بإذن الله.

قوله أو قول البخاري عليه رحمة الله: (حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ) هو أبو زكرياء يحيى ابن عبد الله ابن

بكير المخزومي مولاهم المصري، مولى امرأة من مخزوم يقال لها عمرة بنت جبير.

سمع من مالك وله نسخة لموطأ مالك، ولكن لم يسمعها من مالك مباشرة؛ وإنما سمعها بعرض

حبيب كاتب مالك. ولذلك لم يعتمد أهل الحديث نسخة يحيى ابن بكير عن مالك، لم يعتمدوها وإن

كانت مذكورة جملةً، ولكن غيره أوثق منه في الرواية عن مالك. وأكثر الرواية عن إمام مصر في وقته؛ وهو الليث ابن سعد.

توفي يحيى ابن عبد الله ابن بكير المخزومي مولاهم المصري سنة 231 وهو ثقة، خاصةً في روايته عن الليث خاصة. ولذلك لا يكاد البخاري يخرج عن يحيى ابن بكير إلا ما يرويه عن الليث. وأخرج من حديث يحيى ابن بكير عن غير الليث نَزراً يسيراً، وأخرجه عنه شيئاً كثيراً من روايته عن الليث ابن سعد لخصوصيته؛ لأنه كان جاره.

يحيى ابن بكير كان جاراً لليث ابن سعد في بلاد مصر، وكان يجالسه كثيراً وسمع منه علماً كثيراً، وحديثاً كثيراً حتى أنه ربما انفرد بأحاديث عن الليث لا يرويها غيره، يحيى ابن بكير على الثقة وعلى الأمانة والجلالة. توفي كما قلنا 231.

(قَالَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ) الليث هو الإمام المشهور، أحد الأئمة الأربعة أئمة الدنيا في زمن تابعي

التابعين. أربعة كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية. أئمة الدنيا في زمن تابعي التابعين أربعة:

- مالك ابن أنس إمام أهل الحجاز.
 - والليث ابن سعد أبو عبد الرحمن إمام أهل مصر.
 - والأوزاعي أبو عمر عبد الرحمن ابن عمر الأوزاعي إمام أهل الشام.
 - ورابعهم سفيان ابن سعيد الثوري إمام أهل العراق.
- هم أئمة المسلمين أو أكبر وأجل وأشهر أئمة المسلمين في زمن تابعي التابعين، أي في المائة الثانية من هجرة النبي عليه الصلاة والسلام.

هو الليث ابن سعد الفهمي مولاهم أبو الحارث، ويقال أبو عبد الرحمن. إمام مشهور من أقران

مالك، هو فقيه مصر وسيدها في زمنه، توفي سنة 175.

خذ هذه الفائدة: ليس في رجال الكتب الستة كلهم من يسمى الليث ابن سعد غيره؛ بل ليس في

الرواة جميعاً حتى في غير الكتب الستة من اسمه الليث ابن سعد غيره. ذكروا ثلاثة يسمون بهذا الاسم وكلهم مجاهيل، ولا رواية لهم؛ إنما ذكروا في التواريخ هكذا ذكراً.

بمعني حيثما يجمعك في سند حديث في الكتب الستة أو في غير الكتب الستة من اسمه الليث ابن

سعد، فاعلم أنه هو هذا الإمام المشهور الليث ابن سعد أبو الحارث أو عبد الرحمن المصري المتوفى

سنة 175.

(عَنْ عُقَيْلٍ)، هكذا ضبطها "عُقَيْلٌ" بضم العين وفتح القاف على صيغة التصغير "عُقَيْلٌ"؛ وهو

عُقَيْلُ ابن خالد ابن عَقِيلٍ. جده عَقِيلٌ، هو عَقَيْلٌ وجدته عَقِيلٌ. هو عَقَيْلُ ابن خالد ابن عَقِيلِ الأيلي، الأيلي القرشي.

الأيلي نسبة إلى أيلة قرية. أيلة الآن عند اليهود تسمى إيلات أو ميناء إيلات في طرف سيناء، يعني على الحدود المصرية تقريباً. بعدما رجعت سيناء لمصر، آخر نقطة يحكمها ومستولي عليها اليهود من أرض فلسطين التي تلاقي سيناء على ضفة قناة السويس هذه تقريباً، أو خليج السويس، إيلات تسمى الآن، ميناء لليهود هي أيلة.

وُلد فيها أيام كانت طبعاً قديماً تحت حكم المسلمين، وُلد فيها هذا الإمام وهو عَقِيلُ ابن خالد الأيلي، فنسب إليها وإلا فهو أصلاً قرشي. الأيلي القرشي الأموي، منسوب إلى بني أمية بالولاء؛ لأنه مولى لعثمان ابن عفان.

إمام حافظ، من أثبت الناس في الزُّهري. أثبت الناس في الرواية عن الزُّهري هو عَقَيْلُ ابن خالد ابن عَقِيلِ الأيلي الأموي القرشي الحافظ، المتوفى مائة وقلنا كم؟ و49، 149.

خذ هذه المعلومة المهمة: ليس في رجال الكتب الستة من اسمه عَقَيْلٌ غيره. حيثما يرد معك غير

هذا الرجل فهو عَقِيلٌ. أما عَقَيْلٌ بالضم على صيغة التصغير، فهذا لا يوجد غيره في رجال الكتب الستة كلها؛ بل في التسعة لأنه لما ترجم في "الجرح والتعديل" لابن أبي حاتم الرازي؛ وهو تراجم لعموم الرواة، لم يترجم لأحد يسمى عَقَيْلاً غير صاحبنا هذا؛ عَقَيْلُ ابن خالد ابن عَقِيلِ الأيلي. فتصير عند معلومة أنه إذا جاء هذا الضبط عَقَيْلٌ، فهو عَقَيْلُ ابن خالد ابن عَقِيلِ أبو خالد الأيلي الأموي مولاهم القرشي المصري أيضاً.

كما هو ظاهر السند إلى الآن سند: يحيى ابن بكير مصري، والليث إمام مصر، عَقِيلُ ابن خالد مصري. من بعد عَقِيلٌ سيتجه السند وجهة أخرى سنذكرها.

(عَنْ ابْنِ شَهَابٍ) ابن شهاب هو الإمام المشهور والحافظ المذكور أبو بكر محمد ابن مسلم ابن

شهاب، محمد ابن عبد الله بن مسلم ابن شهاب الزُّهري. إمام مشهور، سيرد معنا كثيراً في الأسانيد؛ لأنه يعتبر واسطة عقد في الأسانيد، لسعة روايته، وجلالته، وإمامته.

محمد ابن مسلم ابن شهاب الزهري القرشي، من بني زهرة من قريش. وبنو زهرة رهط آمنة بنت وهب أم النبي عليه الصلاة والسلام. فهو من القبيلة الذين يعدّون أحوالاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو إمام لا يشق له غبار، جلالته وإمامته انعقدت عليها الخناصر كما يقال. أذكر لك وفاته؟ توفي... ما سجلتها، في مناسبة أخرى إن شاء الله.

(عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ) التابعي المشهور. ابن شهاب مدني، في آخر حياته سكن الشام. هو مدني

نشأه وولادته، وأغلب حياته في المدينة، ثم بعد ذلك انتقل فسكن الشام وبها مات. فإن جعلته مدنياً فباعته أصله ونشأته، وإن جعلته شامياً فباعته آخر إقامته ووفاته.

(عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ) عروة ابن الزهير هو الإمام التابعي المشهور؛ عروة ابن الزبير ابن العوام

الأسدي القرشي المدني، أحد فقهاء المدينة السبعة.

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر روايتهم ليس عن العلم خارجة

فقل هم عبید الله، عروة، قاسم سعيد، أبو بكر، سليمان خارجة

سبع فقهاء هم أئمة أهل المدينة في زمن التابعين؛ كبار التابعين، وأواسط التابعين منهم عروة ابن الزبير. أمه الصحابية الجليلة ذات النطاقين أسماء بنت أبي بكر. فتكون عائشة إذن خالته، ولذلك حمل عن خالته عائشة علماً كثيراً. وكثيراً سيأتي معنا عروة عن عائشة، كثير جداً. يكاد يكون متخصصاً في رواية الحديث عن خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ) الصحابية أم المؤمنين زوجة رسول الله عليه الصلاة والسلام، وحبيبته من

بين نسائه. تأتي في المرتبة الثانية في كثرة رواية الحديث بعد أبي هريرة رضي الله

مسند عائشة 2400 ونيف من الأحاديث، يعني مجموع ما روته عائشة عن النبي صلى الله عليه

وسلم 2400 ونيف.

طبعاً أبو هريرة يفوقها، أبو هريرة مسنده يصل إلى نحو من 5000 ويزيد حتى. فتأتي عائشة بعده

فهي من المكثرين جداً من الرواية. لا يفوقها في الرواية عن النبي عليه الصلاة والسلام إلا حافظ الصحابة ورواية الإسلام أبو هريرة الدوسي رضي الله عنهم جميعاً.

(عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ

الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ) هذا أيضاً نموذج آخر مما سميناه _ أو سماه العلماء، وذكرنا له نماذج

أخرى _ مرسل الصحابي.

ذكرنا مرسل الصحابي؛ وهو أن يروي الصحابي حادثة أو قصة لم يحضرها، إما لأنها وقعت قبل أن يُخلق ويوجد، أو وقعت وهو غائب بعيد عنها، فيرويها، هذا يسمى مرسل صحابي.

الحادثة هذه أول ما بدئ به النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وما جرى له في الغار، حصلت وعائشة ما خلقت بعد، ما خلقت. لما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة، كان عمرها ست سنوات لما عقد عليها، وبنا بها بعد بدر يعني وعمرها تسع سنوات فقط.

النبي عاش في مكة ثلاثة عشر سنة قبل أن يأتيه الوحي، لم تخلق أصلاً. فهي تروي شيئاً قطعاً ما حضرته، فيسمى مرسل صحابي. كيف عرفته؟

فيه احتمالين:

- إما سمعته بعد ذلك من النبي عليه الصلاة والسلام.
 - وإما سمعته من صحابي آخر عن النبي عليه الصلاة والسلام.
- وبكلا الحالين، هو يسمى مرسل صحابي من الناحية الاصطلاحية، وإلا حكمه حكمه متصل مرفوع، لا غراب فيه، لما عرف من عدالة الصحابة وثقتهم رضي الله عنهم جميعاً.
- (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ)** هذا يدخل فيما يسميه العلماء بالإرهاصات والمقدمات التي جرت لرسول الله عليه الصلاة والسلام ليهيئه الله بها للمقام العظيم؛ وهو البعثة ليكون رسول رب العالمين للعالمين أجمعين.
- هذا مقام ما تشرف به أحد ممن قبله. كل من بُعث من الأنبياء قبله، كان يُبعث إلى قومه خاصة. أما نبينا عليه الصلاة والسلام، فهياًه الله ليعتده للخلق كافة إنسهم وجنهم، لا في زمن فقط؛ بل إلى قيام الساعة.

فلهذا المقام الكبير، هُيئ صلى الله عليه وسلم أثناء حياته قبل البعثة، ليتشرف ويكون مهياً لهذا المقام العظيم الجليل الشريف؛ وهو أن يكون رسول رب العالمين للعالمين أجمعين. ولذلك أجرى الله له من المقدمات والإرهاصات، وأوقف حاجة العالم كل العالم له ولبعثته عليه الصلاة والسلام.

قرر العلماء أن حال العالم قبل أن يُبعث المصطفى صلى الله عليه وسلم، كانت حالة بلغت غايتها من السوء والجاهلية، والفساد الديني، والفساد الاجتماعي، والفساد المالي، كل نواحي الفساد حصلت في العالم كله. سواءً عند العرب الذين هم مهد الرسالة الأولى، كانوا وثنيين يعبدون الأصنام والأوثان، يعيشون في جاهلية، يمدون المولودة؛ وهي إذا ولد لأحدهم بنت دفنها خوفاً من العار.

نظام طبقي عند العرب كما هو معروف، القبيلة القوية الكثيرة لها السيادة والرفادة، والضعيفة مغلوبة على أمرها لا ينصرها أحد ولا قيمة لها. فساد مالي بتفشي الربا بينهم، والغش والاحتكار وأمثاله. غير العرب من أهل الكتاب كاليهود والنصارى على حالٍ أيضاً سيء، انطمست معالم أنبيائهم، ولم يبقَ على أثر أنبياء بني إسرائيل إلا بعض الرهبان الذين اعتزلوا في أديرتهم وكهوفهم، وكانوا أفراد معدودين كما دلّ عليه قصة سلمان الفارسي؛ وهي شاهد حي للحال الذي كان عليه العالم قبل أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام.

سلمان نشأ في بلاد فارس، بلاد ماجوسيين يعبدون النار، فهم يظنون أن للعالم خالقين ربين متكافئين، وبينهما صراع سديم من قديم.

لما انتقل وهرب من بلاد فارس، صار يسأل عن أصلح أهل فارس، فذللّ إلى بعض الرهبان، على الراهب الذي في مثلاً "نصيبين" فلما مات قال: كأنه لم يبق أحد إلا رجل تجده في الموصل، ذهب إلى الموصل. لما مات راهب الموصل، قال: ما بقي أحد إلا صاحب عمورية اذهب إلى عمورية، إلى أن مات صاحب عمورية، قال: لم يبق أحد على ما نحن عليه، انطمس الأمر. حتى الرهبان انتهوا، ولكنه قد أضلك زمان نبي يبعث في بلاد يقال لها بلد العرب، مهاجره إلى أرض ذات نخل بين حرتين، القصة المشهورة التي تعرفون.

قصة سلمان دليل على حتى أهل الكتاب، الذي كان المفروض فيهم أن تكون عندهم أثارة من علم، وكونهم ورثوا الكتاب والنبوة، انطمست معالم الكتاب عندهم، بالتحريف والتبديل الذي استمر قرون ودهور. ثلاث آلاف سنة عهد موسى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وستمائة سنة من عيسى إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

مرّ عليك أن الديانتين مرّت بمراحل من التغيير والتبديل طالت حتى نص الكتاب، فانطمست المعالم.

أما غير أهل الكتاب في ما وراء ذلك، ما فيه إلا الجوس، الفرس، والشرق الأدنى بلاد الصين على وثنيات وديانات أصحاب البذد والبوذية وأمثالهم.

العالم كله مظلم قبل أن يُبعث النبي عليه الصلاة والسلام كما في الحديث المتفق عليه، ليس متفق عليه؛ أخرجه بعض أصحاب السنن، حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: **((إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ))** لما هم عليه من الفساد الديني، كله وثنية وكله جاهلية،

ونظام طبقي، وفساد مالي وفساد خلقي، وما شئت من أنواع الفساد. **((إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ))** الأرض كلها ممقوتة لما فيها من هذا الحال، إلا بقايا. وكلمة بقايا تشعرك بنذرتهم **((مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ))** (1) اللي هم الرهبان.

وقد علمنا أن هذه البقايا اندرجوا واحداً تلو الآخر _ كما عليه دلت عليه قصة سلمان _ فأظلمت الأرض، فاحتاج العالم فعلاً إلى رسالة منقذة، رسالة منقذة وهداية مخرجة لهم من هذه الجاهلية، فكانت هذه الرسالة هي رسالة النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، فوقف العالم كله ينتظر. ولذلك كان من عنده شيء من علم أو أثارة من علم بقيت، كان غاية ما يبشر به يقول لقومه أو لمن يسأله: قد أضل زمان نبي. وهكذا ينتظرون هذا الفرج القادم.

فكان تبع هذا، أن هياً الله هذا الرجل الذي سيختاره الله لهذا المقام العظيم بمقدمات كثيرة جداً،

وحفظ إلهي له خلال أربعين سنة كاملة عاشها في مجتمع جاهلي، يعبدون الأصنام والأوثان، ويشربون الخمر، ويضربون الميسر، ويثدون البنات، ويفعلون الفواحش والمنكرات. يعني كيف يسلم رجل أربعين سنة من أوضاع هذا المجتمع كله؟ أمر ليس طبيعياً وللا لا؟ فيه حفظ إلهي. لذلك مثلاً حفظه، أي حفظ الله له صلى الله عليه وسلم من جهة نسبه.

أيضاً من غير الطبيعي أن رجل يعيش في مجتمع جاهلي، الإباحية _ الجوثية إن صحت العبارة _ سمة من سمات الجاهلية. فوضى يعني في الأعراف كما تقول عائشة رضي الله عنها: **((النِّكَاحُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ))** (2) منها نكاح اليوم يخطب الرجل إلى الرجل كريمته أو ابنته فينكحه إياها. معروف هذا.

ومنها فيه مصادر أخرى فيه وسائل أخرى لهذا الأمر ومنها نكاح الاستبضاع، هذا مما تعارف عليه في الجاهلية وما أصبح عيباً عندهم، مع ما كان عليه العرب كما تعرفون من البأس وحب الشرف ونحو ذلك. لكن لما أصبح عرفاً والزمن فرضها، أصبح عادياً.

نكاح الاستبضاع، يمهل الرجل زوجته حتى إذا طهرت من طمثها أي من حيضها قال لها اذهبي إلى فلان يختار رجل من الرجال، فاستبضعي منه. يختار رجلاً ثرياً أو شرياً أو شجاعاً فتذهب له فيطأها، ظنا

(1) صحيح مسلم، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، رقم: 5109

(2) صحيح البخاري، رقم: 4732

منه أن هذا سيحسن النسب عنده مثل الاستنساخ اليوم، لتطوير الأذكى، وتجاوز الكثير من العاهات الخلقية والخلقية والعقلية. نكاح الاستبضاع وعادي جداً ويفعلوهم جميعاً إلا ما نذر.

ومنها **((وَنِكَاحُ آخِرِ يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ الْعَشْرَةِ))** ، أي في العرف **((فَيَدْخُلُونَ عَلَى الْمَرْأَةِ**

كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا)) ⁽¹⁾ فإذا حملت وولدت ابن من هذا؟ المياه مختلفة وللا لا؟ عشرة أو دون العشرة كلهم

أصابوها فوضى هذه، فتبعث إليهم هذه المرأة إلى التعسة أو الثمانية الذين دخلوا عليها. تبعث إليهم لا يستطيعون أن يتخلفوا، وكلمة لا يستطيعون أن يتخلفوا تدل على أنه أصبح عرف محكم وللا لا؟ وإلا كان قال أنا مش باعرفها. لا، أصبح العرف محكم يفرض عليه أن يأتي. فتقول لقد كان لكم مني ما تعلمون فهو ابنك يا فلان، تختار واحد تلصقه به فيصبح هو وقد يكون من غير مائه. إذن فيه خلط كثير في الأنساب.

والرابع أسوء وأدهى وهو نكاح البغايا، نساء معروفات _ عياداً بالله _ كن ينصبن على أبوابهن رايات حمر يعرف أن هذه دار للبغاء، فمن أرادهن دخل عليهن، فلو حصل وحملت ووضعت ابن من هذا؟ استوحى أهل الجاهلية على قانون يحلون بهذه المشكلة. يجمعون أهل الفراسة، رجال معروفون بالفراسة فينظرون فيقولون هذا أشبه الناس به فلان ابن فلان، ما عمري جيت ما أعرفها، تعرفه ما هو ابنك وخلاص انتهى الموضوع. مشكلة، فيأخذ المسكين وقد يكون يعني ما دخل، خلط.

إذن لما يُحفظ رجل ويستوي نسبه، فلا يخالطه شيء من هذه الأوضاع. معروف الآباء معروف الأمهات، من أبيه عبد الله مباشر وأمه آمنة إلى عدنان الجد الجامع لقبائل العرب جميعاً. وليست هذه إلا له عليه الصلاة والسلام. وهو القائل كما صح عنه الحديث وضعفه بعضهم، لكن المهم أن له شواهد:

((حَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ، وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ لَمْ يُصِيبْنِي)) أي في نسبي إلى عدنان **((مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ**

شَيْءٍ)) ⁽²⁾ هذا إرهاب، حفظ، تدخل إلهي؛ لأن هذا الرجل سيكون له شأن ومقام عند علام الغيوب

سبحانه وتعالى.

من ذلك أيضاً، ما ألقى في قلبه من كراهية للأوضاع التي كانت عليها أبناء جيله وأهل بلده وعموم العرب، ألقى في قلبه ذلك. ولذلك سيأتي معنا أنه ما وجد وسيلة ليهرب من هذا المجتمع الآثم إلا الخلو. الخروج بعيداً إلى غار حراء ليعتد عن هذه الأوضاع؛ لأنه ألقى في قلبه كراهيتها.

(1) صحيح البخاري، رقم: 4732

(2) كتاب علامات النبوة، رقم: 6308

فما عظم صنماً قط عليه الصلاة والسلام، ولا حلف باللات والعزى قط أربعون سنة، يعني ولا غلط حتى لو مجرد غلطة، ولا استقسم بالأزلام قط، ولا شرب الخمر قط، ولا فعل شيئاً مما كان يفعله أهل الجاهلية قط _ عليه الصلاة والسلام _ أربعون سنة، حفظ إلهي.

سأعطيك نموذجين مهمين، ولا بأس من الاستطرد في هذا لأهمية الحال والمقام، تدل على أن الله عز وجل يريد حفظ هذا الرجل ليهيئه لمقام عظيم.

في البخاري وسيأتي إن شاء الله في "باب بنين الكعبة" في كتاب "المبعث النبوي" إن شاء الله تعالى، لما قرش قامت بمشروعها لبناء الكعبة لما تهدم البنيان، وكان ذلك قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بخمس سنوات. وقد أتم خمساً وثلاثين سنة عليه الصلاة والسلام.

فكانوا ينقلون الحجارة لبناء البيت من الوادي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت يعمل معهم، فكان يحمل الحجارة وينقلها. ولم يكن له إذ ذاك إلا ثوب واحد اتخذ له إزاراً، وجزؤه الأعلى مكشوف صدره؛ لأنه ما يملك إلا الإزار فقط.

فكان يحمل الحجارة فأذته في عتقه، شخص يحمل الحجارة على عتقه المكشف ستؤذيه وتجرحه وتؤلمه قطعاً. فعباس عمه قال له: (يا ابن أخي)، يعني رافة به (لو حلت إزارك فوضعت على عتقك لتتقي به) لو حلّ إزاره لتكشف وتعري وللا لا؟ ولنظر الناس الظاهر والقادم والجالس إلى سواته وعورته. وهذا لا يليق برجل بعد خمس سنوات سيأتيهم ويقول لهم أنا رسول رب العالمين. ليس لهم فقط؛ بل إلى العالمين أجمعين.

فكان يحمل الحجارة فأذته في عتقه، شخص يحمل الحجارة على عتقه المكشف ستؤذيه وتجرحه قطعاً. فعباس عمه قال له: (يا ابن أخي)، يعني رافة به (لو حلت إزارك فوضعت على عتقك لتتقي به) لو حلّ إزاره لتكشف وتعري وللا لا؟ ولنظر الناس الظاهر والقادم والجالس إلى سواته وعورته. وهذا لا يليق برجل بعد خمس سنوات، سيأتيهم ويقول لهم أنا رسول رب العالمين. ليس لك فقط؛ بل إلى العالمين أجمعين.

سيقول قائلهم من سفهائهم ما صنع ذاك اليوم كذا ويأتي... وهو ما فعل شيئاً وعيروه، فكيف لو وجدوا خيطاً يعيرونه به؟! ما تركوه سينشرونه، لكن لا بد أن يُمنع ذلك.

فلما وضع يده في معقل إزاره _ وفي بعض الروايات _ حلّ إزاره، إذا بلطمة على وجهه وقائل يقول له: (اجمع عليك إزارك) ضرب، ولطم، وأمر صريح. فقام وجمع عليه إزاره، فلم يُرى عارياً عليه الصلاة والسلام. تدخل إلهي من الله جل وعلا ليُحفظ.

في قصة أخرى ذكرها ابن هشام نقلاً عن ابن إسحاق: (دعي النبي صلى الله عليه وسلم لحفلة عرس) زواج دعوة لعرس. طبعاً الأعراس في الجاهلية فيها من الخلل الشيء الكثير، سيعاقرون الخمر، وتغنيهم القيان، وفيها ربما ما هو أسوأ من ذلك.

فحضور مثل هذا الرجل الذي سيأتي يوماً ويعمل حرباً على هذه الأوضاع كلها ليصححها، حضوره سيكون فيه نوع من المعرفة عليه منهم؛ لأنه سيكون خصماً وُهر وسيعبرونه بها. لذلك لا بد يُمنع، فذهب عليه الصلاة والسلام، فألقى الله عليه النوم في قارعة الطريق، فسقط نائماً، ولم يوقظه إلا حر الشمس من النهار، انتهى الحفلة وخلص كل شيء، فرجع حتى لا يحضر.

فحينما يقع منه شيء، لا يريد الله له في سابق علمه سبحانه تعالى لما علم فيه وأراد جل وعلا ، كان يُحفظ بالتدخل كما عرفنا في قصة الإزار وفي قصة العرس أيضاً.

أضف إلى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام في حديث مسلم: **((إني لأعرف حجراً في مكة كانوا يسلم علي يقول السلام عليك يا رسول الله، إني إلا أعرفه الآن))**⁽¹⁾ لسمع هذه الكلمة ويتعود عليها رسول الله، رسالة الله ويرسل ليبقى ليحظر ويُهيأ.

فلما كان بهذه الحال، اتخذ له عليه الصلاة والسلام العزلة والخلوة _ كما سيأتي _ سبيلاً للخروج من هذا الوضع، حتى جاءه الحق وهو على هذه الحال.

فمن هذه الإرهاصات كما تقول عائشة: **(أَوَّلُ مَا بُدِيَ)** لا بد يُهيأ تدريجياً للمقام العظيم. لا يأتيه الملك مباشرة من دون أي مقدمة، سيكون ذلك صاعقاً عليه، هو وهذه المقدمات عليه ومع ذلك كان حضور الملك أول مرة كرباً عليه، وزملوني زملوني، وترجف بواده كما سنقرأ. فكيف إذا ما قُدم ذلك بمقدمة، سيكون نوع من الصعق والرعب عليه. فكان يُهيأ، من ذلك الرؤيا الصالحة.

تقول عائشة: **(أَوَّلُ مَا بُدِيَ)** وهذه أوليه مقصودة وحتمية قطعاً. **(بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ)** ، كلمة: **(فِي النَّوْمِ)** زائدة طبعاً؛ لأن الرؤيا لا تكون إلا في النوم وهي توضيحية.

(الرُّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ) ليس العبرة هنا

بالرؤيا؛ لأن غير الأنبياء قد يرى وتقع رؤياه صحيحة. لكن كل رؤيا تقع صحيحة، ما تقع للإنسان

(1) صحيح مسلم، باب فضل النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر، رقم: 4222

العادي، في فيه واحدة من مائة تصيب. لكن النبي ما يرى رؤيا على الدوام، إلا جاءت في تحققها ووضوحها ونزولها مثل انبلاج نور الصباح وقلقه.

ليست العبرة بالرؤيا الصالحة، فهذه قضية مشتركة بين الأنبياء وغيرهم. فمن الصالحين وربما حتى من غير الصالحين من يرى رؤيا فتقع وتحقق كما رأى؛ إنما العبرة بأنه كان لا يرى رؤيا. هذا خلال فترة ما قبل الوحي، أما بعد الوحي طبعاً فازداد الأمر يعني تأكيداً. رؤيا الأنبياء وحي وحق وخير ويبنى عليها أحكام شرعية حتى، وعلوم غيبية خبرية.

وسياتي في هذا النماذج في أحكام كثيرة ورؤى مما يراها النبي صلى الله عليه وسلم، بنيت عليها أخبار وأحداث كثيرة جداً.

فالعبرة بأنه كان لا يرى رؤيا إلا تحققت، وليس تحققت جزئياً، أو ضعيفاً، أو محتملاً؛ وإنما تحقق يقينياً ثابتاً مثل ما ينبج فلق الصباح ويظهر، ما يبقى فيه للناظرين شك ولا ريب. هذا الذي خُص به عليه الصلاة والسلام من بين أهل جنسه في ذلك الوقت، ليكون ذلك ترقية وتمهيداً للمقام العظيم الشريف؛ وهو البعثة والرسالة.

كلمة: **(أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ)** ترجم لها البخاري في كتاب: "التعبير" في آخر الصحيح، تعبیر الرؤى

فقال: (باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة).

أيضاً الصالحة كما في هذه الرواية؛ رواية عُقيل، الرواية في كتاب التفسير وهي رواية يونس "الصادقة" هنا قال: (الصالحة) وهناك في رواية يونس في التفسير "الصادقة"، وفي "التعبير" رواية معمر ابن راشد قال: (الصالحة).

فاتفق أيضاً عُقيل عن الزهري ومعمر عن الزهري على كلمة (الصالحة). وانفرد يونس عن الزهري

بإيه؟ بـ"الصادقة". والمعنى واحد، هي صالحة صادقة.

هذا من الاختلاف التنوعي، أوصاف متعددة وتؤدي غرضاً واحداً، سواءً قلنا الصالحة أو الصادقة،

المعنى واحد فهي صالحة صادقة كذلك.

(فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ) ، **(فَلَقِ الصُّبْحِ)** أي ضوءه ونوره؛ وهو عندما

ينبج الصباح في الأفق، يظهر لكل الناظرين صفاؤه وتميزه عن خط الليل وسواده، هذا هو الفلق. بمعنى أنها

تتحقق وتقع كما رآه تماماً عليه الصلاة والسلام، كما ينبج فلق الصباح فينير حناديس الظلم، ثم فيه أيضاً

كما يقولون فيه استعارة تمثيلية على لغة أهل البلاغة.

لما كانت بعثته عليه الصلاة والسلام، والوحي ينزل عليه. نور سيّد دواجير الظلمة التي عمت العالم كما قلنا. شبّهت عائشة في كلامها بداية هذا الوحي بفلق الصبح، الذي يحتاجه الناس ليزيل عنهم ظلمة الليل، ليصروا موضع أقدامهم وينتشروا لمعاشهم وحياتهم وأحوالهم. فكما أن فلق الصبح يحتاجه الإنسان لمعاشه، ففلق النبوة ونورها وبعثة الأنبياء _ خصوصاً النبي الخاتم _ يحتاجه الخلق أعظم وأعظم، ليصروا طريق الهداية، وطريق الخير ليعيشوا للآخرة. إذا كان الصبح مهم لمعاش الدنيا، فالوحي وصبح الوحي ونوره أهم لمعاش الحياة الآخرة. وكيف يحيى في الآخرة حياة طيبة إذا لم يكن متبعاً لوحي الله المنزل على نبي الله، الذي جاء بداياته مثل فلق الصبح. أما تمامه ونهايته، فمثل الشمس في رابعة النهار، بددت كل ظلمة والحمد لله.

فمن ترك هذا الوحي وبعُد عنه، هو في الحقيقة أعشى عينيه، وأغمض قلبه، وأرجع نفسه إلى الظلمات، قال الله جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾⁽¹⁾.

فالكافر سيبقى في الظلمة، يعني الذي يكره الشمس والضوء سيغلق عليه بابه ويبقى في الظلمة أسيراً لها بأوهامها وخرافاتها، والظلام مناسب للأوهام والخرافات والأحلام التي لا حقيقة لها، بينما النور يسفر عن الحقائق كما هي ويربك الطريق فعلاً كما هو ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾⁽²⁾.

(ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ) وكلمة (حُبِّبَ) بُنيت كما يقول في لغة العرب لما لم يسمى فاعله . من الذي حُبب إليه الخلاء؟ الله. بفعل ما قذفه الله في قلبه _ كما قدمت لكم _ من كراهيته للأحوال الجاهلية التي كان عليها أهل عصره.

فهذه الكراهية دفعته إلى أن يحب العزلة، والخلوة، والبعد حتى يسلم من هذه الأوضاع، ويتحنن يعني كما سنذكر بالطريقة التي كانت متاحة له في ذلك الوقت. فتحبيب الخلوة إليه هي من الله بفعل ما قذفه في قلبه من كراهية الأوضاع التي كان عليها.

(حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ) قال بعض الشراح في الحديث: ثم حُبب الله إليه الخلاء، يعني حكاية الواقع حُبب وفي ذلك الوقت ما كان يعلم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا الذي في قلبه هو من الله جل وعلا؛

(1) الأنعام: 122

(2) إبراهيم: 1

لأن الله يهيئه لمقام عظيم، ما كان يعلم ذلك ألم يقل جلا وعلا: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾⁽¹⁾ وأمثالها، لم يكن يعلم أن هذه الأحوال التي هو عليها بسبب أن الله يريد أن يرشحه. لا، هو فوجئ بالوحي، فوجئ به باعتبار أنه ما كان يعلم شيئاً من ذلك وأنه رُشح لهذا المقام.

فلم يُذكر فاعل التحبيب هنا؛ لأنه في ذلك الوضع وذلك الموقع وتلك الحال في علمه عليه الصلاة والسلام أن هذا التحبيب له في الخلوة، والعزلة، وكرهية الأوضاع التي عليها قومه؛ إنما هي من الله سبحانه وتعالى.

• **(حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ)**، **(الْخَلَاءُ)** هو العزلة والخلوة والبعد عن مجامع الناس ومحاضرتهم، وملتقياتهم . فلم يجد له سبيلاً إلا غاراً فاقدًا لكل نوع من أنواع الترف والعيش، في جبل يقال له جبل حراء، أو غار حراء كما سنقرأ.

(حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ)، **(حِرَاءٍ)** فيها أربعة وجوه في ضبطها:

- "حِرَاءٍ" بكسر الحاء مع تحقيق الهمزة "حِرَاءٍ".
- أو بفتح الحاء مع تحقيق الهمزة "حِرَاءٍ".
- أو بكسر الحاء مع التسهيل؛ القصر بحذف الهمزة "حِرَاءٍ" بدون همزة.
- ومع فتح الحاء مع القصر "حِرَاءٍ".

أربعة وجوه ضبط بها العلماء هذه الكلمة، فقال ذلك القاضي عياض نقله تلميذه ابن قرقول في "المطالع".

غار حراء، الغار هو تجويف في الجبل. أي تجويف في جبل يسمى غاراً. الغور هو أي عمق. العمق في الأرض يسمى غوراً. والعمق في الجبل يسمى غاراً، انتبهتوا ولا لا؟
فكل عمق في شيء من أرض أو جبل يأخذ هذا المعنى؛ الغور أو الغار. فهو تجويف أو نقب في جبل، لا بد يكون نقب وفي جبل وإلا لا يسمى غاراً. الأرض، يسمى غوراً إذا كان فيها تعميق، أو سهل، أو انخفاض يسمى غور ولا يسمى غاراً.

(بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّنُ) الجبل المعروف في مكة كما قالوا على مرحلة من البيت.

(فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ) التَّحَنَّنُ: تَحَنَّنَ معناه: ألقى الحنث، ألقى عنه الحنث، الحنث لضبطها. ألقاه عنه،

الحنث ما هو؟ هو الإثم.

التحنت هو التأثم، ومنه قول معاذ في الحديث لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما قال: ((من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة، قال: أحدث الناس؟ قال: لا تحدث الناس حتى لا يتكلموا)) فلما حضرت معاذ الوفاة قال: ((حدث بها معاذ تأثماً))⁽¹⁾ وفي رواية (تحنتاً)، أي خوفاً من الإثم والحنث.

ويسمى الحنث أيضاً بمعنى الإثم ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَاثِرُونَ عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾⁽²⁾ أي على الإثم والجرم العظيم، يصرون عليه، ومنه الشرك والعدوان والظلم. ويطلق أيضاً على نكث العهد، حنث في يمينه أي نكث، وهو أيضاً من المعاني القبيحة.

فكلمة الحنث إما تأتي بمعنى الإثم، سواءً كان عظيماً كالشرك أو كان يسيراً، وتأتي أيضاً بمعنى نكث العهود والمواثيق. ومنه أن تقول: حنث في يمينه؛ أي حلف بالله على أمر لكنه ما وفى، نكث عليه إثم إلا أن يُكفّر وللا؟ أما إذا كانت يميناً كاذباً، فهذه عاد أسوأ وأساء عياداً بالله تعالى.

فالحنث أو نكث العهود ومنه كما قلنا: ﴿وَكَاثِرُونَ عَلَىٰ الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ فالتحنت إذن، التاء هذه بمعنى إلقاء الحنث ورفعها، أو كما تقول التأثم أي إلقاء الإثم والابتعاد عنه، وتقول التهجد، ما معنى التهجد؟ التهجد، المهجود هو السكون والنوم. فالتهجد أي ترك النوم وإلغائه بالقيام إلى الصلاة. الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. قال علماء العربية: التحنت والتحنف بالثاء والفاء بمعنى واحد، مأخوذ من الحنيفية. التحنت والتحنف ويقول بأن الثاء قد تبدل فاءً وبالعكس. ومنه جدث وجذف. القبر يسمى جدثاً بالثاء، ويسمى جذفاً.

فاعتبر بعض علماء العربية أن التحنت هنا بمعنى التحنف، وهذه لقطة مهمة جداً. فإذا كان هذا هو المعنى فعلاً، وإن كان بعض الشراح سيذكر شيئاً آخر، فكما أن التحنت هنا هو التحنف بالفاء؛ وإنما أبدلت الفاء ثاءً كناية لغوية فقط، يكون معنى تحنت النبي صلى الله عليه وسلم في غار حراء، هو تحنفه. بمعنى قصده اتباع الحنيفية، والحنيفية هي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

هذا سيفتح لنا باباً آخر، وهو يكون جواب لسؤال طرحه كثير من العلماء؛ وهو بأي شيء كان يتعبد النبي صلى الله عليه وسلم؟ هل كانت عنده شريعة سابقة بها يتعبد؟ أو كان مجرد العزلة فقط وترك تلك الأوضاع السيئة هو المقصود؟

(1) صحيح مسلم، "باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً"، رقم: 47

(2) الواقعة: 46

فإذا كان معنى التحنث هنا هو التحنث على ما ذكره ابن هشام ونقله عن بعض علماء العربية، يكون بذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقصد اتباع ملة إبراهيم؛ هي الحنيفية ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾⁽¹⁾ بمعنى أنه كان عنده شيء من علم ومعرفة بها، وأن إبراهيم كان حرباً على الأصنام والأوثان، وكان حرباً على هذه الأوضاع كلها، فكان عنده ليس بالضروري علم تفصيلي؛ وإنما علم جملي. انتبهت معي للكلام هذا وللا لا؟ بإبراهيم عليه الصلاة والسلام وإسماعيل، وأنهم كانوا يكرهون الأصنام والأوثان والأزلام وغيرها. ولذلك كان لما يذهب إلى الغار يعتزل قومه نعم، لكن يقصد إتباع الحنيفية بتحنثه؛ أي اتباعه ملة الخليل إبراهيم.

ويدل على هذا المعنى ويؤكد أمران اثنان:

- الأمر الأول: ما يزال عند العرب حتى وهم في ذلك الوضع شيء من معالم دين إبراهيم، كتعظيم الكعبة، والحج، وتعظيم البُدن وأمثالها. وإن كانوا أدخلوا فيها الكثير من البدع الشركية التي عندهم، لكن بقي شيء. فلا يمنع أن يبقى شيء آخر هجره ووفق إليه النبي عليه الصلاة والسلام الذي هو كراهية الأصنام وعدم تعظيمها.
- الشيء الثاني: لم يكن النبي عليه الصلاة والسلام وحده بهذه الحالة، كان له هناك نظراء من العرب كانوا يكرهون هذه الأوضاع، ويكرهون ويعرفون أن الأصنام هذه حجارة لا قيمة لها، ويعادونها.

وذكروا لو تراجع مقدمة السيرة؛ سيرة ابن هشام وهو يذكر أحوال العرب وأوضاعهم قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، ذكر عنوان يقول لك: "مسلمي الجاهلية" أو "حنفاء الجاهلية" يعني كان هناك مجموعة من الأشخاص سموهم مسلمين أو حنفاء، رفضوا هذا الواقع. ذكروا أربعة فقط غير النبي صلى الله عليه وسلم أحدهم سيأتي الحديث عنه وهو ورقة ابن نوفل الذي تنصر. وجد أحسن ما هو موجود في ذلك الوقت دين النصرانية؛ لأنه على الأقل فيه أنبياء، وفيه رسالة، وفيه كتابة. أحسن الموجود، ولا عبادة حجارة لا قيمة لها وأصنام.

ومنهم عمر ابن الحويرث، أيضاً سلك مسلك ورقة تنصر، هاجر ترك أرض العرب كلها وذهب إلى بلاد الروم في الشام هناك، وعاش مع النصارى في أديرتهم؛ لأنه وجد أيضاً أن الدين النصراني أحسن من غيره في ذلك الوقت.

(1) الحج:78

ومنهم قس بن ساعد الأيادي خطيب العرب المشهر.

ومنهم زيد بن عمر ابن نفيل العدوي، الذي كاد أن يدرك بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، وضح فيه الحديث وذكر له البخاري باب هنا سيأتي معنا؛ "باب قصة زيد بن عمرو بن نفيل" في كتاب "المبعث النبوي" قبل كتاب "المغازي".

وذكر القصة المشهور، قصة زيد ابن الحارث يقول: ((**خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم**)) أي قبل البعثة، لأن زيد كان خادماً للنبي قبل أن يُبعث. ((**فنزلنا بواد يقال له واد بلدح في مكة، فلقينا زيد ابن عمر ابن نفيل، فقدم لهم رجلاً من القرشيين سفرة طعام فيها لحم**)) أحد على الوادي فضيَّف النبي صلى الله عليه وسلم وضيَّف زيد بن عمر بن نفيل، وقدم لهم لحماً، لحم الجاهلية مذبوح على الأنصاب أليس كذلك؟

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**ارفعوا لا آكل ما ذبح على النصب**))⁽¹⁾ وزيد قال ارفعوا لا آكل ما ذبح على النصب، اتفق عليه الصلاة والسلام وزيد على رفض الأكل، معناته أنه ليس فقط تعظيم أصنام، حتى ما ذبح إليها مرفوض عند الرجلين. وهو يبعث أمة وحده كما صحَّ فيه الحديث. إذن كان له نظراء متحنفين مثله، تاركين لهذه الجاهلية، متمسكين ببعض الأهداب التي بقيت وبلغتهم من حنيفة من؟ خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام. هذا إذا قبلنا أو كان معنى التحنث هو التحنث على ما ذكره ابن هشام ونقله عن بعض علماء العربية.

وذكر فريق آخر من الشراح أن التحنث كما قلنا الخروج من الحنث وهو الإثم كالتأثم. والمعنى أن أوضاع الجاهلية كلها، إثم فخلطتهم والجلوس معهم قد تؤدي بالإنسان إلى أن يقع فيما وقعوا فيه من الإثم. فالحل للسلام من هذا الإثم وتركه والخروج منه هو الهروب إلى الخلوات والابتعاد عن مجامعهم وأماكنهم. والمعنيان بينهما عُقْلَةٌ شديدة، لكن المعنى الأول يفيدك أنه كان يتعبد بشيء من ملة الخليل إبراهيم، لا على سبيل التفصيل؛ لأن المعالم منظمسة ولكن على سبيل الإجماع، ككراهية الأصنام، وعدم أكل ما ذبح على النصب، وعدم الاستقسام بالأزلام؛ بل أبلغ من ذلك كله، وهذه ثابتة في مسند الإمام أحمد بسند صحيح، وذكرها البيهقي في "الدلائل"، وذكرها ابن نعيم أيضاً في "الدلائل"، ونقلها شيخ الإسلام ابن تيمية وتكلم عن حال النبي عليه الصلاة والسلام والإرهاصات التي كانت تهيئه للبعثة في الجواب الصحيح، عن زيد ابن ثابت أيضاً قال: (**دخلت مع النبي عليه الصلاة والسلام إلى الكعبة قبل أن**

(1) صحيح البخاري في الذبائح: باب ما ذبح على النصب والأصنام، رقم: 5499

يرسل إليه)) أي قبل أن يبعث ((وكان في فناء الكعبة صنمان من نحاس يقال لأحدهما أساف ويقال للآخر نائلة) أساف ونائلة فقال لي: ((إياك أن تتمسح بهما أو تقبلهما)) النبي يقول لزيد هذا قبل البعثة شوف هذا: ((لا تتمسح بها ولا تمسها، قال زيد: فأردت أن أمسهما لأنظر ما يصنع)) هل هو مجرد اقتراح بس، ولا وجه نظر، ولا أمر جازم يعني لشيء في نفسه قال: ((فتركته حتى مرّ بي فمستحهم بيدي فغضب علي غضباً شديداً وقال: (ألم أنهك عنهما وأمر بي) (1) أي اخرج لا تطف معي، ابتعد، اذهب.

هذا الغضب ما هو مجرد اقتراح، لا أمر مؤكد بتصميم. ولذلك غضب على مولاه وعلى خادمه زيد لما رآه يمسح بيده صنمين من نحاس أساف ونائلة وقال: (ألم أنهك عنهما) وأمر به فخرج وغضب عليه غضبة عظيمة.

فدلّ هذا على أن ترك مقصود له، وذم واضح له عليه الصلاة والسلام لهذه الأوضاع، التي من أخطرها طبعاً هذه الوثنية التي وقع فيها العرب. وهذا يكفي في أن يطلق على هذا الخلاء والخلوة التي كان يذهب لها للتحنف أو إن شئت التحنث، وهو واضح وضوحاً إن شاء الله كبيراً.

ثم قال: (فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ) كلمة (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) الطيبي الشارح، الطيبي له حاشية على شرح ابن المنير الاسكندراني، شارح اسمه ابن المنير الاسكندراني له شرح يعني حاشية على البخاري، وهذه الحاشية عليها حاشية ثانية للطيبي.

الطيبي قال بأن كلمة (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) كلام للزهري الراوي، أدرجها في الخبر كناحية تفسيرية، كأنه وهو يحدث بالحديث قال: (يتحنث) أراد أن يتبرع للسامعين ليفسر لهم معنى التحنث، فقال: (وَهُوَ التَّعَبُّدُ) ثم رجع فأكمل الرواية. فمع الوقت دخلت واندرجت في ضمن الخبر، وربما يظنها بعض القارئ أو المحدثين أنها من ضمن كلام عائشة؛ بينما هي في الجملة معترضة، قالها الراوي تفسيراً فاندرجت. هذا فن في علوم الحديث يسمى المدرج. قد يقول الراوي كلمة تفسيرية، أو توضيحية، أو استدراكية، أو تكميلية، فمع الوقت تندرج وتصبح وكأنها من جملة الحديث. فاحتاج العلماء الأئمة إلى أن يصنفوا كتباً لبيان المدرج. من أهمها وأوسعها كتاب الخطيب البغدادي في بيان المدرج في مجلدين مطبوعين مهمين للغاية.

(1) أخرجه النسائي في الكبرى (5/54، رقم 8188)، والبخاري (4/165، رقم 1331)، وأبو يعلى (13/170، رقم 7212)، والطبراني (5/86، رقم 4663)، والحاكم (3/238، رقم 4956)، وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (1/199، رقم 257)

ابن حجر الحافظ في "الفتوى" فاق الطيبي على أنه **(وَهُوَ التَّعَبُّدُ)** مدرج، لكن قال جزمه أنه من كلام الزهري يعني محتمل، قد يكون كلام للزهري، قد يكون لعروة، قد يكون عائشة يعني يحتمل أنها تفسير من أحد الرواة.

المهم كلمة **(وَهُوَ التَّعَبُّدُ)** ليست من لفظ الحديث؛ وإنما كلمة تفسيرية للتحنث، سواءً جعلتها من كلام الزهري، من كلام عروة، من كلام غيرهما. اندرجت في الخبر، هذا هو المطلوب، وهذا هو الذي نريد يعني أن نعرفه.

(وَهُوَ التَّعَبُّدُ)، التعبد سواءً قلنا التفسير من الزهري أو من.. فهم هؤلاء العلماء كالزهري أن

التحنث نعم هو إلقاء الحنث المؤدي إلى التعبد. والتعبد ناحية طلبية، التحنث ناحية تركية وللا لا؟ يترك الإثم، ويتعبد عن مواطنه بالعزلة. لا، التعبد تفيد معنى أبلغ؛ وهو أن يتعبد أي يعبد، أي يطلب معبوده، ضرورة هذه.

فكلمة **(وَهُوَ التَّعَبُّدُ)** ليست تفسيرية حرفية للتحنث. لا؛ بل هي تحنث وزيادة. التحنث يكفي فيه

عزلته وخروجه من مواطن الإثم، ومجامع الناس، فترك الإثم. لكن يتعبد، أفادت معنى أبلغ؛ وهي ناحية طلبية.

والتعبد معناه لا بد من معبود يتعبد، ومألوه يتأله. فهذا يؤكد على التفسير السابق؛ وهو أن

التحنث هنا معناه ليس فقط الترك بمعنى أيضاً التحنف، أي يعبد الله على حنيفية إبراهيم.

قد تقول لي ليس بالتفصيل، أوافق أنه ما فيه تفصيلات. لكن فيه جملة، ويكفي الإنسان في أوضاع

الجاهلية كهذه أن يتمسك بالحق الذي بلغه، ولو كان فيما لم يبلغه وهذا حكم سيحتاج إليه في آخر الزمان أيضاً، كما احتجج إليه قبل البعثة.

آخر الزمان لما تنطمس معالم الدين، ويندرس العلم، ويُرفع القرآن كما جاء في الأحاديث، يقول

عليه الصلاة والسلام: **((يسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية))** ⁽¹⁾ فيبقى الرجل

الكبير والمرأة الكبيرة يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة "لا إله إلا الله"، ما بلغهم غيرها، لا يعرفون لا

صلاة، ولا صيام، ولا حج ولا شيء. فالدين الذي بلغهم هو هذه الكلمة فقط، فهم متمسكين بها، وهم

ناجون بذلك؛ لأنهم متمسكين بما بلغهم لانطماس المعالم.

(1) الحاكم في مستدركه ج4/ص552 ح8544

كذلك في الحال الأول قبل البعثة، ما كان من معالم الحنيفية إلا رفض الأصنام وتركها، والإيمان بالله إيماناً جملياً عاماً، وطلب رضاه بالأمر المتاح، إما بالخلوة، إما بالعزلة، إما بالبحث عن دين يعتبر أحسن الموجود كما صنعه القسيس ورقة، والقسيس عمر بن الحويرث لما اتبعوا دين النصرانية. فهنا هذه؟ إذن كلمة التعبد أفادتنا هذا المعنى المهم.

(الليالي ذوات العَدَد) يعني ليالي معينة معدودة، كان يعتزل فيها النبي صلى الله عليه وسلم. ذكر

بعضهم وهي رواية إخبار السيرة وغيرها، أنه كان يخص شهر رمضان بذلك عليه الصلاة والسلام، يخص شهر رمضان بذلك، ويستأنس له بأن الوحي جاءه والمملك جاءه في شهر رمضان. لكن لا يلزم أن نقول كل تحننه كان في رمضان والعلم عند الله.

(قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ) ، (يَنْزِعَ) أي يفصل، ويرجع. يفصل أي ينهي هذه العزلة وهذا الخلوة في هذا

الغار، ويتزود لمثلها. قلنا ينزع بمعنى يفصل ويرجع.

(فَيَنْزِعُ لِمِثْلِهَا) قالوا يحتمل أن يكون الضمير **(لِمِثْلِهَا)** الهاء الضمير يعود على الليالي، أي يتزود

لليالي أخرى، فتكون **(يَنْزِعَ)** هنا أي قطع للخلوة لغرض التزود فقط ثم يرجع يكمل، كأنه يتزود بشيء من الطعام اليسير والماء، فيعتزل، فيفنى ما عنده من طعام وماء فيحتاج إلى... هو لا يريد قطع الخلوة، ولكن يقطعها لغرض أن يتزود فقط ثم يرجع ويكمل.

هذا إذا كانت الهاء يعود على الليالي، يعني يقطع عزلته ليتزود لليالي أخرى كالليالي التي قضاها،

فتكون هذا القطع محدود، ربما يوم أو بعض يوم. ينزع لزوجته يرجع لها، فيأخذ شيئاً من الطعام والماء ويعود يكمل خلوته.

أما إذا كان الضمير في قوله: **(لِمِثْلِهَا)** يعود على الخلوة فيكون بالفعل أتم خلوة كاملة، ثم يرجع

فيبقى ما شاء الله أن يبقى بين أهله ثم يتزود مرة أخرى ويرحل مرة أخرى إلى غاره، يقضي خلوة أخرى بليالي معدودة أخرى.

هذا معنى يعني **(قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَنْزِعُ لِمِثْلِهَا)** **(يَنْزِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَنْزِعُ لِمِثْلِهَا)** الهاء

إما يعود على الليالي أو على الخلوة.

(حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ) ، استمر على هذا الحال عليه الصلاة والسلام من هذا التحنف، والتعبد،

والتحنن، والخلوة، ونبذها، وكراهيتها، وتركه لأوضاع قومه، وما هم عليه. فلما تم فيه أمر الله جل وعلا، وأذن الله ببزوغ فجر الرسالة الجديدة العالمية العظيمة، وأراد الله للعالم رحمة ولأهل الأرض خيراً كما قال الجن:

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾⁽¹⁾ أراد بهم ربهما رشداً لما بعث لهم هذا النبي الراشد الكريم عليه الصلاة والسلام.

(حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ) هنا قال: (الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ) يحتمل أن تكون جملة (فَجَاءَهُ الْمَلَكُ) تفسيرية لجملة (جَاءَهُ الْحَقُّ) لا تفيد معنى جديداً إلا تفسير. فلما قال: (جَاءَهُ الْحَقُّ) كأن سائلاً يقدر سؤالاً: ما هذا الحق الذي جاءه؟ فيأتي الجواب أن الملك هو الحق الذي جاءه، أو (فجاءه الحق) أي الملك وما حمله من الرسالة والمعنيين داخلان بلا شك. فجملة: (فَجَاءَهُ الْمَلَكُ) تفسيرية لجملة (جَاءَهُ الْحَقُّ).

خطوا يعني إشارة عند هذا الموضع نكمل إن شاء الله في درسنا القادم.
نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضى، وأن ينفعنا بما نعلم ونقول ونسمع، ويجعل ما نعلم ونتعلم حجة لنا والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد،

ما زال الحديث متصلاً بشرف حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي أوله قولها: **(أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ)** وقد وقفنا عند قولها في الحديث: **(حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ اقْرَأْ)**، **(حتى)** لانتهاه الغاية كما هو معلوم، أي استمر صلى الله عليه وسلم على هذا الوضع من الخلوة بنفسه والنأي عن مجتمعه الجاهلي في ذلك الغار؛ وهو غار حراء، حتى أذن الله جل وعلا باصطفائه بنبوته واختياره لرسالته، فجاءه الحق وهو في الغار.
هكذا في الرواية التي هنا؛ في رواية الحديث في كتاب التفسير: (فجاءه الحق فجاءه الملك)، في الرواية التي في كتاب التعبير: (ففجأه الحق).

إذن جاءه هنا، في التفسير: (جاءه)، في التعبير في آخر الصحيح روى الحديث نفسه من طرق أخرى وسند آخر، فقال: "فجأه الحق"، "فجأه" تفيد معنى الفجاءة والبغف والغرة. من المعلوم أنه عليه الصلاة والسلام لا عهد له باتصال الملك به ومخاطبته له. فنزول الملك عليه وحضوره عنده في الغار، حقيقة تعتبر مفاجأة كبيرة وعظيمة له عليه الصلاة والسلام. فجأه أي أتاه فجأة في غير سابق عهد أو خيرة أو معرفة بمثل هذه الأمور، وهذه الفجاءة يجب أن نستحضرها؛ لأنها هي التي ستفسر لنا سبب رعبه عليه الصلاة والسلام، وخوفه الذي انتابه حتى أنه أصبح فؤاده يرجف فؤاده وترجف بوارده عليه الصلاة والسلام.

(حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارٍ حَرَاءٍ فَجَاءَهُ الْمَلِكُ) ، الفاء في كلمة (فَجَاءَهُ الْمَلِكُ) هي التفسيرية؛ الفاء التفسيرية؛ لأنها قالت: (جَاءَهُ الْحَقُّ) ثم أرادت أن تفسر ما هو الحق الذي جاءه فقالت: (فَجَاءَهُ الْمَلِكُ) فالحق المقصود هو الملك، الحق الذي جاءه هو الملك الذي جاءه ومجيء الملك، لا شك أنه حق.

وسبب اختيار أم المؤمنين هذه العبارة مهم جداً؛ لأن الإنسان قد يكون له اتصال بعالم من غير جنسه، كعالم الشياطين مثلاً أو عالم الأوهام والخيالات، وهذه كلها من الباطل الزائل الزاهد. أما اتصال الملائكة بالأنبياء وظهورهم لهم فهو من طرف الحق لا باطل فيه مطلقاً. ولذلك قالت: جاءه الحق وهو في الغار. ما هو الحق الذي جاءه؟ فجاءه الملك، فأصبح حرف الفاء في كلمة (فَجَاءَهُ الْمَلِكُ) تفسيرية للمجيء الأول الذي وصفته بأنه مجيء الحق إليه.

قد قدّمنا أن الملك اسم واحد الملائكة، وقد يطلق ويراد به اسم الجنس: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ﴾⁽¹⁾ أي جنس الملائكة وهو من الألوكة وهي الرسالة. وسمي الملك ملكاً لأنه مرسل. وكل ملك من ملائكة الله قد وُكِّل له أمره ووظفت له وظيفته ووكل بها بأمر الله سبحانه وتعالى. لكن قررنا فيما مضى أن الألف واللام هنا في كلمة (الملك) هي الألف واللام ليست للجنسية، مو مقصود جنس الملائكة أو ملك من الملائكة وكفى؛ وإنما ملك معهود معروف معلوم وهو جبريل؛ لأنه هو الذي وُكِّله الله جلّ وعلا بأمر الوحي والنزول على الأنبياء به. وهو الذي كان يأتي إلى النبي عليه الصلاة والسلام من أول الأمر — كما في هذه القصة — إلى آخره؛ وهو ختام الوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام في آخر الحياة النبوية.

فجبريل هو الملك. فاللام هنا يسمونها لام العهد؛ أي الملك المعروف الذي عُهد وعُرف أنه يأتي
للأنبياء، ويأتي للنبي صلى الله عليه وسلم وهو جبريل صلى الله عليه وسلم.
فجرت هذه المحاور العظيمة العجيبة. **(فَقَالَ أَقْرَأُ)** الملك الذي فجأ النبي صلى الله عليه وسلم في
الغار أمره بأن يقرأ، فكان الجواب الطبيعي: **(قَالَ مَا أَنَا بِقَارِيٍّ)**، **(مَا)** في كلمة **(مَا أَنَا بِقَارِيٍّ)** هي النافية
قولاً واحداً.

أما من فكر بأنها الاستفهامية كقوله: ماذا أقرأ؟ أو ما الذي تريدني أن أقرأه _ كما قد يُفهم _
هذه لا وجه له هنا؛ لأن لو جوزنا أن (ما) استفهامية، لو قلت لشخص اقرأ وهو يقرأ يعرف القراءة، لكن
يقول ماذا أقرأ، حدد الجزء أو حدد لي الموضوع، أو ماذا تريد أن أقرأ، لكان في ذلك إثبات؛ لأنه مجيد
للقراءة، لكن يريد مني تحديد ماذا يقرأ. أليس كذلك؟ لكن إذا كانت ما النافية، يكون جواب عن حاله، أنا
لست صاحب قراءة أصلاً، لا أجيد القراءة، أمي، وهذا وصفه صلى الله عليه وسلم لا يقرأ ولا يكتب.
فيجب أن تكون (ما) هنا هي النافية قولاً واحداً، لا وجه لجعلها استفهامية. وبذلك أعرض أكثر
الشراح عن قول من قال بأنها استفهامية، وجزموا وكادوا يجمعوا على أنها (ما) النافية؛ أي لست بقارئ ولا
أعرف القراءة، ولم يسبق لي أن قرأت ولا أجيدها، وهذا وصف النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم أنه أمي
لا يقرأ ولا يكتب.

(مَا أَنَا بِقَارِيٍّ قَالَ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدُ) ، **(الْجُهْدُ)** تضبط بضبطين كما ذكر

القاضي عياض في كتابه: "المشارك":

- الضبط الأول: بضم الجيم؛ الجهد.
- والضبط الثاني: بفتحها؛ الجهد.

فإذا قلت الجهد على الضبط الثاني، يكون المعنى: حتى بلغ مني الغطُّ غايته؛ يعني غطني غطاً شديداً
حتى أجهدي، وبلغ الغاية وأكربني. وإذا قلت الجهد، كانت في حق النبي أي المدافعة.
الإنسان إذا تعرض لأمر، يحتاج إلى نوع من المقاومة والمدافعة له. والمقاومة والمدافعة مهما كانت
سيبقى لها حدود تنتهي إليها.

وفي كلا المعنيين يظهر المعنى الجملي الكلي؛ وهو أن الغط كان عظيماً وشديداً، فبلغ غايته في
إرهاق النبي صلى الله عليه وسلم، وبلغت مدافعة النبي له عليه الصلاة والسلام أيضاً غايتها. حتى بلغ مني

الجهد أو بلغ مني الجهد، على الضبطين تخرج بمعنى كلي جملي؛ وهو أن غطّ الملك وهو ضمه؛ أي ضم النبي إليه ضمّاً عنيفاً شديداً قوياً أكرّب النبي صلى الله عليه وسلم وأتعبه وأعجزه.

مقاومته له بلغت حدودها ونهايتها، فبلغ منه الكرب مبلغه، فلما وصل إلى هذه المرحلة قال: **(ثُمَّ أَرْسَلَنِي)** أي أطلقني وأراحني قليلاً من هذا العناء الذي ألمّ به من الغطّ والضمّ الشديد.

ثم قال اقرأ مرة أخرى، فكان الجواب أيضاً الطبيعي السابق. لا عهد له بالقراءة، كيف يقرأ؟ فقال:

(مَا أَنَا بِقَارِيٍّ) يريد يقول: أنا لست صاحب قراءة، كيف تأمرني؟ هذا أمر تكليفي فيما لا يستطيع كما يقال.

قال: **(فَأَخَذَنِي)** المرة الثانية، **(فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ)**، كلمة **(الثَّانِيَةَ)** منصوبة قولاً واحداً، ووجه نصبها كما يقولون يسمونه نائب مفعول مطلق، والتقدير: فأخذني فغطّني غطّاً أو غطة ثانية، فغطّاً وغطّةً هو مفعول مطلق، فحذف وأنيب العدد منابه، كما تقول ضربه تسعاً، أو أعطاه خمساً. خمساً، تسعاً، هذه كيف تعربها؟ نائب مفعول مطلق، مثل أعطاه عطاءً تسعاً، أو ضربه ضرباً خمساً، وهكذا. فهي موضع نصبها نائب مفعول مطلق، والمفعول المطلق موضعه النصب دائماً، من الموصولات كما تعرفون.

(حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ) أو الجهد على الضبطين السابقين. **(ثُمَّ أَرْسَلَنِي)** أي أطلقني وأراحني من هذا الضم الشديد، والغط العظيم.

(فَقَالَ اقْرَأْ فَقُلْتُ مَا أَنَا بِقَارِيٍّ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ) أيضاً يأتي في الثالثة من الإعراب ما أتى

في كلمة (الثانية).

(ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ) الآن خلاص لا بد يصل الحوار هذا إلى نهاية. هذا مصرّ على الأمر بأن يقرأ،

وهذا يرى أنه تكليف خارج عن طاقته؛ لأنه لا يقرأ ولا عهد له بالقراءة. فقال بعد الثالثة: **(ثُمَّ أَرْسَلَنِي)**

فَقَالَ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ اللآيتين الباقية من الخمس الآيات المذكورة في روايتي التفسير والتعبير. فهي

أول خمس آيات تنزل من القرآن الكريم ومن الوحي العظيم من الله جل وعلا إلى النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الملك جبريل.

ويكاد يجمع أهل التفسير وأهل شرح الحديث على أن خمس آيات هي التي نزلت فقط، ليس ت
السورة كلها. الخمس الآيات الأولى فقط، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ⁽¹⁾.

هذه الدفعة الأولى من الوحي، وبقية السورة نزلت بعد ذلك كما في القصة المشهورة؛ لأن سبب
نزول بقية سورة العلق لا علاقة لها ببدء الوحي؛ وإنما لها علاقة بالصراع الذي كان يواجهه النبي صلى الله
عليه وسلم وكما سيأتي ذكره.

وسبب نزولها الأكيد، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم فُرضت الصلاة عليه، فكان يأتي فيصلي
عند البيت، فقام له عدو الله الشقي أبو جهل، فقال بلغ محمد أن يصلي بين أظهرنا، يكيدنا بصلاته وكذا،
فقام يريد أن يؤذي النبي عليه الصلاة والسلام، وفي بعض الروايات آذاه فعلاً، وضع قدمه على عنق النبي
عليه الصلاة والسلام، فضغط عليه ضغطاً شديداً حتى أتعبه وأكربه.

وفيه نزلت الآيات: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ
﴿أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾⁽²⁾ بقية السورة: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾⁽³⁾ يدعو حزيه هذا الجاهل أبو جهل ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾
﴿كَلَّا لَا تُطَعُّهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾⁽⁴⁾ نهاية السورة.

فالخمس الآيات الأولى هي التي نزلت، وهي ما نزل من القرآن قولاً واحداً، ولا يعارضه ما سيأتي
من نزول المدثر، فتلك لها جواب سيأتي في حينه.

وترك الأمر، تلقى عليه الصلاة والسلام هذه الدفعة الأولى من هذا الوحي العظيم، وهذه الآيات
الجليلة، وتركه الملك يستوعب هذا الموقف، وهذه اللحظة الفجائية الأولى العظيمة، التي هُيئ فيها عليه
الصلاة والسلام، واصطفى من قبل ربه للمقام العظم مقام النبوة؛ بل أعظم مقام النبوة؛ وهو خاتم
النبيين المرسلين صلى الله عليه وسلم. فهذا الموقف سبب له هذا الذي سيجري الآن.

(فَرَجَعَ بِهَا)، (بِهَا) إما أن تكون بالآيات الخمس، أو بمجمل القصة، أو بهما معاً. والتعميم أولى،
يعني رجوع بمجمل هذه الحادثة من رؤيته للملك، والضم الشديد، والأمر بالقراءة، ثم إعطائه الدفعة الأولى
من الوحي العظيم من الخمس آيات الأولى من سورة العلق.

(1) العلق: 1_5

(2) العلق: 9_12

(3) العلق: 17

(4) العلق: 18_19

رجع بهذا الحادثة كلها. طبعاً موقف كهذا رهيب، عظيم، فجائي، فيه ما فيه، لا بد أن يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم هذا الرعب الذي أتى وصفه هنا.

(فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُفُ فُؤَادَهُ) ، (يَرْجُفُ) بضم الجيم قولاً واحداً،
يرجف: أي يضطرب، الرجفان هو الاضطراب.

والفؤاد قد يطلق على القلب خاصة، وقد يطلق على القلب والروح؛ وهو الضمير والنفس. فالإنسان إذا رُعب، ليس القلب فقط؛ بل نفسه وداخله كله يصبح في حال اضطراب.

في الرواية الأخرى في كتاب التفسير، غُيِّرَت كلمة أو غُيِّرَت كلمة: (فؤاده) بكلمة (بواده)؛ فرجع بها ترجف بواده. والبوادر، صاحب الصحاح وهو الجوهري يقول: البوادر، صيغتها صيغة العدد وهي مفرد. بوادر، إذا سمعتها، تظن أنها جمع، مفرداً بادرة مثلاً، هذا على كلام صاحب الصحاح؛ اللي هو الجوهري، ويقول لا هي كلمة (بوادر) هي يراد بها شيئاً واحداً؛ وهو العرق الذي يصل المنكب بالعنق، وهو عند الخوف وعند الاضطراب يبدو ويبرز بحيث شديد.

من المعلوم، وهذا أمر واقع ويصدقه كل منا أنه الإنسان إذا خاف ورُعب، يبدأ القلب في نبض شديد، ثم يؤدي إلى ضخ كميات كبيرة من الدم، والعروق الرئيسية التي تصل الدماغ؛ وهو مركز الإحساس عند الإنسان بالقلب، لا بد تتجه أو تصدر من القلب عن طريق العنق فتبرز؛ وهي المسماة بالأوداج، تبرز عند الخوف، أو عند مثلاً الحركة الشديدة إذا الإنسان مثلاً كان يلعب لعباً شديداً، تجد عروقه، أو عروق عنقه خصوصاً التي من جهة منكبيه، فيها نوع من البروز؛ بل ربما تجد نبضها. فإذا كان نبض القلب سريعاً بسبب الجهد أو بسبب الخوف، تجد نبض العروق أيضاً فيه نوع من الاضطراب والسرعة. هذا هو الرجفان المذكور.

والمعنى الجملي أن طبعاً نبض العروق واضطرابها هو نتيجة للاضطراب الذي في القلب؛ لأن القلب هو ملك هذه الأعضاء كلها.

فسواءً قلنا يرجف فؤاده وقصدنا قلبه، أو قلبه ومحمل ضميره وروعه . فإن الرعب الذي سيدخل نفسه، ويسبب حبس النفس، وكثرة النبض، هو لاشك أنه مصدره من القلب كما هو معلوم، ويسبب اضطراب في حركة العروق ، خصوصاً العروق الرئيسية التي لا بد تسعف القلب عندما يضخ الدم ضخاً شديداً.

ولذلك حتى الأطباء يؤكدون هذا؛ أن الإنسان إذا كان مما يعرض الإنسان لما يسمى بالجلطة وكذا، الغضب الشديد والرعب الشديد؛ لأن القلب سيضخ كمية هائلة من الدم، وربما ما تسعفه العروق لهذه الكميات الكبيرة التي يضخها الدم، فيقع نوع من الضيق أو التجلط، فتقع ما يسمى بالجلطة أو نحوها، سواءً في قلبه أو حتى في دماغه؛ لأن الدماغ يحتاج إلى كميات كبيرة من الدم ليستجيب الدماغ لإدارة الأحداث للموقف؛ لأن الخوف يتولد عنه حذر شديد، ونظرات سريعة، وحركة مضطربة، وللا لا؟ مو خوف وجالس هكذا؛ تجده بصره كله في كل اتجاه، وهمه في كل اتجاه. فيحتاج مراكز العقل أن تسعفه بهذه التفسيرات للنظر المتتابع والحركات المضطربة. فإذا ما كان الدم الذي سيصل إلى الدماغ بالكمية الكافية نظراً لضيق في العروق أو علة فيها، تقع هذه القضايا نسأل الله لنا ولكم العافية.

(فَيَرْجِفُ فُؤَادُهُ) سبب رجفان الإنسان هو الخوف قولاً واحداً هنا؛ لأن الموقف رهيب وعظيم

وخطير وخارج عن المعهود البشري. انتبهتوا وللا لا؟

فلهذا الخوف ولهذا الرعب سببه ومبرره الواضح لما رأى وسمع صلى الله عليه وسلم. يرجف فؤاده أو بواده على الرواية في كتاب التعبير.

(فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) وهي زوجته الكريمة السيدة الفاضلة أم المؤمنين

خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية.

معلوم لدينا جميعاً أنها أولى زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، ولها من الخصائص أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج عليها غيرها في حياته، لم يجمع معها غيرها. وكانت ومازالت آثر أو من آثر وأحب وأكرم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عليه وإليه، حتى أنه من فرط محبته لها، وإعجابه بها، وإكرامه لها، كان يكرم قرابتها بعد وفاتها بسنين.

وخديجة توفيت في مرحلة مبكرة؛ قبل الهجرة بثلاثة سنوات في عام الحزن. فكان إذا لقي النبي عليه الصلاة والسلام أحداً من قرابتها أو زاره أحد من أهليتها يكرمه، ويعظمه، ويظهر له الترحيب والابتهاج نظراً لما لهذه السيدة الفاضلة عنده من منزلة.

وسياتي في هذه القصة الآن سبب أو طرف من كمال عقلها، وحسن تصرفها، وعظيم تأييدها

لرسول الله عليه الصلاة والسلام في أشد الفترات خطورة. انتبهتوا وللا لا؟

النبي أتى مرعوباً، وقال زملوني، وخشيت على نفسي. فالموقف كان يحتاج إلى معاضدة وتسليية، وأن يُسلب وتُسل من نفسه هذا الخوف وهذا الرعب والظنون التي ربما دخلته مما رأى وسمع، فكان لعقل هذه السيدة الفاضلة ولوقوفها بجانبه الأثر العظيم الكبير.

فهذا التصرف منها الذي سنقرؤه الآن، فيه بيان ما كانت عليه من رجاحة العقل، وجودة الرأي، وحسن التدبير والتفكير رضي الله عنها، مما أفرز لها هذا الموقف العظيم بجانبه صلى الله عليه وسلم في أشد فتراته عليه الصلاة والسلام شدة وصعوبة رضي الله عنها وأرضاها. ولذلك نزلت منزلها اللائق بها، وجاء جبريل عليه الصلاة والسلام برسالة إكرامية من الله جل وعلا وقال: أقرئ خديجة السلام وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، أو قال: لا صخب فيه ولا نصب، اختلاف فيه في الرواية. ففضائلها كثيرة، وهي أم ولده أيضاً، لم يرزق عليه الصلاة والسلام الولد إلا من خديجة ما خلا إبراهيم ابنه، وليس من زوجه؛ وإنما من سرّيته التي هي مارية التي أهداها مقوقس مصر؛ حاكم مصر للنبي صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمهد.

أما أولاده وذريته عليه الصلاة والسلام، فكلهم من خديجة رضي الله عنها؛ بناته الأربع: رقية، وأم كلثوم، وزينب، وفاطمة رضي الله عنهن جميعاً. وأولاده اللي ماتوا في المهدي: القاسم، والطيب، والطاهر، هذا إذا كانوا ثلاثة بالفعل، وإلا ابن القيم يقول كلهم شخص واحد وهو القاسم وهو الطيب وهو الطاهر، ألقاب طفل واحد ومات في المهدي.

(فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ زَمْلُونِي زَمْلُونِي) التزميل وهو أن يتدثر

ويتلقّف بشيء من الغطاء نظراً لما أصابه من رعب، فيحتاج إلى أن يجمع على نفسه أعضاءه، وبالتالي يجمع على نفسه فؤاده وقلبه، وكان في التدثير والتزميل والتغطية ما يجمع عليه سكونه وفؤاده حتى يرجع إلى حالته الطبيعية، لينظر فيما جرى، وينزله منزلته اللائقة به؛ لأن الخائف وفي معناه الغضبان، وفي معناه الفرحان، وفي معناه الحزان، في وقت هذه الظرف أن النفس الغير طبيعي تكون قراراته وأحكامه على القضايا غير سليمة في الغالب.

وقت الغضب، كل كلمة تقول أو تصرف ستندم عليه. وكذلك وقت الفرح الذي يخرج الإنسان عن طوره. وكذلك وقت الحزن الشديد، وقت الخوف والشدة.

لذلك يقول ابن القيم في كلام له في كتاب "الفوائد" جميل يقول: "فترات الضعف في الإنسان

أربعة" حالات الضعف التي في الإنسان أربعة. "إذا انتبه لها وحذرهما سلم، الغضب الشديد، والفرح

الشديد، والحزن الشديد، والخوف الشديد" ؛ لأن هذه ستخرج الإنسان ستلغي عليه تفكيره السليم، ستصبح قراراته وأفعاله هم ردود أفعال طائشة، أول نادم عليها هو؛ أول من سيندم عليها هو. الغضب الشديد سيغلق عليه مجامع عقله وتفكيره؛ بل ربما حتى رؤيته. فيصبح يتكلم، ويفعل، ويطلق، ويكفر، ويسب، ويلعن، ويقتل في وقت لا يملك فيه تصرفه، فيقع في متاهات خطيرة جداً؛ لأنه أصدر قرارات وتصرفات في وقت غير وقت الصواب. كذلك الحزن الشديد والحزن الشديد هو الذي استغله الشيطان، فأدخل الشرك على البشرية في أول عهدنا ودهرها.

قصة قوم نوح المشهورة، ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر من هم؟ كانوا أسماء رجال صالحين، على الإيمان والملة، فماتوا فحزن أتباعهم. هذه اللحظة الآن اللي استغلها الشيطان. حزن أتباعهم عليهم حزناً شديداً، أو وجدوا عليهم وجداً شديداً، هذا الحزن أضعفهم، وأغلق عليهم التفكير السليم لعواقب الأمور، فاستغل ذلك الشيطان فيهم فوسوس إليهم الشيطان إنكم لو صورتهم لهم التصاوير ونَحَّ بَعْضُ عَلَى أَشْكَالِهِمُ التماثيل، ونصبتموها في أماكن العبادة، لكان يعني أنشط لكم، فقبلوا الفكرة واستوعبوها ونفذوها؛ لأن وضعهم النفسي كان وضع غير الوضع الذي تكون القرارات فيه سليمة، يعرف الإنسان ما وراءها بضغط الحزن الشديد عليه.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم حذر تحذيرات شديدة من التصرفات الرعناء القبيحة التي تُفعل أثناء الحزن كلطم الخدود، وشق الجيوب، وإحشاء التراب، اللي يصنعه الناس اللي بقيت فيهم خلايا أو شعب الجاهلية كما قال عليه الصلاة والسلام: ثنتان في أمتي من أمر الجاهلية لا يدعهن، وفي رواية ثلاث، وذكر منها النياحة. وذكرهم وقال: ((أنا بريء من الحالقة والسالقة والشاقة))⁽¹⁾.

— الحالقة: التي تحلق رأسها إظهاراً للجزع من المصيبة.

— والشاقة: التي تشق ثوبها، وخصت النساء بالذكر؛ لأنهن أقل تحملاً لهذه الصدمات.

— والسالقة: التي ترفع صوتها بالصراخ والعيويل والبكاء.

كل هذه أخرجت الإنسان عن وضعه الطبيعي وللا لا؟ بسبب ماذا؟ الحزن. إذا كان الشيطان نجح بنجاح كبير جداً في استغلال فترة الحزن الشديد، فأدخل على البشرية الشرك وهو أعظم محذور، كان للحزن الشديد اللي هو نموذج من نماذج ضعف الإنسان تأثيره.

(1) الطبراني في مسند الشاميين ج1/ص362 ح624

ولذلك جاءت الأحكام الشرعية بالتحذير من تجاوز الحدود الشرعية عند المصيبة وعند الحزن، والتي من أخطر هذه الأمور، من أخطرها الاعتراض على قدر الله أو إساءة الظن بأقدار الله جل وعلا. قد يقع فيه الإنسان نظراً لتأثير المصيبة عليه، فيحتاج إلى أن يجمع الإنسان عليه نفسه ويحذر من استغلال الشيطان له فترة الغضب الشديد كما صورنا، وفترة الحزن الشديد.

وكذلك الفرح تجد الإنسان رزيناً عاقلاً، فإذا أصابته طيشة الفرح صدرت منه كلمات وتصرفات لا تصدر عن أخف الناس عقلاً. أين ذهب تلك الرزانة؟ وأين ذهب ذلك العقل؟ غُطِّي بخرم الفرح والطيش الشديد الذي أصابه؛ ولذلك ذمه القرآن وقال كما في قصة قارون: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾⁽¹⁾ وفي آية أخرى ذُكر من أسباب عذاب أهل النار ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾⁽²⁾.

يقول بعض المفسرين: "الفرح إنما دُمَّ لما يترتب عليه". غير ممنوع على الإنسان أن يفرح بشيء من الخير، قطعاً عندما تُبشِّر بشيء يسرُّك سيكون غير لما تكون في وضع عادي هكذا. وللا؟ ستبلى أسارير وجهك، ويدخل نفسك شيء من السعادة والفرح والسرور، ويظهر ذلك على تقاسيم وجهك، ونظرات عينك، وابتسامتك.. إلى آخره.

هذه لا يكلف الإنسان، لكن إذا تجاوز به حدوده وأصبح طيشاً، سيدفعه إلى الرعونة وإلى الغرور ربما، وإلى نسبة الخير الذي أصابه إلى جهده مثلاً أو عقله أو ذكائه كما صنع قارون: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾⁽³⁾ فيقع في المحاذير الشرعية، هنا يُدَم. هنا ماذا؟ هنا يدم الإنسان إذا أدى به هذا الفرح إلى مثل هذه الأمور، وكذلك الخوف الشديد.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحتاج هنا إلى نوع من التدثير، وزملوني حتى يجمع عليه فؤاده ويرجع لوضعه الطبيعي ليقم الموقف تقيمه اللائق به. ولذلك عبّر كما سيأتي في الكلمة التي بعدها، يقول الخديجة: (خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي) أثناء الاضطراب والخوف هذا، خشي. وسيأتي تفسير ما هو مورد هذه الخشية، أو ما هو متعلقها، وما هو وجهه. قيل الموت، وقيل خشي أن يكون هذا من أذى الشياطين والجان وكذا...

(1) القصص:76

(2) غافر:75

(3) القصص:78

فحتى لا يتمادى في هذا الوهم، كان لابد أن يرجع إلى وضعه الطبيعي، مع ما وفق الله أم المؤمنين خديجة من رأيها الراجح، وثنائها عليه، وسلت ما فيه من روع، مع أيضاً استشارة صاحب الخبرة بأحوال الأنبياء السابقين؛ وهو ورقة.

هذه كلها لما اجتمعت، شوف الآن جاء القرار، قرار مناسب وصحيح وهو أنه علم صلى الله عليه وسلم أنه اصطفى واختير ليكون رسول رب العالمين إلى العالمين أجمعين.

(فَزَمَلُوهُ) أي غَطَّوه حتى ذهب عنه الروع. هذا ما كنت أقوله، لابد يذهب الروع حتى يبدأ يقيم

تقيماً صحيحاً. وهذا لابد شيء نستفيده في تصرفاتنا حقيقة. سواءً في ذات أنفسنا، أو في علاقتنا مع أهلينا وأبنائنا، أو في علاقتنا مع عموم الناس. لا تُصدر قراراً أو تتخذ موقفاً تشنجياً نتيجة غضب أغضبته، أو خوف دخل عليك، أو حزن أصابك، اتخذ قرارك وأنت في وضعك الطبيعي حتى يكون نظرك للأمر صحيح، واستشفاؤك للعواقب دقيق إلى حد ما.

أما إذا اتخذته نتيجة ردة فعل لموقف أصابك، ستكون مخطئ في الغالب، وأول من يتحمل نتيجة الخطأ هو أنت أو من يتصل بك من أهلك وأولادك. خطر يعني قرار يعني يترتب عليه أمور كالطلاق مثلاً، أو شيء، أو زواج أو شيء من هذه الأمور يحتاج إلى أن يكون الإنسان...ليدرس الموضوع بوضعه الطبيعي. لا يكون نتيجة تأثيرات خارجية تُغضبه، أو تُفرحه، أو تُحزنه، أو تُخيفه، أو شيء من هذا القبيل.

(فَقَالَ لِحَدِيحَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ) حدثها في القصة كاملة التي جرت له.

(لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) هنا دخلت جملة اعتراضية بين مقول القول وفعل القول، وتقدير

الكلام: فقال لخديجة لقد خشيت على نفسي، وأدخل بينها كلمة وجملة: **(وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ)** يمكن أن تُرتب أنت تقول: فأخبر خديجة الخبر وقال لها لقد خشيت على نفسي. يعني **(أَخْبَرَهَا الْخَبَرَ)** ليس تفسير مقول القول.

فقال لخديجة: لقد خشيت على نفسي. فجملة: **(خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)** هي القول الذي قاله

لخديجة. لكن أفادت الجملة الاعتراضية أن هذا القول قاله بعد أن أخبرها القصة، فيكون ترتيب الكلام: لما ذهب عنه الروع واستراح صلى الله عليه وسلم، ورجعت إليه نفسيته، واستقر، أخبر زوجته خديجة رضي الله عنها الخبر؛ القصة. ثم رتب على هذا الخبر قوله: **(لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي)** فالآن يريد أن يصل إلى قرار هل هذه الخشية في محلها ولا في غير محلها؟

طيب، (خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي) قال العلماء والشرّاح ما المراد؟ ماذا خشي على نفسه صلى الله عليه وسلم؟ ماذا خشي على نفسه؟ عندكم في الفتح هنا ذكر الشارح ابن حجر عشرة أقوال: الموت، والمرض، والخشية... من وغيرها. ورجح الشارح ابن حجر أنه الموت؛ أي خشي على نفسه الموت وضعف ما سواه. لكن ابن القيم له رأي آخر، ورأي ابن القيم هنا مستند إلى نفس ذات الحديث وألفاظه. ابن القيم يقول: خشي عن نفسه. ماذا خشي؟ طبعاً الحدث الذي حدث له خارج عن المعهود البشري، رجل أو شيء ما ملك جاءه في صورة غير معهودة، وجرى بينهم حوار غير معهود، وأمر عجيب خارج عن حدود البشر.

والمعلوم في ذلك الوقت أن ما فيه سابق علم بأحوال الأنبياء ، أن هذا لا يقع إلا لمن تتصل بهم الأبالسة والشياطين، وتوحي إليهم زخرف القول غروراً، كما تخرج أو تتحدث الشياطين مع الكهنة ومع السحرة وأمثالهم. فهل هذا من هذا؟

الخشية لها وجه هنا، ولا ما لها وجه؟ ليش لها وجه؟ لسببين:

السبب الأول: ما كان عنده عليه الصلاة والسلام عهد ولا خبر لما يجري للأنبياء. ما درس كتاباً، ولا يقرأ، ولا كان عند العرب أخبار عن الأنبياء كما هي عند بني إسرائيل. هذه واحدة. والحالة التي كانت سائدة عند العرب نظراً للجاهلية التي كانوا فيها؛ وهو انتشار السحر والكهانة، وهذه اتصالها بعالم الشياطين اتصال كبير جداً.

فخشي على نفسه أن يكون من هذا الجنس الثاني، أو ما جاء له من هذا الجنس الثاني. هذا أول وجه يدل على أن الخشية هنا ليست هي الموت. انتبهتوا وللا لا؟ لأنه لو كان الموت، لانتهى وقت الخشية الآن وزال؛ لأن المسألة انتهت وانقضت وهو مازال حياً.

فالإنسان يخشى على نفسه الموت وقت الحادث، أما بعد أن زالت وهو يريد أن يقيم الموضوع ويقيم الحادث، ما يقول: لقد خشيت الآن على نفسي الموت، لقد خشيت على نفسي بعد القصة، يريد يستشيرها هل هذه الخشية في مكانها، وأن هذا من جنس ما يجري للكهان والسحرة من خروج الشياطين لهم واتصالهم بهم، وحديثهم معهم ولا شيء آخر؟ والشيء الآخر هذا ما هو؟ ولا سابق له بعلم ولا خبر به.

الوجه الثاني مما استدل به ابن القيم على أن الخشية المراد بها خشي أن يكون هذا من جنس أحوال الشياطين واتصالها وحديثها. الوجه الثاني كلام خديجة معه. خديجة لما قال لها: لقد خشيت على نفسي.

ماذا قالت له؟ لو كان الموت قالت: لا الحمد على السلامة، جاءت سلامات، وما جاك إلا العافية. صح
وللا لا؟

فلما يجي للإنسان حادث، سيقول لك والله أمس صار لي حادث. ماذا تقول له؟ تقول له: الحمد
لله، نحمد الله... هذا الجواب الطبيعي. لكن تقول: "كلا لا يخزيك الله أبد أ إنك تصل ..". الآن موضوع
آخر، نتكلم عن شيء الآن وللمستقبل. هذه حادثة لها ما وراءها، وقصة لها ما بعدها. وليست أحوالك
خاصة التي أنت عليها ما تناسب أحوال السحرة من القذارة، ولؤم النفس، وخسستها، و.. أحوال الساحر
يعني وأخلاقياته الدنيئة القبيحة، ليست أخلاقياتك من هذا القبيل.

إذن ليس ما أصابك من جنس ما أصابهم. هذا هو الجواب الطبيعي وهو الرسالة التي تريد خديجة
أن تظمنه بها. ليس الموت؛ الموت كانت قالت سلامات الحمد لله وانتهى لموضوع، الحدث انتهى وسلم وما
مات. لا، تريد أن تبين له أن ما أصابك ليس من جنس ما يصيب السحرة، للفارق الكبير بين أخلاقيات
هذا الرجل المبارك الطاهر وبين ما عليه الساحر والكاهن والمشعوذ من ظلمة النفس، والأنانية، وأكل أموال
الناس بالباطل، والخبث، والشر، والفساد الذي هو حال الساحر.

أما الذي يحمل الكل، ويقري الضيف، ويُعين على نوائب الحق ما يناسبه هذا المقام السفلي؛ وإنما
يناسبه مقام علوي. إذن لا بد من مورد آخر غير مورد عالم الشياطين والسحرة؛ وهو الذي يعني فقته
خديجة رضي الله عنها.

استدل ابن القيم أيضاً بقصة في السيرة، وإن كان يعني قد نتحفظ على روايته في السيرة، لكنها في
الجملة يُستأنس بها للمعاني، أن خديجة قالت له: (ماذا رأيت يا ابن عم؟ فذكر لها النبي صلى الله عليه
وسلم ما رأى. فقالت: اجلس عن يميني، فجلس عن يمينها، فقالت له: هل تراه؟ قال: نعم) مازالت صورة
المَلِك تتجدد له. (اجلس عن يساري هل تراه؟ قال: نعم) إلى أن قامت في النهاية حصرت عن درعها
وكشفت عن صدرها وقالت: (اجلس في حجري، فلما فعل ذلك قالت: هل تراه؟ قال: لا أراه) قالت
هذا ليس من الشياطين، استحي المَلِك من هذا الوضع. أما الشياطين فالحياء ما هو موجود عندها، ملغى
تماماً في قاموسها.

من الأدلة أيضاً أخذها له إلى ورقة، تريد أن تؤكد على فهمها، وأن ما أصابك ليس من جنس
أحوال الشياطين والاتصال؛ وإنما عالم آخر ملائكي. لكن هي ما عندها ربما العلم السابق بهذه الأمور،
فاستنجدت بمن عنده علم سابق وهو ورقة. ولماذا اختارت ورقة من بين غيره؟ في قريش عقلاء كثيرون.

اختارت ورقة ليس لعقل ولا لغير عقل؛ لأنه عنده أثارة من علم، تنصّر وكان يقرأ الكتاب، فعنده أخبار عنده أحوال الأنبياء، يعرف ما يجري لهم، فاستشارته فتأكد رأيها وثبت صواب يعني توجيهها. هذه كلها الحثيات تؤكد أن خشيته على نفسه ليست من الموت، وإن كان استظهره الحافظ وأبطل ما سواه؛ وإنما هي خشيته أن يكون ما أصابه من جنس ما يسمعه من أحوال الكهنة من خروج الشياطين لهم وحديثها معهم.

فباستدلالاتها بالاستدلال بأحواله النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة، وأخلاقه العالية، وطهارة نفسه، وحسن معشره عليه الصلاة والسلام بالإضافة إلى رأي ورقة ابن نوفل؛ لأنه عنده معلومات عن الأخبار السابقة، فلأكد أن ما سمع ورأى عليه الصلاة والسلام إنما هو من اتصال العالم العلوي؛ اتصال الملائكة، الناموس _ كما سيأتي _ الذي أنزل على موسى، لا علاقة له بالشياطين فعلم عليه الصلاة والسلام أنه اصطفي لمقام النبوة.

(فَقَالَتْ خَدِيجَةُ كَأَلًا) ، (كَأَلًا) للإضراب والاستبعاد والنفى. كلاً أي لا تخشى على نفسك، أو كما على رأي ابن القيم وهو الرأي الحقيقة الظاهر من حيثياته القوية، لا تخشى على نفسك أن يكون ما أصابك من أفعال الشياطين. كلاً، ليس هذا ليس موضع الخشية هنا له وقت ولا مكان. ليه؟ (وَاللَّهُ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا) حلفت بالله ما يخزيك.
هنا كلمة **(يُخْزِيكَ)** لها ضبطان:

رواية أبي ذر الهروي؛ وهو الحافظ عبد بن أحمد، راوي الصحيح. وروايته هي التي اعتمدها الحافظ ابن حجر في شرح الصحيح. وأبو ذر عبد بن أحمد الهروي يروي الصحيح عن ثلاثة شيوخ هم: أبو محمد المستملي، وأبو الحسن السرخسي، أبو الهيثم الكشميهني. والثلاثة هؤلاء يروون الصحيح عن صاحب البخاري محمد بن يوسف ابن مطر بن صالح الفربري، والفربري يرويه عن البخاري. هذا السند، يرويه عن البخاري الحافظ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مطر بن صالح الفربري، ويرويه عن الفربري جمع، منهم هؤلاء الثلاثة: المستملي، والسرخسي، والكشميهني، وعن الثلاثة يروي أبو ذر الهروي وهو عبد بن أحمد، وروايته هي التي اعتمدها الحافظ ابن حجر وشرح عليها.

وضبط الكلمة في رواية أبي ذر "والله ما يخزئك" من الحزن، بالحاء المهملة، بضم الياء والحاء المهملة والزاي؛ **(يُخْزِيكَ اللَّهُ)** أي لا تحزن. ولن يجعل الله للحزن عليك سبيلاً؛ لأنك على أخلاقيات عظيمة.

والضبط الثاني في الرواية الأخرى: "والله ما يُخزيك" بالخاء المعجمة. والخاء المعجمة والزاي أي بالضم: يُخزيك، من الخزي. وكلاهما إن شاء الله يعني معنيان... أي لا تحزن ولا يخزيك الله أبداً؛ لأن من كان على هذه الأخلاق لا يُخزي أبداً، ولا يخزيه الله سبحانه وتعالى؛ إنما يخزي الله جل وعلا من كان على الصفات القبيحة، والأخلاق الدنيئة الرديئة، والمقاصد الفاسدة. أما صاحب الشرف العظيم، والمقام الكبير، والأخلاق العظيمة، موقفه وموقعه في ميزان الله جل وعلا الإكرام والإعظام لا الخزي ولا غيره.

والله ما يخزيك الله أبداً، وأبَدَت الكلام كأنها شعرت بأن بوضع زوجها وأنه سيستقبل حياة حافلة بالدعوة، والجهاد، والعمل، والخزي لا يناسب. إذا ما ناسب الأخلاقيات السابقة مع أن نفعها محدود نوعاً ما، فكيف إذا تحول إلى نبي يريد ينفع البشرية كلها؟ سيكون الخزي أيضاً أبعد عنه ولذلك أبدت هذا النبي، فقالت: **(مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً)**، طيب لماذا؟

(إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكَلَّ وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ).

ذكرت هناك صفة؟ خمس: صلة الرحم، تحمل الكل، تكسب المعدوم، تقري الضيف، تعين على نوائب الحق. نفس الخمسة تكررت في رواية الحديث في كتاب التفسير مع زيادة صفة سادسة، وهي تصدق الحديث وصار معنا ست صفات. وكما تسمع الآن صفات جامعة.

وقبل أن نتحدث عن الصفات، نقرر مسألة مهمة. قد يظن كثير من الباحثين أن الدليل الذي يدل على صدق الأنبياء هو المعجزة، وقد يجمع على هذا أهل الكلام. لا يميز النبي الصادق عن المتنبئ الكذاب إلا أن يأتي النبي الصادق بماذا؟ بأية قاهرة اللي هي يسمونها المعجزة الخارجة عن مقدور البشر، على سبيل التحدي كما يقولون.

لذلك يعرفون المعجزة أنها الدليل الوحيد على صدق الأنبياء. لا، حقيقة هذا تضيق. دلائل النبوة أوسع دائرة وأكثر أنواعاً من المعجزة. المعجزة نوع واحد من ستة أنواع، وشرحها الأئمة ومن أعظم من بحثها بحثاً مستفيضاً الشيخ الإمام ابن تيمية عليه رحمة الله في الجواب الصحيح. ستة أنواع منها؛ بل من أعظمها الإخبار بالمغيبات. هات شخص يخبر عشرات الأخبار بل مئات الأخبار الغيبية، ما ينحرم منها واحد، لا يمكن.

الكاهن والعرفان والمنجم يعطيك عشرات التوقعات، يصدق منها اثنان ثلاثة عشرة وسبعة مائة كلها طلعت كلام فارغ. فالناس ما يحاسبون عن السبع مائة الكاذبة، لا! يعظمون العشرة الصادقة، هذا قلب للموازن. لكن من يعطيك أخبار تفصيلية ليست أخبار جمالية حتى كأخبار الكهنة والمنجمين، يعطون

أخبار جملية عامة. لكن الأنبياء يعطون أخبار تفصيلية دقيقة، وعشرات ومئات الأخبار. ما حدث قط ولن يحدث قط أن واحداً منها تخلف.

هذا برهان قاطع على أن هذه الأخبار ليست من ضمن التخمينات والتوقعات والاحتمالات التي يطرحها المشعوذ والعرفان والمنجم بزعم أنه عنده القدرة على استكشاف الغيب المجهول بواسطة الجان، أو بواسطة الأبراج، والأفلاك إلى آخره. لا، وللا لا؟

ولكن لا نجوز ونتحدى أيضاً كما هو معلوم أن يُثبت على خبر نبي من أنبياء الله، ثبت عنه من أخبار الغيب المستقبلية، فجاء خلاف ما أخبر به، هذا لم يقع قط. والتاريخ حاضر والمواقف شاهدة، والله يسير أقداره ليصدق أنبياءه ورسوله عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

هذه يجب أن تعطى قدرها، والنبوة أصلاً هي النبوة، هذا موضعها حقيقة. يعني إيش ميزة النبي عن غيره؟ ما معنى النبوة؟ من الإنباء، والإخبار، والوحي، والإعلام الخفي، شيء خُصَّ به عطي علم، معلومات هائلة عن غيب الماضي في أحوال الأمم السابقة. تاريخ يمتد مئات السنين وألوف السنين، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ ماذا يقول جل وعلا؟ ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾⁽¹⁾ من قبل الوحي ما.. كيف تعرف أخبار نوح وادم وبينك وبينه الله أعلم كم ألف سنة؟ كيف؟ وعلى سبيل التفصيل ما هي إجمال.

المؤرخين وشعوب ما قبل التاريخ، شعوب ما بعد التاريخ، شعوب ما قبل الطوفان. جمليات، ظنون، ويستدلون بأشياء يعني عظام بالية، ودينصور، ولا عظم حمار، مات قبل عشرات السنوات، ما ندري. المهم يعني ما تبقى، لكن أخبار تفصيلية حتى يعطيك ما جرى في نفسية نوح وخواتمه ومعالجته لنفسه. مثلاً لما يقول لك عن يوسف : ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾⁽²⁾ ها هي خذ هذه كيف تعرفها يعني؟ بعظام وللا ب... كيف تعرف المعلومة هذه؟ وحزن يعقوب، وخلوته و... هذه معلومة، يعطيك ما جرى في نفس ذات النفس، نبي بينك وبينه عشرة آلاف سنة يا رجل!

شيء ما هو طبيعي هذا، علم يجب أن يُثمن وهو من أخبار النبوة، ومن أعظم دلائل النبوة، وأعظم منه أو مثله؛ الغيب القادم الذي ما له أصلاً أدلة نهائياً.

(1) هود:49

(2) يوسف:77

لو فرضنا أن التاريخ الماضي، ربما يتوصل إليه بآثار، أو آنية، أو يعني مخطوطات أو... ربما يعني مع التحفظ الكبير على صحتها وصدقها، لدرجة.. لذلك تتجدد المعلومات وتُنقَض، تارة بحسب ما وجدوا عظماً جديداً، يعطيهم معلومة تنقض ما أفاده العظم القديم. لكن شيء قادم! هذا ما يبقى إلا الظن، والاحتمال، والتخمين.

والظن والاحتمال والتخمين، ما يحتاج إلى كاهن ولا مشعوذ، كل إنسان يحسنه. وللا لا؟ أنت تستطيع أن تتخيل وتتهم وتقدّر ما سيجري من أحداث، ظن خيال ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾⁽¹⁾ كما قال جل وعلا، لكن الظن لا يغني من الحق شيئاً وفي الآية يقول: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾⁽²⁾ وفرق بين ظنون الخلق وأوهامهم واحتمالاتهم، وبين الحق الذي جاءهم عن طريق الأنبياء والرسل. فالأخبار الغيبية دليل ناصع وظاهر وعظيم من دلائل صدق الأنبياء والرسل عليه الصلاة والسلام.

النوع الثاني من أنواع دلائل النبوة هذا، الذي سماه العلماء: دلالة الأحوال والصفات. الإنسان ممكن يمثل يوم يومين شهر شهرين، يظهر للناس أخلاقيات معينة. لكن ما يستطيع الإنسان ينتظم أربعين سنة كاملة على أخلاقيات ما انخرمت قط. ويكون هذا على سبيل يعني التمثيل حتى يصدقونه؛ لأنه يريد أن يأتي بخطة، أو يأتي بمشروع انتخاب ليقبلوه منه ويرشحوه. لا! لا!

هذا ليس تحفظاً، هذه أخلاقيات طُبِعَ عليها عليه الصلاة والسلام، وكانت هي أخلاقه فعلاً، ولا يتصنعها ولا يتكلفها. فدلالة الأحوال والصفات دلالة مهمة جداً. ولذلك استُخدمت في القرآن من بعض الأنبياء في الرد على أقوامهم. ماذا يقول قوم صالح؟ ﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾⁽³⁾ دليل على أنه كان عاش فيهم على سيرة حميدة، لكنهم عكسوا الدليل هؤلاء المغفلون. مادام كان فيكم مرجوًّا وخبرتموها، وابنكم، وعاش بينكم، وأربعين وخمسين سنة ما هي مجال للتصنع.

الإنسان مهما كان شاطراً في التصنع، ستنفلت منه الكلمة والكلمتين والتصرف والتصرفين، مما يفتح الثغرات على حقيقته ودخيلته. لكن أربعين سنة ما جُرب عليه كذبة واحدة، ولا جُرب عليه خلل واحد. وقد ذكرت لكم في درس سابق كيف أن الله جل وعلا حماه من الإرهاصات أو المقدمات التي كان يهياً فيها النبي صلى الله عليه وسلم للمقام العظيم، حفظ الله له مع أنه كان يعيش في مجتمع جاهلي يعبد

(1) الأنعام:116

(2) النجم:23

(3) هود:62

الأوثان، ويستقسم بالأزلام، ويتعاطون الفجور والزنا والخمور والربا. والمجتمع كله هكذا، ولا يستعيبون من هذه الأمور؛ بل يتشرفون بها وكم في أشعارهم من مدح الخمر، والثناء على الظلم والعدوان، ويعتبرونه شجاعة وإلى آخره. ومع ذلك ينفرد شخص واحد في وسط هذا المجتمع بأخلاق منافية تماماً لأخلاق هذه الجاهلية في قمة الأخلاق العالية، وأربعين سنة. هذا ليس طبعاً يعني طبيعياً معتاداً أو تصنعاً.

لذلك ذكرت أنه حادثين فقط يعني لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحل الإزار، فُلطم وقيل له اجمع عليك إزارك. ولما أراد أن يشهد حفلة العرس، ألقى عليه اللوم. لا يريد جل وعلا أن يختلط ولو حتى مرة واحدة بشيء من أحوال الجاهلية. هذا دلالة الأحوال والصفات.

أما الساحر ولا المدعي الكذاب ولا.. بعد يومين تكتشفه أنت، وللا لا؟ تتناقض أحواله، تضطرب أخباره، تنفلت منه الكلمة، تنزل منه القضية، فينكشف تارة تلو أخرى حتى يفتضح أمره ويتضح حاله. وكم تنبأ وادعى النبوة من متنبئين كُشفت أحوالهم في أيام يسيرة.

هذا التصنع مهما كان الإنسان ما يمكن يتصنع مدة طويلة، أو يظهر شيئاً من البراعة أو شيء معين سينكشف كما قال صلى الله عليه وسلم: **((الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي))** ⁽¹⁾ هو يظن أنه لابس، لكن ما علم أن الحاضرين كلهم كشفوا سوءته وعرفوا عورته. لكن الأنبياء والرسل مختلفين تماماً، دلالة الأحوال والصفات.

ولذلك خديجة رضي الله عنها الراشدة العاقلة تستدل على أن ما جرى لك ليست أحوال شيطانية؛ وإنما أحوال ملائكية وعلوية لما أنت عليه من الصفات الجليلة العظيمة التي مختلفة تماماً؛ بل على الضد تماماً مما عُرف به الساحر والمشعوذ من الأخلاق الرديئة، والطمع في أموال الناس، والعدوان عليهم. هذه نقطة. إذن دلالة الأحوال والصفات مهمة جداً، وهكذا حاله قبل البعثة وازداد نوراً على نور وخيراً على خير بعد البعثة صلى الله عليه وسلم.

النوع الثالث من دلائل النبوة: المعجزة. لا بأس المعجزات براهين ساطعة وعظيمة، لكن دائماً المعجزات نفعها محدود. ليش نفعها؟ لأنها تفيد وتؤثر فيمن شاهدها. أما من جاء بعد مائة سنة أو مائتي سنة ما رأى عصا موسى، ولا رأى أسلك يدك في جيبك، ولا رأى الماء يفيض من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، ولا رأى... ما رأى شيئاً من هذا. فما فيه تأثير لهذه عليه، يحتاج إلى مصادر أخرى تدل على عظم النبوة، تأتي دلالة الأحوال والصفات، تأتي دلالة الأخبار المعجبية وهي ستبقى إلى قيام الساعة؛ لأن من

(1) صحيح البخاري، رقم: 4818، "باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة"

ضمنها أشراف الساعة وأحوال القيامة. وكلما تقدم الزمان أو تأخر ستأتي الأحداث مصدقة للأخبار النبوية الصادقة عليه الصلاة والسلام. إذن المعجزة دليل ساطع لكن تأثيره محدود فيمن حضره وشهده.

النوع الرابع: دلالة النصر والعاقة، الأنبياء. وسيأتي معنا حديث هرقل، الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام النهاية والعاقة لهم، وكذلك أتباعهم قد يتلون؛ بل هم لا بد أن يتلون أصلاً. يتلون، ويختبرون، ويُسَلط عليهم أعداؤهم، ويصابون تصيهم الشدة والأواء، ويجاهدون، ويجوعون، ويتعبون، ويحزنون. تصيهم لأواء عظيمة. **((أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل))** ⁽¹⁾ لا بد من هذا. ولذلك سيأتي في نفس هذا الحديث إشعار للنبي صلى الله عليه وسلم بصعوبة الأمر وخطورته: **(أَوْ مُخْرِجِي هُمْ)** سيأتي ذكرها.

يستعد ويهيئ نفسه للمقام العظيم والجهد الطويل. لكن هذا كله، العاقبة ستكون له. لا ينصر الله أعداء الأنبياء على أنبيائه أبداً ولذلك يقول جل وعلا: **﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾** ⁽²⁾ العاقبة لهم، وهذه لم تنخرم والله الحمد. وكم ابتلي أنبياء الله، فكانت العاقبة لهم إما بأن يهلك الله أقوامهم هلاكاً عاماً كما جرى لعاد، وثمود، ومدين، وقوم لوط وأمثالهم، أو بإظهار الأنبياء عليهم ونصرتهم عليهم وسيادتهم عليهم كما جرى لموسى مع فرعون ومحمد صلى الله عليه وسلم مع قومه وعلى العالمين أجمعين إلى أن يأتي الله بأمره.

والنوع الخامس: ممكن نسميه الإعجاز القرآني، هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم. القرآن الكريم معجزة عظيمة جداً، ونوّه صلى الله عليه وسلم ببقائها واستمرارها، وقيام التحدي بها حتى. دُكر في القرآن، وذكر في الحديث. أما قال جل وعلا الآية في البقرة: **﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾** ⁽³⁾ فإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ ⁽³⁾ أعلن النتيجة من قبل ألف وأربع مائة سنة **﴿لَنْ تَفْعَلُوا﴾** ليش لن تفعلوا؟ تورعاً، هم أعداؤه هم يريدون أي شيء ليبتلوا بالدلالة. لكن عجزوا وعرفوا أنهم عاجزون، وهم أهل الفصاحة والبيان واللسان إلى آخره، ومع ذلك فُلجوا وبقي هذا الفلج للعالمين يقين.

(1) سنن النسائي الكبرى، رقم: 7482

(2) النساء: 141

(3) البقرة: 23_24

معجزة باقية عظيمة يقول صلى الله عليه وسلم: **((مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ))** ما ذكر نبع الماء بين أصابعه، ولا ذكر حنين الجذع مع أنها آيات جميلة جداً وعظيمة. لكنها أفادت الخمسة عشر والعشرين والألف والألفين اللي حضروها، وهو جاء لأمم إلى قيام الساعة **((وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيْ))** القرآن **((فَارْجُوا أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا))** (1).

والسادس: الإعجاز التشريعي اللي ممكن نسميه. ما في شريعة الله من انضباط، وإحكام، وصلاح للعالم. ولما طبقت على وجهها، عاش العالم حالة فريدة لم يعرفها من قبل ولا عرفها من بعد لما أقصيت شريعة الله.

وكل ما يتنادى به العالم اليوم من قوانين، أو مؤتمرات للسلام، أو ماني عارف إيه... وكل هذا لا يفيد، لا يغير من الواقع شيئاً.

إذا أنيط إصلاح العالم وأحواله للبشر، يضعون قانون، من سيضعون القانون سيراعون بالدرجة الأولى مصلحتهم وامتيازاتهم، هذا شيء مفروغ منه. خصوصاً إذا كانوا ماديين، شهوانيين، خالدين للأرض ما عندهم آخرة أمور ملغية. كيف تريد أن يعطيك عدلاً وسلاماً وأمناً ورخاءاً؟ كيف بأي عقل حتى؟ أما إذا كانت شريعة جاءت من مصدر إلهي، ليس الله فيها حاجة ولا الله في الخلق كلهم حاجة سبحانه وتعالى، كانت هي فعلاً الشريعة التي راعت أحوال الخلق على أكمل وجه. والدليل أنها طبقت فعلاً، ولما طبقت فعلاً نتجت عنها أعظم أحوال من الخير والأمن والسعادة والهناء للعالم. ونتحدى بهذا البشر جميعاً.

إعجاز تشريعي، لا تناقض، لا اضطراب، لا اختلاف، لا تغيير. ولذلك جل وعلا قال بعد أن تمت وكملت قال جل وعلا: **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** (2).

_ قال قتادة: "أصلحها الله بمحمد صلى الله عليه وسلم".

_ قال السدي: "أصلحها الله بالقرآن".

_ قال ابن زيد: "أصلحها الله بالإسلام".

(1) صحيح البخاري، رقم: 4598 "باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل قال ابن عباس المهيمن الأمين القرآن أمين على كل كتاب قبله"

(2) الأعراف: 56

والمعنى واحد، صلحت كانت فاسدة نعم. جاهلية، وثنية، ونظام طبقي، ومظالم، وفساد، وإباحية. فصلحت بالإسلام ثم عادت فاسدة من جديد. فكيف يرجى صلاح الجرح من ذاته! ما يمكن، لا بد تدخل خارجي إلهي ليصلح هذا.

نعود إلى ذات الصفات، ملحوظة أخرى مهمة. تأمل في هذه الصفات الخمس أو الست، تجدها ليست صفات ذاتية؛ بل نفعها متعدي، اقرأ: (تصل الرحم) نفعها متعدي وللا لا؟ (تحمل الكل) النفع متعدي، (تكسب المعدوم) النفع متعدي، (تقري الضيف) نفع متعدي، (تعين على نواب الحق) نفع متعدي.

إذن ماله مصلحة حتى فيها شخصياً، وما يؤسس له مجدداً، أو يؤسس له قاعدة شعبية كما يقولون. عنده أريحية، يجب الخير للغير، هذه هي إذن كلها صفات متعدية وللا لا؟ كما فيها نفع للآخرين: صلة الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، تعين على نواب الحق. ولذلك استمر هذا الحال، وجاء التشريع الإسلامي يؤكد على هذه القضية ؛ ولذلك أعطى الشرع الحنيف للعمل الذي يتعدى نفعه إلى الغير ربما ما لم يعطه حتى على العبادات العظيمة كالصلاة والصيام. ما رأيك في هذا الكلام؟ صحيح أو منحرم؟

خذ الشواهد. لو سئل الذي يقوم الليل ويصوم النهار، لماذا تفعل ذلك؟ ما مقصودك؟ يقول: أريد رضا الله وليغفر الله لي ويدخلني الجنة. وللا لا؟ فأكدّ ليله وأظماً نهاره لذلك.

يقول عليه الصلاة والسلام: بينما رجل يسير في الطريق إذ رأى غصن شوك في الطريق، هذا في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخ دري، رأى غصن شوك في الطريق فقال لأنحين هذا الشوك عن طريق المسلمين حتى لا يؤذيهم، فنحاه جانباً قال: فنظر الله إليه، هذا هو المكسب، فشكر له هذا الثمن الثاني، فغفر له هذه الثالثة. إيش العمل؟ ما ذكر قيام ليل ولا... نحى غصن شوك، ماشي في الطريق اتفاقاً هكذا، ماهو مخطط ولا هو مسوي مشروع يعني، فرأى الغصن فدخل نفسه الرأفة على إخوانه المسلمين فقال لأنحين.

فلما هذه الأريحة كانت في نفسه، وتعدت إلى إزالة هذا الأذى حتى لا يؤذي المسلمين، كسب مكاسب ضخمة جداً قد ما يصل إليها صاحب الصلاة وصاحب الصيام، أو يصل لها ربما بجهد عظيم، وهي نظر الله له فشكر له فغفر له.

إذن الشرع يثمن العمل الذي يتعدى نفعه إلى الغير تثمينه اللائق به. لذلك يجب أن نعطي هذا الجانب حقه وقدره. أول شيء تأسيماً بهذا النبي الكريم. هذه أخلاقه قبل النبوة، فما عساه أن تكون بعد النبوة؟ ستزداد وللا لا؟

ما سئل عليه الصلاة والسلام قط فرد السائل. ما عرف هذا عنه. ما يمتنع من سائل يسأله. يقول أنس إني لأرى العجوز من عجائز المدينة تأخذ بيد النبي صلى الله عليه وسلم إلى حيثما شاءت، لا يمتنع منها؛ تسحبه.

عنده القضية أن ينفع الغير بما يستطيع بدون تردد ودون حتى تسويق أو تأويل، هو المحقق في أخلاقه. ثم ثمن وأعطى ورثب ثواباً عظيماً على أي نفع يتعدى إلى الغير. حتى قرى الضيف، حتى اللقمة يضعها في فم زوجته.. الحديث صدقة: **((تسّمك في وجه أخيك صدقة))** ⁽¹⁾ إلى آخره، وهكذا يعني أخلاق الإسلام وني الإسلام صلى الله عليه وسلم.

نأخذ: **(لَتَصِلُ الرَّحْمُ)** صلة الرحم كما هو معلوم، يعني الرحم هم أرحام الإنسان التي تصلنا به عن طريق النسب، إما من جهة أبيه أو من جهة أمه، هؤلاء هم رحمه.

وقد أوصى الله ورسوله بصلة الرحم، وحذر الله ورسوله من قطيعة الرحم **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾** ⁽²⁾ فصلة الرحم عمل عظيم جاء في الحديث: **((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحْمَهُ))** ⁽³⁾ صلة الرحم ثمينة وعظيمة ولا ينبغي التساهل فيها، وأول صفة وصفت بها خديجة رضي الله عنها عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه يصل الرحم.

(تَحْمِلُ الْكَلَّ)، **(الْكَلَّ)** كلمة عامة يفهم منها الشخص العاجز. سواء كان هذا العجز بسبب صغر السن، أو كان هذا العجز بسبب كبر السن، أو كان هذا العجز بسبب ضعف في العقل كشخص يعني ما يحسن التصرف أو كذا، أو بسبب ضعفه، أو ضعف مثلاً حاله في المجتمع. قد يكون إنسان لا قيمة له في المجتمع كرجل غريب، أو شيء من هذا القبيل، لا يستطيع أن يستقل بحاجته، نظراً لما هو فيه إما لصغر سنه، أو امرأة ضعيفة، أو شيخ هرم كبير، أو شخص ضعيف في عقله. كل كما قال الله جل

(1) صحيح ابن حبان، رقم: 474 "ذكر كنية الله جل وعلا الصدقة للمسلم بتسمه في وجه أخيه المسلم"

(2) محمد: 22

(3) صحيح البخاري، رقم: 5527 "باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم"

وعلا: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ (1) أي عاجز ما يستطيع التصرف.

والعجز مختلف لصغر أو من قبل ضعف عقل. فكان من أخلاقه عليه الصلاة والسلام أنه يعينه ويحمله؛ أي ومعنى يحمله أي يعينه، أو يدفعه، أو يحمله على تجاوز هذا الضعف الطبيعي الذي فيه ليصل إلى مراده. إن كان صغيراً يعينه، أو كبيراً أو ضعيف عقل يرشده ويوجهه ويشير به. لا بد يتدخل ليحمله _ هذا معنى (تَحْمِيلُ الْكَلِّ) _ ليحمله على تجاوز هذا العجز، ليصل إلى مراده، هذا معناه.

وفي كل مجتمع فيه نماذج من هذا، من الضعفاء، والبسطاء، والفقراء، والصغار، والكبار، وضعيف العقل، فيكون من أخلاقيات أهل الإسلام أن يعينهم ويحملهم على تجاوز هذه العقبة، ليصلوا إلى حقوقهم، أو يصلوا إلى مرادهم، أو يحققوا لهم نفعاً ما، أو كسباً ما .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله قالت في وصفها الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم:

(وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ)، (تَكْسِبُ) هذا هو الضبط الذي رجّحه القاضي عياض في المشارق، تبعه الحافظ. تكسب المعدوم وفي رواية الكشميهني كما هو عندنا في الفتح هنا: وتكسب بضم التاء والمعنى واحد. والمعدوم إما أن يكون الفاقد لكل شيء، أي المعدم، وهو إشارة إلى شدة الفقر، فيحتاج إلى ما يقيل عشرته ويسد رمقه. وكان من أخلاقه عليه الصلاة والسلام أن يتفقد أصحاب الحاجات الشديدة هذه. أو يفسر المعدوم ليس بالفقير الشديد، أو بمن فقد شيئاً ما هو بحاجة إليه، أي كان هذا الشيء كمن فقد مالاً، أو فقد رأياً ومشورة في أمر من الأمور، أو يحتاج إلى إعانة لأمر من الأمور هو محتاج إليه ويعدمه في تلك الحالة، ولا يستطيع أن يتوصل إليه إلا بمساعدة من ذلك الشخص الشريف، أو النبيل، أو العظيم، أو الغني، أو كذا. فيكون تدخله لإيجاده ما هو فاقده وعادم له، يدخل في هذه الخلة العظيمة؛ تكسب المعدوم.

لذلك قالوا في تفسيرها: هي أن يجد أي المعدم يجد عندك ما لا يجده عند غيرك من المعونة، وسد الحاجة، وإيجادهم ما عدموه وفقدوه.

ثم (وَتَقْرِي الضَّيْفَ) قرى الضيف هو القيام بواجب إطعامه، والترحيب به، وقراه. وقرى الضيف حق. وهو من أخلاق المؤمنين والصالحين وأشرف الناس عموماً. وفي الشرع أصبح حقاً شرعياً ثلاثة أيام

بلياليها حق للضيف إذا نزل على مضيفه وجائزته يوم وليلة كما في الحديث، وقال صلى الله عليه وسلم:
((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)) (1) والبخل والشح ليست من أخلاق النبلاء فضلاً
 عن أخلاق الأنبياء، ولا ينبغي أن يكون من أخلاق الفضلاء والصالحين؛ بل هو مذموم وقبيح وينبغي
 تجاوزه **﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (2).

ثم ذكرت الصفة الأخيرة في الحديث عندنا هنا وهي جامعة: (**وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ**)، النوائب
 جمع نائبة والنايبة هي الأمر الطارئ. نابه: أي طرأ عليه ونزل به ، والنوائب لا تسمى نائبة إلا إذا كان أمراً
 طارئاً فيه ضرر، وفيه خطر. هذه تسمى النائبة.

إذا نابه الأمر لا تستخدمها إلا في أمر طرأ على إنسان وفيه عليه مضرات، مشكلة نزلت به أو
 حادثة أو كذا، لا تسمى نائبة إلا في هذا.

فكل نائبة تقع، فيها حق وباطل نظراً لاختلاف مصالح الناس في التعاطي مع القضايا. فمن أخلاقه
 عليه الصلاة والسلام أنه لا يعين إلا على طرف الحق في كل نائبة تنوب، وكل واقعة تقع. ولذلك ذلك
 دخل في حلف الفضول وفيه نصر المظلوم على الظالم ونحو ذلك.

فكل نائبة تنوب الناس في اعتبار مجموعهم، وباعتبار أفرادهم، ينصر صلى الله عليه وسلم ويعين
 على النائبة في طرف الحق منها، ولا يعين على ما فيها من فساد أو إثم أو باطل.

في كتاب التفسير أضيفت صفة: **((وتصدق الحديث))** (3) أيضاً وهي من أخلاقه صلى الله عليه
 وسلم العظيمة الجليلة التي عرف بها في مجتمعه. وما جُرب عليه كذبة في حياته أربعين سنة كاملة عليه
 الصلاة والسلام.

لذلك سيأتي حديث قصة أبي سفيان مع هرقل، وسؤال هرقل لأبي سفيان: هل جربتم عليه كذباً
 فيما مضى قبل أن يدعي أنه نبي؟ قال: ما جربنا ع ليه كذبة. مع أنهم حريصين، لو وجدوا واحدة فقط في
 حياته كذبها لاستغلوها وأشهروها كما هي عادة أعداء الرسل. لكن ما وجدوا شيء، معلق الباب تماماً. هذا
 ليس يعني بالفعل يدل على انضباط عظيم، وأخلاقيات شريفة، إذ لم يجرب عليه كذبة واحدة طول حياته
 عليه الصلاة والسلام.

(1) صحيح مسلم، رقم: 67 "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
 واجباً"

(2) الحشر: 9

(3) صحيح البخاري، رقم: 4572

فمن لم يكذب على الخلق هذه المدة، لا يمكن أن يأتي بكذبة عظيمة كهذه الكذبة، فيدعي النبوة؛ بل هي تدل على صدقه وأنه جدير وحقيق بما اصطفاه الله له من هذا المقام العظيم، وهو مقام النبوة صلى الله عليه وسلم.

(فَانطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ) الآن قلنا قبل قليل أولاً زُمَّل حتى يذهب الروح، ليكون النظر في القضية نظراً سليماً، سلّت ما في قلبه من روع، وألغت الخشية التي ربما خافها عن نفسه وأن يكون ذلك من جانب الشياطين بما عرفته وتعرفه فيه من أخلاق نبيلة.

الآن تريد أن تحدد ما هذا الذي أصابه، وكان الملجأ في هذا من عنده العلم والخبر في أحوال الأنبياء، طبعاً العرب ما عندهم، وثيون ما عندهم كتابة ولا عندهم أخبار الأنبياء ولا يعرفون هذا الكلام، فكان لا بد أن يُلجأ لمن عنده خير. فكان ورقة هو المناسب له؟ لأن ورقة ابن نوفل بن أسد ابن عبد العزى من قرابة خديجة، أسدي من نفس رھطها. فالقرابة ستفيد أنه سينصح لها، ويعطيها المشورة المناسبة لما للقرابة من أثر في هذا الجانب.

ثانياً: هو تنصر أثناء الجاهلية، ترك أوضاع الجاهلية، ووجد خير ما يمكن أن يُتبع في ذلك الوقت دين النصرى؛ لأن عندهم كتاب، وعندهم أخبار أنبياء، وعندهم أحوال يعني، وهذا خير هو الموجود في ذلك.

هذا إذا لم نرجح أن ورقة اتبع النصرانية الحقيقية. أما على كلام الحافظ وغيره أن ورقة كان تنصره على النصرانية التي لم تحرف بعد، على طريقة الأبحار والرهبان يعتزلوا في الأديرة، لا على طريقة عموم النصرى الذين دخلوا في التحريف. يعني بقي بقايا قبل البعثة النبوية، ذكرتها لكم في درس سابق. بقي بقايا من أهل الكتاب محافظين، لكن ما كان فيه مجال لأن يصلحوا الأوضاع، فالتجئوا إلى الكهوف والأديرة حفاظاً على دينهم. فهذا الدين هو الذي اتبعه ورقة.

على كلا الاحتمالين، الحال أي عند ورقة خير من حال عند غيره، وعنده أخبار، وعنده أحوال يعرف معنى النبوة، يعرف معنى الأنبياء، ويعرف كيف يكون الإنسان نبياً. ولهذا هو الذي استشارته خديجة. ولذلك نُوه بهذه: **(وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ)** هذه معلومة مهمة؛ لأن اختيارها لورقة ما كان اختياراً اعتباطياً أو لأنه مثلاً رجل عاقل، أو ذكي، أو كذا. لا! لأنه عنده خبرة، الذكاء والأريحية، وهذا هي قالتها وانتهى الموضوع. لكن تريد الآن تحدد ما طبيعة ما أصاب زوجها وهو النبي صلى الله عليه وسلم، ويسمع عليه الصلاة والسلام.

(وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ) كان في الجاهلية أربعة رجال كرهوا أوضاع الجاهلية والوثنية،

وما فيها وأحوالها، وكل اتجه تجاهه.

ورقة ابن نوفل ابن أسد ابن عبد العزى، هذا تنصر كما في النص هنا، واتبع أحوال الرهبان القدماء

ولدرجة أنه تعلم اللسان العبراني كما سنقرأ، وكتب الإنجيل بالعبرانية، وهذه مسألة مهمة جداً، وحوله إلى

العربية ترجمه، أول من ترجم الإنجيل من العبرانية وهي اللغة الإنجيل الأولى هي العربية. كان يتكلم

اللسانين، وبقي على هذا إلى أن جرت هذه القصة مع النبي صلى الله عليه وسلم ورقة ابن نوفل. القس أو

القسيس ورقة ابن نوفل.

والثاني: زيد ابن عمر بن نفيل العدوي، من رهط عمر. وذكرت لكم خبره أو شيئاً من خبره في

درس سابق، وهو من ترك الأصنام والأوثان وكان يقول: اللهم لو أعلم كيف تريد أن أعبدك لعبدتك. ما

عنده خبر ما عنده أثاره من علم. لكن عنده أن هذا الوضع خطأ، وعبادة أحجار وأشجار هذا جاهلية

وسخافة عقل، والإله الحق إله إبراهيم كان يقول. لكن كيف يعبد؟ ما فيه شريعة، ما فيه كتاب، ما يعرف.

وكفاه أن يصل إلى هذا الحد. لذلك كان ما يأكل ما ذبح على الأنصاب، وسيأتي معنا باب في الصحيح

هنا في كتاب المبعث النبوي، باب قصة زيد ابن عمر بن نفيل. حديث زيد ابن الحارثة: **((لقد خرجت مع**

النبي صلى الله عليه وسلم إلى بطن بلدح وهو واد في مكة، فلقينا زيد بن عمر بن عبد بن نفيل

فقدم لنا أحد القرشيين سفرة طعام فيها لحم)).

الجاهلية يذبحون على الأنصاب، يذبحون باسم اللات والعزى، فما أكل النبي صلى الله عليه

وسلم؛ لأنه كما عرفنا رافض لأوضاع الجاهلية. أيضاً زيد ابن عمر ما أكل، قال: **((ارفعوا لا آكل ما ذبح**

على أنصابكم))⁽¹⁾ إذن كان عندهم مفاصلة لهذا الوضع جملة وتفصيلاً. لكن التفصيلات عنده كيف يعبد

الله غير موجودة، وكفاه ذلك.

والثالث: عثمان ابن الحويرث المخزومي. هذا الرجل أيضاً تنصر على طريقة ورقة. لكنه تنصر ورحل

بنفسه واتصل بالنصارى في بلاد الشام، وبقي عندهم. حتى جاء في سيرة ابن هشام في أولها، لو راجعت

سيرة ابن هشام المختصرة، باب ذكر أحوال المسلمين في الجاهلية هم الأربعة، وقال: عثمان ابن الحويرث

اتصل بهرقل فصار أحد مستشاري هرقل في بلاد الشام. وجد أن النصرانية أحسن الموجود، فاتصل بهم

وأقام معهم وحتى أصبح لما عليه من رجاحة عقل أحد المستشارين عند هرقل.

(1) صحيح البخاري في الذبائح: باب ما ذبح على النصب والأصنام"، رقم: 5499

والثالث عبيد الله ابن جحش ابن رثاب القرشي، أخ أم المؤمنين زينب بنت جحش. هذا كان على النصرانية في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أسلم، وكان زوج أم حبيبة وهاجر إلى الحبشة. لكن مع الأسف الشديد عاد نصرانياً لما ذهب إلى الحبشة، حنّ إلى دينه القديم فرجع إليه، وتنصر ومات على النصرانية. ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم تزوج بعد ذلك زوجته أم حبيبة بسفارة النجاشي. هؤلاء الأربعة كانوا يسمونهم مسلمي الجاهلية، رفضوا الأوضاع، وكل سلك مسلكه، وثلاثة منهم اتجهوا إلى النصرانية، وزيد ابن عمرو بقي على ما عنده من الحنيفية من ملة إبراهيم. وثبتت فيهم أحاديث خصوصاً في ورقة، وفي زيد ابن عبد ابن نفيل سأذكرها بعد قليل.

(وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ) أي اتبع دين النصرانية.

(وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ) هذا يؤكد

ما يقوله العلماء المسلمون أن لسان عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم وإنجيله والعبرانية لغة بني إسرائيل ولسانهم.

كل أنبياء بني إسرائيل جميعاً لسانهم العبراني كما هو معلوم، وكتبهم المنزلة التوراة. والإنجيل أيضاً لسانها عبراني، والإنجيل لسان عيسى ابن مريم هو عبراني. ولذلك من المفارقات التي بها يرد علماء المسلمين على علماء النصارى: أقدم وأوثق نسخة عند النصارى للإنجيل ذكرناها في دورات سابقة لما تحدثنا عن خصائص الرسالة؛ نسخة قسيس مكة التي وجدوها مكتوبة باللغة السريانية اليونانية، هذه أقدم نسخة، ولا أثر للإنجيل قبلها، هذه مفارقة الآن.

علمنا أن الكتاب أنزل على عيسى بالعبرانية. ما الذي حوله إلى السريانية اليونانية؟ لا بد من مترجم. وللا لا؟ حتى ينقل الكتاب من لسان إلى لسان، ومن لغة إلى لغة، لا بد من مترجم واحد ولا اثنين ولا عشرة ولا مائة. من هذا المترجم؟ وهل ترجم من أصل موثوق؟ وهل ترجمته دقيقة؟ هذه المفارقة لا يستطيع النصراني أن يجيب عليها إلى اليوم.

أقدم نسخة من إنجيل قسيس مات وجدت في إيطاليا باللغة السريانية. أما اللسان العبراني الأصلي للكتاب ما وجدوه، ولا عثروا عليه.

وهذا الحديث هنا الذي ذكره ابن تيمية في "الجواب الصحيح" يؤكد أنه إلى وقت النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أول بعثته مازال الإنجيل بالعبرانية، والدليل أن ورقة لما تنصر وهو عربي لسانه عربي، تعلم اللسان العبراني؛ لأنه في حاجة لأن يقرأ الكتاب. ومن اتبع دين لا بد يقرأ كتابه، والكتاب عبراني وهو لسانه

عربي، وفي ذلك الوقت ما فيه مجال لترجمات ولا فيه... فاضطر هو أن يتجاوز هذه المعضلة فهو بنفسه تعلم اللسان العبراني. ولذلك نقل الإنجيل إلى اللسان العربي.

وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ) وفي

نسخة أخرى: ((بالعربية ما شاء الله أن يكتب))⁽¹⁾ أي ينقله من اللسان العبراني إلى لسانه الأصلي العربي. فإلى هذا الوقت، الإنجيل ما زال موجود بأصل اللسان؛ وهو لسان ماذا؟ العبراني. معنى ذلك أن الضياع أيضاً طراً عليهم بعد ذلك في أثناء حربهم الطويلة مع الإسلام وانتشاره.

المهم هذا بحث في علم الأديان. كان يكتب الكتاب العبراني بلسان بني إسرائيل؛ لسان الإنجيل، فيكتب من الإنجيل، وهو كتاب عيسى كتاب النصرى بالعبرانية أو بالعربية على اختلاف الرواية، يكتب الكتاب العبراني.

في رواية يونس التي في التفسير، رواية معمر التي في التعبير يكتب بالعربية بالعربي، وهي مادام راويان يعني يرجح روايتهما على رواية راوي، وهذا أوثق. مادام تعلم اللسان العبراني، نقل من العبراني إلى العربية، ينقل يترجم، يحول من لغة إلى لغة.

(وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ) لما حصلت هذه القصة، كان قد بلغ من الكبر عتياً، وهذه

سنحتاجها في تقرير مسألة بعد ربما الدرس القادم. قد عمي نظراً لكبر السن.

(فَقَالَتْ خَدِيجَةُ يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ) فيه شيء هنا؟

نعم، (اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ قَالَ وَرَقَّةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى) ما الذي حصل لك؟ يريد أن يعلم ورقة.

(فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى فَقَالَ وَرَقَّةُ هَذَا التَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى

مُوسَى) أنا أرى نقف عند هذا القدر. يكفي كلام في هذا. نتمم الحديث إن شاء الله بفوائده في درسنا القادم، ولعلنا أيضاً نتقل إلى الحديث الذي بعده في الدرس القادم إن شاء الله إن كان هناك بقي وقت. أسأل الله أن يلهمنا جميعاً رشدنا، وأن يقينا شرور أنفسنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، وأن ينفعنا بما علمنا، والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



(1) صحيح البخاري، رقم: 4572

الدرس السادس

بسم الله الرحمن الرحيم. إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونصلي ونسلم على خاتم رسله وأمينه على وحيه نبينا محمد وعلى آله وصحبه. ونسأل الله جل وعلا المزيد من فضله، وأن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وأن يلهمنا رشدنا، وأن يقينا شرور أنفسنا.

أما بعد:

ما زال الحديث متصلاً بشرح حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد طال بنا الحديث نوعاً ما، ولكن حقّ لمثل هذا الحديث الجليل أن يُطال فيه الكلام؛ لأن هذه الواقعة وهذه الحادثة ليست قصة عابرة، أو حادثة من جنس حوادث التاريخ، التي لها نظائر ولها مثيل.

هذه الحادثة، يحق لنا أن نقول بأنها أعظم حدث في تاريخ البشرية كله، لم يسبق له نظير، ولن يأتي له في المستقبل مثيل؛ وهو الإعلان بنزول العهد الأخير على النبي الأخير الذي سيبقى ما بقي الليل والنهار حتى يأتي اليوم الأخير.

هذه حقيقة بعثة هذا النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، الذي بعثته تدخل البشرية في نسم ونفس الساعة. ألم يقل صلى الله عليه وسلم: **((بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ))** ⁽¹⁾ وأشار بالسبابة والوسطى، وفي لفظ أحمد أو في حديث آخر عند أحمد أنه صلى الله عليه وسلم يقول: **((بُعِثْتُ فِي نَسَمِ السَّاعَةَ))** ⁽²⁾ أي في نفسها، علامة على قربها وأزوفها. ولذلك كانت بعثته إعلان من الله جل بأن الوحي سينقطع والنبوة ستنتهي ويبقى هذا المنهج وهذا العهد الأخير.

إذا كان النصارى يسمون الإنجيل العهد الجديد قياساً بالعهد القديم وهو التوراة، نحن نسمي القرآن العهد الأخير الذي نسخ ما تقدّم وهيمن عليه، وصدّق ما فيها من حق، وأبطل وأزهق ما فيها من تحريف

(1) صحيح البخاري، رقم: 6023 ، "باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين {وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير}.

(2) أخرجه أيضاً: أبو نعيم في الحلية (161/4).

وباطل، وإدخال البشر بصنع الأحبار والرهبان وسيبقى هو حجة الله القائمة وبرهانه الساطع الباقي إلى أن يأذن الله برفعه عند قرب قيام الساعة.

وقفنا عند لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسيس العربي القرشي ورقة ابن نوفل ابن أسد ابن عبد العزى الذي كان في ذلك الوقت قد تنصر منذ زمن وأصبح خبيراً وعالمماً بالديانة التي كانت هي أفضل الموجود في ذلك الوقت _ وهي الديانة النصرانية _ وعارفاً وقارئاً وكاتباً في الكتاب العبراني، وأصبح يتكلم باللسانين العبراني والعربي، وينسخ وينقل من الإنجيل ما شاء الله أن ينسخ وينقل إلى اللسان العربي. فلأنه يملك أثارة من علم بأحوال وأخبار الأنبياء السابقين، ساقته أو أخذت أم المؤمنين خديجة رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى ورقة بعد أن تلقى صلى الله عليه وسلم الإعلان من الله جل وعلا بأنه اصطنع واختير ليكون رسولاً لله جل وعلا إلى الخلق، وتلقى أيضاً الدعوة الأولى من الوحي الكريم المتمثلة في الخمس الآيات الأولى من سورة العلق: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽¹⁾.

فكان لقاءه مع ورقة لما أخبره الخبر، قال له: **(هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى)**. وبداية الكلام من ورقة فيها نوع تطمين بأن ما رأيت وسمعت لا حظ فيه ولا نصيب للشياطين، ولا وسوستهم، ولا مسهم، ولا شيء من هذا القبيل؛ بل هذا من جنس الأحوال التي نزلت على الأنبياء السابقين. **(الناموس)** والناموس يطلق ويراد به صاحب السرّ الذي ينزل بالأمر الغيبي السري وهو المقصود به جبريل عليه الصلاة والسلام. ويطلق الناموس على كل ما لطّف وخفي، كل ما لطّف وخفي يسمى ناموساً. ويطلق في نفس الوقت وهو من الكلمات يسمى الكلمات الأضداد. يطلق على ما دقّ ولطّف وخفي، في نفس الوقت يطلق على ما جلّ وعظّم وظهر، وهذه يسمونها العرب الكلمات الأضداد. تارة تطلق على أمر تفيد كلمة جلال قد تستخدم في خطاب العرب في الأمر الهين اليسير، وقد تستخدم أيضاً للأمر العظيم الجليل، كما قالت المرأة الأنصارية: "كل مصيبة بعدك جلال" أي كل مصيبة بعد سلامته صلى الله عليه وسلم تعتبر هينة ويسيرة.

وأنت قد تستخدم كلمة الجلال أيضاً في الأمر الهام. فالناموس يطلق ويراد به ما دقّ ولطّف وخفي وهذا فيه مناسبة؛ لأن الوحي كما قلنا هو الإعلام الخفي. فالناموس وهو جبريل لا يأتي للنبي إلا بصورة خفية لا يسمعها ولا يعرفها الحاضرون كما قررناه في حديث الحارث ابن هشام السابق.

(1) العلق:1.

ويطلق أيضاً ويراد به الأمر العظيم الهائل الجليل كما قال أحد الفلاسفة وهو ابن سينا يقول: "ما طرق العالم ناموس مثل ناموس محمد". أي ما طرق العالم حدث هائل ضخم، ولا قانون عظيم، ولا شريعة محكمة كما طرق العالم مثل ما جاء به النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

فهنا إذن هنا الناموس يعني صاحب السر. هذا تفسير البخاري لما روى الحديث في مواضيع أخرى قال: "الناموس هو صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره". هذا تفسير البخاري للناموس. قال مرة أخرى البخاري: "الناموس صاحب السر الذي يطلعه بما يستره عن غيره".

وكما عرفنا في حديث الحارث ابن هشام "صلصلة الجرس" والقضايا هذه فيها خفايا كثير على غير النبي صلى الله عليه وسلم؛ بل فيه خفاء كامل على غير النبي صلى الله عليه وسلم.

(الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَىٰ مُوسَىٰ) قالوا في سبب اختيار ورقة لموسى مع أنه كان الأقرب أن يختار

عيسى باعتباره في هذه الوقت نصرانياً، نصراني يعني عيسى هو الأقرب أن يُذكر من موسى. فقالوا في جواب ذلك أن نبوة موسى كانت أشهر من جهة الظهور وأكثر من جهة الأتباع وأدوم حتى. يعني موسى عليه الصلاة والسلام استقرت دعوته وتبعه جلّ بل كلّ بني إسرائيل وآمنوا به، وأخرجوه من بلاد مصر كما تعرفون، ودامت دعوته في بني إسرائيل، قرون طويلة، وأتباعه كثر جداً، إذا قيس هذا بحال عيسى يختلف الوضع.

عيسى صلى الله عليه وسلم ما بين رسالته وقيامه بالدعوة ورفع قيل ثلاثة سنوات وبعضهم قال أربع سنوات، موجزة محدودة لم يتبعه على دعوته الحقيقية عيسى عليه الصلاة والسلام إلا بضعة رجال، أوصلهم بعضهم إلى اثني عشر رجل هم الحواريون، اثنا عشر رجل.

إذا قيس اثني عشر رجل بأمة واسعة تبعت موسى يعتبر الأمر يعني فيه ما فيه. ثم عيسى أيضاً ما

تمكنت رسالته ولا كتابه. ودع ما عليه النصراني اليوم، ودين النصراني اليوم ليس هو دين عيسى ابن مريم؛ وإنما هو دين بولس الذي هو رجل يهودي اسمه شاول ادعى أنه من أتباع المسيح، ووضع ديانة وثنية شركية تثليثية قبلها النصراني على أنها هي دعوة السيد المسيح صلى الله عليه وسلم.

هذا تعليل لبعض العلماء في سبب اختيار ورقة في قوله: **(هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَىٰ**

مُوسَىٰ) وسواء قال موسى أو عيسى، المقصود يعني إشعار النبي صلى الله عليه وسلم بأن هذا من جنس

الوحي الخفي الذي كان ينزل به صاحب السرّ _ وهو جبريل _ من الله على الأنبياء والرسل، نزل على

موسى وعلى عيسى وعلى نوح وعلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، وهو الآن يأتي للنبي الأخير محمد صلى الله عليه وسلم.

في مرسل سعيد بن ميسرة، أخرج ابن إسحاق من الزيادة ما يلي: "قال له أبشر" يعني من الزيادة في كلام ورقة للنبي عليه الصلاة والسلام أنه قال له: "أبشر إنك الذي بشر به ابن مريم وإنك على مثل ناموس موسى، وإنك نبي مرسل وإنك ستؤمر بالجهاد" هذا كلام جميل جداً، ذكر فيه أنه أنك الذي بشر به ابن مريم. وكل نصراني صادق بنصرانيته يجب عليه أن يعتقد في ضمن ما يعتقد أن نبيه عيسى عليه الصلاة والسلام جاء ببشارة بأن نبياً سيعثه الله جل وعلا يتبعه من الخلق ما لم يتبع نبياً قبله. وكل ما لم يعترف بذلك لا يعترف بدينه الذي مع شدة ما طرقة من تحريف واسع، لا تزال البشارات بالنبي العربي الذي يبعث من جبال آرام وهي جبال مكة منصوص عليه في مواضع كثيرة من الإنجيل.

وقد ذكرنا هذا في عدة دورات سابقة، ثم تكلمنا على خصائص الرسالة النبوية وتكلمنا على البشارة والعالمية. ومن نصوص الإنجيل الصريحة ما يدل على ذلك ليس الآن موضع لذكرها؛ بل إن البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم كانت من أصول دعوات جميع الأنبياء والمرسلين السابقين.

ما بعث الله نبياً في الأمم الغابرة إلا كان من لوازم دعوته أن يبشر أو يبلغ أمته أن نبياً قادماً سيعثه الله جلّ وعلا يختم به النبوة، وأنه لو حصل وبعث هذا النبي القادم الخاتم وأحد هؤلاء الأنبياء حي موجود للزمه الإيمان به واتباعه. وحتى لا تبقى القضية ظنية سجلها الله في القرآن بنص قاطع واضح وهو قوله تعالى في آل عمران، يقول جل وعلا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾⁽¹⁾ ولاحظ الصيغ صيغة استقبال ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ أي في المستقبل. لو جاء، ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ﴿قَالَ أَأَقْرَبْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَيَّ دَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَبْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ثم هدّد المرسلين وهدّد النبيين، فقال لهم: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ عن هذا الميثاق ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽²⁾ وما بالك بغير النبيين ممن ينتسبون إلى دعوات الأنبياء المرسلين أو لا ينتسبون، فهو النبي الخاتم المبشر به في جميع رسل ودعوات الأنبياء السابقين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(1) آل عمران: 81.

(2) آل عمران: 82.

قال ورقة، قال القسيمي ورقة: **(يا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا)** هكذا بالنصب **(جَدْعًا)** وهكذا أكثر الروايات بل كلها إلا رواية الأصيلي فإن فيها بالرفع: "يا ليتني فيها جدعٌ" وهذا هو وجهها اللغوي الأقرب. "يا ليتني فيها جدع"، فتكون "فيها" شبه الجملة "فيها" جار ومجرور في موضع الرفع الخبر المقدم. و"جدعٌ" على الابتداء المؤخر.

أما على النصب فوجهها بتقدير "كان" المضمرة والتقدير: يا ليتني أكون فيها جدعاً. فتكون "أكون" طبعاً فعل ناسخ كما تعرفون يحتاج اسماً وخبراً، اسم لابد أن يكون مرفوع والخبر يكون منصوب. فاسمها ما دام هي مضمرة اسمها مضمرة معها. "أكون" أي أنا. "فيها جدعاً"، أنا جدعاً "جدعاً" خبر يكون منصوب، هذا على جعلها يعني منصوبة وهي أكثر الروايات الصحيحة. فيكون معنا إذن ضيطين للكلمة **(يا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا):**

● جدعٌ مبتدأ مؤخر وفيها خبر مقدم شبه الجملة.

● أو جدعاً بتقدير "كان" المضمرة مع اسمها ويكون "يا ليت أكون فيها جدعاً".

الجدع هو صغير السن كما يقولون وإن كان يطلق على أسنان الأنعام في الغالب، ولكن يستعار به لصغير السن غالباً. يا ليتني فيها جدع.

لما كان ورقة قد طعن في السن، وعمي وكان فيما أوتي من أثاره من علم ينتظر النبي المبشر به النبي الخاتم القادم، وسمع كلام النبي عليه الصلاة والسلام فعرف أنه هو النبي المولود، تمنى لو كان صغيراً في سنه ليتمكن من خدمة هذا النبي واتباعه والجهاد معه، وقد عرف أنه سيؤمر بالجهاد، وأنه سيُخرج ويُطرد وسيُحمل، فتمنى لو كان وقت بعثته عليه الصلاة والسلام جدعاً أي شاباً صغيراً ليقدم خدماته اللائقة في اتباعه لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم قال بعدها: **(لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا)** شوف الآن أمنيّتين أو أمنيّتان: **(يا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا)** فرق بين الأمنيّتين.

الأمنية الأولى: مستحيلة لا تتحقق، لن يرجع الشيخ صبيّاً، ولن يرجع الكبير صغيراً، ما تتحقق، لكن هي إخبار بأمنية ورغبة، دليل على صدقه في قناعته بأن بالفعل هذا هو النبي الخاتم، وما بقي أمامه مجال إلا الأمنية المعبرة عن ما أكّنه في صدره من قناعة يقينية بأن هذا هو النبي الخاتم.

أما الثانية: **(لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا)** فهي أمنية لها سبيل للتحقق، يعني مضمنة أن الله عز وجل يقيه وقد أزف الرسالة، وبدأ إشراق شمسها، وبدأت الدفعة الأولى من الوحي، فرمما لو أمد الله في عمره سنة أو سنتين أو ثلاثاً يدرك شيئاً من ذلك.

فالأمنية الأولى إخبار برغبة وإن كانت لن تتحقق، طبعاً لن يعود صغيراً. لكن الثانية لها وجه للتحقق وقال: "ليتني أكون حياً" ولذلك غاير بين الصيغتين.

في الأولى لما كانت مستحيلة الوقوع أتى بياء النداء: "يا ليتني" المشعرة باليأس من تحقق ذلك أن يكون جدعاً، لكن تبقى الأمنية والتعبير عنها.

أما الثانية "ليتني" ... أداة النداء الجازمة التي فيها نوع من الرغبة التي ممكن تقع لو أمد بعمره، حتى ولو عمره السبعين أو الثمانين يمكن أن يعيش عشر سنوات. في الإمكان يعني وإن كان في أمر الله شيء آخر.

(لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ) قلنا الأولى لا وجه لحصولها لكن الثانية قد يكون له وجه لحصولها. وهذا سيأتي معنا نقاش بين الحافظ بن حجر والإمام الشمس بن القيم وسنذكره في حينه إن شاء الله تعالى.

(لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ) لاحظ هنا الخطاب هذا القسيس أو العالم ورقة، كان تركيب الكلام كما يقول المنطقي أن يقول له: اعلم أن قومك سيخرجوك، ثم يرتب بعدها دوره هو الذي تمناه: ليتني عندما يخرجوك أكون موجوداً لأتمكن من نصرتك، فهذا هو الترتيب المنطقي للكلام، فهو حذف الأول ما أخبره مباشرة بأنه سيخرجونه وانتقل إلى الأمنية بأنه يتمنى لو كان حياً إذ يخرجوه، كأن الإخراج أمر حتمي مفروغ منه، وهذا استفاده ورقة بحكم خبرته بما قرأه عن أحوال الأمم.

ما جاء نبي قط إلا عودي وأوذي وطُرد وأُبعد، هذه قضية مفروغ منها. أنت قد تتصور قضية وتفهمها وتستقر عندك ولذلك ربما تتجاوز الحديث عنها إلى آثارها أو دورك فيها، بينما غيره ربما عنده هذا التصور فيفاجأ بها في كلامك عن ملحقاتها وآثارها أو دورك فيها، وكان يتوقع منك أن تخبر أولاً عن ذات المشكل؛ لأنه ما عنده خلفية عن القضية نهائياً. وهذا هو الحال بين ورقة والنبي صلى الله عليه وسلم.

النبي عليه الصلاة والسلام ما عنده أثارة من علم سابقاً كما قرنا **﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾** ⁽¹⁾ ما فيه شيء، الأمور جديدة تماماً بالنسبة له عليه الصلاة والسلام.

(1) العنكبوت: 48.

ورقة بحكم كونه تنصر وقرأ العبرانية ونقل من الكتاب، قرأ من أخبار الأنبياء من أنبياء بني إسرائيل ما قرأ، أخبار موسى وعيسى وما جرى لهما وغيرهما من الطرد والإبعاد والعذاب والمكائد، وربما القتل؛ لأن بنو إسرائيل كانوا من أعتى الأقوام على أنبيائهم بنو إسرائيل وأخبرنا الله في القرآن بشيء كثير من ذلك **﴿أَفَكُلَّمَا﴾** صيغة عموم **﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾** (1).

فعنده المعلومات لكثرة ما قرأها وعرفها واستقرت عنده، يعني هذا هو الوضع الطبيعي الذي لا يمكن يتغير.

بقي ما هي مشاركتي في هذه القضية، فالنبي عليه الصلاة والسلام ترك مشاركته ورغبته واتجه إلى أصل القضية الإخراج المشكلة الجديدة بالنسبة له. شوف: **(لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرَجُكَ قَوْمُكَ)** لم يعطه الخبر بأنه سيُخرج؛ إنما انتقل إلى رغبته في المشاركة بشيء من المعاونة والمآزره للنبي صلى الله عليه وسلم وقت إخراجها، بينما النبي صلى الله عليه وسلم ترك أمنية ورغبات ورقة واتجه إلى ما يهمه الآن، وهو المعلومة الجديدة هذه التي رتبها ورقة على أنه لا بد أن يُخرج وإن كان لم يرد بخبر الإخراج عنده ذكر.

(فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مُخْرَجِي هُمْ) انتبه رجع لأصل المسألة. **(أَوْ مُخْرَجِي هُمْ)**

والجملة هذه من النبي صلى الله عليه وسلم فيها أمور:

الأمر الأول: قالوا في إعرابها **(أَوْ)** لابد أن تكون مفتوحة، **(أَوْ)** على سبيل الاستفتاح،

(أَوْ مُخْرَجِي هُمْ)، **(مُخْرَجِي)** أصلها مخرجون، **مُخْرَجُونَ** جمع مفردا **مُخْرَجٍ** وللا؟ مخرجون.

لما اتصلت "مخرجون" بياء المتكلم حُذفت النون، فجاءت جمعت الواو والياء.. يقال: (مخرجوي)

بالواو والياء هذا الترتيب وللا؟ فلما كانت ثقيلة "مخرجوي" ثقيلة جداً على النطق والعرب تحب التسهيل،

قُلبت الواو ياءً لتجانس ياء المتكلم، فصارت ياءين. مادام يائين يأتي ما يسمى عندهم ماذا؟ إدغام

التجانس، الحرفين اللبي من جنس واحد يدغمان عند العرب إذا كان أحدهما ساكن والآخر متحرك

فصارت: "أو مخرجي هم" على ترتيب الكلمة أصلها مخرجون، جمع **مُخْرَجٍ**، حُذفت النون لاتصالها بياء

المتكلم. ما يمكن تجمع نون الجمع هذه مع ياء المتكلم.

قالوا: اجتمعت الواو والياء فكان نطق الكلمة "مخرجوي" الواو بالياء وهي ثقيلة كما تسمع الآن،

ولاحظت تشعر بالثقل والعرب من عاداتها تحب التسهيل، فانقلبت الواو إلى ياء لتجانس شكلة ياء المتكلم

فاجتمعت ياءان، إحداهما ساكنة والأخرى متحركة فأدغمت فصارت (مخرجي). واضح الكلام وللا لا؟
وصار موضعها الإعرابي كما قالوا خبر مقدّم. وكلمة (هم) مبتدأ مؤخر.

(أَوْمُخْرَجِي هُمْ) ، **(مخرجي)** بتركيبها الذي ذكرناه في موضع الرفع على الخبر لكنه خبر مؤخر.

و"هم" في موضع الرفع على أنه مبتدأ لا... مخرجي خبر مقدم و"هم" مبتدأ مؤخر. والتقدير (هم مخرجي).
ولماذا قدم الخبر هنا؟ أيضاً نفسه؛ لأن هم في الإخراج.

دائماً المتكلم إذا تكلم يقدم في الكلام ما قبله وعقله متعلق به، وهي إحدى المسوغات كما قالوا
في جواز تقديم الخبر على المبتدأ مع أن تركيب الجملة العربية أن يكون المبتدأ هو؟ لماذا سمي المبتدأ لأنه هو
الأول، لأنه يبتدأ به. لكن قد يعطى التأخير ويقدم الخبر لاهتمام المتكلم بالخبر وتعلقه به؛ لأن الكلام عن
الإخراج، وتصور النبي عليه الصلاة والسلام أنه سيخرج هذا وفيها طرد وإبعاد يعني فيها أمور عظيمة جداً.
أما "هم" يعني ما هم متعلق بهم الآن، لكن الإخراج هو همهم. ولذلك أعطاه التقديم وإن كان موضعه من
جهة الإعراب التأخير كخبر. فقال: **(أَوْمُخْرَجِي هُمْ)** هذا الأمر الأول.

الأمر الثاني: يظهر واضحة جداً أن النبي عليه الصلاة والسلام فوجئ بهذه المعلومة أليس كذلك؟

فوجئ ولذلك سأل والسؤال استفهامي فيه استغراب كما قلنا وفيه استنكار **(أَوْمُخْرَجِي هُمْ)**.

وقد عللت ربما في الدرس الماضي لماذا هذا الاستغراب منه ليش يستغرب أنه سيخرجونه؟ نعم

استغراب له وجه. أولاً سجله السابق كله جميل: محفول، مكفول، معظم، مفخم عند قومه. وكيف لا يكون
ذلك وهو يحمل الكل، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويؤدي الأمانة، ويصدق الحديث، ويعين على
نوائب الحق. هذه صفات جلييلة تجعل صاحبها بين قومه أثيراً وللا لا؟ وبين قومه يعني عظيماً ومحبباً.

أربعين سنة ما عثروا على زلة، فالإخراج ما له مبرر إذن. ما فيه سوابق _ بلغة السجون _ ثم الأمر
ازداد خيراً، إذا كان حمدوني على إقراء ضيف وكسب معدوم وصدق حديث أفلا يحمدوني على دعوة أريد
أن أنقذهم جميعاً من شقاء الدنيا وعذاب الآخرة، المفروض يزدادوا احترامهم، هذا الوضع وهو معذور عليه
الصلاة والسلام؛ لأنه ما عنده الآن أثارة عن علم أحوال وأخبار الأمم والأنبياء وما واجهوه، هذا هو
الوضع الطبيعي، شخص تحترمه لأخلاقه العظيمة ثم أسدى لك أعظم معروف تنقلب عدواً له؟ هذا ما
منطق معكوس وللا لا؟ المفروض تزداد له احتراماً وتبجيلاً وتوقيراً فكان الإخراج ماله أي ورود عنده ولا أي
مبرر واضح أمامه **(أَوْمُخْرَجِي هُمْ)** أي ما مبرر هذا الإخراج إذن؟ ما فيه سوابق أغضبتهم عليه؛ بل عنده
في موضع الحضوة العظيمة.

وكل قارئ لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة يعرف ذلك . الصادق والأمين وألقابه

العظيمة، واحترامه بين قومه. ثم الدعوة التي جاءهم بها، ما جاءهم بشرّ أو بخسارة، جاءهم بخيري الدنيا والآخرة، المفروض أن يزداد الأمر احتراماً لا أن ينقلب إلى عداوة تؤدي بهم إلى أن يضطروه اضطراراً إلى أن يهجر أرضه ويغادر بلده.

(أَوْمُخْرَجِي هُمْ) فاحتاج أن يُعلل له هذا عليه الصلاة والسلام، والتعليل جاء على لسان القسيس

ورقة بحكم الخبرة السابقة بأحوال الأنبياء والسابقين.

(قَالَ نَعَمْ) تأكد من القضية هذه بأن الكتابة من الآن لها؛ نعم. أي ما سبب ذلك؟ قال: (لَمْ

يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ) هذا يعطيه صفة عموم، ما احتل هذا القانون لأي نبي.

(لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي) ينقلب أقرب الناس له وهم عشيرته وقومه إلى ألد

خصومه وأعدائه. فكان من لوازم هذه العداوة طبعاً تعذيب أصحابه، واتهامه بالثهم الكثيرة: مجنون، وساحر، وكاهن... الخ، ثم طرده، ثم حربه. تعرفون ما واجهه النبي صلى الله عليه وسلم من قومه على وجه الخصوص، والعرب من ورائهم حتى أظهره الله سبحانه وتعالى.

في مرسل عبّيد ابن عمير أخرجه ابن إسحاق وذكره ابن هشام في مختصر السيرة ، الجزء الأول

صفحة 121، يقول: (لتكذبنه ولتؤذينه). ورقة يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: "لتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه) كلها بصيغة التأكيد، نون التوكيد الثقيلة.

يقول: (ولئن أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصرًا يعلمه ويرضى به ثم أدنى رأسه فقبل رأس النبي

صلى الله عليه وسلم) هذا في مرسل عبّيد ابن عمير عند ابن إسحاق.

ثم نرجع (إِلَّا عُودِي وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرُكَ) ، (إِنْ) شرطية قولاً واحداً، "إن" شرطية ومادام

شرطية لا بد لها من فعل شرطي وجوابه وكلاهما مجزومان.

(يُدْرِكُنِي) لا بد يكون الكاف هنا عليها ذات الجزم. (يُدْرِكُنِي يَوْمُكَ أَنْصُرُكَ) ، (يُدْرِكُنِي) هي فعل

الشرط المجزوم بالسكون، (يَوْمُكَ) طبعاً فاعل للإدراك. (أَنْصُرُكَ) أيضاً جواب الشرط المجزوم، (أَنْصُرُكَ)

لا بد تقرأ هكذا. شرط يعني لن يقع نصري لك إلا إذا أدركني يومك، فإذا مت قبل ذلك تكفي هذه الرغبة والأمنية التي عبّر بها وجلس ينتظر، ولكن الله سابق قدره في ورقة غير ذلك.

(أَنْصُرُكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا) النصر المؤزر قالوا: المؤزر هو القوي من باب قولهم: "شدّ أزرهم"، الأزر هو

الحاجة إلى القوة، وقد تكون تحتاج من يأزرك، وقيل من الإزار والإزار تكني به العرب من شدة ربط الإزار

عن صولة الحرب وقوتها، تحتاج إلى أن يحزم وسطه بحزام ثابت لا يضطر معه إلى... إذا كان في موقف مواجهة وحرب وضرب، ما فيه مجال إلى أن يتفقد إزاره كل وقت، يعني نصراً قوياً بارزاً ظاهراً مؤزراً.

لكن بعد هذه الأمانى كلها لله في ورقة قضاء آخر ، قالت عائشة في روايتها: **(ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً**

أَنْ تُوفِّيَ)، **(لَمْ يَنْشَبْ)** أي لم يلبث بعد هذه المحاورة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا يسيراً حتى أدركه الموت. يعني قبل أن يحصل شيء، وقبل أن يفعل النبي صلى الله عليه وسلم أي شيء، وقيل أن يدعو رجلاً وحداً، ما لبث بعد هذه القصة إلا يسيراً جداً بحيث أنه قد يلغى من الحساب. لذلك تستخدم كلمة **(لَمْ يَنْشَبْ)** للإخبار بأنه ما يمكن أن يصنع شيئاً ولا أن يبقى شيئاً إلا توفي وفتّر الوحي بعد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم.

(ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُوفِّيَ وَفَتَّرَ الْوَحْيَ)، **(فَتَّرَ)** أي برد وضعف. والفتور هنا ليس الضعف

فقط؛ بل يراد به الانقطاع التام، وهذا الذي حصل فإنه صلى الله عليه وسلم ما استقبل هذه الدفعة الأولى من الوحي التي أخبر على لسان ورقة بأنه سيكون نبي مرسل، وأن هذا الذي حصل له من جنس ما حصل للأنبياء السابقين الناموس، وأنه سيعذب ويُعادى، ويُخرج ويُطرده.

لما استقبل هذه المعلومات كلها، احتاج إلى فترة أن يهيئ نفسه للدفعة الثانية هي في الحقيقة التكليف الحقيقي لتحمل أعباء الرسالة. فكانت **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾**⁽¹⁾ وما بعدها من لقاءه بالقيس ورقة تهية واضحة، إعلان له بأنه اصطفي واختير كني، وتهية له لاستعد نفسياً للمرحلة الكبرى القادمة، فتأتي الدفعة الثانية للتكليف الصريح الواضح كما سنحره في حديث جابر في قوله: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾**⁽²⁾ لبدء أعباء الرسالة.

فكانت الفترة الزمنية ما بين الدفعة الأولى من الوحي والدفعة الثانية هي الفترة التي قصدتها عائشة بقولها: **(فَتَّرَ الْوَحْيَ)** نحو ستة أشهر . ستة أشهر كانت كافية إلى أن يهيئ عليه الصلاة والسلام نفسه لاستقبال أعباء ومهام الرسالة الكبرى الذي اختير لها صلى الله عليه وسلم ليقوم بها وفتّر الوحي.

تمسك الإمام شمس الدين ابن القيم في زاد المعاد بهذه الرواية الواضحة الدالة على أن ورقة توفي مباشرة بعد هذه المحاورة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، لم ينشب أن توفي وللا لا؟ ثم فترت فترة الوحي كأنه توفي مباشرة بعد هذا اللقاء.

(1) العلق:1.

(2) المدثر:1_2.

لم يلبث أي شيء، تمسك ابن القيم بهذا الذي في الصحيح على تضعيف ما ذكره إمام السير محمد ابن إسحاق من أن ورقة ابن نوفل هذا القسيس كان يمر على المعذبين من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كبلال وآل ياسر يمر عليهم وهم يُعذبون ويقول: (صبراً بلال لئن قتلوك لأتخذن قبرك حناناً) أي لأبكين عليك، وأندب عليك شيء من هذا القبيل، أن يظهر جزعه.

هذا يدل على أن ورقة عاش إلى أن بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ودعا، وتبعه بلال وياسر وبدأت المواجهة مع المشركين وهذا يعذب، وكان يمر عليهم ليثبتهم، بينما الرواية تقول: **(ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُؤْفَى).**

فلين القيم قال أن الذي في الصحيح يبطل ويسقط هذا الذي ذكره ابن إسحاق في السيرة. لكن الحافظ ابن شهاب ابن حجر عليه رحمة الله هنا اعترض على ابن القيم؛ بل قال إن اعتراضه ساقط. الحافظ ابن حجر يعتبر اعتراض ابن القيم غير وجيه وتمثل وجاهته من عدة أوجه. قال: ساقط وحاول أن يجمع يعني بين ما في السيرة وما في الصحيح بجمع ستجدونه عندكم. لكن الحقيقة ما ذكره ابن القيم وهو الوجيه حقاً وهو المتعين لأمر أربعة أو لوجوه أربعة.

الوجه الأول: ظاهر الرواية: **(لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُؤْفَى)** وكلمة **(لَمْ يَنْشَبْ)** بحكم وضعها العربي أي لم يلبث. **(وَفَتَرَ الْوَحْيَ)** أي فتور الوحي كان متراحياً عن القصة وعن وفاته معها. ما في الصحيح هو الذي يدل على أنه ما عاش ولا بلغ تلك المراحل.

ثانياً: وصفه في نفس الحديث بأنه شيخ كبير قد عمي، وهذا لا يناسب أن يطوف يمر على هذا يعذب ويكلمه، شيخ وكبير وأعمى يعني فيه ما يدل على أن فيه بعد.

ثالثاً: وهو ربما أوضح سبيل مع ما في الصحيح ما أخرجه الترمذي في سننه في "كتاب الرؤيا"، "باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم الميزان والدلو" حديث 2288 ما نص الحديث؟ عن عائشة رضي الله عنها أن خديجة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم سألته عن ورقة وقالت: **(إِنَّهُ كَانَ صَدَقًا وَلَكِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ أَنْ تَظْهَرَ)** والصحيح أنه مات قبل أن تظهر فقال عليه الصلاة والسلام: **(رَأَيْتَ لَهُ جَنَّةَ أَوْ جَنَّتَيْنِ))** ⁽¹⁾ وهذا سند ذكر تخريجه وشاهده بعد قليل حينما نذكر شيئاً من فضائل ورقة. إذن هذا نص صريح.

(1) الحاكم في مستدرکه ج2/ص666 ح4211.

يقول الترمذي: في سنده عثمان ابن عبد الرحمن ليس عند أهل العلم بالقوي لكنه شاهد عند الإمام أحمد من رواية ابن لهيعة، وابن لهيعة فيه ضعف لكن فيه شواهد يدعم رواية عثمان ابن عبد الرحمن. رابعاً: الحافظ نفسه كأنه تراجع عن ما قرره هنا في "الفتح" وذلك في "الإصابة في معرفة الصحابة" كتابه المشهور ترجم لورقة في الجزء السادس صفحة 317 أو في ترجمة ورقة ثم ذكر الرواية التي في الصحيح ثم ما ذكر في السيرة ثم قال: (وظاهر ذلك _ هذا كلام الحافظ _ وظاهر ذلك أن ورقة أقر بنبوته النبي صلى الله عليه وسلم لكنه مات قبل أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام). إذن كأنه لما هذا ترك أو تراجع ما اعترض به على ابن القيم وقرر في الإصابة أن ورقة توفي فعلاً قبل أن يمارس النبي أو أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم أحداً إلى الإسلام. يأتي السؤال: هل هذه القناعة من ورقة وهذه الأمنيات: ليتني فيها جذعاً، ليتني فيها حياً فأنصرك نصراً مؤزرًا ولكن توفي ولم يتمكن من بلوغ الدعوة ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم، هل هذا يكفي في حال ورقة للنجاة؟

الجواب: نعم يكفي وكل من كان على حاله فافتنع بما بلغه وانتظر أن يأتيه شيء من التكليف أو شيء من العمل، لكنه احترمه المنية قبل ذلك فهو في حكم الناجي بلا شك. وقد صحَّ في ورقة الأحاديث الآتية:

- أخرج الحاكم في المستدرک الجزء الثاني صفحة 609 عن هشام ابن عروة عن أبيه عروة ابن الزبير عن عائشة مرفوعاً قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا ورقة ابن نوفل فإني رأيت له جنة أو جنتين))⁽¹⁾ قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي واستفزع طرقه الشيخ الألباني عليه رحمة الله في السلسلة الصحيحة رقم: 405، الجزء الأول الحديث رقم 405 في الترقيم.
- ثانياً: الحديث الذي ذكرنا قبل قليل حديث عائشة عند الترمذي الجزء الرابع صفحة 540 قلنا حديث: 2288 من طريق عثمان ابن عبد الرحمن وهو الواقسي عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: ((سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ورقة سألته خديجة قالت: (يا رسول الله إن ورقة كان قد صدقك لكنه مات قبل أن تظهر، فقال: (إني رأيت له جنة أو جنتين)).⁽²⁾

(1) الحاكم في مستدرکه ج2/ص666 ح4211.

(2) أخرجه الحاكم (2/666، رقم: 4211) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وابن عساكر (24/63). وأخرجه أيضاً: الديلمي (5/13، رقم 7297).

قلنا عثمان الوقاسي فيه كلام لكنه شاهد عند الإمام أحمد من طريق ابن لهيعة عن الأسود أن خديجة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة.

إذن نجاه ورقة ثبتت ويكفيه هذا في وضعه وحاله. كل من استجاب لما بلغه من دعوات الأنبياء

والمرسلين ومات قبل أن يبلغه شيء آخر فهو في حكم الناجي.

بقي ما يلي: قلت لكم في الدرس السابق بأن هذا الحديث أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع

كاملاً، ما أخرج منه فقرات في مواضع. هذا الموضوع الأول في "كتاب بدء الوحي" من رواية عقيل ابن خالد، عن الزهري عن عروة عن عائشة أليس كذلك؟ أخرج نفس الحديث في "كتاب التفسير" وهو في

وسط الصحيح تفسير قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾⁽¹⁾ من طريق رجل آخر غير عقيل وهو

يونس ابن يزيد الأيلي عن الزهري عن عروة عن عائشة بنفس الألفاظ وانتهى حديثهما _ أي حديث عن عقيل وحديث يونس _ عن هذه الكلمات: (أن توفي وفتى الوحي).

أخرجه في موضع ثالث في آخر الصحيح في "كتاب التعبير" تعبير الرؤى، "أول ما بدئ الرؤيا

الصادقة"، وأول حديث في "كتاب التعبير باب الرؤيا الصادقة" من طريق رجل آخر ما هو عقيل ولا هو

يونس وهو معمر ابن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة وبنفس الألفاظ. لكن في رواية معمر عن

الزهري زيادة يجب أن ننبه عليها. إذا رجعت البيت إن شاء الله اليوم الليلة تروح لكتاب التعبير في آخر

المجلد في الصحيح "باب الرؤيا الصادقة" تقرأ الحديث الذي فيه زيادة.

تقرأ الحديث ماشي تماماً إلى **(وَفَتَرَ الْوَحْيَ)** تجد الزيادة التالية: (وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً كَانَ يَذْهَبُ فِيهَا

النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا إلى شواهد الجبال ليتردى) يعني بلغ به الكرب إلى أنه يريد أن يقتل

نفسه ينتحر كما يقولون في عالم اليوم انتحاري، (فتبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله فيسكن)

فكلما عاد إلى شواهد الجبال فكلما أراد أن يلقي نفسه يتبدى له جبريل فيسكن، حتى حمي الوحي

وتبدد).

هذه الزيادة نسجل عليها الملاحظات التالية، سجلوها وراجعوا "كتاب التعبير" وقيدوها عندكم:

- أولاً: أن هذه الزيادة فقط من رواية معمر عن الزهري دون روايتي يونس وعقيل، هذه واحدة
- النقطة الثانية: الإمام أبو عبد الله الحميدي في "الجمع بين الصحيحين" وهو كتاب مطبوع وقد ذكرت لكم هذا، أدرج هذه الزيادة ضمن الحديث واعتبرها من روايات الثلاثة كلهم: رواية عقيل

(1) العلق:1.

على يونس على معمر وخطأه الأئمة في ذلك خطأً واضحاً، يعني جعل من روايات الثلاثة كأنه من صلب الحديث وهذه مشكلة كبيرة وقصة منكورة ويترتب عليها أشياء خطيرة كما سنذكر، ولا ينبغي أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيء من ذلك، وسنذكر عذر البخاري في ذكرها ولماذا لم يحذفها مادام أنها بهذه النكارة.

إذن الحميدي اعتبرها من روايات الحديث من صلبه فأدرجها في جامع الصحيح لما دمج بين الروايات واعتمد الروايات السابقة كلهم، فخطأه الأئمة وقالوا هي فقط من رواية معمر دون روايتي يونس وعقيل.

ثالثاً: كلمة (فيما بلغنا)، (فتر الوحي فترة كان يذهب فيها النبي صلى الله عليه وسلم فيما

بلغنا)، القائل (فيما بلغنا) الزهري الإمام، وهذا يدل على أن هذه القصة ليست من حديث عائشة، وليس من روايتها، ولا من رواية عروة عنها. لكن بلغ الزهري، معلومة بلغت الزهري لم يذكر من بلغه ولم يذكر لها سند وأنت تعلم أن البلاغات من قبيل ماذا؟ مو الضعيف فقط؟ الضعيف جداً الساقط المعضل.

إذا كان يسقط راوي في السند يسمونه منقطعاً، راوياً معضلاً؛ إذا ما فيه سند أصلاً، (بلغنا) لا تبني عليها شيئاً، لم يذكر المبلغ له فضلاً عن كونه إمام جليل. طبعاً الإمام الجليل قد يسمع أشياء وربما يذكر بعضها للفائدة، أو للتنبه عليها، أو للتذكير بها، أو للتحذير منها ربما، وإن كان لم يتبعها بشيء من ذلك. لكن (فيما بلغنا) فلا سند لها ولا تعتبر من الحديث أصلاً. هذا الذي يريد بلاغ والبلاغات من قبيل المعضلات الساقطات التي لا يجوز أن تعتبر رواية وبالتالي لا يبني عليها شيء. والقائل هو الزهري، إذن بلاغ من بلاغات الزهري.

إذن هذه الزيادة بلاغ من بلاغات الزهري، وليست على شرط الصحيح، وليست موصولة. ولذلك يجب أن تنتبه لا يجوز لأحد أن ينسبها لصحيح البخاري. تجدها مكتوبة فتقول هذه رواها البخاري في الصحيح. لا، فليتبه لهذا، ليست من الصحيح، وليست على شرطه؛ وإنما بلاغ من بلاغات الزهري، وقد علمت أن البلاغات لا موضع لها في الرواية أصلاً، لا موقع لها، أضعف حتى من روايات السيرة البلاغات. لكن قد يقول قائل مادام الحال هكذا لماذا مثلاً البخاري ما حذفها أصلاً وأراحنا منها؟ الجواب: أجاب بعضهم بقوله: لعل البخاري صنع ذلك أنه يروي ما يسمع، سمع الحديث في الرواية الأولى رواية عقيل وانتهى عند (فتر)، وسمع الحديث عن شيخه الآخر من رواية يونس، وسمع الحديث عن شيخه الثالث رواية معمر وفي هذه الزيادة فروى ما سمع.

الراوي إذا روى ما سمع خرج من العهدة ثم أعطاك الإشارة: (فيما بلغنا) وقد عرف أنك طالب حديث وأن البلاغات عندك لا تقوم مقام الموصولات، ولا مقام المسندات أصلاً، ويتعامل معها يعني خلاص أنت عارف الاصطلاحات الحديثية، ما في كل مرة يقول لك هذه كذا وهذه كذا، خلاص (بلغنا) إشارة واضحة.

أجاب بعضهم بجواب آخر عندي أحمد أقوى من الجواب الأول وهو: للبخاري عادة في صحيحه وهو أنه ربما يخرج الرواية المعيبة التي فيها شيء من الخلل لا لجهله بها وهو إمام الحديث كله، يعرف الدقائق التي ما يعرفها غيره، تخفى عليه أشياء مثل هذه؟ لا، يعرف، عرف الخلل لكن أخرجها لتعرف أنت أن هذه الرواية مختلفة فلا تغتر بها. وكيف عرف أنها مختلفة؟ بقياسها بروايات أخرى لنفس الحديث من نفس الصحيح، وأخرجها في رواية عقيل، بعدها رواية يونس، بعدها رواية معمر مختلفة، فعرفت أن هذه الزيادة مختلفة قياساً لها على الروايات المنضبطة.

وهذا له عدة نماذج في الصحيح ليست فقط هذه. له عدة أحاديث منها على سبيل المثال حديث الإسراء المشهور. حديث أنس خاصة على وجه التحديد في قصة الإسراء النبي صلى الله عليه وسلم أسري به إلى بيت المقدس وصلى بالأنبياء ثم أعرج به إلى السماء ورأى آدم في السماء الأولى وفي الثانية عيسى ويحيى وفي الثالثة إلى السابعة. القصة الطويلة المعروفة.

أخرجها البخاري في عدة مواضع في الصحيح: أخرجها من طريق قتادة عن أنس، ومن طريق حميد الطويل عن أنس. عدة طرق من كبار أصحاب وثقة أصحاب أنس الذي يروون عنه في العادة مثل حميد بن أبي حميد الطويل، وقتادة... لكنه جاء في آخر الصحيح في "كتاب التوحيد" وخرج حديث الإسراء من طريق رجل اسمه شريك ابن أبي نمر وإذا بالرواية مختلفة فيها زيادات منكرة منها قوله: (كلمه الله من فيه)، هذه ما هي موجودة ومنها: (تجلى الجبار حتى كان قاب قوسين أو أدنى) ما هي موجودة في الروايات الأخرى التي رواها كبار أصحاب أنس. غير في مراتب الأنبياء السماء الأولى آدم والثانية عيسى الثالثة مثلاً يوسف ما أدري مثلاً يوسف، الرابعة هو غير قدم وأخر، طلع يوسف مقام وأنزل هارون مقام. ما ضبط الحديث، زود عبارات ما هي موجودة _ هذا شريك ابن أبي نمر _ وغير في ترتيب الأنبياء وفي مقاماتهم في السماوات حسب ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم.

فرواياته إذن معيبة مختلفة، فقد يقول قائل ويستشهد فلماذا البخاري الذي عرفنا أنه شرط الشروط العظيمة يخرج رواية مختلفة أخفيت عليه؟ العاقل والفاهم يقول ما تخفى على مثله مثل هذه، وأنت قارئ عادي تعرف ترى الخلل. لا، عارفها وقد خرج لك في المواضع السابقة الحديث منضبطاً بدون هذه الزيادات

المنكرة ولا التقديم والتأخير من روايات كذا، وخرّج لك هذه الرواية وغرضه أن تعرف أنها رواية مختلفة معيبة. وكيف تعرف؟ تقيسها على الروايات نفسها في الأحاديث السابقة. واضح الكلام وللا لا؟
مثال ثاني: ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في "المنهاج" الحديث المشهور: ((يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يزال يلقي في النار وهي تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه وتنزوي فتقول قط قط قد امتلأت أما الجنة فيبقى فيها فضل)) الحديث المشهور ((فينشئ الله لها نشأً فيسكنه فضل الجنة)). هذا حديث خرجه البخاري في خمسة مواضع، أربعة منها على ما سمعتم، في موضع واحد قال الحديث مقلوباً انقلب على الراوي.

والحديث المقلوب يقدم ما حقه التأخير، وهذا الراوي قلب الحديث وإذا به يروي الحديث هكذا: (لا يزال يلقي في الجنة وهي تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار. أما النار فيبقى فيها فضل فينشئ الله لها نشأً فيدخله فضل النار) لخبط القضية كلها هذا، واضح أنها مقلوبة وما خفيت على مثله، لكن تعرف أنها مقلوبة قياساً، كيف تعرف الحديث مقلوب؟ إذا قست على الروايات الأخرى التي غير مقلوبة ولا كيف تعرف هذا؟ وهكذا له أكثر من إحدى عشر موضع صنع فيها هذا البخاري، وشيخ الإسلام ابن تيمية أكد على هذا في "منهاج السنة" لما كان يتحدث على قصة زيد بن عمر ابن نفييل وهي من الروايات التي انقلبت على بعض الرواة وخرج البخاري الروايات الصحيحة وخرج المنقلب.

قال شيخ الإسلام: (وهذه عادة البخاري يخرج الحديث الذي فيه خلل لتعرف خلله قياساً على الروايات الأخرى) هذه شهادة من ابن تيمية عليه رحمة الله راجعها في "منهاج السنة" فتكون رواية معمر من هذا القبيل.

إذن نأخذ من معمر ما وافق فيه يونس وعقيل، والزيادة هذه أول شيء هي بلاغ والبلاغات لا تأخذ حكم المسندات أصلاً، فهي كلا شيء فعلاً. ثم هي أيضاً يعني رواية فيها دخن وفيها خلل قد يكون من معمر، قد يكون من غيره، وأُخرجت لتعرف الخلل. أين الخلل فيها؟

الخلل فيها قدح عظيم في مقام النبي صلى الله عليه وسلم الذي رُشح ليستقبل حياة طويلة فيها جهاد عظيم من أول لحظة يروح يريد أن ينتحر؟! إذن هذا ما هو مناسب لمثل هذا. لو صحت _ ولا تصح طبعاً _ يأخذ منها الطاعنون في الإسلام مأخذ وللا لا؟ يقولون شوف هذا يئس من أول لحظة وهو يرشح لمقام عظيم ليكون رسول رب العالمين على العالمين أجمعين، فهي منكرة فعلاً في ألفاظها وقادحة في مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وكل الدروس هذه يعني لقاءه بورقة، وإخباره بالإخراج، ليتيهاً لمقام عظيم لا ليذهب ليلقي نفسه من شواهد الجبال.

ثم أيضاً ما يدل على نكارتها أن في نفس الرواية قوله: (كلما ذهب ليرتدى تبدى له جبريل) هذا يدل على أنه تكرر ذلك مرات بينما الثابت الصحيح أن كما في صحيح مسلم وغيره من حديث عائشة أنه عليه الصلاة والسلام قال: (لم أر جبريل في صورته إلا مرتين). ((كلما ذهب)) ما لها وجه إذن الرواية ساقطة لا سند لها؛ لأنها بلاغ، وذكرت في الصحيح لتعتبر بها لا لتنسبها للصحيح، وتحذر وتنتبه، وثالثاً: يعني منكراً لأن فيها قدح واضح لحال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يفعل ذلك عليه الصلاة والسلام، ولم يقع منه ذلك، وإن كان حدث طبعاً فتور الوحي فيها حزن، وكلما أبطأ عليه الوحي يحزن عليه الصلاة والسلام. ولذلك سيأتي معنا في سبب نزول "الضحى"، لما قالت المرأة ما أرى شيطانك إلا قد خلاك، فأتى النبي ينتظر يحزن يأتيه الوحي معزياً ﴿وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾⁽¹⁾. نختتم ببعض الفوائد التي في هذا الحديث:

الفائدة الأولى: أهمية المشورة واضحة جداً، شاور خديجة رضي الله عنها وأعطته تطمينات، شاور ورقة وأعطاه أيضاً تطمينات وهذا يدل على أن الإنسان لا يصدر القرارات في الأمور الحاسمة قبل أن يستشير من يعلم نصحه أولاً، ما يستجر بعدو له أو خصمه. من يعلم نصحه كزوجته خديجة خاصة إذا كانت في عقل خديجة، وحسن فكرها، ومثل ورقة الذي عنده أثارة من علم. في سؤاله لخديجة استنصاح المشفقين عليه الذين لا يألون جهداً في نصحه. واستشارة ورقة، استشارة صاحب الخبرة وللا لا؟ مثلاً واحد يعني خالي ال ذهن وتستشيريه، ما يقدر يعطيك رأي. استشر من عنده أثارة من علم، من عنده خبرة.

إذن استشارة خديجة، تستشير الناصح الصادق، المحب، المخلص لك الذي لا يألوك نصحاً. واستشارة ورقة تختار صاحب الخبرة والرأي والعلم والأثارة من علم الذي يفيدك من خبرته، وكانت مشورته لخديجة وورقة أعطته أعظم تثبيت صلى الله عليه وسلم.

أيضاً من فوائد الحديث الثمينة والواضحة حسن الخلق وأثره. يعني ما وجدت خديجة ما تدفع به ما شكّه النبي صلى الله عليه وسلم في نفسه إلا ما كان عليه من حسن الخلق، ثم ربت عليه أن صاحب الخلق الحسن لن يجزيه الله لا دنيا ولا آخرة ﴿وَاللَّهُ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا﴾، ليه؟ إنك تحمل الكل، وتعين على نوائب الحق، وتصدق الحديث. وحسن الخلق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ذهب حسن الخلق

(1) الضحى: 3_1.

بخير الدنيا والآخرة)⁽¹⁾ خصوصاً من سيتصدون لهداية الخلق ودعوته والبيان لهم، يجب أن يكونوا على مثل هذا الطراز من الأدب وحسن الخلق وتقديم المعروف.

وقلت ونبهت في الدرس السابق أن الصفات الخمسة التي اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم كلها متعدية وللا لا؟ كلها يحمل الكل، يعين، ويقرئ الضيف، يصدق الحديث، يعين... كلها خدمات للناس لا ينتظر من ورائها مصلحة شخصية ولا كسب مالي. وهو قد تجاوز حتى حض نفسه. هذا الذي عندما سيأتي يدعو الناس أو يقدم لهم خيراً وهداية ونصحاً، سيكون القلوب مفتوحة له مستقبلة لدعوته. أيضاً في جملة أو في **(فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي)** هذا الإرهاق له أثر يعني فيه إشعار **(فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي)** ما كان يقول له مثلاً **﴿أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾**⁽²⁾ ليش ثلاث مرات يعنفه ويتعبه ويكرهه؟ ليشعره بأن ما ستستقبل من الآن فصاعداً أمر عظيم قوي شديد يحتاج أن تعد له جميع جهدك. ولذلك فسرنا (بلغ مني الجهد) أو الجهد ما تذكرون هذا؟ قلنا الجهد يعني التعب، والجهد يعني المدافعة. أنت إذا تعرضت لموقف عصيب، تستفرغ جميع طاقتك لمدافعتك وللا لا؟ ما تستسلم له.

لو جاء إنسان فتستفرغ هكذا وتدافع بكل ما أوتيت من قوة. فهو قد بلغ طاقته والجهد في المدافعة، لكن ما استطاع. ليبدل بعد ذلك ما يستطيع من طاقة لمدافعة خصومه وأعدائه ومن سيخالفونه؛ لأنه يحتاج من الآن فصاعداً أن يستفرغ جميع جهده وطاقته، فكانت مناسبة جداً هذه الغطة ثم جاءت الآيات في المزمّل تؤكد الموضوع **﴿إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْنَا قَوْلًا لَقِيْنَا﴾** فلا يناسب التزميل وهو النوم **﴿يَا أَيُّهَا الْمُزْمَلُ (1) قُمْ اللَّيْلَ (2)﴾** هذا النوم والتزميل ما يناسب الذي رُشح لاستقبال القول الثقيل ويقدمه للناس، والناس على شهوات وأهواء سيصادمونهم ويعادونهم ويخرجونه. فالنوم إذن لا مجال له من الآن فصاعداً.

أيضاً من الأمور المهمة قوله: **(أَوْ مُخْرَجِي هُمْ)** يعني تقديم، وهذه لله فيها حكمة. تقديم إشعار النبي صلى الله عليه وسلم بعداوة قومه وحربهم قبل أن يحدث شيء من ذلك، ناحية مهمة ليتهيأ نفسياً. أنت إذا هيأت نفسك لأمر، إذا جاءك لا تفاجأ به، وللا لا؟ وتكون قد عملت احتياطك له نفسياً بصرف النظر عن التخطيط لمواجهة، الهزيمة النفسية هي الكارثة. أما إذا فوجئت به، قد يُسقط في يديك ويدخل عليك ويحطم يعني أمور، فتستسلم له، لكن يُشعر فيهيئ نفسه ويستعد لها.

(1) أخرجه عبد بن حميد (ص 365 ، رقم 1212) والطبراني (222/23 ، رقم 411).

(2) العلق: 1.

يقول الإمام ابن حزم له كلام جميل يقول: (أعطيك كلمة تذكرها استفدتها بعد خيرة أربعين سنة في معاصرة الناس والتعامل معهم . قال: (توقع من الناس أسوأ ما يمكن لتربح أحسن ما يمكن) لا تتوقع من الناس الأحسن، توقع منهم دائماً إذا قدمت لشخص معروف توقعك ربما لا يحمدك مثلاً. فعندما يقع هذا فعلاً وسيقع ما تفاجأ وتصدم وينكسر خاطرك، فتبدأ تتنازل وتراجع. لا، أنت متوقع هذا، فعندما يأتيك، خلاص انتهى الموضوع.

فإذا توقعت أنه سيقابلك بالأسوأ فقال لك جزاك الله خيراً، ترى أنك ربحت ربحاً، لذلك لما كنت حاط في بالك الأسوأ، فجاءك الأحسن فتكون ربحت شيء أعظم. هذه عامل نفسي مهم جداً. في كل أمر حتى مع نفسك. إذا أردت تدخل في مشروع أو في قضية أو كذا لا تتوقع أنك ستقبل فيها وتأتيك الأمور، توقع أنك ستواجه صعوبات بحيث لو حصل وواجهت، وعندك توقع ستواجه لا تكن مفاجأة له صادمة لك؛ وإنما تكون قد احتطت وأخذت أهبتك النفسية لها و بذلك تستبدلها بالبدايل والمخارج والتي تجعلك تتفادى هذا العائق الذي عرض لك.

فهذا فيه إشعار عليه الصلاة والسلام لذلك. ولذلك قلنا عبارة: (ذهب ليردى من شواهد الجبال) لا موضع لها وقد هُيئ لهذه التهيئة النفسية. كيف يتردى وهو لسا ما قال له أحد كلمة واحدة. طيب، لو واجه القوم هذا سينتحر على طول ما يصلح لمثل هذا المقام. لا، هذا لم يقع منه؛ بل هُيئ. ولذلك لما جاءت المواجهة العنيفة كان هو عليه الصلاة والسلام رجلها صلى الله عليه وسلم، وواجهها بما تعرفونه من سيرته وسيرة أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم.

أخيراً: الخلوة، فائدة الخلوة هذه نبه عليها ابن القيم حقيقة. الخلوة، قلنا يذهب إلى غار حراء ويخلو الليالي. الخلوة مهمة جداً خاصة لصاحب مشروع فيه مواجهة مع الناس الداعي إلى الله مثلاً، الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، صاحب طموحات وصاحب.... وأحوال الناس وشهواتهم في الغالب تعوق هذه الطموحات. فحتى لا ينكسر ويضعف يقول: خلاص تعبنا، يحتاج إلى واحة يرتاح فيها قليلاً، يراجع حساباته، يخلو بربه، يستمطر على نفسه عفو الله وتثبيته عن طريق الخلوة به، هذه يحتاجها المؤمن عموماً خصوصاً عند إظلام الأمور وتعسر الأحوال، واختلاط الحق بالباطل، وظهور المنكرات. هذه أمور قد تحدث في نفس المؤمن فضلاً عن يدعو الناس فضلاً من يقوم عليهم بالحجة، طبعاً سيواجه قد تحدث فيه انكسار والناس في جهة وهو في جهة أخرى كما يقولون، وهذا يحتاج إلى ما يعيد له همته وجدعة، ويحتاج إلى خلوة. خلوة يرتاح فيها، يراجع حساباته، يخلو بربه ليستمد منه ومنه وحده جلّ وعلا التثبيت والتأييد فيعود نشيطاً أكثر مما كان وهكذا.

فالخلوقة مهمة، ولا نقصد بالخلوقة هنا العزلة وهي الناحية السلبية. فرق من أن تستخدم الخلوقة كعلاج ومحطة راحة وشحن همة وأن تجعلها يعني ناحية سلبية للهروب من مواجهة أعباء الدعوة، وللهروب من مواجهة أحوال المجتمع بما فيهم من أهواء وشهوات. فالهروب من ناحية سلبية لا تناسب الأنبياء والرسل، ولا تناسب أتباع الأنبياء والرسل.

نكتفي بهذا وسيأتي بهذا أيضاً تنمة في أحاديث قادمة إن شاء الله تعالى. اقرأ الحديث الذي بعده.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين.
قال المصنف رحمه الله تعالى:

((قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمَّلُونِي زَمَّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ تَابَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ وَأَبُو صَالِحٍ وَتَابَعَهُ هَلَالُ بْنُ رَدَادٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ بَوَادِرُهُ)).

هذا إمامنا عليه رحمة الله البخاري: (قَالَ ابْنُ شَهَابٍ) هذا كما قال الحافظ موصول بالإسناد السابق، نفس السند السابق: (حدثنا يحيى بن بكير قال: حدثنا الليث عن عقيل) نفس السند فيتصل مع ابن شهاب؛ أي ابن شهاب يروي الحديثين والبخاري استقبل حديث ابن شهاب بنفس السند، وحتى لا يعيد السند مرة أخرى ما يكون فيه تكرار إلا إذا لزمه عطب.

(قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي) الواو هي التي أشعرتنا بأن هذا حديث ثاني للزهري بنفس السند.

(وَأَخْبَرَنِي) يعني ابن شهاب روى القصة الأولى من طريق عروة ابن الزبير عن هشام ابن عروة عن

أبيه عن عروة عن عائشة والقصة الطويلة التي ذكرناها ودرسناها في الأسبوع الماضي.

ثم قال: (وَأَخْبَرَنِي) أي نفس الحديث، لكن برجل آخر بسند آخر عن صحابي آخر لقصة أخرى

لها علاقة واضحة بالقصة الأولى؛ وهي المرحلة الثانية من مراحل اتصال الوحي بالنبي صلى الله عليه وسلم ف

(قَالَ ابْنُ شَهَابٍ) ليس معلقا لكنه موصول بنفس السند السابق الذي في الحديث السابق، والواو عاطفة

فدل على أن لابن شهاب حديثان:

● الحديث الأول: السابق الذي يرويه عن هشام ابن عروة عن أبي عروة عن عائشة الذي أوله: ((أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي)).

● والحديث الثاني قال: ((وأخبرني أبو سلمة ابن عبد الرحمن أن جابر)).

والعلاقة بين الحديثين واضحة. والحديث الأول تحدث عن أول دفعة من الوحي التي نزل بها قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽¹⁾ ثم فتر الوحي وقد علمنا أن الفترة كما قال أهل التواريخ والسير نحو ستة أشهر ليتهيأ للمرحلة الثانية، فجاءت الدفعة الثانية التي جاءت في حديث جابر هنا بنزول المدثر عليه التي فيها الأمر الصريح الواضح خلاص قم من الآن فابدأ فأندر. فالتهيئة والتجهيز النفسي قد وصل إلى حده، وجاءت الدفعة الثانية وحي بعد ذلك الوحي وتتابع.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابن عوف الزهري وهو ابن الصحابي

الجليل عبد الرحمن ابن عوف الزهري القرشي أحد العشرة المبشرين. وأبو سلمة هذا اسمه وكنيته. أبو سلمة هو اسمه وهو أيضاً كنيته، نكمل بعد الأذان إن شاء الله.

قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ هو ابن عبد الرحمن ابن عوف الزهري

القرشي الصحابي المشهور أحد العشرة. وأبو سلمة ابنه هذا من فضلاء التابعين وكبارهم اسمه وكنيته، فهو أبو سلمة اسمه وكنيته. متفق على إمامته وجلالته، لقي عدداً من الصحابة وجمعاً من كبار التابعين. أمه تماضر بنت إصبع، لم تلد لعبد الرحمن ابن عوف غير أبي سلمة، لم تلد له غير أبي سلمة فجميع أولاد ابن عوف إخوانه من جهة أبيه فقط، ليس له شقيق. توفي سنة 94 في خلافة الوليد ابن عبد الملك.

أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ جابر ابن عبد الله ابن عمر ابن حرام الأنصاري الخزرجي

الصحابي الجليل المشهور، أحد المكثرين من رواية الحديث.

المكثرون من الصحابة معروفون: أبو هريرة الصحابي الجليل في المقام الأول، ثم عائشة رضي الله

عنها. أبو هريرة مسنده ينيف عن خمسة آلاف حديث، وعائشة رضي الله عنها مسندها ينيف على

الألفين. ويأتي بعدهم ابن عمر، وأنس، وجابر، وسعيد الخدري، وابن عباس وأمثالهم، لهم الروايات الكثيرة.

ف جابر أحد المكثرين من رواية الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، أبوه هو الصحابي

الجليل عبد الله ابن عمر ابن حرام أول شهداء أحد أول من استشهد يوم أحد رضي الله عنه وأرضاه وهو

الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لجابر: ((ما من أحد إلا كلمه الله من وراء حجاب إلا أباك فقد

(1) العلق: 1.

كلمه الله كفاحاً فقال: عبيدي تمنى علي، فقال أتمنى أن ترجعني فأقاتل فأقتل قال إنه قد سبق القول مني أنهم إليها لا يرجعون، قال إذن بلغ نبينا أننا لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه⁽¹⁾.

هذا عبد الله ابن عمر ابن حرام والد جابر رضي الله عنه وأرضاه. وجابر له مناقب كثيرة وفضائل عظيمة رضي الله عنه.

(أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ) هذا أيضاً نموذج آخر مما يسمى بمرسل أو مراسيل الصحابة. لما يحدث الصحابة بقصة لم يحضرها ولم يشهدها يسمى مرسل صحابي، وله حكم الاتصال بالرفع لكن كناية اصطلاحية فقط.

(قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ) أنت تشعر أن كأن هناك اختصار أن جابر قال وهو يحدث عن فترة الوحي، يعني جابر يتحدث عن هذه المرحلة التي فتر فيها الوحي.

(فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ بَيْنَا أَنَا أَمْشِي) ، (فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ) يعني جابر (بَيْنَا أَنَا أَمْشِي) لكن كلمة (فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ) هي للنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي قال في حديثه وهو يحدث عن فترة الوحي. اسمع ماذا يقول هنا؟

يقول: يقتضي حذف شيء من المحذوف من رواية يحيى بن كثير المذكور في سورة الضحى. والرواية كما يلي: ((عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ)).⁽²⁾

إذن كل الجملة هذه أرسلها جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم، بينما الظاهر هنا أنها من كلام أبي سلمة أن جابر هنا يقول كأن أبا سلمة يقول أن جابراً قال وهو يحدث. يعني جابر يحدث عن فترة، فقال جابر في حديثه (بَيْنَا أَنَا أَمْشِي) جابر ما هو اللهي يمشي النبي صلى الله عليه وسلم وللا لا؟ العبارة مختصرة

(1) إسناده جيد. وأخرجه الترمذي "3010" في تفسير القرآن: باب سورة آل عمران، والحاكم 203/3 - 204 عن يحيى بن حبيب، بهذا الإسناد. وقرن الحاكم بيحيى بن حبيب عبدة بن عبد الله الخزاعي، ولم يسق لفظه بتمامه، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.

وأخرجه ابن ماجه "2800" في الجهاد: باب فضل الشهادة في سبيل الله، وابن أبي عاصم في "السنة" "602" عن إبراهيم بن المنذر الخزامي، والواحدي في "أسباب النزول" ص "86"، والبيهقي في "الدلائل" 298/3 - 299 من طريق علي ابن المديني، كلاهما عن موسى بن إبراهيم الأنصاري، به.

وأخرجه بنحوه مختصراً أحمد 361/3، والحميدي "1265"، وأبو يعلى "2002"، وابن جرير الطبري في "جامع البيان" "8214" من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر.

(2) صحيح البخاري، رقم: 4544، باب: {وثيابك فطهر}.

وصوابها كما بينا في رواية ابن كثير في تفسير المدثر في تفسير سورة المدثر ليس في سورة الضحى قال: (عن جابر ابن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث) يعني النبي حدث الصحابة عن فترة الوحي.

فقال في حديثه عليه الصلاة والسلام بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فنظرت يميني فلم أر شيئاً فنظرت عن شمالي فلم أر شيئاً نظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء اتضحت القضية؟ إذن قال وهو يحدث، يعني جابر يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه.

أيضاً في كتاب التفسير فيه أيضاً رواية مسلم لهذا الحديث نفسه بالتفصيل والتوضيح المذكور. فيكون الكلام لجابر عن النبي صلى الله عليه وسلم.

طيب، **(بَيْنَا أَنَا أَمْشِي)**، **(بَيْنَا)** هذه تطلق للاتفاق غير المقصود، بينا أنا أمشي، بينما رجل يمشي في الطريق يعني ما فيه سابق ترتيب، واستخدام كلمة بينا أو بينما.

(بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصْرِي) بينت رواية يحيى ابن أبي كثير ماذا

سمع؟ سمعت صوتاً، ماذا سمع؟ الذي سمعه سمع نداءً باسمه "يا محمد". جاء في روايات أخرى خارج الصحيح: "يا رسول الله" يعني سمع شخصاً يعني صوتاً يدعو تارة باسمه أو بوصفه، الرسالة "يا محمد" أو "يا رسول الله" فالتفت يميناً كالعادة النداء كيف يأتيك إذا أحد يناديك؟ يا من أمامك وأنت ماشي ما في أحد فإما عن يمينك أو من خلفك. فلما نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ولا عن يساره ولم ير شيئاً، وخلفه فلم ير شيئاً فلم يبق له شيء إلا من جهة العلو.

قال: **(فَرَفَعْتُ بَصْرِي)** إذن **(فَرَفَعْتُ بَصْرِي)** سبقها شيء لم يذكر في هذه الرواية، لكن رواية

يحيى ابن أبي كثير التي في التفسير وضحت كل شيء أنه نودي باسمه عليه الصلاة والسلام ليستقبل الوحي الجديد الآن وهو في بداية الدعوة، نظر يميناً شمالاً خلفاً فلما رفع بصره إلى السماء **(فَإِذَا الْمَلِكُ)**، (إذا) هي الفجائية إذا فوجئ **(الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ)**.

هذه فيها فائدة مهمة **(الَّذِي جَاءَنِي)** تدل على أن المرة الأولى التي جاء فيها الملك في غار حراء جاءه في صورته الملائكية الحقيقية؛ لأن هنا رآه في صورته الملائكية. وكيف عرف أنه هو الذي جاءه؟ لا بد أنه لما جاءه في المرة الأولى جاءه بصورته الملائكية على صورته الحقيقية جبريل عليه الصلاة والسلام بدليل أنه قال هنا: **(فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءِ جَالِسٌ)** هكذا بالرفع هنا (جالسٌ) على حذف المبتدأ

وتكون إعرابها خبر والتقدير: وهو جالسٌ. هذه جملة "جالسٌ" لا بد تحط عليها إذا رفعتها تصير جملة، يا خبر يا مبتدأ ومبتدأ أصبح نكرة فلا بد له خبر وتحط تقدم وهو جالسٌ أو "وهو الملك جالسٌ" هو جالسٌ" أحسن أو تنصبها "جالساً" لتكون على الحال؛ لأنه يشرح حاله أنه جالساً، لا بد تنصبها إذا أردت الحال.

أما إذا "جالسٌ" ليس لها وجه إذن تكون خبر. ولا بد أنك تقدر المبتدأ "وهو جالسٌ" رواية مسلم بالنصب، رواية مسلم التي في صحيح مسلم "جالساً" على ماذا؟ على الحال.

(عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) في رواية يحيى بن أبي كثير التي في تفسير المذثر **((جَالِسٌ عَلَى عَرْشٍ))**⁽¹⁾ هناك قال: "كرسي" وهنا قال: **(جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)** جاء في روايات أخرى كثيرة خارج الصحيح (قد سدّ ما بين الأفق).

في رواية السيرة عند بن إسحاق (فإذا بالملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي قد سدّ ما بين السماء و الأرض له ستمائة جناح) هذا وصف جبريل عليه السلام. رأى صورته الحقيقية الملائكية العظيمة قد سدت عليه اتجاهات نظره كلها عليه الصلاة والسلام.

(جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرَعِبْتُ مِنْهُ) ، **(فَرَعِبْتُ مِنْهُ)** هذا المنظر العظيم الهائل كما رُعب منه أيضاً في المرة الأولى لما جاءه في غار حراء. **(فَرَجَعْتُ)** نفس التصرف السابق رجع مرة أخرى.

في ابن إسحاق في مرسل عبيد ابن عمير الذي سبق ذكره فيه شيء محذوف هنا مذكور في ذلك الموضوع عند عبيد ابن عمير وهو: قال عليه الصلاة والسلام: (فرجعت إلى جواره) بعد أن فتر الوحي في هذه الفترة وبعد قصة ورقة رجع إلى جواره في الغار مرة أخرى. (فلما قضيت جوارى نزلت) راجعاً إلى بيتي (فلما تبظنت الوادي) لازل يمشي (سمعت صوت) فدلّ هذا الزائد هنا في رواية عبيد ابن عمير أو مرسل عبيد ابن عمير ما هو؟ فيه أنه عاد مرة أخرى إلى جواره، وهذه العودة إلى جوار إن صحت يعني المرسل وكذا كله روايات كثيرة إن صحت تدل على أنه متشوف متشوق، أنت لو كنت في موضعه ترجع لا ما ترجع له، ما عاد تبغى تشوفه صح وللا لا؟ لكن إن صار لك علاقة بهذا الموضوع تتشوق له وتتشوق له، هذا سبب عودته لعله مرة أخرى إن شعر طبعاً بدأ يتهيأ للموقف العظيم واستقبال الوحي طبعاً فيه شيء عظيم وجليل.

(1) صحيح مسلم، رقم: 233 ، "باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم".

فعاد إلى جواره مرة أخرى تشوفاً وتشوقاً لعله يأتيه شيء من الوحي، لكنه ما جاءه شيء في الغار. فلما قضى جواره في إحدى المرات وكما عرفنا أن ستة أشهر فترة الوحي بين هذه وهذه، بين الدفعة الأولى والثانية نزل فلما استبطن الوادي فوجئ بسماع الصوت الذي يناديه باسمه: "يا محمد" أو "يا رسول الله" التفت يميناً شمالاً خلفاً فلما رفع بصره وجد الملك في صورته الهائلة العظيمة على كرسي جالس قد سد ما بين الشرق والغرب والسماء والأرض.

(فَرَعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي) الرعب هذا أيضاً رجع للتدثير والتزميل، والآن التدثير

والتزميل خلاص المرة الأولى قلنا له فائدة وهو حتى يذهب الروع ويشوف الموضوع ما هو. الآن لا، الآن قد يكون في حقه ما هو مناسب لكن ليه م ا عليه. ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ﴾ ليه ما عليه، كان فيه نوع من.. خلاص أخذت الجرعات المناسبة وأخذت التهيئة الآن التدثير لا وجه له الآن. من الآن ستبدأ في البلاغ عن رب العالمين.

(فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى) الله بلومه وأن التدثير من الآن فصاعداً لا يناسب

حالك. زمِّلُونِي هكذا في الرواية، رواية يحيى ابن أبي كثير قال: **(فَدَثَّرُونِي فَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً)**⁽¹⁾. أيضاً رواية يحيى ابن أبي كثير في تفسير المدثر في كتاب التفسير في الصحيح.

هذا فرع آخر كما هو ظاهر غير فزعه الأول. فزعه الأول له مبرر، أول مرة ويحتاج إلى أن يسكن

حتى ينظر في الموضوع ويتخذ فيه القرار الصائب وقد حصل. الآن لا موضع له، ولذلك جاءت الآيات

مباشرة: **(فَأَنْزَلَ)** والفاء هنا مهمة للغاية، **(فَأَنْزَلَ)** الفاء هذه تفيد ماذا؟ التعقيب السريع بدون تراخي، ما أعطي ستة أشهر ثانية حتى يتهيأ خلاص انتهى.

(فَأَنْزَلَ) اللوم والعتاب وأن يرفع هذا التدثر والتزمل ويدعو.

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ﴾ شوف قم أمر صريح فأنزل: **(وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)** عليك

واجبات كثيرة ما يصلح الآن أن تتدثر.

(فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾) قال العلماء أنزل عليه أولاً (اقرأ) وبها نبيء، ثم

أنزل بعد ستة أشهر "يا أيها المدثر" وبها أرسل صلى الله عليه وسلم.

رواية يحيى ابن أبي كثير كأنها تشعر بأن المدثر نزلت عليه أولاً، لكن هذا هو الترتيب ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ

رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽¹⁾ الخمس الآيات الأولى هي الدفعة الأولى وبها كان نبياً أو صار نبياً عليه الصلاة

(1) صحيح مسلم، رقم: 233، "باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم".

والسلام ﴿بِأَيِّهَا الْمُدَّثَّرُ فَمَ فَأَنْذِرْ﴾ وهي الدفعة الثانية وبها صار رسولاً مرسلًا ينذر الخلق ويدعوهم عليه الصلاة والسلام.

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ والرجز وهي الأصنام لأنها من الرجز البهتان فاهجرها، وهو هاجر لها عليه الصلاة والسلام. لكن هنا هجر غير الحجر الأول. كان يكرهها ما قلنا هذا؟ لما تكلمنا عن الإرهاصات كان يغضب منها، ولا يحلف بها، ولا يستقسم بها، ولا يطوف بها، ولا يتمسح بها، لكن هنا هجر لا هجر يراد منه إبطالها ودعوة الخلق إلى تكسيها وتحطيمها. الآن سيعادها صراحة. ولذلك سيأتي معنا _ وهذا مذكور في السيرة _ أن النبي صلى الله عليه وسلم ما أنكرت قريش من أمره شيء حتى وهو يدعو، حتى بدأ بدم آلهتهم وسبها وعيبتها، هنا ثارت ثائرتهم وقال قائلهم كما أخبر الله عنهم: **﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾** (2) هنا بدأت العداوة على أكبر ما يمكن.

﴿فَحَمِي الْوَحْيِ وَتَتَابَعِ﴾ خلاص ما عاد فيه إلا فترات محدودة معينة: يوم، يومين، أربع خمسة أيام لظروف الدعوة. أما فترات طويلة ستة أشهر أو نحوها، حمي الوحي وتتابع لم يفتر عنه إلا لأحداث معينة اثنين ثلاثة أربع أو خمسة كما سيأتي في تفسير "الضحى" وغيرها.

﴿فَحَمِي الْوَحْيِ﴾ أي بدأ يتنزل على النبي ويتتابع بكثرة بدون تراخي.

نكمل بسرعة **﴿تَابِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ﴾**، **﴿تَابِعَهُ﴾** الضمير في **﴿تَابِعَهُ﴾** يعود على يحيى ابن بكير شيخ البخاري في أول الحديث، والمعنى أن يحيى ابن بكير شيخ البخاري تابعه على رواية نفس الحديث شيخ للبخاري آخر وهو عبد الله ابن يوسف وهو عبد الله ابن يوسف التنيسي المصري مرر معنا وترجمنا له، لكنه هنا تابع يحيى ابن بكير على رواية الحديث عن الليث ابن سعد.

﴿وَأَبُو صَالِحٍ﴾ أيضاً أبو صالح تابع يحيى ابن بكير على رواية الحديث عن الليث وأبو صالح هو عبد الله ابن صالح كاتب الليث. وعبد الله ابن صالح كاتب الليث لا رواية له في الصحيح مع أنه من شيوخ البخاري ولقيه، لكن لم يرو عنه شيئاً إلا متابعة فقط لضعف معين فيه، وكلام في عبد الله ابن صالح كاتب الليث، أكثر عنه البخاري في المعلقات ولم يخرج عنه موصولاً.

(1) العلق:1.

(2) ص:6.

(وَتَابِعَهُ هَلَالُ بْنُ رَدَادٍ) شوفوا هنا لاحظ معي دقائق الإمام تابعه عبد الله ابن يوسف وأبو صالح، عرفت أن "تابعه" أي تابع يحيى ابن بكير على رواية هذا الحديث عن الليث رجلان من هما؟ عبد الله ابن يوسف النفسي وعبد الله ابن صالح كاتب الليث.

ثم قال: **(وَتَابِعَهُ)** هذه متابعة أخرى. مادام متابعة أخرى لا بد تكون لرجل آخر غير يحيى ابن بكير. **(وَتَابِعَهُ)** الضمير هنا في **(وَتَابِعَهُ)** الثاني هنا لعقيل ليست ليحيى ابن بكير الذي هو شيخ البخاري الذي هو روى عن الزهري. والمعنى أن عقيل ابن خالد تابعه على رواية هذا الحديث عن الزهري رجل اسمه هلال ابن رداد عن الزهري. واضح وللا لا؟

هلال ابن رداد هو الطائي الشامي مقبول الرواية في حكمه، هلال ابن رداد هو الطائي الشامي مقبول الرواية وليس له في الصحيح رواية؛ بل ولا ذكر له في الصحيح كله إلا في هذا الموضع الوحيد. لا ذكر له في أي موضع آخر إلا في هذا الموضع وهي متابعة، والبخاري يترخص في المتابعات ما لا يترخصه في الأصول.

المتابعات يروي حتى ربما يأتي شيئاً من الضعفاء لا بأس بذلك؛ لأنها متابعات لتكثير الطرق وقد ذكرنا هذا في أول درس هذه متابعة. وهلال ابن رداد ليس من رجال البخاري، لذلك لم يترجم له الكلباني في "رجال البخاري" ولم يترجم له البادي في "التجريح والتعريف" و "رجال البخاري"، ليس من رجال البخاري أصلاً. متابعة في موضع واحد ما لها قيمة إلا مجرد يعني بيان أن الحديث له طرق متعددة فقط. فهلال بن رداد ليس له إلا هذا الموضع الوحيد عن الزهري.

ثم قال: **(وَقَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ بَوَادِرُهُ)** يقصد البخاري أن رواية يونس وهو بن يزيد الأيلي عن الزهري، ورواية معمر وهو بن راشد الصنعاني عن الزهري خالفتا رواية عقيل عن الزهري في كلمة "يرجف فؤاده" هذه كلمة عقيل عن رواية عقيل وترجف بواده رواية يونس، هذه اختلاف في اللفظ فقط و المعنى واحد وقد تقدم شرح ذلك وللحديث تنمة نكملها إن شاء الله في الدرس القادم. ستكون فرصة للأسئلة؟ بالنسبة لرمضان إن شاء الله تعالى معلىش نأخذ دقيقتين سيستمر الدرس إن شاء الله في رمضان في نفس اليوم الإثنين لكن بعد صلاة العصر إن شاء الله نصلي العصر هنا ونأخذ ساعة ونطلق سراحكم قبل الإفطار بوقت كاف.

الأسئلة:

ذكرت في الدرس السابق أن مسلمي الجاهلية أربعة منهم عمر بن لُحيد؟

جواب فضيلة الشيخ: ما قلت هذا، عمر بن لُحيد رأس الشرك. أربعة لعلك اختلط عليك عمر بن لُحيد بعمر بن الحويري أو عثمان بن الحويري مو عمر بن الحويري. أربعة: ورقة بن نوفل القسيس، وعثمان بن الحويري تنصر وسكن الشام، وزيد بن عمر بن نُفيل، ورابعهم قص بن ساعدة الأيادي، ما ذكرنا عمر بن لُحيد أو عبید الله بن جحش ما ذكرنا عمر بن لُحيد.

الرميساء هي أم سليم تراجع ترجمتها نتمنى موعظة.

جواب فضيلة الشيخ: صدق الحديث نفعه متعدي لأنك إذا صدقت الحديث ما تغرك. الكذب فيه تغير بالغير وللا لا؟ إذا كذبت على شخص تجعله يفهم شيء خطأ ويقتنع بشي خطأ، أو يعتقد شيء خطأ لكن صدق الحديث هو للغير بلا شك متعدي كيف متعدي؟

هل يوجد في صحيح البخاري حديث رواه بالمعنى؟

جواب فضيلة الشيخ: نعم رواية الحديث نعم رواية بالمعنى كثيرة. كل الحديث أكثر الحديث بالمعنى وجميع الأئمة إلا نفر قليل يجوزون الحديث بالمعنى بشرط أن يكون الراوي يعرف ألفاظه ما يحيد الكلام عن مواضعه حتى لا يغير الرواية أو لفظة بلفظة تحيل المعنى.

يقال الروايات الساقطة يعني أخذ العلماء على البخاري الروايات الساقطة إن أغلب الناس لا

يمكن أن يميزها.

جواب فضيلة الشيخ: وأنا أقول لك أن أغلب الناس عمره ما حيفتح البخاري ولا يدري ما فيه. يطلب أن نطرح الأسئلة، إن شاء الله بإذن الله في الوقت المناسب. إذن نلتقي في الأسبوع القادم في رمضان إن شاء الله بعد العصر في نفس اليوم الاثنين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمد هونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

وقفنا عند الحديث الخامس من أحاديث كتاب بدء الوحي.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

(باب،

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ
بْنُ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ فَقَالَ

ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا وَقَالَ سَعِيدٌ أَنَا

أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا فَحَرَّكَ شَفْتَيْهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ
بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

قَالَ جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأُهُ

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾

قَالَ فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا
انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ)).

كلمة (باب) هنا حقيقة لا وجه لها، وإن كانت هي من انفرادات نسخة أبي الوقت لكن كلمة

"باب" هذه لا وجه لها فينبغي مصادرتها. وكتاب بدء الوحي قلنا فيما مضى أنه كتاب فيه باب واحد؛ وهو

"باب كيف كان بدء الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾).

وكل الأحاديث المذكورة إنما تحقق غرض هذا الباب؛ وهي ذكر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم

عند نزول الوحي إليه وابتدائه له عليه الصلاة والسلام؛ وهي سبعة أحاديث هذا الخامس منها.

ثم قال المؤلف وهو الإمام البخاري عليه رحمة الله: (حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ) هو موسى ابن

إسماعيل التبوذكي المنقري بكسر الميم، المنقري نسبة إلى منقر ابن عُبيد ابن مُقاعِس، كنيته أبو سلمة الحافظ

الكبير المكثّر، أجمعوا على توثيقه، توفي في رجب سنة 223هـ.

موسى ابن إسماعيل التبوذكي المنقري أبو سلمة، هو بصري من حفاظ البصريين. ولذلك أريد أن أنبه هنا إلى خطأ ربما يكون طباعياً في الفتح، الذي معه نسخة "فتح الباري"، مكتوب: "هو أبو سلمة التبوذكي وكان من حفاظ المصريين" حقيقة البصريين، تصحيح يكثر في الكتب؛ لأن كلمة البصريين والمصريين قريبة جداً، فانقلبت الباء ميماً فصححوها إذا معكم نسخة "فتح الباري". هو لا علاقة للمصريين، هو من حفاظ البصرة؛ بل من كبار حفاظ البصرة.

مما يذكر في موسى ابن إسماعيل، لم يرو عنه مباشرة من أصحاب الكتب الستة، وأصحاب الكتبة الستة هم: البخاري ومسلم صاحبا الصحيحين، والنسائي وأبو داود والترمذي وابن ماجه أصحاب السنن. هؤلاء هم أصحاب الكتب الستة.

لم يرو عن موسى ابن إسماعيل مباشرة إلا البخاري صاحب الصحيح، وأبو داود الحافظ صاحب السنن. هؤلاء أخذوا الحديث مباشرة عن موسى ابن إسماعيل. أما بقية الستة؛ وهم مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه فرووا عن موسى بن إسماعيل بواسطة رجل آخر، يعني لم يلقوه مباشرة؛ وإنما رووا عنه بواسطة رجل آخر، وهذا الرجل الآخر هو حسن بن علي الخلال. احفظوا هذه المعلومات لأهميتها. هذه اللطيفة الأولى.

اللطيفة الثانية مسلم في الصحيح لم يخرج شيئاً عن موسى بن إسماعيل هذا إلا حديثاً واحداً لا غير، في صحيح مسلم كله؛ وهو حديث أم المؤمنين عائشة المعروف بحديث أم زرع، وهو حديث طويل سيأتي هنا في الصحيح إن شاء الله في كتاب "النكاح".

إذن الآن الفائقان:

لم يرو عن موسى ابن إسماعيل من أصحاب الكتب الستة مباشرة إلا البخاري في الصحيح وأبو داود في السنن، وبقية الستة؛ وهم: مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه فرووا عن موسى ابن إسماعيل بواسطة رجل اسمه الحسن بن علي الخلال.

ثانياً: لم يخرج مسلم في صحيحه من حديث موسى بن إسماعيل سوى حديث واحد لا غير؛ وهو حديث عائشة في قصة أم زرع. توفي كما قلنا سنة 223.

(قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ) أبو عوانة لا يكاد يُذكر في الصحيح إلا بهذه الكنية: أبو عوانة؛ وهو الوضاح ابن عبد الله اليشكري، اسمه الوضاح بن عبد الله اليشكري البصري الواسطي البزار، قال الحافظ: كان يروي من كتابه، وكان كتابه في غاية الإتيان. و في ذلك الصواب. في موقف الأئمة من الرواية عن

الوضاح بن عبد الله اليشكري أنه إذا روى من كتابه قُبِل؛ لأن كتابه متقن وموثق. أما إذا روى من حفظه، فربما وهم وخلط. ولذلك كان هو نفسه لا يكاد يحدث إلا من كتابه، وكل ما في الصحيح من رواية البخاري عنه فهي من كتابه.

ولذلك قالوا كان كتابه في غاية الإتقان، وأدرك بعض التابعين كالحسن البصري، وأدرك محمد ابن سيرين ولا رواية له عنهما. أدرك بعض صغار التابعين أيضاً وبعض أتباع التابعين. وروايته أكثر ما تكون كما هو هنا تارة يروي عن موسى ابن أبي عائشة، وتارة يروي عن ابن المبارك وغيره من الأئمة الكبار. توفي الوضاح بن عبد الله اليشكري الذي هو أبو عوانة سنة 170هـ.

(قَالَ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي عَائِشَةَ) هو موسى بن أبي عائشة الهمداني، يجب أن نضع السكون

على الميم حتى لا تقرأها الهمداني أو الهمداني، الهمداني نسبة إلى القبيلة المشهورة همدان. أما إذا قلت الهمداني هي نسبة إلى البلدة التي كانت قديماً في خراسان تسمى همدان أو همذان، فهو همداني لكن بالولاء. كنيته أبو الحسن من حفاظ الكوفة. قالوا عنه ثقة، عابد، معلوم في الطبقة الخامسة، لم تذكر له تاريخ أو سنة وفاة.

وإذا قيل من الطبقة الخامسة على ترتيب التقريب للحافظ ابن حجر، وهم من توفوا يعني من الثالثة وما فوق إلى الثامنة من بعد المائة. الأولى والثانية، إذا قال من الطبقة الأولى أو الطبقة الثانية، فهم توفوا قبل المائة. من الثالثة إلى الثامنة، بعد المائة. من التاسعة إلى العاشرة، بعد المائتين. فقالوا أنه في حكم الطبقة الخامسة، ولم تذكر له سنة محددة للوفاة.

موسى ابن عائشة الهمداني، روى عنه البخاري شيئاً يسيراً قليلاً جداً، قيل ثلاثة مواضع وقيل أربعة. هنا في "كتاب الصلاة"، وفي "كتاب المغازي" وغيرهما، الرواية عنه قليلة للغاية.

أدرك موسى بن أبي عائشة اثنان من الصحابة، هم عبد الله بن شداد بن الهاد، وأدرك أيضاً سليمان بن سُرَد الصحابي، وقيل إنه روى عنهما. والصواب أنه أدركهما، لكن لا رواية له عنهما. وحيثما يروي موسى ابن أبي عائشة عن هذين الصحابين: عبد الله بن شداد بن الهاد، أو سليمان ابن سرد، فروايته من قبيل الرواية المرسلة، الرواية المرسلة لم يسمع عنهما مباشرة.

(قَالَ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ) هو التابعي الشهير، الإمام الكبير سعيد ابن جبیر ابن هشام، كنيته

أبو عبد الله، وقيل أبو محمد الوالبي نسبة إلى والبة ابن حارثة الأسدي. ولذلك تارة يقال في نسبه الوالبي، وتارة يقال الأسدي، وتارة تُجمع يقال الوالبي الأسدي.

فالوالي نسبة إلى مولاه والبة بن الحارث الأسدي، والأسدي نسبة إلى قبيلة من كان معتقاً فيهم. نسبته لوالبة أو لبني أسد بالولاء كما هو معروف، المكي الإمام المشهور، أدرك عدداً من الصحابة، وروايته ثابتة عن أبي هريرة وابن عمر وجابر، لكنه أكثر جداً عن الصحابي الجليل عبد الله ابن العباس، فهو من أنجب تلاميذ ابن عباس. أخذ عنه القرآن عرضاً، وأخذ عنه التفسير، وروى عنه شيئاً كثيراً من الحديث والفقهاء، فهو من نجباء تلاميذ حبر الأمة وترجمان القرآن الصحابي الجليل عبد الله ابن العباس. ولذلك أكثر رواياته في الصحيح عن ابن عباس.

قتله الحجاج ابن يوسف الثقفي أمير العراق سنة 95، في قصة مشهورة، ومات الحجاج بعده بخمسين ليلة فقط، ولم يقتل رجلاً بعده. والسبب في ذلك أن سعيد لما أحضر للقتل في مجلس الحجاج، قال ودعا ربه وقال: (اللهم لا تسلط الحجاج على رجل بعدي) هو خلاص انتهى أمره، ما عاد في مجال يدعو لنفسه لكن وهذه نقطة عجيبة فعلاً، في ذاك الظرف الإنسان همه في نفسه كما يقال، لكن يعرف أن في سيف الحجاج رهقاً وإسراعاً في القتل، فكان همه أن لا يسلمه الله على أحد من المسلمين بعده، فدعا فقال: (اللهم لا تسلطه على أحد بعدي) فما عاش إلا خمسين ليلة ومات ولم يقتل بعده والحمد لله. توفي وعمره سبعة وخمسين، وهو عمر يعتبر نوعاً ما شيء قليل. ولذلك لما دُفن، قال إبراهيم النخعي: "دفن مع هذا نصف العلم" تلقى علماً واسعاً عن الصحابة، عن ابن عباس على وجه الخصوص. وابن عباس يعني القرآن، ويعني التفسير، ويعني الحديث، ويعني الفقه. ابن عباس بجر، وما تمكن أن ينشر علمه لما حصل له من مطاردة الحجاج الطويلة التي استمرت نحو تسع سنوات وهو محتبئ، محتبئ هرباً من أذى الحجاج الثقفي، وبعد تسع سنوات جرى في قدر الله ما جرى وقُتل، فمثل هذا ما تمكن من أن ينشر علمه. ولذلك تأسف على موته كبار العلماء في زمنه، فقال النخعي إبراهيم كلمته لما دفن سعيد ابن جبير قال: "دفن مع هذا نصف العلم".

وقال الشعبي: "أرى أنه قد ذهب بذهابه علم كثير" يعرفون أن هدموته فقد الناس علماً كثيراً تلقاه ووهبه الله لسعيد ابن جبير، لكن ما جرى له من الأذى والطرده والقتل أذهب علمه ودفنه معه. سعيد ابن جبير توفي سنة 95هـ أو قتل استشهد سنة 95هـ وعمره سبعة وخمسين سنة.

(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ) ابن عباس هو الصحابي الجليل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. عبد الله

ابن عباس ابن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي ابن كلاب، أمه هي صحابية جلييلة، وهي لُبابة بنت الحارث والمكناة بأم الفضل، زوجة العباس أم الفضل، لُبابة بنت الحارث.

ولد ابن عباس في حصار الشعب، لما حُصر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعب أبي طالب، القصة المشهورة قبل الهجرة بثلاث سنوات بالتحديد . وتلقى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن كبار الصحابة علماً غزيراً، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم دعاءه المشهور لما قال: **((اللهم علمه تأويل الكتاب وفقهه في الدين))** أو قال: **((علمه التأويل وفقهه في الدين))**⁽¹⁾ ولقد استجيب للنبي صلى الله عليه وسلم في دعائه لابن عباس فكان ابن عباس من أبرز الصحابة علماً، خصوصاً تفسير القرآن والفقه، كان بارعاً في ذلك.

وكان كبار الصحابة على جلاله قدرهم، يعرفون له ذلك. وكان عمر رضي الله عنه وهو من هو فضلاً وعلماً وجملاً يثمن موهبة ابن عباس، وبراعته في العلم، وأمعينه، وحافظته، وذاكرته الواسعة. وكان إذا رآه يقول: هذا فتى الكهول، هو فتى صغير لكن عقله عقل الكهول، (ذاك فتى الكهول، له لسان سؤال) هكذا طالب العلم يسأل ويبحث (وقلب عقول) مش بس يسأل وثاني يوم يضيع المعلومة؛ يسأل ويفهم ويحفظ ويضبط.

لسان سؤال وقلب عقول، يفهم ويضبط. ولذلك كان عمر يدخله مع كبار أهل بدر، أهل المشورة من كبار الصحابة، ويأخذ برأيه، وربما استشاره لوحده. لذلك عاتب على عمر بعض الصحابة أن يدخل ابن عباس معهم وهو في سن أبنائهم كما قال عبد الرحمن ابن عوف لعمر: تدخل هذا ولنا أبناء في سنه؟ ما فيه موازنة أو توازن في الموضوع.

فأراد أن يبين لهم أن إدخاله له في مجلس الشورى، لا لسن أو لشيء من هذا القبيل بقدر ما هو رجاحة في العقل وسعة العلم، فجلسوا يوماً يتذكرون فسألهم عمر وقال للصحابة هؤلاء وفيهم ابن عوف، وبقية الستة المبشرين وكبار أهل بدر قال: (ما تعلمون في قوله تعالى: **﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾**⁽²⁾ قالوا أمر الله نبيه إذا فتح له ونصره أن يسبح ويحمد _ على ظاهر الآية _ ثم التفت لابن عباس قال: (ما تقول فيها؟)، قال: (أرأيت إن تكلمت خالفتهم) هذا أدباً يعني سأخالفهم، ربما هذا فيه إشكال نفسي أو شيء من هذا القبيل، فقال: (تكلم) أذن له فقال: هذا أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم نُعي له.

(1) الحاكم في مستدرکه ج3/ص618 ح6287

(2) النصر: 1_3

إذا جاء نصر الله فدخل الناس في دين الله أفواجا، الرسالة تمت والبلاغ حصل؛ إيذان بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أرف رحيله. هذا علم ما فطن له أولئك فقال عمر: (والله لا أعلم منها إلا ما تعلمه منها) بيّن لهم يريد بهذا الاختبار أن يثبت لهم أنه منفرد بميزات يفهم لكتابه لما فيه من أهلية ذلك من الذكاء والفتنة واللسان السؤول والقلب العقول، وفوق ذلك ومعه وبعده بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له لما قال: (اللهم فقه في الدين وعلمه تأويل الكتاب).

خذ هذه المعلومات المهمة:

جميع ما لابن عباس في الصحيحين مما صرح فيه بسماعه من النبي صلى الله عليه وسلم نحو عشرة أحاديث فقط، وكل بقية رواياته تدخل في مرسل الصحابي. ما صرح به بالسماع من النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين، ليس فقط في البخاري نحو عشر أحاديث.

المعلومة الثانية:

ما في الصحيحين أيضاً مما شهد به ابن عباس من فعل النبي صلى الله عليه وسلم نحو عشر أحاديث أيضاً. ما حضره وشهده فعلاً، ورواه وهو حاضر شاهد من فعل النبي عشرة أخرى، وما في الصحيحين مما له حكم الرفع كقوله: أمرنا، وهئنا، والسنة كذا وهذا كثير. كثير من رواية ابن عباس هكذا؛ من السنة كذا، من السنة كذا، وفيه أحكام شرعية؛ بل بعضها انفرادات. أعطيك نموذجين:

— في صلاة الجنائز ما نقرأ الفاتحة؟ لو سألتك ما الدليل على ذلك؟ روح فتش لا تجد إلا حديث ابن عباس. من السنة قراءة الفاتحة على الجنائز في صلاة الجنائز، لا غير مع أنها مسألة مهمة ونحتاج إليها، ولا تجد فيها إلا رواية ابن عباس. في الصحيح موجودة في كتاب "الجنائز" هي الدليل الوحيد. احتجنا لهذه الرواية حاجة ملحة، وأسلوب ابن عباس من السنة. طبعاً أجمع الأئمة أن الصحابي إذا قال من السنة كذا، يعطى حكم الرفع، هذه سنة النبي صلى الله عليه وسلم. الصحابي ما يتكلم عن سنة قيصر وكسرى، يتكلم عن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

— والمثل الثاني: إتمام المسافر إذا أتم بالمقيم. إذا كنت مسافر، حقت القصر أليس كذلك؟ لكن إذا صليت مع مقيم، يسقط هذا الحق، ويجب أن تصلي صلاة مقيم. الدليل في ذلك أيضاً حديث ابن عباس من السنة هكذا، أسلوبه كثيراً، وأكثر رواياته كما سأذكر لك أعدادها هنا أكثر رواياته من هذا القبيل. من السنة إذا أتم المسافر بالمقيم أن يتم. أيضاً حكم احتيج إليه، ولا تجد فيه إلا هذا النص، ولها نظائر كثيرة.

أما ما صرح فيه بالسماع المباشر من النبي صلى الله عليه وسلم عشرة في الصحيحين أو نحوهما، تزيد واحد أو تنقص واحد. وما صرح بشهوده وحضوره من فعل النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً نحو هذا العدد؛ نحو عشرة. وما يعطي حكم الرفع مما في الصحيحين أيضاً رقم أكثر من هذا بكثير، هو بقية وتتمة رواياته. أما أكثر رواياته، فهي تلقاها عن كبار الصحابة، فتارة يذكر الصحابي الذي حدثه، وتارة يسند النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة إلى النبي عليه الصلاة والسلام والذي يسمى مرسل الصحابي. وقد مرّ معنا له نظائر واتفق الأئمة على أن مرسل الصحابي حكمه الرفع، ولا يضر أن يصرح الصحابي بمن حدثه من الصحابة، إن صرح فيها، أو لم يصرح فالأمر يعني لا يشكل كثيراً. واضح هذا الكلام؟

ابن عباس أيضاً رضي الله عنه معدود من المكثرين من الرواية، وقد رتبنا فيما مضى وذكرنا ربما هذه المعلومة ونذكرها الآن بدقة أكثر. أكثر الصحابة رواية هو الصحابي الجليل، راوية الإسلام وحافظ السنة أبو هريرة، الصحابي عبد الرحمن بن صخر الدوسي أبو هريرة. وجميع مسند أبي هريرة على ترتيب مسند بقي ابن مخلد، والأرقام التي سأذكرها بعد الآن هي مأخوذة من مسند بقي بن مخلد الأندلسي، الذي يعتبر مسنده أوسع المسانيد قاطبة. مع الأسف في حكم المفقود اليوم.

بقي ابن مخلد لقي الإمام أحمد، لقي إسحاق وهو من طبقة البخاري في الطلب والسن متقدم، وجمع مسنداً كبيراً، ويقال بأنه أول من أدخل علم الحديث في بلاد الأندلس، وجمع مسند واسع أكبر مسند يعتبر. قيل يصل إلى مائة وعشرون ألف رواية مضمنة فيه، لكنه في حكم للأسف الشديد في حكم المفقود. طبعاً الأندلس يعني مرت بها أحداث تاريخية معلومة، واجتاحها النصارى، ربما ضاع في هذا الاجتياح مع ما ضاع من معالم الدين التي أهمها هذه الكتب، ما هي قصر الحمراء، وفانوس وبلاد. لا، ما يحتاج فانوس، كتب العلم التي ضاعت هي أهم من الفانوس والدنانير التي وجدت في قبل كم سنة ولا القصور، مع أهميتها ربما التاريخية أو التراثية إن صحت العبارة. لكن لما يضيع أكبر مسند لأهل الإسلام، هذه الفادحة التي ما تذكر مع أنها هي الفادحة الحقيقية.

- فعلى ما ذكره الكتاني وغيره، مسند أبي هريرة بجمع بقي بن مخلد خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديث، هذا أوسع الروايات.
- بعده عبد الله بن عمر الصحابي، عبد الله ابن عمر ومسنده في جمع بقي بن مخلد الحافظ ألفين وستمائة وثلاثين حديث.

- بعده أنس ابن مالك الصحابي خادماً رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومسند أنس بجمع بقي بن مخلد الحافظ ألفين ومائتين وستة وثمانين.
 - عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين ومسندها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث.
 - بعدين يأتي ابن عباس الصحابي الذي نتحدث الآن عن ترجمته وجميع مسند ابن عباس ألف وستمائة وستين حديثاً.
 - ثم جابر ابن عبد الله الأنصاري ومسنده ألف وخمسمائة وأربعين حديثاً.
 - ثم أبو سعيد الخدري ومسنده ألف ومائة وسبعين.
- وغير هؤلاء المذكورين دون الألف. غير هؤلاء المذكورين، ممن روى عن النبي صلى الله عليه وسلم دون الألف، وهؤلاء هم المكثرون، وهم سبعة رجال ومنهم عائشة رضي الله عنها. ستة رجال وعائشة رضي الله عنها وأرضاها.
- توفي ابن عباس بالطائف سنة 68، وقد طعن في السن وكف بصره رضي الله عنه. ملأ ابن عباس الأرض علماً وفقهاً حتى قال ابن حزم: (تبعته) هذه يذكرها ابن حزم الظاهري الأندلسي يقول: (تبعته فتاوى ابن عباس فجمعت ثلاثين مجلداً) يقول: (تبعته في الكتب والروايات) جهد ضخم جداً، (ووجدتها ثلاثين مجلداً، فنظرت فيها فوجدته لا يجيد عن الحق إلا يسيراً) هذا من وجهة نظره.
- علم ضخم جداً، ومع ذلك يعني الخطأ فيه إن فرض أنه فيه خطأ، والخطأ هذا يعني يحصل هذا في الفتاوى فقط. الرواية عرفنا، لكن في الفتاوى التي أفتاها ابن عباس وهو يفتي ويفسر؛ بل مرّ بوقت تستطيع أن تقول هو مفتي الإسلام في زمانه عبد الله ابن عباس رضي الله عنه. نحو ثلاثين مجلداً كما نص على ذلك أبو محمد ابن حزم الفقيه الأندلسي.
- (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى)** يعني في تفسير قوله تعالى. حيثما يرد هذا الأسلوب في قوله تعالى، يعني في تفسير قوله تعالى، فهذا من تفسير ابن عباس لهذه الآيات المذكورات، مما أيضاً نقله عنه سعيد ابن جبير في تفسير قوله تعالى: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ)** الآيات التي في سورة القيامة. قال الله جل وعلا: **(لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)**⁽¹⁾ هذه الآيات لها سبب في نزولها، وهذه الأوامر من الله جل وعلا لنبيه عليه الصلاة والسلام كلها لها سبب، وهذا السبب يذكره ابن عباس هنا، ما هو؟

يقول قال ابن عباس: **(قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً)**

المعالجة هي المحاولة ومدافعة الشيء بمشقة. المعالجة أي تحاول وتدافع شيئاً بنوع مشقة. وقد علمنا في الدروس السابقة ما كان يعانيه رسولنا صلى الله عليه وسلم حال اتصال الوحي به. عرفنا هذا لما سأله الحارث ابن هشام: كيف يأتيك الوحي، فقال: (يأتيني على مثل صلصلة الجرس وأشدّه علي) وكان يتفصّد العرق من جبينه صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد، إلى آخر هذه الكرب التي كانت تمر به. هذا يعني فيه شدة، انضاف إليها حرصه عليه الصلاة والسلام، وخوفه أن يتفلس شيء مما يسمعه ويتلقاه من الملك. ولذلك كان يحرك شفّته يردد على هيئة المتحفظ. إذا ألقيت على شخص معلومة وتریده يتحفظها، تطلبه أن يرددها ليتمكن من حفظها، وهو عليه الصلاة والسلام من حرصه الشديد، وخوفه صلى الله عليه وسلم أن يضيع أو ينفلس منه شيء مما يسمعه مع تلك الكرب التي تقدم الحديث عنها، كان يردد ما يسمعه. طبعاً هذا فيه مشقة، يسمع، وينتبه؟ ولا يتحفظ ويردد؟ ولا يدافع تلك الكرب؟ فاجتمعت عليه شدائد من عدة نواحي عليه الصلاة والسلام.

ولذلك يعبر ابن عباس بقوله: **(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ)** وهي محاولة ومدافعة بنوع من المشقة. والمشقة عرفنا أن لها عدة جهات. ذات اتصال الوحي به؛ اتصال الملك به مشقة في حد ذاتها، وهذه لازمتها.

كلما اتصل به الملك بالطريقة الأولى، فيه مشقة. انضاف إليها حرصه وخوفه، هذه ناحية نفسية أيضاً. ناحية نفسية يخاف أن ينفلس منه شيء، وهو مكلف بالبلاغ والبيان من ربه، وإذا ضاع منه شيء كيف يبلغ؟ فيه إشكال من الناحية النفسية، فكان يردد ويحرك شفّته. وكونه يسمع أو يتحفظ أيضاً مشكلة ثالثة. فكان بالفعل صلى الله عليه وسلم يعالج من هذا التنزيل شدة. و(التنزيل) كلمة يراد بها تنزيل القرآن على وجه الخصوص. وقيل التنزيل في الاصطلاحات الشرعية وفي النصوص لا تحل إلا على القرآن. هكذا وصف الله القرآن؛ تنزيل الكتاب ﴿حَم (1) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ وهو تنزيل أي منزل من الله جل وعلا، وسمي تنزيلاً لأنه ينزل من الله جل وعلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأرض. فهو تنزيل وإن كان الوحي كله نازل، لكن هذه الكلمة أخذت اصطلاحاً "التنزيل القرآن" أي القرآن حيثما أُطلق، كما وصف الله به كتابه في آيات كثيرة تنزيل الكتاب.

(يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ) أي بنزول القرآن عليه عن طريق الملك شدة، وقد عرفنا وجه الشدة.

(وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ) ، (مِمَّا) أصلها "من" اتصلت بها ما، فتأخذ حكم "رُبَّ"، ورُبَّ قد تأتي للتقليل وهو الأكثر، وقد تأتي للتكثير ويحدد ذلك سياق الكلام. قد تأتي للتقليل وقد تأتي للتكثير. لكن في هذا الموضع المراد بها التكثير؛ لأنه يعالج.

(كَانَ مِمَّا) أي كثيراً ما يحرك شفتيه. المقصود هنا (مِمَّا) تأخذ حكم رُبَّ ومعناها الحرفي أي كان كثيراً ما يحرك شفتيه.

فيه خلاف، بس نحدده الآن بين المتن وبين الشرح. إذا عندكم الفتح الآن، عندك المتن؟ شوف الحديث: (كَانَ مِمَّا) لكن في الفتح عندكم (كان مما يعالج) وجدتها عندكم في فتح الباري؟ (مما يعالج).

هذه حقيقة (مما يعالج) فيها رواية أبي الوقت، وهي خطأ. (مما) لم تتصل بكلمة (يعالج)؛ وإنما اتصلت بكلمة (يحرك) والمعالجة تقدّم ذكرها كنوع من التمهيد. ابن عباس ابتدأ كلامه (كان رسول الله يعالج من التنزيل شدة) هذه المقدمة يريد يصل بها إلى المسألة التي يريد؛ وهي تحريك الشفتين وخوف التفلت وتطمين الله له.

ثم قال: (وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ) هذه هي الضبط الصحيح أو التي اتفقت عليها النسخ كلها. أما أن تأتي كلمة (مما) مع (يعالج) رواية أبي الوقت خاصة، وخطأه وهي خطأ، ولذلك نُصحح أو يشار إلى هذا، أو يُنبه عليه إذا كان عندك نسخة الهيوزية أيضاً تُنبه على هذا الخطأ. مدركين لهذا الكلام؟

إذن (وَكَانَ مِمَّا) أي كثيراً ما يحرك شفتيه عليه الصلاة والسلام. طبعاً صار فيه خلاف بين شفتيه وبين نص الآية. الآية ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ﴾ وطبعاً تحريك اللسان يلزم منه تحريك الشفتين حال الكلام، لا يمكن أن يتكلم الإنسان إلا بحركة الشفتين مع حركة اللسان، لا خلاف يعني الغرض محقق ومهياً.

(وَكَانَ مِمَّا يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ) هنا إشارة من ابن عباس إلى ما تقدم ذكره، أن الشدة التي كانت تصيب النبي لها عدة جهات. أصلاً نزول الوحي واتصال به شدة، وهذه عرفنا أنها يعني هذا حال الوحي. انضاف إليها تحريك الشفتين، وتحريك الشفتين ما سببه؟ ناحية نفسية وخوفه أن يضيع شيء ويتفلس شيء من القرآن، فاجتمعت عليه الشدة من جميع أطرافها، وكان مما يحرك شفتيه.

قال ابن عباس. نشير فقط إلى أن الشعبي عامر بن شراحيل التابعي، اعتبر تحريك الشفتين لا لأجل خوف التفلس والضياع، ولكن اعتبرها من باب التلذذ واستعذاب الكلام الذي يسمعه. فإن الإنسان إذا

استعذب كلاماً يردده أنساً به واستعذاباً له. إذا أنت سمعت مثلاً بيتاً من الشعر وأعجبك، تجد نفسك يعني تلقائياً تردده؛ لأنه أخذ منك مأخذه، وجذب قلبك وخاطرك واستعذبتة واستحليته.

الشعبي يرى أن تحريك النبي صلى الله عليه وسلم لشفتيه حال سماعه للوحي من الملك، لا لخوف التفلت والضياع كما هو ظاهر الروايات، ولكن للاستعذاب أنه يسمع كلاماً عذباً وهو كذلك، فكان يحرك شفتيه استحلاءً له.

هذا كلام للشعبي التابعي عامر بن شراحيل. والحقيقة أن ظاهر الرواية هذه وغيرها يخلف ذلك، وكان هذا التحريك للشفتين إنما هو من خوف التفلت. لكن ما تحرك لتعجل به ما تناسب الاستعذاب، ما تناسب الشيخ العجول الذي خاف أن ينفلت منه القرآن ويريد أن يستدرك بالمراجعة السريعة حال السماع. انتبهتوا وللا لا؟

﴿لَتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ مناسبة الآية، ما يناسب يعني الاستعذاب وإن كان له وجه يعني. لاشك أن القرآن سماعه خصوصاً لأول مرة، لما فيه من استعذابه هذا الكلام العظيم المنزل، لكن حقيقة الشدة والمشقة لا لأجل هذا؛ وإنما هي خوفاً من أن ينفلت الشيء منه، ولذلك طمّن بقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

(فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا) ، هذا يلزم منه أن ابن عباس سمع هذا ورأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعله قطعاً. لذلك ربما يقال أن ما فيه نص ظاهر هنا، لكن كما ذكر الحافظ ابن حجر أنه في رواية أبي داود الطيالسي لنفس الحديث، فيها التصريح بسماع ابن عباس ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله: (فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ) كما رأيت النبي عليه الصلاة والسلام يحركهما. فهذا الحديث يدخل في الأحاديث التي تلقاها ابن عباس مباشرة من النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك أكد ذلك بكونه حاكي حركة شفتي النبي عليه الصلاة والسلام التي رآها منه لما حدثه النبي صلى الله عليه وسلم. فقطعاً يكون طبعاً ابن عباس ما حضر هذه المواقف؛ لأن نزول هذه الآيات كان في المرحلة المكية، وابن عباس كما قلنا ولد قبل الشعب أو قبل الهجرة بثلاث سنوات. إذن قطعاً ما شهد نزول هذه الآيات، وما شهد حال النبي لما كان يعالج. فقطعاً النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي حدثه.

قال كنت أصنع كذا وأحرك شفتي حتى طمئني الله تعالى، ابن عباس يحكي ما سمعه ورآه من النبي. ومن ضمن ذلك، حاكي حركة شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يحركهما استعجالاً وتحفظاً للوحي الذي يسمعه.

(فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا أُحَرِّكُهُمَا لَكُمْ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَرِّكُهُمَا، وَقَالَ

سَعِيدٌ) أَي ابْنِ جَبْرِ.

(أَنَا أُحَرِّكُهُمَا كَمَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُحَرِّكُهُمَا) أيضاً سعيد ابن جبیر لما رأى ابن عباس يحركهما،

يحاكي حركة شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم. سعيد أيضاً حرّك شفتيه للراوي عنه؛ وهو أبو موسى ابن أبي عائشة كما رأى ابن عباس.

هذا يسميه العلماء الحديث المسلسل، الحديث المسلسل. الاصطلاح معروف؛ الحديث المسلسل.

ما هو؟

خذ هذه المعلومات الاصطلاحية السريعة:

عرّفوا الحديث المسلسل بأنه تتابع رجال السند وتوارثهم واحداً بعد واحد على صفة أو حالة

واحدة، وقسموه قسمين:

- القسم الأول: ما يكون صفة للرواية والتحمل، أن يتوارد قياساً على التصريح بالسماع، سمعت، سمعت، سمعت أو التصريح بالتعديت، حدثنا، حدثنا من أول السند إلى آخره، أو نحو ذلك.
- والنوع الثاني: صفة لراوي، كأن يقول الراوي كلمة، أو يفعل فعلاً، أو يتحرك حركة يحاكي بها حركة شيخه، وشيخه يحاكي حركة شيخه، إلى أن ينتهي السند، هذا يسمى ماذا؟ الحديث المسلسل.

من أشهر الأمثلة له؛ الحديث المسلسل بالأولية وهو حديث: **((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا**

أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ)) ⁽¹⁾ حديث مشهور هذا سموه حديث مسلسل بالأولية، كل راوي

توارثه وجاء إسناده هكذا، عندما يقول: وهو أول حديث سمعته من شيخي، حدثنا فلان وهو أول حديث

سمعته منه، شيخ يقول حدثني فلان وهو أول حديث سمعته منه، حدثنا وهو أول حديث سمعته منه إلى أن

(1) سنن أبي داود، رقم: 4290

ينتهي السند إلى سفيان ابن عيينة راوي الحديث الإمام المشهور. هذا يسمونه مسلسل بماذا؟ بالأولية، يعني كل راوي يروي به ينص فيه على أنه هو أول حديث سمعه من شيخه، واستمر هذا حتى ربما إلى وقت قريب. هذا من هذا النوع. ابن عباس حرك شفثيه يحاكي حركة النبي صلى الله عليه وسلم، سعيد ابن جبير أيضاً حرك شفثيه يحاكي حركة شفثي النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يلزم أن يستمر ذلك في السند. قد ينقطع التسلسل في أثناء السند وقد يستمر إلى نهايته. فالشاهد يسمى حديث التسلسل أو المسلسل. ما فائدته؟ ولماذا ذكره ونصوا عليه؟ لا بد له فائدة. فائدته المهمة، ما عندكم جواب؟ يعني الزيادة في التوثيق، يدل على أن الراوي بالفعل ليس فقط نقل ألفاظ؛ بل نقل الحركة ودل على ضبطه، وإتقانه، وحضوره، وشهوده، وسماعه. وهذا من أهم ما يبين لك التوثيق، الزيادة في التوثيق. ولذلك نصوا عليه وذكروه. في كلام لابن كثير في التسلسل...

(فَحَرَّكَ شَفَثِيَه فَاَنْزَلَ اللهُ)، هذه الجملة كلها تعتبر كأنها معترضة من قوله: **(فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَنَا**

أَحْرَكُهُمَا) إلى **(فَحَرَّكَ شَفَثِيَه)** يعني سعيد ابن جبير رجعنا إلى الحديث، رجعنا إلى الكلام الأول.

(فَاَنْزَلَ اللهُ) كلمة فأنزل الله من تمام كلام ابن عباس في سبب نزول الآيات: **﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ**

لِسَانَكَ﴾ وهو كون النبي كان يحرك شفثيه استعجالاً وتحفظاً خوفاً من انفلات الوحي.

(فَاَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أراد الله جل وعلا أن يطمئن رسوله عليه

الصلاة والسلام حتى يخفف عنه شيئاً من هذه الشدة وهذه المعالجة بقوله: **﴿لَا تُحَرِّكُ﴾** فهذا أمر صريح أو

نهي صريح للنبي: **﴿لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾** له؟ النبي يريد التطمين.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ يتولى الله جل وعلا وطمئن بأن يجمع القرآن في قلب النبي صلى الله

عليه وسلم، ثم بعد ذلك سيتلوه النبي ويقرؤه تماماً كما سمعه من جبريل، لم يخرم منه حرفاً واحداً، حصلت

الطمأنينة للنبي عليه الصلاة والسلام، وانعقد الإجماع على أن العصمة للأنبياء في البلاغ لا يخرمها شيء والله

الحمد.

قال ابن عباس في تفسير آية: **﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾**، **(قَالَ جَمْعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ)** هذه الكلمة

تفسيرية من ابن عباس لها ضبطان، الضبط الأول.. ثلاثة الحقيقة جاءت فيها، ضبطت بثلاثة أوجه:

— الوجه الأول: **(جَمْعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ)**، **(جَمْعُهُ)** الهاء في كلمة **(جَمْعُهُ)** تعود على الله رب العالمين،

الذي هو فاعل الجمع. والهاء في كلمة **(لَهُ)** تعود على القرآن. جمع الله للقرآن في صدرك، هذا على الضبط

الأول.

– الضبط الثاني: (جَمَعُهُ لَكَ)، إذن (لَهُ) صارت (لَكَ فِي صَدْرِكَ) وهي واضحة أي جمع القرآن لك يا محمد في صدرك، فتطمئن، فتكون الهاء على الضبط الثاني في جمعه تعود على ماذا؟ القرآن، والفاعل يكون هنا ضمير مستتر. مستوعبين الكلام وللا لا؟

على الضبط الأول: (جمعه له في صدرك)، الهاء متصلة بكلمة جمعه هذه ضمير ظاهر بارز يعود على فاعل الجمع وهو الله رب العالمين.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ يقول جل وعلا ﴿عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنَهُ﴾. و(لَهُ) (جَمَعُهُ لَهُ) أي للقرآن. الهاء هنا للقرآن. (فِي صَدْرِكَ) أي سيجمع الله القرآن في صدرك.

الضبط الثاني وجاءت به رواية أخرى، ((جَمَعُهُ لَكَ فِي صَدْرِكَ)) فتكون الهاء المتصلة بكلمة (جَمَعُهُ) ضمير بارز يعود على القرآن، يكون موضعها النصب، يكون في موضع المفعولية، والفاعل ضمير مستتر تقديره يعود على الفاعل وهو الله؛ أي جمع الله للقرآن لك يا محمد في صدرك. و(لَكَ) الضمير يعود على النبي صلى الله عليه وسلم قولاً واحداً.

الضبط الأخير: (جَمَعُهُ لَكَ صَدْرُكَ) هذا خالف تماماً. (جَمَعُهُ لَكَ صَدْرُكَ) فيكون فاعل الجمع هنا من؟ الصدر، صَدْرُكَ؛ جمعه لك صَدْرُكَ.

قال بعضهم يفترض أن يكون هذا الأسلوب مجازي والتقدير كما قال: أنبت الربيع البقل، كما ذكر هنا الآن، والتقدير يعني جمع الله أو ذكر القرآن في صدره، فيكون (صدرك) ليس هو الفاعل حقيقة؛ وإنما موضع الفعل وجمعه. والعرب قد تطلق الموضع كما قالوا: أنبت الربيع البقل، ورعت الغنم المرعى، وأمثال ذلك من العبارات.

هذه ثلاثة أوجه في ضبط الكلمة، أصرحها الموافق للفظ القرآن الضبطان الأولان، اللي فيها التصريح بأن فاعل الجمع هو الله، والمجموع هو القرآن، وصدر النبي صلى الله عليه وسلم هو موضع جمع القرآن فيه.

(جَمَعُهُ لَهُ فِي صَدْرِكَ وَتَقْرَأَهُ) إذن طمئن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن يضيع شيء، سيجمع في صدره وبالتالي سيقروه على الناس تماماً كما سمعه من أمين الوحي جبريل.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال ابن عباس في تفسيرها: ﴿إِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ هنا أضاف الفعل إليه، والفاعل حقيقة للقرآن هو من هو؟ الملك جبريل وللا لا؟

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ الذي يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم هو جبريل، وهذا ثبت أن يضيف الله فعل نفسه، والفاعل المباشر له هم ملائكته. ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽¹⁾ وأمثالها من الآيات، فالله عز وجل، والملائكة طبعاً لا تفعل شيئاً إلا بأمر الله جل وعلا وتقديره. ونسبة الفعل إلى الله نسبة حقيقية وصحيحة؛ لأن لولا أمر الله لجبريل ولولا إنزاله ما فعل جبريل شيئاً، فهو يفعل ما أمر الله بفعله. فعندما يضيف الملك إلى نفسه الفعل الذي تنفذه جنوده، هذه نسبة صريحة. حتى في التعامل البشري، لما يقول المسؤول فعلنا كذا، أو يقول الأمير أمرنا بكذا، وبنينا كذا، مو بالضرورة هو الذي يباشر الفعل. لكن لما تم ذلك بأمره وتوجيهه، هذا نسب الفعل إليه صراحة.

لذلك يأتي في القرآن كلا النسبتين، هنا قال: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ نسبه إلى نفسه جل وعلا، مع أنه ليس هو الذي قرأه على النبي مباشرة.

وتارة ينسبه إلى الملك ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾⁽²⁾ هذا جبريل، نسب القول لجبريل وكلا النسبتين صحيحة، ما فيه حاجة أن نقول هنا مجاز أو غيره؛ لأن جبريل لا يفعل إلا أمره الله أن يفعله، ولا يفعل إلا ما أقره الله على فعله. فعندما ينسب الفعل إلى الله نسبة صريحة بكونه الأمر والمقدر. وعندما ينسب إلى جبريل، أيضاً نسبة صحيحة لكونه هو المباشر. الكلام واضح؟

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ بمعنى قارئ القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم هو الأمين جبريل عليه السلام.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال ابن عباس في تفسيرها: ﴿فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ﴾ يعني اتبع هنا

معناها، استمع على تفسير ابن عباس. إذا قرأه جبريل، بناءً على الأوامر السابقة: لا تحرك لسانك، ولا تعجل، واطمئن سنجمعه لك. إذن ماذا أفعل؟ استمع. اتبع هنا أي اتبع بسمعك.

كلمة "اتبع" لها عدة موارد: منها الإتيان السمعي، واتباع تتبعته بنظري، ويقول لك تتبعني بالنظر، وتتبع أيضاً بالفعل. فالإتيان بالسمع صحيح، والإتيان بالنظر، صحيح والإتيان بالفعل أيضاً صحيح. وإن كان أكثر ما تأتي الإتيان الفعلي اللي هو التأسي والمحاكاة والتقليد والإتيان.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ على تفسير ابن عباس أي استمع يا محمد وأنصت لما يقرأه عليك جبريل. هكذا

فُسر: ﴿فَاسْتَمِعْ لَهُ وَأَنْصِتْ﴾.

(1) القدر: 1

(2) التكوير: 19.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ فسرها ابن عباس بقوله: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ) تنمة للمعاني لما طمّنه بهذا، وأنه سيجمعه لك في صدرك بعد أن ينفصل الوحي، ستجد القرآن محفوظاً في صدرك، وسنيسر لك تلاوته على الناس، وتبليغه لهم.

﴿بَيَانَهُ﴾ أي إبلاغك له فصيحاً غظاً طرياً كما أنزل. هذا معنى ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ أي تبليغ النبي عليه الصلاة والسلام له سيكون تبليغاً فصيحاً تاماً كاملاً غظاً طرياً كما أنزل. وبالتالي أصبح الإجماع بالفعل وبناءً عليه ينعقد أن النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء كلهم لم يخرموا حرفاً من بلاغ الله لهم. العصمة مضمونة لهم، وهذه الآيات من أكثر ما يستدل به الأئمة عندما يبحثون في مبحث عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن الله تولى الأمر كله: جمعه في صدرك، وحفظه لك، وتيسير الله للنبي صلى الله عليه وسلم ليبليغه ويبينه كما أنزله.

﴿بَيَانَهُ﴾ ليس تبليغاً فقط؛ بل تبليغاً بيناً واضحاً لا يخرم منه شيء، لا في حروفه وكلماته ولا في فصلته وبلاغته التي أنزل بها كتاب الله وتنزله جل وعلا.

فلما نزلت هذه الآيات، خلاص خُفف على النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من تلك الشدة والمعالجة. فإذا جاءه جبريل يستمع؛ ولذلك رتبت هذه النتيجة في كلام ابن عباس فقال: (فَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ)، خلاص ما عاد فيه الآن وجه للمشقة الزائدة هذه. (إِذَا آتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ)، (اسْتَمَعَ) هذه حاله. لكن بقيت شدة التحمل التي مرّ الحديث عنها؛ وهي الغطيط، واحمرار الوجه، وتفصّد العرق من النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخره، هذه باقية. لكن كان يسكن عليه الصلاة والسلام، ويسمع عنده ذوي كذوي النحل، أو صلصلة الجرس، أو نحو ذلك كما فصلنا الكلام. فإذا انفصم عنه الوحي، إذا به مرقوم في صدره وقلبه.

(فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ) أي فصل عنه وانصرف.

(قَرَأَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا قَرَأَهُ) أي جبريل عليه الصلاة والسلام.

بقي أن نذكر مناسبة هذا الحديث لبدء الوحي، وهي ظاهرة جداً، فإنها من جهتين:

- من جهة أن هذا له علاقة بالوحي واتصال الملك. فقد عرفنا أن من مقاصد كتاب بدء الوحي؛ ذكر الكيفيات والأحوال التي كانت تعترى النبي صلى الله عليه وسلم حال اتصال الوحي به.
- الشيء الثاني: الحديث كأنه يتحدث بل هو بالفعل يتحدث عن أول الأمر لما بدأ حمي الوحي وتتابع على النبي عليه الصلاة والسلام، وبدأ القرآن ينزل تباعاً، ربما كل يوم وكل ليلة، وكان

سيخشي أن يتفلسف منه، فكان يردده حتى نزلت هذه الآيات وطمئنته فزال ذلك المحذور،
وأصبح يتلوه عليه الصلاة والسلام كما أنزله عليه جبريل عليه الصلاة والسلام.

نقرأ، بعده نكمل، نعم.

قال المصنف رحمه الله تعالى :

(بَابُ)

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ عَنْ الزُّهْرِيِّ قَالَ وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ
أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنْ الزُّهْرِيِّ نَحْوَهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عُبيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ
ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ
حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ).

أيضاً كلمة باب من انفردات أبي الوقت، ينبغي حذفها. والحديث لتتمة أحاديث بدء الوحي وله مناسبة
سيأتي ذكرها. ندرس بداية السند اليوم فقط ونكمل في الدرس القادم.

قوله أي قول البخاري رحمه الله: (حَدَّثَنَا عَبْدَانُ)، (عَبْدَانُ) هذا لقب واسمه الكامل عبد الله بن

عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي المكي أبو عبد الرحمن المروزي، المروزي لأنه ولد في بلاد مروز، المكي
لأنه في عاش في مكة. العتكي نسبة إلى بني عاتكة، قبيلة من العرب ونسبته إليهم بالولاء. وهو عبد الله بن
عثمان بن جبلة بن أبي رواد العتكي المروزي المكي.

كنيته أبو عبد الرحمن، من كبار الحفاظ من الطبقة العاشرة، توفي سنة 221هـ، ولا يكاد يأتيك في
الصحيح إلا باللقب "عبدان". عبدان هكذا، هذا لقبه. إذا جاءك عبدان، فهو عبد الله بن عثمان بن جبلة
بن أبي رواد، هذه نقطة.

النقطة الثانية: لا يكاد عبدان، عندنا في صحيح البخاري على وجه الخصوص يرد، إذا جاء عبدان

في الغالب روايته إما عن عبد الله بن المبارك كما هنا أو عن أبيه والده وهو عثمان بن جبلة بن أبي رواد.

هذه أغلب روايات عبدان التي في صحيح البخاري. إما:

- عن أبيه وهو الأكثر، وأبوه هو عثمان بن جبلة بن أبي رواد، إمام وسيأتي له ترجمة إذا جاء اسمه
إن شاء الله.

- أو يروي عن عبد الله بن المبارك الإمام المشهور.

وعبدان لقب له، وتوفي قلنا 221 هـ .

قال: (أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) هو الإمام المشهور المذكور عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم

التركماني؛ لأن أبوه تركماني المروزي، ولد وعاش في بلاد مرو وفي تلك النواحي.

عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التركماني المروزي، كنيته أبو عبد الرحمن. إمام ذائع

الرصيت مشهور، جمع الله من خصال الخير ما لم يجمعه.

_ قال عنه الذهبي: شيخ الإسلام، عالم زمانه، أمير الأتقياء، قائد المجاهدين.

_ قال عنه ابن كثير: الإمام الحافظ الغازي المجاهد.

_ قال الحافظ ابن حجر: جمع الله في ابن المبارك خصال الخير التي قلت في غيره.

ولد سنة 118 هـ توفي سنة 181 هـ، كان سيد مرو في زمانه حتى قال الشاعر، خذوا هذه

الآبيات:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة فقد سار منها نورها وجمالها

إذا ذكر الأخبار.....

....الأخبار يعني العلماء، مو أخبار اليهود. الأخبار يعني العلماء.

إذا ذكر الأخبار في كل بلدة فهم أنجم فيها وأنت هلالها.

_ قال عنه الإمام أحمد: له في قلبي جلاله عجيبة. الإمام أحمد يقول: له في قلبي جلاله عجيبة.

وجمع بين العلم والعبادة والجهاد والإنفاق، كان ثرياً موسراً تاجراً يتاجر، ويجمع الأموال وينفقها في

الثغور الحروب والجهاد. وكان إذا جاء موسم الحج، يعلن في بلاد مرو من أراد أن يحج فيأتي بمجموعة على

حسابه.

فلما سنة من السنوات _ مذكورة في ترجمته _ اجتمع أهل مرو قالوا كل عام يحجنا ابن المبارك

والله ما فينا خير، السنة هذه نريد أن ندفع نحن النفقة، مو كل سنة خلاص نريح شوية، فجمعوا نفقة كثيرة

وأتوا بها إليه وقالوا إنا لن نحج معك حتى تأخذ هذه النفقة، فأخذ النفقة وضعها في صندوق، وأحجوا وكل

شيء، وأنفقوا، فلما رجعوا وبعد ثلاثة أيام دعاهم إلى وليمة، ثم أخرج الأموال التي جمعها في الصندوق

ووزعها عليهم مرة أخرى، وقال لهم الحج حصل والسنة الجاية يحصل خير.

(قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ)، (يُونُسُ) مرّ معنا هذا وهو ابن يزيد الأيلي. يونس ابن يزيد الأيلي كنيته أبو

يزيد ثقة، حافظ توفي سنة 159هـ مرت ترجمته.

(عَنْ الزُّهْرِيِّ) الإمام المشهور الذي قلت لكم، واسطة عقد الزهري في الأسانيد. ما يمر معك

حديث إلا ولا بد يجيك الزهري. إمام مشهور وواسع الرواية، اللي هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أبو بكر الإمام الحافظ ترجمنا له فيما مضى.

(وَحَدَّثَنَا بِشْرٌ) الواو هنا واو العطف، والعاطف هو البخاري نفسه. الآن السند: عبدان بن المبارك،

يونس، الزهري. البخاري أضاف إلى هذا السند سنداً آخر عن شيخ آخر. فقائل (وحدثنا) هو البخاري. وينبغي أن تثبت هنا كلمة حرف الحاء، ينبغي هذا. وتارة يكتب وتارة لا يكتب. لكن هنا هذا موضعه، لأنه تحول من سند إلى سند. لكن كلمة الواو هي المشعرة، (و)؛ أي عاطفة.

توقف عن السند الأول إلى حد الزهري، وأراد أن يضيف سنداً آخر من طريق شيخ آخر وهو

البخاري نفسه. فكان يكتب هنا (ح) لتشعر بالتحول، لكن حرف الواو أشعر: (وحدثنا). إذن قائل (وحدثنا) هو من؟ البخاري عن شيخ آخر، من هو؟

قال: (حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ) هكذا ترجمته: بشر بن محمد السخّيتاني، كنيته أبو محمد مروزي،

وثقه بعض الأئمة وتكلم فيه البعض الآخر، رمي ببلعة الإرجاء، مات سنة 224هـ.

خذ هذه المعلومات المهمة:

— لم يرو أحد من أصحاب الكتب الستة عن بشر بن محمد سوى البخاري، الباقي ما رووا عنه.

— ثانياً: لم يرو البخاري عن بشر ابن محمد إلا مواضع يسيرة، قيل ثلاثة وقيل أربعة؛ لأنه فيه كلام ما

هو موثق مائة بالمائة، وكل المواضع الأربعة التي رواها البخاري عن بشر يرويه إما مرفوعاً إلى سند آخر أو مقرون بشيخ آخر.

هذه لأن البخاري يعرف الكلام الذي قيل في بشر، يعني تكلم فيه بعض الأئمة لوقوعه في بدعة

الإرجاء وكذا، والآن قد يقع بعض العلماء في شيء من هذه البدع، ولا يسقط ذلك روايته بالشروط المعتبرة.

الرواية عن مبتدع ربما مرت عليكم في المصطلح، وليس الآن موضع الحديث عنها، لكن مع أنه ربما

موثق وله حظ من الرواية والكلام الذي فيه إنما لأجل بدعته فقط، لا لقصد ذات حفظه وروايته.

والبدعة إذا لم تكن مغلظة، أو لم يكن صاحبها داعياً، أو لم يرو ما فيه تأكيد لبدعته، تقبل على الصحيح. عند أهل الحديث، تقبل الرواية إذا كان المدار على الثقة؛ ثقة الراوي، وحفظه، وإتقانه، وعدالته. لذلك في الصحيح تجد روايات عن بعض من هم من الخوارج، ومن رمي بالقدر، بعضهم فيه تشيع حتى. والمدار على الثقة والضبط بشرط أن لا تغلب البدعة، يعني الراضية مثلاً والباطنية لا رواية عنهم، القدر في العدالة كان. ولا يكون داعي إلى بدعته أو إلى رأس البدعة مثل رؤوس الطوائف، هذول ما يروى عنهم، ولا يروي شيئاً فيه شيء ما يؤيد بدعته.

مر هذا نموذج معنا، لما أخذنا عبيد الله بن موسى. تذكرونه؟ العهد به قريب : (حدثنا عبيد الله بن موسى) فيه تشيع قلنا، فصلنا لكم شيء من هذا الكلام. نسيتموه؟ فالمهم هنا روى البخاري وحده من السرق عن بشر هذه أولاً. ثانياً: لم يرو عنه إلا مواضع يسيرة، قيل ثلاثة أو أربعة. ثالثاً: حيثما يروي عنه يروي عنه مقروناً، إما بسند معه مثل هذا الوضع الآن له سنيين. فإذا قيل ما قيل في البشر، فعندنا سند عبدان، وابن المبارك، يعني خلاص الموضوع مضمون وهذا من باب يعني.. أو مقرون بشيخ آخر، هكذا يصنع البخاري مع كل راوي يريد أن يروي عنه وهو يعلم أن فيه الكلام، يقرنه بغيره، أو يورده مع سند آخر. وهذا طبعاً من تدقيقه وتثبته رحمه الله. طيب، ماذا يقول بشر ابن محمد؟

(قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) بن المبارك، (قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ) ابن يزيد (وَمَعْمَرٌ) ايش اللي انضاف هنا في رواية بشر؟ أن معمر روى مع يونس هذا الحديث عن الزهري.
معمر هو بن راشد الأزدي، مولاهم، أبو عروة البصري، هو بصري لكنه نزل اليمن واستقر بها وتزوج بها ومات بها. ثقة إمام فاضل مات سنة 154هـ، أوثق الناس فيه عبد الرزاق الصنعاني، وهو راوي الصحيفة المشهور عنه؛ صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة، هذه مشهورة فيها مائة وعشرة أحاديث، مشهورة صحيفة همام بن منبه.

هذه لها سند واحد: عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن همام عن أبي هريرة، أخرجها كلها الإمام أحمد في مسند أبي هريرة، وأخرج منها البخاري ومسلم يعني مواضع متفرقة. هذا سندها الوحيد ؛ لذلك أضبط الناس في الرواية عن معمر بن راشد عبد الرزاق، ولذلك سيأتي كثيراً عبد الرزاق عن معمر.

هنا قرُن معمر مع يونس في الرواية عن الزهري. وهذا يدل على أن عبد الله ابن المبارك له في هذا

الحديث شيخان اثنان:

● الأول: يونس بن يزيد الأيلي.

● والثاني: معمر.

فتارة يروي عن أحدهما، وتارة يروي عنهما جميعاً. فرواية عبدان، عبدان لما سمع الحديث عن بن

المبارك، سمعه عن شيخ واحد وهو عن يونس. لكن لما سمعه بشر بن محمد، سمعه عن رواه له عن يونس

ومعمر. إذن رواية بشر هنا صار لها فائدة، وهي ما هي؟

لولا رواية بشر، علمنا من خلالها أن لابن المبارك في هذا الحديث شيخان اثنان هما: يونس ابن يزيد

ومعمر بن راشد. وابن المبارك تارة يذكرهما معاً، وتارة يذكر أحدهما دون الآخر، وله الحق في ذلك.

إذن ما زادتنا به رواية بشر بن محمد هي أن لابن المبارك في هذا الحديث شيخ آخر وهو معمر

منضاف إلى يونس في الرواية عن الزهري.

(نَحْوُهُ) أي نحو رواية يونس التي تقدم الحديث عنها.

(قَالَ أَخْبَرَنِي) قائل "أخبرني" هو الزهري بطبيعة الحال.

(أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ) عبید الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، عبید الله بن

عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، كنيته أبو عبد الله، مدني، ثقة، فقيه، عابد، أحد فقهاء المدينة السبعة.

روايتهم ليست عن العلم خارجة

إذا قيل من في العلم سبعة أبحر

فقل هم عبید الله (هذا أول واحد)

عروة (ابن الزبير)

قاسم (بن محمد)

سعيد (ابن المسيب)

أبو بكر (ابن حزم)

سليمان (ابن يسار)

خارجة (ابن زيد)

هؤلاء هم فقهاء المدينة السبعة. عبيد الله بن عبد الله بن مسعود الهذلي توفي سنة 194هـ، معمر بن راشد توفي سنة 154 هـ، عبيد الله توفي 94هـ.

(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ)، أيضاً هذا الحديث مروى عن ابن عباس الصحابي الذي مرّ الحديث عنه.
(قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدَ _ أو أجودُ على الروائين _ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ).

نكتفي اليوم بهذا القدر، نكمل تدارس معاني الحديث هذا في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.
زادنا الله وإياكم علماً، وأهمننا وإياكم رشدنا ووقانا شرور أنفسنا وجعلنا وإياكم هداة مهتدين وأن
ينفعنا وأن ينفع بنا. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. والسلام
عليكم ورحمة الله وبركاته.



الدرس الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.
أما بعد:

بدأنا في الدرس السابق في الحديث السادس في "كتاب بدء الوحي" في الجامع الصحيح. بدأه الإمام البخاري بقوله: **(حَدَّثَنَا عَبْدَانُ)** وهو عبد الله بن عثمان بن جبلة بن أبي رواد المكي العتكي.
(قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ) وهو الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم المروزي.
(قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ) وهو ابن يزيد الأيلي.
(عَنْ الزُّهْرِيِّ) محمد بن مسلم بن شهاب.
(وَحَدَّثَنَا) قلنا أن قائل **(حَدَّثَنَا)** هنا هو البخاري، والواو عاطفة وهو تحول من سند إلى سند.
(وَحَدَّثَنَا بَشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ قَالَ أَخْبَرَنَا يُونُسُ وَمَعْمَرُ) في سند بشر بن محمد، قرن عبد الله ابن المبارك رواية هذا الحديث عن الزهري بين يونس ومعمر، فظهر أن لابن المبارك فيه شيخين هما: يونس بن يزيد الأيلي، ومعمر ابن راشد، كلاهما عن الزهري.
(نَحْوَهُ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ) القائل **(أَخْبَرَنِي)** هنا هو الزهري طبعاً. **(عَبِيدُ اللَّهِ)** ابن عتبة ابن أبي مسعود المدني أحد فقهاء المدينة السبعة.
(عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ) الصحاب الجليل عبد الله ابن عباس.

(قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجُودَ النَّاسِ) ، (كان) هي الناقصة التي تطلب اسماً وخبراً، اسمها كلمة **(رَسُولٌ)** ولذلك لا بد أن تكون مرفوعة؛ لأن (كان) الناقصة ترفع اسمها وتنصب خبرها، وخبرها كلمة **(أَجُودٌ)** ولذلك لا بد من نصبها. تقول **(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجُودَ)** فتكون كلمة **(أَجُودٌ)** منصوبة لأنها خبر كان.

هذه الجملة من كلام الصحابي الجليل عبد الله ابن عباس جملة تمهيدية يريد بها أن يبين تخلقاً من تخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الجود.

والجود كلمة جامعة لمعاني كثيرة عرفها وحدّها بعضهم بأن الجود هو بذل ما ينبغي لمن ينبغي. وحدّه بعضهم بأن الجود هو إيصال الخير للغير. فكل خير توصله إلى غيرك فهو جود، وسماحة، وبذل، وإحسان. وهي كلمة جامعة تدل على أن المتصف بها يجب وأصبح من خلقه وجبلته نفع غيره. وهذا خلق إسلامي نبيل وعظيم؛ بل إن الشرع كله جاء لاستخراج ما في النفوس من أوزار وأخلاقيات وجبال قبيحة طبع عليها الإنسان بحكم جبلته وطبيعته وزرع أخلاق نبيلة وسامية في نفسه، من أهمها أن يصبح باذلاً للخير، مقدماً للمعروف، موصلاً للخير إلى غيره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وهذا يجزنا إلى الحديث عن طبيعة النفوس وتأثير التربية الإلهية الشرعية فيها. الإنسان من حيث طبيعته وجبلته مطبوع على الأنانية وعلى الشحّ وعلى الطمع وعلى العدوان، وقد وصفه الله فقال في كتابه: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾**⁽¹⁾ هذا وصفه الطبيعي **﴿خُلِقَ هَلُوعًا﴾** (19) **﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾** (20) **﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾** (21)⁽²⁾ شوف الصفات الثلاثة هذه فهو هلوع. والهلع يدل على شدة الأنانية، وهي طبع في الإنسان فهو دائم الجزع والهلع. إن حُرّم الخير أصبح جزوعاً قنوطاً يئوساً، وإن أُعطي الخير أصبح قطعاً منوعاً.

أيضاً وصف الله الإنسان بأوصاف أخرى تدل على هذا المعنى؛ المعنى الذي فيه الذاتية والأنانية وعدم الاستعداد لأي نوع من أنواع المعروف والخير **﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾**⁽³⁾ أي حب المال شديد حبه وتعلقه. يقول: **﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾** (19) **﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾** (20)⁽⁴⁾ والله يقول

(1) المعارج: 19.

(2) المعارج: 21_19.

(3) العاديات: 8.

(4) الفجر: 20_19.

أيضاً في كتابه الكريم: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽¹⁾ أي هناك عقبة خطيرة إذا لم يستطع الإنسان أن يتجاوزها، فهو على خطر بجانب للفلاح.

هذه العقبة هي الشح الذي طبعت عليه النفوس، وهي المرادة بقوله تعالى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ

العقبة﴾⁽²⁾ التحسيس لام هنا لام التحسيس، يعني هلا اقتحمت هذه العقبة. ما هي عقبة، هي عقبة في نفسك، وهي الشح والأنانية والذاتية التي طبع عليها الإنسان، التي تمنعه من أن يقدم معروفاً إلى غيره؛ بل ربما في مراحل متطورة خطيرة تدفعه إلى العدوان حتى على غيره ليحقق ذاتيته وأنانيته ولو على سبيل التجاوز على حقوق الآخرين.

وهكذا الإنسان إذا لم تربه الشرائع الإلهية والسنن والأخلاقيات النبوية شحيح. هذه العقبة المقصودة

بقوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ فلما فسرها قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13)﴾⁽³⁾ خير تفك رقبة تشتريها فتعتقها ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14)﴾⁽⁴⁾ أي يوم شديد كل الناس فيه محتاج ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16)﴾⁽⁵⁾.

فكل الصفات المذكورة في تفسير العقبة ترجع إلى أن العقبة هي في حقيقتها هذا المرض النفسي:

الشح، الذي قال الله عنه: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. فكيف ينتقل الإنسان من هذه الطبيعة الطينية، الجبلّة الأنانية الذاتية التي أول خطوة تمنعه من العدوان على الآخرين، وثاني خطوة ترقّيه وتهذبه حتى يصبح قمة راحته وسعادته وأنسه أن يقدم لغيره خيراً ومعروفاً وبذلاً.

هذا يحتاج إلى تربية إلهية إيمانية، ولن تجد هذه الأخلاقيات العالية علماً وعملاً وواقعاً وتطبيقاً إلا في

الأنبياء والرسل صلى الله عليهم وسلم ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم. ولذلك وصف الله جلّ وعلا أتباع الأنبياء بهذه الصفة أنهم تجاوزوا هذه العقبة واقتحموها ونجوا من أضرارها وتحولوا إلى عاملين للخير باذلين له ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، لدرجة أنه أصبحت صفتهم المستمرة المستديمة أنهم يؤثرون على أنفسهم ويقدمون غيرهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

(1) الحشر: 9.

(2) البلد: 11.

(3) البلد: 12_13.

(4) البلد: 14.

(5) البلد: 15_16.

قال الله جلّ وعلا في وصف الأنصار أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج. الأنصار وصفهم الله بصفات في الآيات التي سنذكرها الآن كلها إذا تأملت فيها تحقق هذه الغاية. كل الصفات التي وُصفوا بها هي معروف يُقدّم لهم منه يعني مكسب آني أو ذاتي ولكن ينتظرون طبعاً أعظم الأجر والثواب ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾⁽¹⁾ يعني الأنصار. ما هي صفاتهم؟ ﴿مَنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ إذا تجاوزوا العقبة اقتحموها.

كونك تستقبل ضيفاً في دارك ساعة أو ساعتين أو يوم أو يومين يعتبر إلى حد ما معقول ومقبول، لكن تستقبل ضيف يشاكك أرضك وبلدك وديارك وأموالك العمر كله، هذا عقبة ضخمة جداً ما يتجاوزها إلا نفوس تعلمت وترت على البذل إلى هذا الحد.

فالأنصار استقبلوا وفداً وهم المهاجرون ليس رجلاً أو رجلاً؛ مئات الرجال بأبنائهم ونسائهم ونزلوا في أرضهم وشاركوهم أموالهم وديارهم وأسواقهم وبساتينهم وإلى متى؟ إلى الأبد، إلى آخر العمر ومع ذلك يقول يجبون هذا ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ مع أن المهاجر إليهم، ما كان يتمتع به الأنصاري سيختصر إلى النصف وأقل من النصف من مال أو متاع أو سعة دار أو شيء من هذا القبيل، وهذا القسم هو الملحوظ.

ثم قال في الصفة الثانية: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ لاحظ القرآن كيف دائماً يبنه على العقبة النفسية التي بها انصهرت هذه التجاوزات العظيمة بهذه الجبلة الإنسانية الفطرية الطبيعية التي هي الشح ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ ما معناها؟

أنت ربما إذا فعلت شيء من الخير تجدد في نفسك ما يجذبك عنه ويمنعك ويخذلك نظراً لما جُبلت عليه نفوسنا من حب المال وحب العاجلة مع ما تسلط به الشيطان علينا منه ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾⁽²⁾ كما قال الله جلّ وعلى فتخرج من باب المسجد ترى فقيراً فتهمّ في البداية أن تنفق عليه مائة ريال ثم تأتيك هذه فتخفضها إلى خمسين يأتيك ويذكرك الشيطان بأن عليك تبعات مالية كثيرة وتنفق نفقات والعيد قريب وكده تنزلها لعشرين وعشرة وربما تنصرف ما تدفع شيئاً.

حقيقة الشيطان يعدكم الفقر، كلما هممت بخير فتح لك المشاريع والنفقات والتبعات حتى يخذلك ويفتح عليك العقبة هذه حتى تبقى في اختبار هل تتجاوزها أم لا.

(1) الحشر: 9.

(2) البقرة: 268.

الأنصار رضي الله عنهم لما أصبحوا بذلك المستوى من بذل الخير للغير ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ لأنهم تجاوزوا العقبة تماماً وقال: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ أي عندما يستقبلون المهاجرين ويشاركونهم أموالهم وأرضهم وديارهم، لا يفعلون ذلك تكلفاً وإرغاماً لنفوسهم ويجدون صراع نفسي، يفعلون ذلك وهم في منتهى السعادة والراحة والطمأنينة.

هذه النقطة التي وصلوا إليها، يصبح البذل العطاء ليس فقط قضية احتسابية للأجر _ وهذا طبعاً هو الأصل _ يصبح هو المتعة بالنسبة للباذل. قمة سعادته وأنسه وراحته أن يخدم غيره، ويؤنس غيره، ويقدم المعروف لغيره، هذه مرحلة متقدمة جداً من تجاوز العقبة النفسية. ولذلك الأنصار مؤكداً أنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا.

ثم تأتي الصفة الثالثة وهي العجيبة فعلاً ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ كونك تنفق وتبذل وعندك خير كثير ليس في ذلك كبير أمر وإن كان خير بالجملة، لكنك إذا أنفقت شيئاً يسيراً من خير وعندك خير كثير ساقه الله عليك. لكنك إذا كنت نفسك محتاج، وأنت تعرف ضغط الحاجة على النفس، هذه إذا ضغطت على الإنسان تجعله يتجاوز أمور كثيرة لضغط الحاجة؛ بل ربما يتجاوز حتى حدود الله جل وعلا وحرماته ليقضي حاجته إلا من تبتته الله جلّ وعلا واعتصم بأمر الله وصبر على ضيق الحاجة حتى لا يتجاوز حرمان الله، وإلا الحاجة تضغط على الإنسان وضغطها شديد، والخصاصة قمة الحاجة وقمة الفقر. فكونه يؤثر على نفسه وهو المحتاج، هذه العجيبة فعلاً وتقدم عالي جداً في تعلم صناعة المعروف إن صحت العبارة.

قوم أصبحت حرفتهم صناعة المعروف كالذي أصبحت خبرته وحرفته صناعة من الصناعات ويكون حاذقاً فيها يشتغل فيها بتلذذ وتمعن، ولا يجد أي كلفة فيها، وهؤلاء صناعتهم المعروف، متمثلين قول نبيهم صلى الله عليه وسلم الذي سنتحدث عن خلقه في هذا المجال باعتباره قائداً رائداً عليه الصلاة والسلام في هذا المقام العظيم.

قال لهم عليه الصلاة والسلام ولنا وللأمة جميعاً وللعالم كله: ((صنائع المعروف تقي مصارع السوء))⁽¹⁾ هي صناعة للمعروف فعلاً، ليست مرة ولا مرتين مع صراع النفس؛ هي صناعة وحرفة ودرجة أساسها اقتحام العقبة التي هي: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

(1) أخرجه ابن عساکر (172/17)، والرافعي (429/1).

مادام هؤلاء هم أتباع الأنبياء وهذا وصفهم كالأنصار رضي الله عنهم، فكيف سيكون وصف الأنبياء؟! تكون في الغاية و القمة؛ لأن الأنبياء لا يأتون بأمور نظرية وتعليمات نظرية ويكونون هم في معزل عنها؛ بل ستجدهم عليهم الصلاة والسلام دائماً في القمة.

وهذا ابن عباس رضي الله عنه يصف رسولنا صلى الله عليه وسلم بوصف مطلق: **(كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ)** على سبيل الإطلاق، **(أَجْوَدٌ)** من أفعال التفضيل، يعني كل جود تقدره في الخلق كل جواد من الخلق ممن مُدحوا فرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود منهم. أجود من أفعال التفضيل من الجود؛ أي كل جود تتخيله وتتصوره معمولاً به في البشر فجود رسول الله صلى الله عليه وسلم يفوقه ويفضل عليه ويتجاوزته. وابن عباس يتحدث عن واقع، ما يتحدث عن شخصية خيالية.

ابن عباس، العرب بمجموعهم من صفاتهم الكرم كما هو معروف حتى أيام الجاهلية الكرم والبذل وإكرام الضيف وقرى الضيف ويتمدحون بذلك. وإذا برز فيهم رجل بهذه الصفة، يصبح مقصد للشعراء في مدحه كما مُدح حاتم الطائي وأمثاله من أجواد العرب، وابن جذعان وأمثاله أصبحوا مشهورين وممدوحين ومذكورين؛ لأنهم أصبحوا أصبح الخلق النبيل هذا والجود والكرم صفة لهم.

وابن عباس وهو من العرب ويعرف أخلاقياته في هذا الجانب، لما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وعاشره وهو من بيته وخالطه ليلاً ونهاراً وسراً وجهاراً داخل بيته وخارجه؛ لأنه من أهله ورهطه ومن بيته عليه الصلاة والسلام، يصفه هذا الوصف المطلق أنه كان أجود الناس عليه أفضل الصلاة والسلام.

ولو ذهبنا نسرد تفاصيل وأخبار جوده عليه الصلاة والسلام لضاق المقام، لكن أعظم جود بذله عليه الصلاة والسلام هو الخير الذي قدّمه للعالم أجمع، الذي جعل الله جلّ وعلا مصدره للعالم وسبيله للعالم ووسيلته للعالم هو شخصه عليه الصلاة والسلام، وهو ما قام به من البلاغ عن الله من الحكمة والموعظة الحسنة والدين العظيم الذي قال الله عنه بعد أن تم **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾** ⁽¹⁾ وقال عنه: **﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾** ⁽²⁾.

__ قال قتادة: أصلحها الله بمحمد عليه الصلاة والسلام.

__ قال السدي: أصلحها الله بالإسلام.

__ قال ابن زبي: أصلحها الله بالقرآن.

(1) المائة: 3.

(2) الأعراف: 56.

والمعنى واحد، الإسلام والقرآن جاء برسالة عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم هذا أعظم خير، ومع ذلك فهمه في البذل والإنفاق والإكرام والصدقة والعطاء يفوق ويعلو كل خير.

أجود الناس في معاني الجود كلها التي من أعظمها ويجب أن نشتمها ما ساق الله علي يدي صلى الله عليه وسلم من الخير للعالم أجمع يهتدي به من يهتدي، ويضل عنه من يضل. قال الله جل وعلا: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نَوْراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾⁽¹⁾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾⁽²⁾ فهو أجود الناس عليه الصلاة والسلام. كان لا يرد سائلاً، هذا خلقه، ولا يرد طالباً ولا يرد سائلاً.

أم قيس الأنصارية امرأة من الأنصار صنعت جبة في الحديث في الصحيح في "كتاب الجنائز"، جبة يعني وأهدتها للنبي صلى الله عليه وسلم ليلبسها في الجمعة والعيد، هدية صنعتها غزلتها بيدها وأهدتها فأخذها النبي وكان أحوج ما كان إليها، هكذا في الرواية أخذ هذه الجبة وهو محتاج لها حاجة ضرورية، فدخل بيته فلبسها فخرج على أصحابه بها، لسه ما لها إلا عشر دقائق، فقام رجل وقال: يا رسول الله أعطني هذه الجبة، قال: أفعل فدخل بيته مرة أخرى فنزعها وقدمها له. فأصحابه لاموا هذا الرجل قالوا: أخذها رسول الله وهو أحوج ما كان لها، وقد علمت أنه لا يرد سائلاً أنت ضغطت عليه، الآن أخرجته.

تعلم أن خلقه لا يرد سائلاً، ليش تسأله وتخرجه وهو قد احتاج لهذا اللباس ولهذا الجبة حاجة ضرورية؟ فقال الرجل وهو يعني كان له هدف آخر قال: أردت لما لبسها النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون كفني، يعني تبركاً بكون النبي صلى الله عليه وسلم لبسها ومست جسده. قال وهو حديث سهل ابن سعد: وكانت كفنه.

ما كان له هدف يتجمل بها، لكن لما مست جسد الرسول عليه الصلاة والسلام أحب هذا الرجل أن تكون هذه الجبة كفنه تبركاً بلامستها لجسده صلى الله عليه وسلم، فكانت كذلك. هذا يدل على أنه لا يرد سائلاً على سبيل الإطلاق وهذا هو نموذج من ذلك؛ بل إن من جوده وسماحته وهذه ربما الإنسان قد يكون جواداً وكرماً، لكن كونه يتحمل الإساءة؛ بل ويقابلها بالإحسان هذه أيضاً مرحلة متقدمة أكثر.

تخيل لو أنك تصدقت على فقير بمائة ريال قال: سؤد الله وجهك مائة ريال ما تستحي على وجهك؟ تقول له: ماذا تصنع؟... صح وللا لا؟ هذا التصرف الطبيعي، لكن كونك تخرج مائة أخرى وتقول هذه

(1) الشورى:52.

(2) الأنفال:24.

مائة ثانية تسويها؟ ما يمكن هذا إلا في النادر، هذا فعله عليه الصلاة والسلام في سنن النسائي من حديث شدّاد ابن الهاد أن رجلاً من الأعراب نزل وقال يا رسول الله بل قال: يا محمد عليه الصلاة والسلام، يا محمد اعطني من مال الله الذي عندك فإن المال مال الله، لا مالك ولا مال أبيك. ما فيه أي لباقة في الطلب، لا مالك قال: صدقت المال مال الله لا مالي ولا مال أبي. كلام صحيح ومتى قلت أن المال مالي، فدخل بيته فجمع له شيئاً من تمر وأعطاه، فقال: تزعم أنك رسول وتعطي هذا العطاء، ما أحسنت ولا أجملت ولا جزاك الله خيراً.

شوف الكلام: ما أحسنت ولا أجملت وتزعم أنك أجزلت ولا جزاك الله خيراً، فابتدره الصحابة... كيف يصبرون على هذا؟ فقال: دعوه، دعوه اتركوه أأعلم به فأخذه ودخل إلى بيته وجمع له شيئاً آخر إضافة ثم قال: ماذا ترى الآن؟ قال: الآن أحسنت وأجملت وجزاك الله خيراً. قال: إن أصحابي قد وجدوا عليك ما قلت فهلا خرجت وطيبت خواطركم، يعني ما يريد أن يكون الصحابة عليه ولا ضغينة فخرج وقال: أحسنت وأجملت وجزاك الله خيراً.

ثم قال عليه الصلاة والسلام: (إن مثلي ومثلكم ومثل هذا الرجل كمثل رجل ندّ له بعير) هرب له بعير (فذهب ليطلبه فقام الناس معه) يساعده فزادوه هروباً هذا الواقع، قيام الناس يزيد البعير يهرب (فقال دعوه إني أعلم ببعيري فجمعوا له من قشاش أو قال من قمام الأرض)، ما هي مسألة مائة ولا مائتين حتى يتألف ويؤلف نفسه ويجمع قيمته فجمع له من قشاش الأرض حتى طيب خاطره وأرجعه. ولو تركتم والرجل فقتلتموه على كلامه لدخل النار.

رجل يقول للنبي صلى الله عليه وسلم ما فيك خير ما أحسنت ولا أجملت. طيب له خاطره حتى يصحح وضعه ويعدّل عباراته القبيحة التي أطلقها وهكذا. والنماذج كثيرة جداً في سيرته عليه الصلاة والسلام، فكان خلقه أجود الناس.

أربع من ذلك كله الذين أسأؤوا له طول حياته طردوه من أرضه (أو مخرجي هم) وآذوه بجميع أنواع الأذية وعذبوا أصحابه وقتلوا من قتلوا منهم، فلما مُكِّن منهم في فتح مكة وأصبحوا تحت يده، ولو شاء لأعمل السيف فيهم ولا يلومه أحد. جرائم كثيرة وللا لا؟ ما تظنون أي فاعل بكم يا معشر قريش؟ الآن عندكم ما هي جريمة ولا اثنتين ولا ثلاث، العشرات كل واحدة تستحقون عليها القتل. قالوا: خيراً،

وأتقن يعرفون مع من. ((خيراً أخ كريم وابن أخ كريم)) ما عهدناك منتقماً ولا عهدناك صاحب ضغينة
وحقد قال: ((اذهبوا فأنتم الطلقاء))⁽¹⁾.

أم هانئ رضي الله عنها وهي بنت أبي طالب ابنة عم النبي عليه الصلاة والسلام. طبعاً هرب زوجها
هبار ابن وهب المخزومي إلى نجران، وكان لها ولدن حاربا النبي صلى الله عليه وسلم وبالغا في إيذائه، فاحتبأ
عندها. النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دم مجموعة من الناس لما دخل مكة، فقالوا كيف نقطع العهد
ونحن قد أذينا خائفين من العواقب قالت: إني اعلم به إذا دخل فقوموا في وجهه فاجئوه فقولوا: له ما قاله
إخوة يوسف ليوسف ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾⁽²⁾ فإنه لا يجب أن يكون أحداً
أحسن منه جواباً، فسيقول لكم: ﴿لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾⁽³⁾ لا
يجب أن يكون أحداً أحسن جواباً منه.

فلما دخل كما تعلمون دخل على أم هانئ صلى عندها ثمان ركعات معروفة، فلما دخل بادره
الرجلان ابناها فقالا له باشراه قبل يعني أن يصدر أمر: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾
فبادرهم بالجواب قال: ﴿لَا تَشْرِبْ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وانتهى الموضوع.
فكان أجود الناس بالفعل ما أطلقت هكذا مجاملة من ابن عباس، ولا أطلقت بناحية خيالية.
يتحدث عن واقع يشهده من حال رسولنا عليه الصلاة والسلام. إذن كان أجود الناس.

(وَكَانَ أَجُودٌ) هذه أجود الثانية ضبطها أهل الغريب وغيرهم بالرفع والنصب. (وكان أجودٌ) أو
نقول: (وكان أجودٌ) بالنصب، هذا النصب لا إشكال إعرابها واحد. (كان) تكون ناقصة قولاً واحداً.
(أجود) هنا خبر (كان) والاسم محذوف، أي كان هو أجود الناس.

(مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ) وهي الرواية الأصلية. أما رواية الجمهور فـ (كان أجودٌ) بالرفع. ومادام
(أجودٌ) بالرفع تكون (كان) هي تامة ليس (كان) الناقصة. (كان) الناقصة هي التي تحتاج إلى اسم وخبر
ويكون اسمها مرفوع وخبرها منصوب، كان وأخواتها.

(1) سنن البيهقي الكبرى، رقم: 18055، "باب فتح مكة حرسها الله تعالى".

(2) يوسف: 91.

(3) يوسف: 92.

إذا كانت تامة (كان) التامة هذه ما تحتاج لا اسم ولا خبر. انتبهتم وللا لا؟ تفيد معنى مطلق الحصول انتبهتم وللا لا؟ كما قال: ((كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ))⁽¹⁾ مطلق الحصول ما فيه اسم ولا خبر. (وكان أجود) تكون (كان) تامة.

طيب مادام (كان) تامة لا بد أجود لها إعراب إما تكون مبتدأ والخبر محذوف، أو تكون خبر والمبتدأ محذوف. فإن جعلتها مبتدأ والخبر محذوف، لا بد يقدر الخبر. يعني أجود كينونته أو أجود أحواله في رمضان فيكون (في رمضان) شبه جملة متعلق بخبر محذوف لحاصل موجود، أعظم جوده يكون في يكون حاصلاً وواقعاً في رمضان، وإن جعلتها خبراً والمبتدأ محذوف أي هو عليه الصلاة والسلام أجود ما يكون في رمضان.

وبعضهم أعربها كما يلي: (أجود) هو المبتدأ والمصدر المؤول من (ما) المصدرية ويكون متعلق بخبر محذوف والتقدير: أجود أحواله في رمضان، وعليه ترجم البخاري في كتابه "الصيام" كما قال الحافظ هنا عندكم في الشرح.

إذن بعد وصفه بمطلق الجود وأنه أجود من غيره على سبيل الإطلاق، ذكر هنا في هذه الجملة وما بعدها مؤثرات أخرى تزيد في سماحته عليه الصلاة والسلام وفي جوده؛ وهو شرف الزمان وشرف لقياه ومدارسته لجبريل، والدرس الذي بينهما هو القرآن.

فلا اجتمعت هذه الأمور مع أنه في الأصل أجود الناس، يكون لجوده التفوق الذي لا حدود له. فكان أجود ما يكون يعني أجود أحواله.

الجملة الأولى لما قارن بينه وبين بني جنسه من البشر أجودهم. طيب، هو نفسه جوده يتفاوت بحسب شرف الزمان وبحسب الأحوال، فيفوق جوده بعضه بعضاً.

فكان أجود الناس تفوق على بني جنسه وأنه أجود الخلق عليه الصلاة والسلام. ثم هو نفسه في ذاته عليه الصلاة والسلام جوده يتفاوت، بعضه أعظم من بعض. ما نقول بعضهم أقل من بعض، بعضه أعظم من بعض. وهذا التفاوت له مناسبات خارجية.

لما اجتمع شرف الزمان في رمضان، ومدارسته القرآن، ولقيا جبريل وهذه طبعاً سنزید القلب نوراً وانشراحاً وأنساً، يصبح لجوده وبذله يعني الحدود التي لا نهاية لها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(1) صحيح البخاري، رقم: 6868، باب {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ}.

(وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ) أجود ما يمكن للجود في رمضان، هذا شرف الزمان. لما لرمضان من فضله العظيم فهو الشهر الذي اصطفاه الله واختاره وبعث فيه رسوله عليه الصلاة والسلام وأنزل فيه كتابه: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** (1) **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾** (2) **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾** (3) تخصص لهذا الإنزال وهذا التشريف ثم جعله الله موضع لفريضة جليلة عظيمة من فرائض دينه وهي الصيام. ففضائل هذا الشهر الكريم معلومة لديك.

فلما انضاف إلى شرف شخصه عليه الصلاة والسلام في جوده وسماحته شرف الزمان وهو شهر الصيام مع ما للصيام من تأثير على النفس وتطهيره عن الشهوات ويزداد جوده نظراً لإشراق نفسه وسماحة نفسه.

(حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ) انضاف سبب ثاني، انضاف سبب ثاني إلى شرف المكان وهو لقيا جبريل عليه الصلاة والسلام. جبريل كبير الملائكة أمين الوحي.

فهذه الرواية تدل على أن جبريل كان يلقي النبي عليه الصلاة والسلام في شهر رمضان مع أنه يلقاه كل السنة، لكن شهر رمضان مخصص لمدرسة القرآن وما نزل منه وما يريد الله أن يثبت به، كما جاء في الحديث الآخر الذي سيأتي في فضائل القرآن كان جبريل يلقي النبي صلى الله عليه وسلم كل سنة مرة يدارسه القرآن كله في رمضان، فلما كان آخر رمضان في حياته عليه الصلاة والسلام لقيه جبريل فدارسه القرآن مرتين، فثبت الله ما يريد أن يثبت ونسخ ما يريد أن ينسخ، هذه يسمونها العرض الأخير التي استقر عليها القرآن.

فهذه طبعاً المدارس طول السنة وكان يتنزل بحسب الوقائع والحوادث وما يحتاجه النبي صلى الله عليه وسلم وتحتاجه الأمة وكذا، ولما يأتي رمضان تأتي وقت المراجعة والمدارسة ليثبت الله ما يثبت وينسخ الله ما ينسخ **﴿مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾** (4) يثبت الله ما يثبت ويرفع ما يرفع.

العرضة الأخيرة التي في آخر رمضان صامه عليه الصلاة والسلام، عارضه ودارسه جبريل القرآن مرتين ليبقى ثابتاً ما يريد الله أن يثبت وهو القرآن الذي تتلوه الأمة إلى قيام الساعة.

(1) القدر: 1.

(2) البقرة: 185.

(3) الدخان: 3.

(4) البقرة: 106.

(حِينَ يَلْقَاهُ جَبْرِيلُ) فانضاف إلى شرف الزمان لما قال: (فِي رَمَضَانَ) مؤثر خارجي وهو الشهر الفضيل لما فيه من عبادات وشرف، فازداد الجود وأشرفت النفس، انضاف سبب آخر وهو لقيا جبريل عليه الصلاة والسلام وما في هذه اللقيا من أنس للنبي عليه الصلاة والسلام وإشراق له وزيادة له في جوده.

(وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ) هنا معلومة زائدة وهي لقيا جبريل عليه الصلاة والسلام ليس لقاءً واحداً؛ وإنما في كل ليلة كان يلقاه في رمضان في كل ليلة، والعمل ما هو؟ يدارسه القرآن.

وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان. طبعاً من الناحية اصطلاحية ابن عباس هو الذي يتكلم، والقضايا هذه غيبية. انتبهتم وللا لا؟ لأنه مرسل الصحابي قطعاً، لكن لها حكم الرفع من جهتين اثنتين:

- من جهة حتى لو قلنا مرسل الصحابي مرسل صحابي، مرسل صحابي لها حكم الرفع؛ لأنه إما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، لكن ما ذكره وحدث به مباشرة أو سمعه من صحابي آخر.

- وثانياً: أيضاً يعطي حكم الرفع؛ لأن هذه أحداث غيبية لا مجال للظن والتخمين والاجتهاد فيها، ما الذي أدري ابن عباس أن جبريل يلقي النبي صلى الله عليه وسلم كل ليلة؟ ما فيه دلالة ما فيه مجال للاجتهاد ما فيه مجال للرأي.

وقطعاً هذا خبر غيبي فهو وحي تلقاه قطعاً من النبي صلى الله عليه وسلم، أو ربما من صحابي آخر عن النبي والحال واحد سواءً كان ابن عباس فله حكم الرفع.

(وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ) المدارس مفاعلة من الدرس. والمدارس صيغة المفاعلة تقتضي طرفان بينهما أمر: محاوره، مبارزة، مقاتلة، مضاربة، لا بد خصمان يكون بينهما قضية يتجادبانهما.

جبريل والنبي يتدارسان القرآن، هذا يدل _ انتبهوا إلى هذه القضية _ على أن ما يدار في هذا اللقاء هو ما سبق أن نزل لا ما سينزل بعد. انتبهتم وللا لا؟ لأنه صار معلوماً لنبي صلى الله عليه وسلم وهو من قبل معلوماً لجبريل، فينزل جبريل فما نزل هذه السنة وما قبلها معلوم لجبريل أيضاً فيتدارسانه ليثبت الله ما يثبت ويرفع الله ما يرفع، وما لم ينزل ولم يأت أوانه بعد حتى تأتي السنة الثانية فيتدارسان ما نزل بالإضافة إلى ما كان نازلاً من قبل وهكذا وهكذا حتى تم نزول القرآن بهذا.

والتدارس معناه كلمة من صيغة مفاعلة تقتضي أن كلاهما يشتركان في هذا، ليس أحدهما متلقياً والآخر سامع، ليس أحدهما مدرساً والآخر دارساً، كلاهما يتدارسان. فبينهما نوع من التقابل، هذه مهمة جداً، فدلّ على أن ما يتحاوران فيه أو يتدارسان فيه سبق وأن عُلم لهما، فهما يتدارسان ما سبق وأن نزل

خلال السنة التي فيها رمضان الذي نزل فيه جبريل أو خلال هذه السنة وما تقدم. والذي سينزل في مستقبل الأيام سيأتي رمضان الذي بعده ليدارسه وهكذا وهكذا حتى كانت العرضة الأخيرة في آخر رمضان صامه النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا معنى (يدارسه القرآن).

فانضاف سبب ثالث وهو أن موضع الدرس موضع اللقاء في رمضان ولقيا جبريل والقرآن. إذا اجتمعت هذه الأمور بشرفها وجلالتها وعظم شأنها، كانت إشراقة نفسه وبذله وجوده أعظم ما يمكن أن يكون مع أن وصفه الأصلي أنه أجود الناس عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ثم بناءً على هذا كله قال: **(فَلَرَسُولُ اللَّهِ)** الفاء هنا إما أن تكون تفسيرية بناءً على هذه المؤثرات كلها: استعداده الأصلي الطبيعي النفسي الجبلي بكونه أجود الناس، لقياه لجبريل، شهر رمضان، تدارس القرآن. أصبح لا بد لهذا من نتيجة. ما هي النتيجة؟

(فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ) فاء تفسيرية تفسر نتيجة ما سبق أو تكون فاء الممهدة والموطئة للقسم كأن ابن عباس يقول: (فوالله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح) فالفاء إما أن تكون تفسيرية، وإما أن تكون فاء القسم. واللام إذا كانت الفاء تفسيرية تكون اللام مؤكدة (لرسول الله) مؤكدة وإن كانت الفاء فاء القسم والقسم محذوف طبعاً لا بد تقدره، فتكون اللام هذه يسمونها اللام الموطئة للقسم، اللام الموطئة للقسم. **(فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ)** ، **(رَسُولُ)** في موضع الرفع على الابتداء، **(أَجْوَدُ)** في موضع الرفع على الخير. مبتدأ وخبر: رسول الله أجود. مبتدأ وخبر.

(فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)، **(أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ)** قال بعضهم اختار ابن عباس كلمة (الريح المرسلة) في تشبيه جود النبي عليه الصلاة والسلام شبه عظيم. أولاً الريح عندما تهب تكون عامة شاملة يستفيد من هبوبها ورؤوحها، وما تبشر به من الغيث والمطر فئام كثيرة من الناس، ما تمر على شخص أو شخصين؛ تمر على أمم وعلى أرض واسعة. فجوده سيكون جوداً عاماً شاملاً، يعم أمم من الخلق مع مناسبة القرآن والبلاغ والرسالة، يظهر هذا واضحاً.

الريح قضى الله وقدر أن الريح تكون موطئة وممهدة ومبشرة بما؟ بالغيث **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾**⁽¹⁾ مبشرات. إذا هبت الريح استبشر الناس وتبشروهم بالغيث والمطر والخير القادم.

(1) الأعراف: 57.

فالنبي عليه الصلاة والسلام كما أخبر الله جلّ وعلا أن دعوته هي تبشير الحقيقة وبشرى لمن؟ لمن آمن به ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ﴾⁽¹⁾ يبشر المؤمنين بماذا؟ بعفو ورحمة ورضوان وجنة، هذه بشرى عظيمة أعظم بكثير بكثير من استبشار الناس بالريح التي تأتيهم التي تمهد لهم الغيث والمطر وإن كان الغيث والمطر تتوقف عليه حياتهم.

وجه ثالث مهم جداً في الشبه هنا، لما كان المطر والغيث تتوقف عليه حياة البشر حياة الخلق الإنس والجن والأرض والزرع والنبات والحيوان والطيور، ولذلك إذا أجدبت الأرض هلك الخلق واحتاجوا حاجة ماسة وإلا الهلاك أليس كذلك؟ فعندما يُجذبون ، وعندما يُنحلون، وعندما تخشع الأرض وتموت وتهلك ويصبح الناس ويصبح تشوفهم، ويصبح تشوفهم وتشوقهم واضطرارهم إلى الغيث بالدرجة ال عالية. فلما تهب عليهم الريح المبشرة كم سيحدث ذلك في نفوسهم من الأمل والرجاء الطمع، ثم يأتي الغيث على أحسن ما كانوا وعلى أشد ما كانوا حاجة وضرورة.

فالقُرآن غيث، والدّين كله غيث، والرسالة غيث جاء للأمم وللخلق في وقت ازداد جاهلية . وقد تحدثنا عن أوضاع العالم لما تحدثنا عن حديث عائشة في بدء الوحي. كيف كان حال الخلق قبل أن يبعث من الضياع، والجاهلية، والفساد، وفساد ذات البين، والفساد الخلقي، والمالي، والنظام الطبقي، فساد من كل جهة فأصبح الناس في غاية الاضطرار إلى منقذ، والاشتياق إلى مخلص يستخرجهم، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم هو كالريح يبشرهم انتبهتهم وللا لا؟ دين إنقاذ نزلت عليه الرسالة والقُرآن. والدين هو الغيث، هو النجاة، من جاء بها وبشر بها وبلغها؟

الريح المرسله هذه التي أحيا الله بها القلوب وأعاد لها الأمل بعد أن كادت أن بل أصبحت بالفعل في حكم الموات ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾⁽²⁾ بالريح المرسله صلى الله عليه وسلم وكان له نوراً بالغيث المنزل القرآن والإيمان ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾⁽³⁾ ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكَبِّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾⁽⁴⁾ .

هذا وجه التشبيه مهم جداً، لما شبهه بالريح المرسله لجامع شدة الاضطرار والحاجة. فدور النبي صلى الله عليه وسلم كالريح التي تحيي القلوب وتبشرها بالغيث . فلغيث هو ذات الرسالة، ذات الديانة ما

(1) يونس: 2.

(2) الأنعام: 122.

(3) الأنعام: 122.

(4) الملك: 22.

أنزله الله من النور قال الله جل وعلا : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾⁽¹⁾ شوف هناك سماه روح، (روحاً) الروح هي أصل هي مادة الحياة هذه الجثة هذه مجرد بناء فقط، إذا سُلبت الروح انهدم البناء، صار قطعة لحم تعفن بعد ثلاثة أيام صح وللا لا؟ فالروح هي الحياة حقيقة.

شوف لما سمى الوحي ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا﴾ فسمى وحيه من القرآن والعلم والسنة والدين ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا﴾⁽²⁾ هناك روح وهنا ﴿نُورًا نُّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾⁽³⁾ ثم بين دور الرسول فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ أنت الريح المرسله المبشرة ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾.⁽⁴⁾

إذن هذا الوصف له دلالة وله موقعه وله تأثيره عندما قال ابن عباس: **﴿فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَجُودُ بِالْخَيْرِ﴾** كلمة الخير كلمة جامعة تشمل الخير الأعظم وهو الرسالة والبلاغة والإنقاذ الذي أنقذه الله للخلق على يده صلى الله عليه وسلم، وفهم الخير بأنه الجود والبذل والعطاء والإنفاق وكان في ذلك مضرب المثل كما ضربنا نماذج.

﴿مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ﴾ المرسله بالبشرى والمرسله المؤذنة بقرب الغيث ونزوله وهطوله التي به يحيى الخلق جميعاً.

الحديث فيه فوائد وهي ظاهرة، يعني ذكر ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم من سماحة النفس والجود العظيم الذي ضرب فيه أعظم مقام عليه الصلاة والسلام وكذلك أتباعه. وقد مهدت لكم بالكلام عن الأنصار رضي الله عنهم وعموم أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام. ولذلك وبناءً على هذه الفائدة نضيف ما يلي وتأمل هذا:

الشرع الحنيف يعطي على العمل الذي يتعدى نفعه إلى الغير ما لا يعطيه على العمل الصالح الذي لا يستفيد به إلا أنت. يعني الشرع يثمن العمل الصالح الذي يتعدى نفعه إلى الغير أكثر مما يثمن العمل الصالح الذي لا يستفيد منه إلا العامل فقط. انتبهتوا وللا لا؟

(1) الشورى: 52.

(2) الشورى: 52.

(3) الشورى: 52.

(4) الشورى: 53.

لما يقول أبو هريرة رضي الله عنه شوف الذين فهموا القضية يقول: (لأن أمشي مع أخي في حاجته حتى تقضى له) يعني أشفع له بجاهي مثلاً، أشفع له قد يكون إنسان ضعيف لا يتكلم فأساعده يعني أدله على بعض الأمور التي تخفى عليه، بعض الناس بسيط لا يستطيع، فأنا أقف معه وأدعمه وأنقص ساعتين أو ثلاث ساعات من وقتي حتى تقضى حاجته.

(لأن أمشي مع أخي في حاجته حتى تقضى أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد _ مسجد النبي صلى الله عليه وسلم _ شهراً) شوف اعتكاف شهر كامل في المسجد النبوي عمل ضخيم وللا لا؟ معتكف يعني منقطع تماماً، الاعتكاف هو لزوم المسجد للعبادة كما تعرفون، ما فيه إلا صلاة وتلاوة قرآن وذكر لله، وشهر كامل في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم . ساعتين ينفقها من وقته يمشي مع أخيه يساعده يؤنسه يكفله حتى تقضى أحب إلى الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه من الاعتكاف في المسجد النبوي شهراً. ليه؟ من أين جايها أبو هريرة؟ مما فقهه وعرفه من شرعه أن الشرع يعطي على العمل الذي يتعدى نفعه ما لا يعطيه على العمل الذي لا يستفيد منه إلا ذات الشخص.

الآن لو سألتك وسألت أي واحد لماذا تصوم رمضان؟ ولماذا تقوم ليل رمضان؟ تقول: لأن النبي

قال: ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ))⁽¹⁾ وللا لا؟ فأنت تنتظر المغفرة تصوم شهر كامل تمسك نفسك من الطعام والماء ومن الشهوات وتقوم في الليل تصلي وكذا، وهدفك أن يغفر الله لك.

اسمع إلى ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم والحديث في صحيح مسلم يقول: ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي

بِطَرِيقٍ))⁽²⁾ أنت تصوم شهر كامل وتقومه وتصلي ما شاء الله من فضله. شوف هذا الرجل ماذا صنع وكيف وصل إلى أمور ما وصلت أنت لها. طبعاً نحن ما نريد أن نخفض من مستوى العبادات، لا لكن نبين كيف أن الشرع يثمن العمل أو بعبارة كما نقول يثمن صناعة المعروف أكثر مما يثمن ويعطي على صلاة نافلة أو شيء من هذا القبيل.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام ((بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ)) يسير في الطريق ماشي في طريقه

((وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ)) شوك، فقال في نفسه، شوف الآن نفسه فيها شغافية فيها رحمة ((وَاللَّهِ لَأُنْحِنَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ)) ربما يمر رجل غافل، يمر رجل في الليل، تمر امرأة، رجل كفيف يؤذيه الشوك وللا لا؟؟ فأماط الأذى عن الطريق وانتبه أماط الأذى يعني يذكرك ((أَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ

(1) صحيح البخاري، رقم: 37، "باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان".

(2) صحيح مسلم، رقم: 1914، 4744.

الطَّرِيقُ (1) وكيف أن أدناها لما تعدى نفعها صارت ربما أحسن حتى من أعلاها في الثمين والثواب والأجر. فنحاه جانباً هذا العمل أي عمل هذا الرجل ضئيل جداً وللا لا؟

من جهة الوقت ما يستغرق ثوان معدودة حتى يميط شوك، ما يروح يجيب شيء ولا ما تحتاج. من جهة الجهد البدني ما انتصب قائماً يصلي ثلاث ساعات حتى تورمت قدماه، لا ما فيه وقت يعني شيء بسيط ولا فيه إنفاق مال، ولا فيه حتى تخطيط مسبق وترتيب. رأى الغصن فنحاه، لكن الثمين كان أضخم بكثير مما تتوقع.

قال: (فنظر الله إليه) هذه واحدة نظر الله إليه هذا أجر ، وما الذي دلنا على أن نظر الله إلى العبد أجر وثواب؛ بل هو من أعظم الأجر والثواب أنه جعله الله من العقوبة إذا كذبوا، قال الله عن بعض من خالفهم **﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾** (2) فعدم نظره معناه عدم رحمته ولا عفوه ولا كرمه ولا جوده، دليل على غضبه عليهم ومقته لهم فما استحقوا نظره. فدلّ على أن نظره إلى عبد من عبادته متضمن لهذه كلها: حبه له، وإكرامه له، وما سيحلب هذا من العفو والرحمة والأجر والثواب.

نظر الله إليه لذلك قول الله تعالى: **﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾** دائماً عدم نظر الله عقبة ضخمة جداً وثبوتها إليه دل على أنها مكرمة ضخمة.

فنظر الله إليه هذه واحدة، (فشكر له) هذه الثانية الله يشكر له. وكلمة شكر له هنا كما نبهنا في أحاديث أخرى ليس معناها فقط ما يتبادر إلى ذهن بعضهم من أن الشكر هو الشاء على معروف يُقدّم، لا الشكر في أصل معناه اللغوي هو النماء والزيادة والتكثير. ولذلك من أسماء الله الشكور ما معنى الشكور في أسماء الله؟ معناه كما قال أهل التفسير أنه يكافئ على العمل بأضخم. يعني الأجر الذي يعطيك الله على عملك أضخم بكثير بكثير من ذات عملك. الحسنة بعشر أمثالها حتى سبعمائة حتى تصير كالجبل العظيم، وقد تصير أعظم من ذلك تمرة تصدق بها تصير مثل جبل أحد. ما فيه مقارنة بين العمل وبين جزائه.

هذا معنى الشكور المكافئ يعطي على العمل أعظم بكثير من.. ولذلك ترى في معنى الشكر النماء والزيادة والتكثير. فشكر له معناه عمله البسيط هذا سيكون ثم ينجح عند الله جل وعلا الذي من أوصافه وأسمائه الشكور تميمين لا حدود له (فغفر له) انتبهت مكانة ضخمة أنت تسعى لها بقيامك وصلاتك وقيام

(1) سنن الترمذي، رقم: 2539.

(2) آل عمران: 77.

ليلك والله أعلم بمن سيصدق وهذا حصلها بماذا؟ بعمل محدود ضئيل بسيط في حجمه لكنه كبير عظيم في تميمه؛ لأنه ناتج عن تجاوز العقبة.

قال في نفسه يعني قال هذا الشوك حتى لا يؤذي المسلمين أماطه مع أنه في الحديث الآخر جعل إماطة الأذى من أقل شعب الإيمان ، يقول صلى الله عليه وسلم: ((صنائع المعروف تقي مصارع **السوء**))⁽¹⁾ وتقي الآفات والهلكات هذا حديث أم سلمة في مسند أحمد وغيره؛ لأنك لما تقدم معروف للغير تزيل عنه كرباً، وتنفس عنه همماً، وتقضي له حاجة، وتسد له فاقة، كل هذه ستعامل بها من قبل الله عز وجل.

((مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ))⁽²⁾
 ((مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً))⁽³⁾ الرجل هذا الحديث في صحيح البخاري قال: ((كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ)) يسلف الناس أموال ثم يقول لغلمانه انظروا: ((إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً فَتَجَاوَزْ عَنْهُ)) يعني خففوا عنه مثلاً عليه دين خمس آلاف يعني خلوها أسقطوا عنه حتى يسد من باب التجاوز ((ضعوا عنه)) وفي رواية: ((فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزَ عَنْكَ))⁽⁴⁾ هذه العمل الصحيح ((فقال الله جل وعلا: نحن أولى)) أو قال: ((نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ))⁽⁵⁾ وفي بعض الألفاظ: ((لم يعمل خيراً قط)) هذا يعني عمل الصالح الآخر مثلاً لكن جاءت هذه وخرجته من أعظم ضيق ربما يذهب فيها لما كان يتجاوز عن الناس ويخفف عنهم، ويخفف عنهم قال الله جل وعلا: نحن أحق أن نتجاوز عنه ونخفف عنه فغفر له. لماذا؟ بعد أن كاد يهلك ((صنائع المعروف تقي مصارع **السوء**)) والبر لا يبلى عند الله جل وعلا، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة عند الله جلّ وعلا.

عبد الله ابن المبارك وهذه نسيت أذكرها لما ذكرت ترجمته في الدرس السابق أيضاً له قصة في هذا المعنى وبها يعني نذكر الفوائد، الفائدة الثانية...

(1) البيهقي في شعب الإيمان (6/255 ، رقم 8061).

(2) سنن ابن ماجه، رقم: 221، "باب فضل العلماء والحث على طلب العلم".

(3) صحيح مسلم، رقم: 5328.

(4) البيهقي في سننه الكبرى ج5/ص356 ح10755.

(5) أخرجه: مسلم 33/5 (1561) (30).

ابن المبارك هذا الرجل الصالح خرج سنة من السنين قاصداً الحج من بلاده بلاد مرو هناك يحج هو ورفيق له وقد أعد نفقة فنزل في قرية في أثناء الطريق للاستراحة فجلس في طرف من أطرافها يتناول طعامه هو ورفيقه قاصدين مكة للحج.

رحلة طويلة تحتاج ونفقة كثيرة، فرأى جارية أي فتاة صغيرة تبحث في سباطة قوم سباطة يعني مجمع النفايات أو تقلب تبحث فاستدعاها فأنته قال: ماذا تصنعين؟ قالت: أبحث عن شيء آكله أنا وإخوتي. سأل عن حالها يتيمة هي وأخواتها فقراء جداً تبحث في مجامع النفايات لعلها تجد شيئاً تأكله وإخوتها. الآن ابن المبارك ذاهب للحج والحج تعرف يعني من حج هذا البيت ولم يرفث عمل ضخم وللا لا؟ فالتفت إلى رفيقه فقال كم معنا من النفقة؟ قال: كذا كذا، ذكر الرقم بالآلاف ثلاث آلاف أو أربعة آلاف دينار قال: فأخذها جميعها فدفعتها لها وقال: سددي حاجتك أنت وإخواتك .

ثم لما انصرف قال لرفيقه لنعد خلاص هذه السنة ما فيه حج ، ثم قال لرفيقه وهو مو متأسف الآن ولا متندم ولا قال.. قال: هذا خير من حجنا هذا العام. يعني هذا العمل الذي سدّينا به فاقة هذه الأسرة ويعتبر من التوفيق أن هداك الله لهم هم لا طاقة لهم. هذا العمل عند ابن المبارك التابعي الجليل هذا ومن أتباع التابعين بالأصح الجليل العالم الذي عرف، هذا العمل يراه يحتسبه أعظم وأفضل من حجه مع أن الحج تعرف أجره وثوابه العظيم. هذا أحسن من الحج هذا العام وهكذا. إذن الجود هذا لا ننظر إليه بهذه الطريقة، ننظر له على أنه عقبة النفوس لا بد أن تزول. اعلم أن الشرع الحنيف يعطي على العمل الذي يتعدى نفعه ما لا يعطيه على غيره.

الفائدة الثانية: طبعاً شرف الزمان مما يزيد النفس إشراقاً وأنساً وسماحة وبراً، وهذا أمر معهود. شهر رمضان لما كان من مقام عظيم لتشريف الله وتكريمه ، كانت النفوس فيه أصفى وأقوى وأقرب للمعروف والخير منها إلى غيرها. وهذا أمر يُحمد ومن من لم تجد نفسه يعني يتجاوز شيء من العقبة التي في نفسه في رمضان، هذا ما راح يزيلها طبعاً في غيره وإلا القاعدة العامة طبعاً المؤمن يكون دائماً على سماحة (كان أجود الناس)، لكن شرف الزمان مما يزيد إن شاء الله تعالى النفس إشراقاً.

أيضاً لقي الأختار والصالحين لها تأثيرها. (حين يلقاه جبريل) الجلوس إلى العلماء والجلوس إلى الفضلاء الذين يتخيرون أطايب الكلام كما يتخير أحدكم أطايب الثمار. يقول عمر ابن الخطاب: "لولا ثلاث ما طابت الحياة: ضمناً المواجهر" وهو الصيام وقت الحر ويسمى المواجهر يعتبرها من طيب الحياة؛ لأن من نكد الحياة عند أمثالنا ضمناً المواجهر. "من طيب الحياة ضمناً المواجهر، وسهر الليالي" أو مكابدة الليالي،

القيام يعني وهذه وحدة ثانية "والجلوس إلى أقوام يتخبرون أطايب الكلام" ما يتكلم الكلمة ولا... لا، يتخبر كلامه كما تتخبرون أطايب الثمار.

الإنسان وقته ما هو أهبة يجلس مع كل من هب ودب ممن يفسدون عليه دينه وخلقه ويجرونه إلى الرذيلة. لا، حين يلقاه جبريل إذن أشرفت النفس بلقيا جبريل. وجبريل مادة الخير عليه الصلاة والسلام. المادة تأتي بالخير بما يريد الله.

فالجلوس إلى مواد الخير من أهل العلم والجلود والفضل مما يؤكد ويجعل النفس تتجاوز وتقتحم العقبات التي فيها من شهوات وشبهات وأمراض. أما الجلوس إلى مادة الشر من أهل الشيطان وأهل الفساد فهذا مما يزيد النفس ظلمة وقبحاً ولؤماً وخسة وضيقاً....والخ. حين يلقاه جبريل.

من الفوائد أيضاً أن القرآن الكريم مادة خير حقيقية فعلاً ، فمدارسته وتلاوته مما يكون تأثيره على النفوس عجبياً. وهذا اعتبره بعض العلماء من إعجاز القرآن. لذلك عدّه ابن تيمية رحمه الله لما تكلم عن إعجاز القرآن، ابن تيمية لما ذكر دلائل النبوة ذكرت لكم هذا مرة قسمها ستة أقسام منها دلائل الأحوال والصفات، ذكر منها للقرآن دلالة خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم.

دلائل القرآن دلالاته كثيرة على النبوة. الدلالة الإعجازية واضحة معجز في ألفاظه متحدى به العرب وغير العرب ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾⁽¹⁾ أعلن التحدي وأعلن النتيجة، ومع ذلك ما أحد استطاع ولا أحد يستطيع ﴿لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾⁽²⁾ هذا يدل على أنه بالفعل من عند الله جل وعلا وإلا لو كان كلام بشر لاستطاع البشر من جنسه ويتحدثون بلسانه أن يقولوا مثله أو شيئاً من مثله أو سورة من مثله. معنى ذلك عجزوا وهم أحرص الناس على إبطال دلالاته. ذكر النبي صلى الله عليه وسلم إعجازات القرآن وإعجاز تأثيره في النفوس، هذه مهمة جداً. أي كلام خطير بليغ إذا أثر فيك، يكون تأثيره وإن أثر يؤثر لكن محدود ومرة مرتين يبدأ يفقد تأثيره عليك.

وقلت لكم مرة لو قرأت قصيدة جميلة فأعجبتك وراقت لك وأثرت فيك اقرأها مرة ثانية تجد أن نصف الإعجاب السابق بدأ ينزل، مرة ثالثة مرة رابعة ما عاد إعجاب مللت منها وهي في البداية هزت مشاعرك. ولكن هذا قرآن عجيب فعلاً لا يخلق عن كثرة الرد، غظاً طرياً كأنما أنزل الساعة، تأثيره على

(1) الإسراء: 88.

(2) البقرة: 24.

النفوس عجيب. انتبهتوا وللا لا؟ ولذلك وهذا النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي ينزل عليه القرآن والقرآن في خاطره وقلبه، لما يدارسه جبريل تشرق نفسه هذه الإشارة هذه.

وكان يجب أن يسمعه من غيره كما دل عليه حديث ابن مسعود لما قال له اقرأ علي القرآن، قال أقرأه عليك وعليك أنزل؟ هذا كلام لابن مسعود له مغزى يعني أنت أنت الذي أنزل عليك القرآن فقراءتي ما دورها؟ هو يظن ابن مسعود أن قراءتي عليك لن تؤثر فيك. إذا أنا جيتك بمعلومة أنت تعرفها فكل معلوماتي ما عاد له قيمة صح وللا لا؟ أنت حفظت القرآن وأنت صاحب القرآن فقراءتي عليك ما دورها إذن قال: **((إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي))**⁽¹⁾ فتلا عليه حتى وصل الآية التي في سورة النساء ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾⁽²⁾ فذرفت عيناه شوف هذا التأثير العظيم على قلبه صلى الله عليه وسلم. فالقرآن تأثيره في النفوس من دلائل إعجازه، وهذا يدل على ذلك.

مدارسة القرآن مع جبريل، جعلت جوده عليه الصلاة والسلام أو هي التي رفعت مستوى جوده بلا حدود لا غاية لها صلى الله عليه وسلم.

هذا ممكن تستفيد منه أيضاً مع القرآن كل مادة خير من علم نافع يستفيدها المؤمن بها تزكو نفسه وبها تشرق، وهذه أثر العلم. علم الكتاب، علم السنة، علم الهدي النبوي علم تأثيره على النفوس؛ لأنه علم يأخذه كمعلومة ما يثبت.

العلم الشرعي بالذات أنه مادة للخير ما جاء مادة للثقافة انتبهتوا وللا لا؟ مادة للثقافة مثل كتاب لأي أحد تقرأه في التاريخ تقرأ عن أمة عاشت قبل آلاف السنين، السياحة الذهنية معلومة تاريخية صح وللا لا؟

أما التأثير النفسي وهذا أنت ربما في معزل عن هذا. لا يجوز أن يكون تلقي علم القرآن وعلم السنة من هذا الباب. لا، يتلقى على أنه دواء وعلاج ومادة خير تزكو بها النفوس وتأنس وتشرق ويكون من آثارها الجود والسماحة وبذل الخير والعطاء، وإلا نكون عن العلم الشرعي بمعزل.

أما إذا تلقيناه على أنه معلومات شرعية فقط أو محفوظات يتحفظها والقلوب والنفوس على حالها، هذه مصيبة كبيرة. لذلك كان السلف عليهم رحمة الله يعتبرون من صور النفاق الفرق بين القول والعمل. القول ما شاء الله والعمل يعني لا ما يصلح هذا يجب أن يعالج هذا الفرق وعلاجه هو أن يقوم بهذا العلم

(1) صحيح مسلم، رقم: 1333، "باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر".

(2) النساء: 41.

من القرآن والحديث بالسنة بالهدي النبوي تأثيره على النفوس، فتبدأ تتدفق منها تيار كامل من الجود والمعروف والخير والسماحة والصفح، ثم معاني الخير كلها التي كان عليها أصلاً فعلاً وقولاً وعملاً وحالاً سيدنا ورسولنا عليه الصلاة والسلام والجيل الأول من أصحابه من المهاجرين والأنصار ومن سار على نهجهم وسلك سبيلهم وطرق طريقهم.

هذه بعض الفوائد التي تؤخذ من هذا الحديث الجليل العظيم. وبقي معنا حقيقة الحديث الأخير السابع في كتاب بدء الوحي، لكنه حديث فيه طول ولذلك نجزئه وهو حديث ابن عباس في قصة أبي سفيان مع هرقل.

حديث عظيم ويستغرق شرحه معنا من الآن إن شاء الله أسبوعين ثلاثة أربعة؛ لأن فيه حديث عن دلائل النبوة، وفيه حديث عن عالمية الرسالة، وفيه أشياء كبيرة جداً مهمة جداً، ما يمكن نتجاوزها أبداً. واعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث بنى عليه كتاب "الجواب الصحيح" هذا الحديث فيه دلالة كثيرة سيأتي ذكرها، ولا نريد أن نأخذ منه جزء ثم نقطع ونكمل، ولكن نأخذ الحديث كاملاً وبناءً عليه نوقف الدرس ابتداءً من هذا اليوم على أن نأخذ الدرس بعد رمضان إن شاء الله، ونستأنف درسنا إن شاء الله تعالى بعد أيام العيد في أول يوم اثنين الموافق 16 تقريباً يوم 10/16 وهو يوم الاثنين على عادتنا بعد صلاة المغرب نصلي المغرب ونأخذ درسنا إن شاء الله تعالى ونختم كتاب بدء الوحي وندخل في كتب أخرى.

أسأل الله أن يجعل ما نقول ونسمع حجة لنا، وأن ينفعنا به، ونسأله أن يزيدنا وإياكم بعلمه وأن ينفعنا بما نتعلم وأن يرزقنا علماً.

اللهم إنا نعوذ بك من قلوب لا تخشع، ومن نفوس لا تشبع، ومن علم لا ينفع، ومن دعاء لا يسمع. اللهم إنا نعوذ بك من هؤلاء الأربعة ونسأل الله أن يتقبل منا ومنكم وأن يفرج عنا وعنكم وعن المسلمين في كل مكان كل هم وكرب وأن يزيدنا وإياكم بصيرة وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم علي ا لنبى الأمين محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الدرس التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله ونشكره ونستعينه ونستغفره ونسأله المزيد من فضله نشكره ولا نكفره ونخلع ونترك من يهجره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، فتح الله به أعيناً عمياً وآذاناً صماً وقلوباً غلفاً حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

نستأنف درسنا في الجامع الصحيح للإمام البخاري عليه رحمة الله وقد انتهى بنا الحديث عند الحديث الأخير السابع والأخير من أحاديث أول كتب الجامع الصحيح وهو: "كتاب بدء الوحي"، وهو الحديث الطويل لقصة أبي سفيان ابن حرب مع هرقل ملك وعظيم الروم، فنقرأ الحديث وهو حديث طويل وقد نحتاج في دراسته إلى وقت لتضمنه معاني كثيرة ومتنوعة ومتعددة نقرأه، ثم ننظر ما فيه بحول الله وتوفيقه.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين.
قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى:

((حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ فَرِيشٍ وَكَانُوا تُجَارًا بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ فَرِيشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ...)).

__ مداخلة فضيلة الشيخ: "ماد" ما تقرأ بالتونين، قرأت "مادًا"، "ماد" فيها" لا تنونها.

((... فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادًّا فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ فَرِيشٍ فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا فَقَالَ أَذْنُوهُ مِنِّي وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَأَلْتُ هَذَا الرَّجُلَ فَإِنْ كَذَّبَنِي فَكَذِّبُوهُ فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ كَيْفَ نَسَبُهُ فَيُكْمُ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ لَا قَالَ فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعْفَاؤُهُمْ فَقُلْتُ بَلْ ضَعْفَاؤُهُمْ قَالَ أَيَرِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ قُلْتُ بَلْ يَرِيدُونَ قَالَ فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا...))

__ مداخلة فضيلة الشيخ: "يغدر" اكسر الدال: يَغْدِرُ".

((... قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا قَالَ وَلَمْ تُمَكِّنِي كَلِمَةً
أَدْخُلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالِكُمْ إِيَّاهُ قُلْتُ
الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سَجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا
تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرَكُوا مَا كَانَ يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ وَالصَّلَاةِ...))

_ مداخلة فضيلة الشيخ: ما فيه "كان"، "واتركوا ما يقول آبائكم".

وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَسَأَلْتُ لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ
سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلِ
قَيْلٍ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ
رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ
أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكُذِبَ عَلَى النَّاسِ...

_ مداخلة فضيلة الشيخ: الكذب، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ...

فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكُذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافَ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ
ضِعْفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضِعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَرِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ
يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخِطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ
لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بِشَاشَتِهِ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا
تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ
الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ وَقَدْ
كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ
عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دَحِيَّةَ إِلَى
عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلٍ فَفَرَّاهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدُعَاءِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَ تَسْلِمَ
يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ وَ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَعَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتِ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمَرَ ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ وَهَرَقْلُ سُقْفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ يُحَدِّثُ أَنَّ هَرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِبِلِيَاءَ أَصْبَحَ يَوْمًا حَيْثُ النَّفْسِ فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ وَكَانَ هَرَقْلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَسِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يَخْتَسِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يَهْمَنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أَتَى هَرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هَرَقْلُ قَالَ أَذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْخَسِنٌ هُوَ أَمْ لَا فَانظُرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَسِنٌ وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَسِنُونَ فَقَالَ هَرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ ثُمَّ كَتَبَ هَرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةَ وَكَانَ نَظِيرُهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هَرَقْلُ إِلَى حِمَصَ فَلَمَ يَرِمُ حِمَصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هَرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هَرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ لَهُ بِحِمَصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَعُلِّقَتْ ثُمَّ أَطْلَعَ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ عُلِّقَتْ فَلَمَّا رَأَى هَرَقْلُ نَفَرَتَهُمْ وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالِي أَنفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتْكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هَرَقْلَ
رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ وَبُونُسُ وَمَعْمَرٌ عَنِ الرَّهْرِيِّ))

طيب، نرجع إلى أصل الحديث. قول الإمام عليه رحمة الله: (حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ) مرر معنا وهو الحكم ابن نافع ابن حمص البهراني، مولى امرأة من بهراء يقال لها أم سلمة ولد سنة 132 وتوفي 222. قال الحافظ: أجمعوا هذا على توثيقه. وماذا أيضاً؟

(قَالَ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ) شعيب ابن أبي حمزة الحمصي، هو ابن أبي حمزة الحمصي. من لطائف ما يتعلق بشعيب أن ليس في الكتب الستة من يحمل هذا الاسم غيره "شعيب ابن أبي حمزة" حيث ما يرد معك في الكتب ستة من اسمه شعيب ابن أبي حمزة فهو هذا الحمصي.
أيضاً له رواية عنه في الصحيح عن الحاكم ابن نافع، حيث يرد أبو اليمان عن شعيب فهما هذين الاثنين متلازمان في الصحيح كله.

أيضاً شعيب لا يحدث إلا من كتابه، لا يحدث من حفظه أبداً. ولذلك أثنا عليه؛ لأن الكتاب أفضل. مهما كان الإنسان حافظاً ومنتقناً قد يهم، وقد ينسى، وقد يطرقه شيء من الوهم، لكن إذا كان لا يحدث إلا من نسخته التي كتبها وضبطها وسمّعها على شيوخه، فهذا أتقن وأضبط. ولذلك شعيب مما أثنا عليه به أنه لا يحدث إلا من كتابه.

_ قال عنه الإمام أحمد: أصح الناس كتاباً

_ قال يحيى ابن معين: "كان لا يحدث إلا من كتابه ما أوثقه"، يعني ما أوثق كتابه، يثني على الكتاب. فبالتالي تحديثه من كتابه أعطاه هذه الهزة أنه لا يكاد يتطرق خلل أو وهم إلى روايته؛ لأنه لا يعتمد على حفظه؛ وإنما يروي من نسخته المضبوطة المتقنة. توفي شعيب ابن أبي حمزة الحمصي ثلاثمائة وثلاث وستين.

(عَنْ الزُّهْرِيِّ) الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

(قَالَ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ) أيضاً مرّ معنا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود.

(أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ) صحابي أيضاً مر معنا.

(أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ) أبو سفيان هذا كنيته واسمه: صخر ابن حرب ابن أمية ابن عبد شمس

ابن عبد مناف، وهو من بني أمية واسمه صخر أبو سفيان، صحابي مشهور أسلم عام الفتح وقيل قبله. وأسلم أهل بيته تقريباً جميعهم قبله. أحد أبنائه وهو يزيد ابن أبي سفيان من السابقين الأولين، يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه أسلم قبل الهجرة، هو من السابقين الأولين.

ومعاوية ابن أبي سفيان مشهور، أيضاً أسلم قبل عام الفتح وقيل قبله وهو الخليفة المشهور. وابنته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان أيضاً صحابية جليلة أسلمت قديماً، وهذا في الهجرة الأولى مع زوجها الأول عبيد الله ابن جحش ابن رثاب الأسدي إلى الحبشة وارتد زوجها عبيد الله ابن جحش وتنصّر في الحبشة، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، أي تزوج أم حبيبة وأصبحت أيضاً من أمهات المؤمنين، وأسلم بعد ذلك وتأخر عنهم جميعاً أبوهم أبو سفيان، أسلم عام الفتح كما تعرفون يعني في قصته وخبره لما غزى النبي صلى الله عليه وسلم مكة. أبو سفيان صخر ابن حرب ابن أمية ابن عبد شمس.

(أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَخْبَرَهُ) أي أبا سفيان أخبر عبد الله ابن عباس وهو رواية صحابي عن

صحابي. ماذا أخبره؟

(أَنَّ هِرْقَلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ) كان أبو سفيان مع ركب من قريش في الشام للتجارة. وكان هذا، هذه القصة جرت سنة يعني بعد _ كما سنقرأ _ أن عاهد النبي صلى الله عليه وسلم قريشاً أو صالحهم الصلح المشهور المعروف بصلح الحديبية ووضعت الحرب أوزارها بين الطرفين، فعادت قريش إلى رحلتها السابقة رحلة الشتاء والصيف إلى اليمن والشام، فوافق كتاب النبي عليه الصلاة والسلام لهرقل وجود هرقل في الشام في قصة سنذكرها ووجود أبو سفيان أيضاً، وجود أبو سفيان في الشام، فجرت له مع هرقل هذه القصة.

(أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَكَانُوا تِجَارًا) كلمة (تجار) ضبطوها بضبطين:

● إما بالتشديد "تِجَارًا".

● أو بالتخفيف "تِجَارًا".

"تِجَارًا" و "تِجَارًا" بمعنى واحد أي خرجوا للشام بقصد التجارة والبضاعة والبيع والشراء.

(بِالشَّامِ فِي الْمُدَّةِ) يعني عين لنا المكان وعين لنا الوقت والزمان. المكان هو بلاد الشام وكانت بلاد الشام قبل الفتح الإسلامي تخضع للنفوذ البيزنطي الرومي الروماني من النصارى والروم، وكانوا مناطق النفوذ في العالم في ذلك الوقت تسيطر عليها إما القوة الغربية التي تمثلها الدولة الرومية، مركزها في رومية كما سنقرأ أيضاً، ممتدة نفوذها حتى شمال بلاد الشام؛ لأن فيها أراضي مقدسة بالنسبة للنصارى كما سنقرأ أيضاً، فلسطين وما حولها مهد المسيح عليه الصلاة والسلام.

وأيضاً شمال الجزيرة العربية. ولذلك كثير من القبائل شمال الجزيرة تنصرت في أيام الجاهلية اعتنقت الدين النصراني، وهي أصلاً خضعت للنفوذ الرومي. كان نفوذ سياسي يعني والنفوذ السياسي يتبعه طبعاً نفوذ ديني واقتصادي.... وإلخ.

ولذلك تنصروا مثل قبائل براء وتنوخ وغسان كما سنقرأ ملك غسان، ونخل، وجوزان، وثلج، هذه قبائل عربية لكنها تنصرت ومنهم من بقي نصرانياً من هذه القبائل حتى بعد ظهور الإسلام وانتشاره مثل: ثعلب، ونخل، وتنوخ ظلوا على حالهم. ولذلك فرض عليهم الصحابة الجزية.

اختلفوا الصحابة أيام عمر رضي الله عنه ماذا سيصير مع نصارى ثعلب وما سيصير بنصاري نخل وتنوخ وغسان. هم عرب باعتبار النسب ونصاري باعتبار الديانة، وخضعوا للمملكة الإسلامية. هل تجرى عليهم سنة العرب والوثنيين إذا قاتل المسلمون، النصارى لا يقتلون؟ أو تجرى عليهم سنة دينهم وهي ملة أهل الكتاب الذين أرادوا أن يبقوا على دينهم وتطبق عليهم أحكام أهل الذمة بدفع الجزية....

فاتفق رأيهم رضي الله عنهم الصحابة جميعاً وعمر على أن يسنوا بهم سنة أهل الكتاب، وطلبوا الجزية على نصارى تغلب ونصارى نخل، وجازان الذين كانوا يسكنون في أواسط تغلب، تسكن في وسط تقريباً الجزيرة يعني في حدود المدينة في بلاد البلقان بلاد الأردن، ونخل وجزان وغسان هذه في شمال الجزيرة العربية جهة تبوك ودومة الجندل، تسمى اليوم "الجوف" وما حولها إلى داخل بلاد الشام.

والنفوذ الآخر الذي هو الجنوب تسيطر عليه ملّة الشرقية الذي تمثله الدولة الفارسية، والفرس كانوا مجوس يعبدون النار يعني حكمهم حكم الوثنيين في الديانة، ليسوا بأهل الكتاب، ولا يُعرف لهم ديانة سماوية ولا كتابية، لكن كان لهم قوة وكانوا ينافسون الدولة الرومية في توزع وتقاسم مناطق النفوذ، فسيطروا طبعاً على بلاد فارس اللي هي إيران والعراق وجنوب الجزيرة أي بلاد اليمن.

بلاد اليمن كانت تخضع لنفوذ المملكة الفارسية في القصة المشهورة لما استنجد بهم، استنجد بالفرس القائد العربي اليمني القاسم سيف بن ذي يزن لما غزى الحبشة غزى اليمن. الحبشة يفصلها عن اليمن بحر ضيق كما تعرفون فغزوا، الأحباش غزوا اليمن لخصوبة أرضها وطيب يعني ما فيها غزوها، فاضطر سيف بن ذي يزن القحطاني هذا العربي أن يستنجد بقوة الفرس ليخرج ويطردهم الأحباش، الأحباش من اليمن فأعانوه بجنود ومقاتلين فأجلى الحبشة عن بلاد اليمن.

ومادام هم اللي تدخلوا لإعاقته بالقوة، سيكون لهم طبعاً كلمة الفصل في حكمهم وعرف بالتالي بحكم الأبناء. مشهور حكم الأبناء يعني هم مع الوقت نتوجوا في بلاد اليمن وأصبح أبناؤهم وأبناء أبنائهم هم الملوك والحكام في بلادهم حتى أسلموا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

هذا في بلاد الشام لماذا هي موضع هذه القصة؟ ولماذا هرقل ملك الروم اهتم بها؟ لأنها أولاً من ضمن مملكة الروم، ثانياً هي أرض مقدسة إن صحت العبارة لما فيها من مناطق المسيح والكنائس القديمة التي يعظمها النصارى مثل بيت لحم، والناصرية والمناطق التي لا يزال النصارى يقدسونها وكان بها مواطن السيد المسيح عليه الصلاة والسلام.

(في المدة) المقر هو الشام والزمان هو المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها أبا سفيان وكفار قريش. المدة يعني المدة التي صالحهم فيها على ألا يتحاربوا في صلح الحديبية المشهور المعروف لما أراد النبي صلى الله عليه وأصحابه أن يأتوا إلى مكة لأجل العمرة، فأتوا محرمين معتمرين وساقوا معهم البُدن ولم يأتوا غزاة ولم يحاربوهم؛ إنما جاؤوا عُماراً وهم يريدون البيت يحرمون ومعهم البُدن، فمنعتهم قريش

وعسكر النبي في الوعد المشهور وعد الحديبية، وجرت بينه وبين قريش المفاوضات المشهورة وانتهت يعني بالصلح المشهور المعروف بصلح الحديبية.

وكان من ضمن حيثياتها أن تضع الحرب أوزارها بين الطرفين مدة عشر من السنين، عشر سنوات، وأن يرجع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعتمر هذا العام ويعود يعتمر العام القادم، الشروط المعروفة وليس الآن الحديث عن صلح الحديبية.

فهذه المدة لما أمنت قريش واطمأنت، خرجت بالتجارة فخرج أبو سفيان ومعه مجموعة إلى بلاد الشام، فجرت له هذه القصة مع أبي سفيان.

والنبي صلى الله عليه وسلم وقريش استغلت هذه الفترة أو هذه الهدنة في التجارة والمكاسب والنبي صلى الله عليه وسلم استفاد منها في تبليغ رسالته إلى العالمين؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ما بُعث لأبي سفيان وحده، ولا لقريش، ولا للعرب؛ إنما بعث للعالمين أجمعين، ولكن ظروف الحرب بينه وبين قومه وبين العرب. من غير المعقول أن ينقل الدعوة إلى خارج حدود هذه الجزيرة وقومه وهو لم يحسم الأمر بعد مع قومه. ولكن لما وضعت الحرب أوزارها وكان من فوائد هذا الصلح أن وجد النبي صلى الله عليه وسلم فرصة ووقتاً إلى أن يعمم دعوته عليه الصلاة والسلام، ويرسل بها إلى خارج هذه حدود الجزيرة، وخصوصاً وكما هو معلوم وهو الصحيح المعتبر عند العلماء أن الله سبحانه وتعالى سمى صلح الحديبية مع أنه في البداية كان الصحابة يرونه غيباً عليهم، وفيه بنود كثيرة تعتبر يعني فيها عون لهم، ولذلك اعترضوا قصة عمر المشهورة الذي قام أمام النبي صلى الله عليه وسلم وقال كلام مشهور، ولما جاء أبو جندل والقصة مشهورة.

فالصحابة يرون، لكن الله أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم في قفلة ورجوعه من صلح الحديبية سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾⁽¹⁾ كلمة فتح هنا تدل على فتح مكة، القول محقق إننا فتحنا فتح الحديبية، كيف يعتبرها القرآن فتحاً وظاهرها الغين؟ لا، فيه مقاصد أخرى فيه مصالح والذي يدبر الأمر هو الذي يعلم الغيب سبحانه وتعالى، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يفعل ذلك مجرد يعني خطة عسكرية، يعني خيولهم هاربة وجنوده مبعثرة ويريد يعني ترتيب أموره الاقتصادية. لا، ما قبل هذه الشروط إلا وهو مأمور بذلك. لذا كان جوابه لعمر: ((إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ))⁽²⁾ لو لم أقبل

(1) الفتح:1.

(2) صحيح البخاري، رقم: 2529، "باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط".

هذه الشروط وأوافق... فهو ينفذ أمر الله، والذي يدبر الأمر حقيقة هو الله سبحانه. ولذا نزل عليه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ ما هذا الفتح؟

فهم النبي صلى الله عليه وسلم وفهم أصحابه أن أمر قريش لميقات محسوب، هذا الفتح هو أشهر معلومة وسيأتي بعده فتح مكة وينتهي الموضوع كاملاً.

بقي الآن أن نفيكر فيما وراءه أرض العرب يعني الأمر حُسم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ فهذا الأمر سهل وما هي مجرد شهور معدودة هذا الذي حصل، يعني ما استمرت قريش على عهدها إلا أشهر معدودة فقط، ثم نقضت لما أعانت حلفاءها من بني بكر في حربهم ضد حلفاء بني خزاعة، القصة المشهورة التي كانت سبب غزو النبي صلى الله عليه وسلم مكة، وانتهى الأمر وقضيت الكفر تماماً من أرض العرب بعد ذلك.

بقي التطلع إلى تبليغ الرسالة. بعثت إلى العرب والعجم وكانت رحمة للعالمين. قريش استغلت الفترة في التجارة والأرباح ورحلة الشتاء والصيف، والمصطفى صلى الله عليه وسلم استغلها واستفاد منها في ماذا؟ في القيام بالخطوة الثانية التبليغية. الرسول أرسل للعالمين أجمعين وهذا التصرف الذي عامل به الرسول صلى الله عليه وسلم تصرف مهم جداً وبدل كما سيأتي في الدرس القادم ببعض الشوائب على ذلك، من اعترافات كثير من غير المسلمين أن الرسول مارس الآن عملياً عالمية رسالته عليه الصلاة والسلام، وأنه أرسل للعالمين وهذا شهادة هرقل الآن مهمة جداً باعتباره مهم في الزعامة السياسية والدينية كذلك.

لما هرقل جمع صفات ثلاث كما سنذكر، فهو من جهة ملك، ملك يعني عنده مصالح سياسية معينة وقومية إن صحت العبارة وله يعني نفوذ... الخ. وأسقفاً؛ ولذلك عنده معلومات قيمة جداً كما سينطق: (هل كان من أبائه ممن يدعون الملك) من أين جاء بها؟ من الدفاتر السياسية، جابها من يعني معلومات كنسية معلومات إنجيلية، معلومات عن صور الأنبياء السابقين. هذه معلومات إن صحت العبارة معلومات دينية ما يعرفها إلا دارس علوم شرعية، علم لاهوتية على عباراتهم، يعني عنده خبرة، عنده معلومات شرعية على شرعيتها، ومعلومات دينية، فهو ليس مجرد أسقف.

الجهة الثالثة: منجماً ينظر في النجوم، يعني يتعاطى علم الكهانة. وعلم الكهانة يلجأ إليه الناس ليحاولوا أن يستشفوا شيئاً من الغيب القادم المجهول. الإنسان عنده تطلع وحب، يريد يعرف ماذا سيسود في الأوقات إذا كان وزير دولة أو ملك أو زعيم أو رئيس أو ما أعرف إيش؟..... إلخ يجب يعرف يعني المستقبل القادم. وهذا لا ينافي إيمانه إذ لا يؤمن بالله وبرسله ما أمامه إلا التنجيم والكهانة والعرافة والطرق

والأشياء هذه التي يحاولون بها محاولات يائسة أن يستشفوا شيئاً. فهو الملك، وجود دولة وجود سياسة. وأسقفاً وجود دين، وجود كنسية، وكاهن منجم ينظر في النجوم. أعطته هذه يعني شخصية تعتبر نوعاً ما يعني فريدة في عالم السياسيين وعالم الملوك و..... الخ.

إذن الوقت هو وقت صلح الحديبية. كما هو معلوم في التاريخ عندنا في السيرة النبوية أن صلح الحديبية جرى في السنة السادسة من الهجرة لذي القعدة، السنة السادسة من الهجرة. وفتح مكة كما هو معلوم كان في رمضان سنة ثمان، كان في رمضان سنة ثمان، فتكون هذه القصة بين هذين بين فضلية في شهر الحج، قريش لا تخرج من مكة وهي في سنة سبع تقريباً من الهجرة جرت هذه القصة بين أبو سفيان ومراسلة النبي صلى الله عليه وسلم ملوك الأرض جميعاً، وليس فقط أرسل النبي إلى هرقل؛ إنما ما ترك صلى الله عليه وسلم في تلك الفترة ملكاً له نفوذ في الأرض إلا وأرسل إليه، وأرسل إلى هرقل وسنعرّف ما الذي جرى له بنص كتابه لهرقل، وما هي التفاعلات التي انبنت على ذلك.

وأرسل إلى ملك القوة الشرقية وهو كسرى أبو شروان، لكنه يعني رغم إمكانياته ما عنده لا معلومات دينية، ولا عنده رسالة ولا كتاب ما يفقه هذا النبي والأنبياء يسمونه جديد عليه، مجوسي يعبد النار يتكلم من منطلق قوة وخطرة وماروك وكذا. ايش عربي بدوي يرسل له ورقة يقول له أسلم تسلم، ايش هذا الكلام، متى كانت هذه؟ أول مرة فمزق الكتاب وألقاه ودعا عليه، وسنذكر هذا إن شاء الله في حينه وسنذكر نص الكتاب.

وأرسل إلى ملك مصر المقوقس. وأيضاً المقوقس باعتباره كاثوليكياً له أيضاً علم يعرف تاريخ الأنبياء ويعني علم مثل هرقل أيضاً عظم الكتاب وأرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً آخر أرسل له هدية هي البغلة "دلّدل" المعروفة التي امتطها النبي صلى الله عليه وسلم والسُرّيّة الجارية مارية التي تشارها النبي صلى الله عليه وسلم واستولدها إبراهيم.

أرسل لأمير البحرين، أرسل إلى... ما ترك رجل له نفوذ وسنذكر في الدرس القادم يعني الكتب التي كتبها العلماء خاصة برسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض، ليش هذا؟ لأنه سينبني عليها مسألة شرعية مهمة جداً سنذكرها إن شاء الله في حينها.

(فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ) طبعاً

هنا فيه تمويه وتخطيط.

أبو سفيان في ذلك الوقت هو رأس قريش وكبيرها؛ بل هو كما تعرفون من بعد بدر كان أبو سفيان هو زعيم قريش. لما قُتل صناديد المشركين في بدر أبو جهل وأبو أمية وأبو الوليد، كلهم انتهوا خلاص في بدر، بقي هذا ما هو مسلم حتى أسلم أدخل الله عليه الإسلام، فذكر بالتخصيص؛ لأنه يمثل الرأس لقومه.

وقوله: **(أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ فَأَتَوْهُ)** يعني لما أرسل له _ أبو سفيان _ أتوه. سنعرف بعد قليل

ليش أبو سفيان أرسل لهؤلاء؟ لأنه جاءه كتاب من النبي عليه الصلاة والسلام لدعوته إلى الإسلام. هذا النبي من بلاد العرب يريد أن يطبق، عنده معلومات عن أحوال الأنبياء، عنده نسخة من كتاب، عنده بشارات سابقة، فيستشير منهم القضية هذه عن أحوال الأنبياء وأخبار النبي القادم المنتظر، فيريد أن يسأل قومه عنه بأسئلة محددة معينة مختارة بعناية ودقة. انتبهتوا وللا لا؟ ليبي عليها تصور معين هل هو النبي الموعود المبشر به الذي بشر به نبيه عيسى ابن مريم، عليه الصلاة والسلام، والبشارات كثيرة سنذكر نماذج منها إن شاء الله في درس قادم والدروس القادمة بإذن الله تعالى، أم لا؟

فطبعاً لابد يسأل قوماً من أهله من قبيلته، أعرف الناس به. من ضمن الأسئلة أسئلة عن ماضيه السابق، وطبعاً قبيلته وعائلته عندهم معلومات قديمة ومعلومات حاضرة، هذه لا يعرفها طبعاً إلا قومه المقربون إليه؛ ولذلك كما سيأتي لما أتوه هذا الوفد قال أيكم أقرب منه؟ أقرب شخص له من جهة النسب، هو سيكون أعرف الناس بدخائله ويعني أحواله.

فسبب دعوته لهم هو أنه يريد أن يسأل أسئلة عن هذا النبي، وسبب هذه الأسئلة أنه جاءه كتاب من النبي عليه الصلاة والسلام يدعوه إلى الإسلام، وهو يريد أن يستفصل ويستفسر من أجل أن يبي حكم وموقف معين.

(فَأَتَوْهُ) طبعاً لابد يأتون في هذا الوقت الذي كان يرأسهم أبو سفيان.

بقي أن نذكر _ سيأتي وقتها _ سبب وجود هرقل في الشام في ذلك الوقت، سنذكره إن شاء الله في حينه.

(فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ) إيلياء ضبطها العلماء بضبطين:

- إما بالتحقيق الهمزة والمد "إيلياء" مثل "صحراء" و"سمراء" وتأخذ أحكامها في الهمز.
- أو بالقصر "إيليا" بدون همز، "إيليا" هكذا.

إذن إيليا هذه هي القدس بيت المقدس وهي طبعاً معظمة ومقدسة عند النصارى في ذلك الوقت. فالقصة جرت في بيت المقدس، وهرقل أتاها حاجاً بسبب معين سنذكره إن شاء الله. **(فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ)** القضية الحدث كبير جداً. الحدث الذي هرقل استدعى هؤلاء العرب فيه كان من الضخامة بمكان، ولذلك حضره عظماء الدولة وعظماء الروم في ذلك الوقت.

هناك نبي قادم، ومُلك قادم سينبني على هذا مُلك الروم وسلطانهم، يعني أصبح على كما يقال يعني على حافة الخطر بالنسبة لهم، ولو عقلوه وعلموا الصلاح فالرشد لهم كما اعترف ملكهم لما قال لهم في نهاية القصة: (هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ) ما فيها ما أرادوا الفلاح والرشد. **(وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ)** الروم... أصح قولين للنسّابين:

أنهم أولاد العيص ابن إسحاق ابن إبراهيم، نسبة إلى العيص ابن إسحاق ابن إبراهيم، فهم أبناء عمومة بني إسرائيل، ليسوا من بني إسرائيل الروم وإن تنصروا. سبب تنصرهم شيء طويل كيف انتقلت النصرانية إلى بلاد أوروبا وكذا، لكن من جهة النسب هم أبناء العيص ابن إسحاق ابن إبراهيم. أما اليهود هم أولاد يعقوب ابن إسحاق، وهم يجتمعون مع الروم في إسحاق. والعرب من إسماعيل ابن إبراهيم، فتلتقي الطوائف الثلاثة في إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

والقول الثاني للنسّابين: أنهم أولاد رومي ابن النبطي ابن يونان، أرجعوه لابن اليونان واليونان من أولاد يافت ليسوا ساميين يعني البشر كلهم ترجع إلى سام ابن نوح، أو حام ابن نوح، أو يافت. — حام يرجع له السودان ويعني شعوب بلاد النوبة ونحوها.

— وسام يرجع له العرب وبني إسرائيل والروم على القول الصحيح. — ويافت يرجع له الأتراك والصينيون والجهات الشرقية، هذه ترجع إلى يافت ابن نوح على نوح الصلاة والسلام.

فهم الروم القول أنهم ساميون من أولاد إسحاق ابن إبراهيم. القول الثاني جعلهم من اليونان. واليونان والجمهورية على الجهة الشرقية على الصحيح وهي الآن كما هو معلوم شعوب ما يسمى ببلاد البلقان وأوروبا الشرقية ليسوا في أسلوبهم غربيين ولا حتى في ديانتهم، ولكن إلى أوروبا الشرقية... يرجعون إلى الروس وإلى الأتراك ما لهم علاقة بالغربيين، فهم لا يرجعون إلى الكنيسة الغربية من جهة الديانة ولا من جهة السامي من جهة النسب.

لكن القول الصحيح الذي حققه ابن حزم في الجمهرة، "جمهرة الأنساب" وكذلك الطبري نص عليه ومهرج السانوسي في الأنساب وغيرهم. أن الروم أولاد العيص ابن إسحاق ابن إبراهيم من سام ليسوا من أولاد يونان ابن يافت.

(وَحَوْلُهُ عُظْمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ) أي دعا هذا الوفد العربي الذي يرأسه أبو سفيان.

(وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ) ترجمان لها أربعة وجوه من الضبط:

- إما بضم الأول والثالث "تُرْجُمَان" تضم الحرف الأول وتضم الحرف الثالث "تُرْجُمَان".
- أو بفتحهما "تَرْجَمَان".
- أو بضم الأول وفتح الثالث "تُرْجَمَان".
- أو العكس "تَرْجُمَان".

ذكرنا ايش؟ بضم الأول والثالث معا، و بفتحهما معا، وبضم الأول وفتح الثالث، أو العكس فتح

الأول وضم الثالث. أربعة وجوه من الضبط في هذه الكلمة، وهي ليست كلمة عربية فأصلها يوناني.

والترجمان من يتلو نقل لغة إلى لغة أخرى، فشرطه الوحيد أن يعرف كلا اللغتين ويؤدي المعنى

المطلوب. الذي يريد أن ينقل اللغة الإنجليزية إلى العربية لابد أن يعرف اللغتين، ويسمى الترجمان؛ ولأن

لسان هرقل لسان سرياني لغة الإنجيل المعتمدة بعد ذلك وأبو سفيان لسانهم عربي، لابد من واسط بينهما

ينقل معاني كلام هذا إلى هذا وينقل معاني كلام هذا إلى هذا.

ترجمان تجمع هذه الكلمة؛ لأنها ليست عربية لا يجمعها جمع مركب سالم "مترجمون" ما تجمع جمع

مذكر سالم وهي تجمع على تراجم، كلمة "تراجم" جمع مكلف ترجمان كما قال المتنبي في بيته المشهور:

بَجَمَعٍ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ...

يقول صاحب لسان

وَأُمَّةٍ....

يعني كل الأمم تجمعت في هذا الجيش. يقصد جيش سيف الدين الذي غزا به القصة المشهور غزى به

الروم.

بَجَمَعٍ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ

فَمَا تُفْهَمُ الْحَدَاثُ إِلَّا التَّرَاجِمُ

حتى يحدث الناس بعضهم لا بد لهم من الترجمة التي يتولاها التراجم ويجمع على التراجم. هذه الكلمة استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة كقوله عليه الصلاة والسلام: **((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيِّكَلُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ))**⁽¹⁾ وكما قال ابن جابر: **((لقد كلم الله أباك كفاحاً بغير ترجمان، فقال عهدك))**⁽²⁾ الحديث المشهور.

وهذه تعتبر ك أصيلة من حيث الكلام العربي وفي القرآن الكريم، وهل فيه كلمات قصدها غير كلام عربي وأصبحت في الاستخدام، فيه كلمات غير موجودة، مثلا في القرآن "قسطاس" و"القرطاس" و"السندس" و"استبرق" والأشياء هذه.

الشافعي رحمه الله يقول يعني في لغة العرب كلمات تستخدم لا بديل لها، ليس لها أصل إلا من كلام عربي ولكن هناك أشياء أشبه بالأعلام والمعارف تسمى الأشياء باسمه انتبهتوا وللا لا؟ واشنطن ما لها اسم غير هذا ك"سندس" و"استبرق" مجرد أسماء أعلام ليست تأصيل لغوي ما فيه كلمة تقوم مقام هذه الكلمة، هذا رأي للشافعي والبحث في هذه المسألة قول يعني مشهور. إذن هذه كلمة ترجمان.

(بترجمانه فَقَالَ) الآن بدأت الأسئلة يعني التي سيسألها أبو سفيان، سيسألها هرقل لأبي سفيان وهي أسئلة في غاية الأهمية وتدل على ما أسسناه قبل قليل أن هرقل لا يسأل من فراغ؛ وإنما كان هرقل ذاته قسيساً، أسقفاً رجل دين وهرقل ذكروا في ترجمته _ وهي من العجائب _ حكم الروم نحو من اثنان وثلاثين سنة.

بُعث النبي عليه الصلاة والسلام وهرقل ملك على الروم وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهرقل ملك على الروم، وهو الذي قاد جيش الروم في غزوة مؤتة ضد الصحابة مشهورة، وهو الذي قاد جيش الروم في اليرموك وهُزم وقال: "وداعاً... القصة".

كل هذا عاشه ملك الروم، عنده معلومات سابقة، وعنده كل الأمور واضحة، ومع ذلك يعني هذا مهم أن القناعة قد تحصل عند الشخص بأمر ما، لكن تأتي اعتبارات أخرى تصدّه عن قبول الحق واتباعه كناحية مثلاً تفويض الملك والسلطان، كان ملك على أمة الروم يعني كيف يطيع ويصبح تابعاً لرجل من العرب، كل هذه أقوت عنده موضعاً فصده عن سبيل الله، وكالحسد عند اليهود مثلاً. فيه أشياء أخرى قد يظن الضان أن كون الإنسان يكفر بالله ويرفضه أو لا يقبل أمر الله أنه غير

(1) صحيح البخاري، رقم: 6889، باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةً﴾.

(2) أخرجه الترمذي (230/5 رقم 3010) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (68/1 رقم 190) وابن أبي عاصم (267/1 رقم

مقتنع به. لا، قد يكون مقتنع والدلائل ظاهرة وقصة هرقل عليها خير مثال، يقود الجيش ليقتني ما اعترف هو بنفسه بأن هذا الملك سيذهب وسيملكون عند قدميه فكيف يقاتلهم هو؟ تعترف بالهزيمة أنت عارف النتيجة، لكنه غامر وجنى على نفسه وخسر الدنيا والآخرة. وسنذكر حاله بالتفصيل وما جرى له، ومراسلات جرت بينه وبين الرسول غير هذه. مراسلات جاءت بين النبي صلى الله عليه وسلم وهرقل غير هذه سنذكرها في حينها إن شاء الله.

أيضاً، طيب فقال: **(فَقَالَ أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ)** ما اكتفى بكونهم من العرب يريد أقرب شخص نسباً منه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه سيسأل أسئلة دقيقة ولا يعرفها إلا ذو قرابة بالنبي صلى الله عليه وسلم. يريد أن يسأل عن تاريخه القديم، وسلسلة آبائه، وأربعون سنة من حياته عاشها بينهم... فهم لا يعرفون مثلاً النبي صلى الله عليه وسلم كما ينبغي أو كانوا بعيدين عنه في النسب، يريد أقرب شخص.

فكان أن وافق أن أقرب ذلك الوقت نسباً من النبي صلى الله عليه وسلم هو أبو سفيان نفسه؛ لأن أبو سفيان من عبد شمس وعبد الدار وعبد مناف إخوة، أولاد قصي فهم يعني يجتمعون في قصي قرييين جداً؛ ولذلك لما النبي صلى الله عليه وسلم أعطى بني المطلب بسهم ذوي القربى كما أعطى بني هاشم مع أنهم في النسب من بني عبد شمس، فاعترض... وقالوا للنبي: إنك أعطيت بني عمومك من بني عبد المطلب بسهم ذي القرابة؛ لأن الله فرض للقرابة للنبي سهماً في الغنيمة كما تعرفون. **﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾** (1).

قرابة النبي صلى الله عليه وسلم لهم سهم في الغنيمة، لما حرمهم من الصدقة، وعرضهم عنها من سهم الغنيمة، ما أعطاهم صدقة فأعطاهم الغنيمة.

فلما أعطاهما بني المطلب وعاملهم معاملة بنو هاشم، ولم يعط بني عبد شمس مع أن النسب واحد فاعترضوا قالوا: لقد أعطيت بني عمومك من بني المطلب ولم تعط... في القرابة قال: **((إِنَّهُمْ لَمْ يُفَارِقُونِي فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ إِنَّمَا بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ شَيْءٌ وَاحِدٌ))** (2) إذن فيه اعتبارات أخرى جعلتهم أقرب لنا من بني عبد شمس. انتبهتوا وللا لا؟

فكان أبو سفيان في ذلك الوقت أقرب نسباً للنبي صلى الله عليه وسلم من أحد من الوفد الذين

(1) الحشر: 7.

(2) سنن النسائي، رقم: 4068.

كانوا معه في تلك الكائنة.

(الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ) طبعاً هو ما يريد الدعوة؛ لأنه ما زال زعم عند هرقل كما يريد. من خلال الأسئلة سيتبدد هذا الزعم وسيقر حالاً ومقالاً أنه ما يزعم وأنه النبي الحق الذي سيظهر نوره ودينه على الأرض كلها.

(فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَقُلْتُ أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا) لأنه من عبد شمس كما قلنا.

(فَقَالَ أَذْنُوهُ مِنِّي) قرّب أبا سفيان منه.

(وَقَرَّبُوا أَصْحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ) قالوا في سبب جعلهم خلف ظهر أبي سفيان في ذلك الوقت، يعني يريد أن يشرط عليهم شرط، يريد أن يكون صادقاً ويخشى من أن أبا سفيان لا يجيب الأجوبة الصادقة، ويعرف أن أبا سفيان لا يريد يقف عليه على الكذب، فأبقاهم عند ظهره ولم يجعلهم أمامه حتى النظرات لا تؤدي دوراً معيناً في استحيائهم منه أو شيء من هذا القبيل، فجعلهم عند ظهره ليقى خوفه _ خوف أبا سفيان _ من أن يعثر عليه كذباً دافعاً له لأن يسقط هرقل فيما يسأله عنه.

اعترف أبا سفيان بذلك عندما قال: **(لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ)** يعني

قومه في ذلك الوقت حتى لا يعيروه بعده بالكذب، فالكذب معيب عند كل العقلاء مما يدل على نوع من الخيانة والهجر.

وكل صفة قد تُقبل من الإنسان إلا الكذب؛ تدل على خلل في نفس الإنسان وفي عقله وعدم تمكنه وثقة الناس فيه فيلجأ إلى الكذب. ولذلك اعتبره الإنسان من أبلاً البلاء ومن أقبح القبائح، فلا تكون في خلق الإنسان أصلاً يحترم نفسه ولا يريد أن يعثر عليه الناس الكذب؛ ولذلك قال أبو سفيان: **(فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ)** هذه فرصة أنه يشوه سمعة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عند الدولة العظيمة الرومية في ذلك الوقت، المكسب له حتى ربما تتدخل ربما تتدخل الدولة هذه في حرب أبي سفيان ضد النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن هو يعلم أن هرقل نفسه حساباته مختلفة تماماً، وأموره مختلفة تماماً عن حسابات أبي سفيان فاستخدم ورقة الضغط عليه بجعلهم خلف ظهره حتى لا يكذب، هذا الذي حصل بالفعل.

(فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ قُلْ لَهُمْ) يعني بقية الوفد.

(إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ) يعني سائل أبا سفيان.

(فَإِنْ كَذَّبْتَنِي فَكُذِّبُوهُ) لا تسكتوا، إذا كذب قولوا كذب حتى إذا قال أجوبة كاذبة طبعاً هبة

السلطان فرضت نفسها، ويتعاملوا معه بالتعامل الإيجابي. ولا يرفضون له طلباً. ماذا قال أبو سفيان؟

(فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا) أي قومي الذين جعلوهم خلف ظهره.

(لَكَذَّبْتُ عَنْهُ) هذا بمعنى عليه أي على النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل عنه يعني هرقل. إذا

كذبت حين يسألني عنه، وهذه تحتل الأمرين:

● أن يسألني أسئلة وأجيبه أجوبة غير ما سأل عنه، يريد أن يوجهه وجهة معينة، يريد أن يأتي بصورة

معينة على مسامع هرقل.

● أو يكذب على النبي عليه الصلاة والسلام.

وكلا هدف واحد، هذه وهذه كلها في أن يستغل هذا الموقف لتشويه سمعة النبي صلى الله عليه

وسلم ودعوته عند هذا الملك العظيم الكبير القسيس المنجم كما سبق. لكن الحياء من قومه فرض عليه أن

يصدق في الأجوبة وهذا الذي سنراه الآن.

(ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ) أول سؤال سأله أبو سفيان أن قال: **(كَيْفَ نَسَبُهُ فِيمَكُمْ)**

هذا الرجل هل هو موثق بكم؟ هل هو غامض النسب؟ كيف نسبه فيكم؟ يعني عنده معلومة سابقة

هرقل، عنده علم سابق، هو يعلم من خلال الكتاب الذي عنده ومن خلال ما يعرف من أخبار الأنبياء

والرسل السابقين أن الله جل وعلا لا يبعث نبياً ولا رسولاً إلا من صليبة قومه ليس في نسبه مطعن ولا

مغمس، لا يبعث رجلاً غامضاً، أو مجهول النسب، أو مطعون النسب. وهذا السؤال انفتح به باب من

العلم بما يسمى بـ"دلائل النبوة".

نحن ليس نحن كثير يعني من المؤلفات والكتب وربما حتى الباحثين وربما العلماء عندما يتكلمون عن

دلائل النبوة، كيف تعرف أن هذا نبي صادق؟ ما هو الدليل؟ أن يأتي رجل إلى قومه يقول إني رسول رب

العالمين. يأتي رجل مثلنا يأكل كما نأكل، ايش هو الدليل الذي يجعلنا نقتنع أنك نبي؟ يمكن هذا يدعي

وهذا يدعي وهذا يدعي، لا بد من ضوابط لا بد من دلائل تدل على أن هذا نبي صادق وذاك متنبئ

كذاب، وللا لا؟

نحن نظن والكثير منا يظن والكثير ممن ألف الكتب أن ليس هناك دليل، أو ربما يحصر دلائل النبوة

في ذات المعجزة. يأتي النبي بأية باهرة تخضع لها الأعناق ولا يستطيع البشر أن يأتوا بمثلها، هذا ما يسمى

بالمعجز وهو دليل قاطع وعظيم استخدمه الأنبياء مثل موسى مع فرعون قال: **﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ﴾**

مُيِّنٍ (30) قَالَ فَأَتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُيِّنٌ (32) وَنَزَعَ

يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءٌ لِلنَّاطِرِينَ (33) (1) جاب السحرة ما قدروا. معجزة باهرة ومثل ناقة صالح عليه السلام ومثل هناك أمثلة كثيرة. عيسى يرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، معجزات ليس البشر يجهلها أبداً لا ساحر ولا طاهر ولا مشعوذ ولا فشلوا كلهم قصة سحرة فرعون واضحة في ذلك.

نعم المعجزة آية، لكن ليست هي الوحيدة؛ بل إن المعجزة لو لاحظت لا تؤدي غرضها إلا في فئة شاهدها وحضروها وللا لا؟ أما من سيأتي بعد لا يكون تأثيرها إلا فيمن شاهدها، خاصة حال النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه بعث إلى الناس أجمعين إلى قيام الساعة كما سبق، إلى قيام الساعة فهل سيأتي في كل وقت بمعجزات حتى يصدقوه؟ انتبهتوا وللا لا؟

فلا بد من دلائل أخرى تقنع الناس الآخرين الذين ما شهدوه واتبعوه ولا حضروا زمنه، مثل هرقل ما حضر إلى النبي ولا شافه ولا رأى ما عنده ولا رأى شيء، يحتاج أدلة أخرى، دلائل أخرى، وعقيدة وأعطته قناعة، وقناعة يقينية أنه نبي. والنبي أوسع بكثير من دلائل النبوة. المعجزة هي آية دالة، لكن محدودة لا تؤثر ولا تقوم حجة إلا على من شهدها وحضرها فقط.

ولذلك جرت سنة الله منذ بعث النبي داوود فاستمر قومه هكذا خلاص مش عايزين يتبعونه؛ ولذلك اشترط صالح لما قال له قومه: **﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154)﴾** (2) فاستجاب للناس فعقروها، فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام، ما فيكم خير.

فإذن هذا السؤال يدل بالفعل على توصيل ما يسمى بدلائل النبوة. وقسمه علماء السنة لكثيره إلى أقسام، بلغت نحو خمسة أو ستة أقسام، منه ما يسمى بذات الأحوال والصفات.

هذا النبي بُعث من ضمن حاله النسب. انتبهتوا وللا لا؟ يعني أحوال هذا الرجل المبعوث: أحواله، وصفاته، تاريخه. أربعين سنة عاشها بينكم قبل أن يكون نبي. ما هي صفاته خلال أربعين سنة؟ هل قال كذب؟ هل غدر؟ هل يفعل كذا؟ أنسابه القديمة هل هي مطعونة؟ هل هي مقبولة؟

كل هذه تدل على أن الأحوال التي اكتنفت النبي المبعوث سواءً من تاريخه القديم أو نسبه أو حاله وصفاته مختلفة، تماماً عن غيره من بني البشر؛ ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه نوه على هذه

(1) الشعراء: 30_33.

(2) الشعراء: 153_154.

القضية، قضية يعني على صحة نسبه عليه الصلاة والسلام. وهذا كيف يظهر إعجازها وبراعتها؟ أنت تعرف أن العرب قبل الإسلام كانوا يعيشون في جاهلية أليس كذلك؟ من أحوال تلك الجاهلية ضياع الأعراض، واستباحة الفروج بغير ضوابط، من طبيعة الجاهلية ما أصبح للأعراض تلك القيمة وهذا سيؤدي إلى هدم الأنساب يعني تختلط.

تقول عائشة: ((كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنواع منها نكاح الاستبضاع ومنه ينتظر الرجل امرأته حتى تطهر من طمثها أي من حيضها، ثم يقول لها اذهبي عند فلان فاستبضعي منه)) يختار لها رجل حتى يطأها شوف هذا العمل هذا؟ فتحمل هذا ما هو ابنه هذا من ذلك، لكن يسمى ابن فلان وهو زوج المرأة هذه. هذا صار طلباً لإنجاب الولد كما يظنون يختار رجل مشهور بالشجاعة ولا مشهور بالكرم وربما يطلع مثله شجاع وكرم، هو لا يفكر هو الابن نفسه يأخذ من هذه الصفات... وضع جاهلي ((منها نكاح الرهط دون العشرة على المرأة لا تمتنع منهم))⁽¹⁾ العشرة يرتمون عليها كلهم يطأها، طبعاً تحمل طيب هذا ابن من؟

أحدث أهل الجاهلية قانون للتخلص من هذه المشكلة. ابن من هذا؟ تسعة شاركوا، فترسل إليهم المرأة هذه لا يستطيعون أن يتخلفوا. كلمة لا يستطيعون تشير إلى أنه أصبح نوع من القانون، عُرف بينهم يعني خلاص ما يمكن أن يتخلوا عنه فيأتون فتقول قد كان منكم ما علمتم فتقول ابنك يا فلان، فتلصقه به يعني هذا يلتحق به قد يكون ابن غيره، قد يكون تخلق من غير مائه، منها نكاح البغايا.

هذه مشكلة فكم رجل وخلال ثلاثمائة وأربعمائة سنة في مجتمع اختلط في هذه الحالة... يعني طبيعي جداً وللا، لا؟ لذلك كان السؤال عن النسب وهو موضوع في البداية. ولذلك قال عليه الصلاة والسلام في الحديث: ((ولدت من نكاح لا من سفاح، لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء))⁽²⁾ والمدة ثلاثمائة إلى أربعمائة سنة إلى عبد مناف معروف الآباء والأمهات إلى عهده، ما تجد عربي بهذه الصفة أبداً. هذه ما تجد أيضاً من العرب عرف آباؤه وأمهاته إلى جد جامع العرب جميعاً وهو عدنان، كيف هذا يعني ما يمكن. إذن كان هناك حفظ إلهي.

إذن كان السؤال هذا من هرقل لأنه عنده معلومة أن الأنبياء يُبعثون في أقوامهم من صلبية قومهم معروفون الأنساب، بحيث ما يقع في أنسابهم، خاصة خاصة عند العرب؛ لأن النسب وهذه الأمور يعني

(1) صحيح البخاري، رقم: 4732.

(2) كتاب علامات النبوة، رقم: 6308.

والطعن في الأنساب عندهم يعني مهمة جداً. لذلك بقيت هذه الخُلة فيهم وقال عليه الصلاة والسلام: **((أربع في أمتي لا يدعونها _ أو لا يدعونهن _ الطعن في الأنساب))**⁽¹⁾ حتى هذه فاتت فحفظه الله وأصبح معلوم الأب والأم.

ما نسبه فيكم مجهول مطعون مغموس؟ فقال أبو سفيان: **((هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ))** نسبه معروف من صليبة قريش من بني هاشم إلى قصي إلى فهد إلى عدنان الجد الجامع العرب قال عليه الصلاة والسلام: **((إن الله اصطفى كنانة واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى بني هاشم من قريش واصطفاني من بني هاشم فهم خيار من خيار إلى خيار))**⁽²⁾ إذن هذه دلالة تدخل في أساليب ذات الأحوال والصفات.

ومن الصفات الصدق والأمانة وأربعين سنة ما عرف عليه خُلة تطعن في خلقه أو نبله أو شرفه، هذه كلها تجتمع وتكون دلالات قوية جداً تتنوع الرجل العاقل الذي يريد الحق من أن هذا هو نبي حقاً، كما أقنعت هرقل ولكن يعني لأسباب خارجية كالمملك أو ربما قول فصرفته أن يتبع هذه القناعة بأن يسلم ويؤمن ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم.

قال هنا سيقول هرقل: **((قَالَ فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ))** يعني هل بعث أو جاءكم نبي أو زعم أحد أنه نبي قبل هذا النبي؟

فكان الجواب: (لا)، وهذا السؤال أيضاً يعني له أهميته ليش؟ لأن عند هرقل كما سبق معلومة عنده أن معلومة استفادها من علم النجوم كما سبق اليهود أمة تسمى أمة، ولا يحتكم في معلوماته في ذلك الوقت إلا من له شأن وله سوابق في النبوة عند اليهود. لذلك سأل، فإن لم يكن له شأن سنقتله.

إذن لا بد من أمور أخرى محتكمة ولم يسبق أن جاءها نبي من نفسه. انتبهتوا وللا لا؟ فلما جاء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم سأل هذا السؤال لوجود تلك الإشكالية عندهم فجاءه الجواب موافقاً لزعة لتلك الإشكالية. فكان هذا أيضاً أحد الأسئلة المهمة التي ستقنع هرقل بعد ذلك بأن الملك الذي بناه سينهر بملك هذه الأمة التي تسمى العرب لأنهم يختبرون النجوم، وما خلا من التنجيم ومن جهة أخرى لم يبعث إليه نبي من قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا قومه ما آتاهم من نبي من قبله أو من جنسهم من جنس العرب، ما بعث نبي من بعد إسماعيل إلا النبي صلى الله عليه وسلم عليه أتم الصلاة والتسليم.

(1) أخرجه أحمد (342/5)، رقم (22954)، ومسلم (644/2)، رقم (934)، وابن حبان (412/7)، رقم (3143)، والحاكم

(539/1)، رقم (1413) وقال: صحيح على شرط الشيخين. وأخرجه أيضاً: أبو يعلى (148/3)، رقم (1577).

(2) أخرجه الحاكم (97/4)، رقم (6996) وأخرجه أيضاً: العقياري (388/4).

ونقف عند السؤال الثاني من أسئلة هرقل، والحديث له بقية وكما قلت لكم الحديث مهم وله دلائل كثيرة سنحتاج نقرأ ربما بعض الشرح نقرأ من خارج الكتاب يعني لتعميم الفائدة.
أسأل الله أن يلهمنا وإياكم رشدنا وأن يعيدنا وإياكم من جهنم. والحمد لله وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.



الدرس العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله ونشكره ونستعينه ونستغفره ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
أما بعد:

فالحديث موصول، الحديث موصول لتدارس آخر أحاديث كتاب الوحي وهو حديث عبد الله ابن العباس في خبر أبي سفيان ابن حرب مع هرقل عظيم الروم.
وقد وقفنا عند سؤال هرقل لأبي سفيان وهو قوله: **(كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ قُلْتُ هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ قَال فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ).**

وكان جواب أبي سفيان (لا)، هذا صحيح أي لم يبعث للعرب في جزيرتهم من عهد نبي الله إسماعيل عليه الصلاة والسلام ابن إبراهيم إلا النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وهذا يصدق القرآن الكريم: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾⁽¹⁾ أي من جنسهم بلسانهم يبلغهم دعوة ربهم. السؤال الذي بعده قال: (فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ) القاضي عياض في "المشارك" ذكر أن هذه الكلمة تُضبط بضبطين. كلمة (مَلِكٍ):

● فيما أن يكون الضبط: (فهل كان من آباءه من مَلِكٍ).

● أو الضبط الثاني: (فهل كان من آباءه من مَلِكٍ).

والمعنى واحد هل في سلسلة آباءه الأقدمين أحد تملك فصار ملكاً على قومه أو على عشيرته. سواءً قلنا: (مِنْ مَلِكٍ) هل كان شخص معين ملكاً من آباءه وأجداده أو (هل من آباءه من مَلِكٍ) أيضاً هل يوجد في آباءه وأجداده أحد تملك. المعنى واحد والضبط مختلف.

هذا السؤال أيضاً يصب في دلالة الأحوال والصفات التي ذكرناها في الدرس الماضي، وهي أحد الأنواع الستة الدالة على نبوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام. وقلنا بأن هذا المبحث مبحث مهم وهم توسيع الدلالة ما يعرف بدلالة النبوة، وأنها لا تقتصر فقط بالمعجزات الحسية. المعجزات الحسية نوع واحد من ستة أنواع منها: دلالة الأحوال والصفات، ودلالة النصرة والعاقبة، دلالة إعجاز القرآن، عدة دلالات كثيرة ذكرناها ذكرنا نماذجها في الدرس الماضي وسيأتي لها المزيد إن شاء الله.

هذا السؤال يصب في خاتمة تأكيد دلالة الأحوال والصفات. وسيأتي في تعليقه هرقل عن سبب إيراده لهذا السؤال؛ لأنه لو كان أحد من آباءه الأولين كان له ملك اندثر ملكه، وكان له سلطان اندثر سلطانه، لربما كان بدعوته هذه يحاول أن يعيد ملك آباءه وأجداده الأقدمين لما جرت به عادة البشر في ذلك. فإذا انتفى هذا كما انتفى غيره، أصبحت دعوته بالفعل لا مبرر لها طلب السيادة، وليس مبررها طلب الملك ولا طلب العلو والظهور في الأرض، ولا إعادة ممالك مندثرة وأحكام غابرة؛ وإنما دعوة بالفعل إلهية ربانية، قصدها إخراج الناس من الظلمات إلى النور، فدل ذلك بالفعل على أنه لا مصلحة خاصة لشخص النبي صلى الله عليه وسلم أو لعشيرته أو لقبيلته. وكيف يكون ذلك وهو قد عُرضت عليه السيادة، وعُرض عليه الملك من قومه.

(1) القصص:46.

في إحدى مراحل صراع قريش مع النبي صلى الله عليه وسلم، لما شعرت قريش بأن دعوتها السابقة الجاهلية الوثنية أصبحت مهددة بالدعوة الإيمانية الإلهية التوحيدية التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم، ولما شعرت قريش أيضاً بأن وجودها كقبيلة ذات سيادة ظاهرة على العرب كلهم خصت نفسها بأحكام كثيرة. أيضاً أصبح وجودها مهدد بهذه الدعوة الناجحة للنبي عليه الصلاة والسلام.

أرادت قريش في إحدى مراحل صراعها مع النبي صلى الله عليه وسلم أن تغير وجهة هذه الدعوة، أو تغير رسالتها مع بقاء شخص النبي صلى الله عليه وسلم كقائد أو زعيم إن صحت العبارة، فيريدون أن يحولوها من دعوة إلهية توحيدية غايتها الأولى أن يُعبد الله وحده لا شريك له، وأن يُخرج الناس من ظلماتهم إلى دعوة ربما قومية مثلاً قرشية عربية... إلخ من هذه المسميات، ولا يضرهم بعد ذلك أن يبقى شخص النبي صلى الله عليه وسلم إذا انحرف قصد الدعوة وهدفها وغايتها.

فشخص النبي صلى الله عليه وسلم ما عندهم فيه إشكال كونه يصبح هو الزعيم، أو يصبح هو الملك لو كانت دعوته شخصية عليه الصلاة والسلام يريد يعيد ملك سابق أو مجد سابق لشخصه أو شخص عشيرته أو آباءه الأولين، لكان عرض قريش له هذا الهدف، فقبولهم به عن رضا يعني يحقق للنبي صلى الله عليه وسلم مآربه ومقاصده، وبالتالي تدحض الدعوة. لكن الأمر مختلف تماماً عن ما أرادت قريش من صرف وحرب توجه دعوة المصطفى عليه الصلاة والسلام من دعوة إيمانية إلهية حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله رب العالمين، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، أرادوا أن يجعلوها قومية أو عربية أو شخصية، فعرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الأمور.

أرسلت قريش الوليد بن المغيرة في القصة المشهورة أخرجها ابن إسحاق وغيره. أرسلت الوليد بن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا له اذهب إلى محمد وانظر ماذا يريد. إن كان يريد الملك، انتبهتوا للسؤال هذا؟ يعني ماله وجود أصلاً كون النبي صلى الله عليه وسلم يبحث عن ملك، عرضت عليه. مادام عرضت عليه لو كان هذا هو المقصد لكان وصل وحقق ما يريد والغاية من أول أيام دعوته صلى الله عليه وسلم.

(إن كان يريد الملك ملكناه علينا فلا نقطع أمراً دونه) يصبح لدينا ملك من أبنائنا، ملك عربي قرشي. المهم يعني تغير الوجهة لا إله إلا الله، اقطع الأصنام، إقامة أمر الله، الكلام كله ما يريدونه. فإذا ما استطعنا أن نقارع حجته الواضحة أو دعوته الصادقة بالحجة والبيان والبرهان أي حجة عند الوثني أو عند الجاهلي أمام دعوة الله؟ نغير مقاصدها وأهدافها، وهذا مكر وكيد من أعداء الأنبياء والرسول قديماً وحديثاً.

أيضاً إن كان يريد المال والمال يسيل له اللعاب، وكثير ربما حتى مما يصنعه الناس من أمور وحركات واضطرابات... الخ مقصدها المكسب والمال ونفع الذات. فإذا حصل انتهت القضية ولا يضر صاحب المصلحة الذاتية أن يوظف أي شيء لصالحه حتى ولو كان الدين والإسلام إذا كان سيحقق له مقصده ومأربه. فإذا انتهى ووصل إلى مقصده ومأربه، ركل ما كان يدعو إليه من قبل كما هي سنة الله في أعدائه قديماً وحديثاً.

فإن كان يريد المال جمعنا له حتى يكون أكثرنا مالاً. إن كان يريد النساء، الناس يتزوجون ويتمتعون وهو فقير نزوجه ما شاء حتى يكون أكثرنا نساءً، إن كان به مرض أو خبال أو جنون نعالجه ونطلب الحكماء والأطباء.

هذه العروض ما يبقى عند المادي من عروض مغرية أكثر من هذا: السيادة، والمال، والجاه، والنساء، والمتع كلها خلاص. لكن كل هذه مرفوضة من قبل النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه ما جاء لهذه المآرب والمقاصد ودعوته ما هي شخصية لذاته؛ وإنما اختاره الله واصطفاه لهدف عظيم وهو إخراج الناس كل الناس من الظلمات إلى النور.

فلما ذهب الوليد ابن المغيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه هذه العروض، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: قال: ((أفرغت، قال: نعم، قال: اسمع فقرأ عليه سورة فصلت))⁽¹⁾ ﴿حَم (1) تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2)﴾⁽²⁾ أن يجعل الله أصل الدعوة ومصدرها الرحمن الرحيم، هذه دعوة لرحمة الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتَ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3)﴾⁽³⁾ الآيات من سورة فصلت.

إذن هذه الأمور عرضت عليه كلها عليه الصلاة والسلام ورفضها كلها؛ لأنه لم يُبعث بهذا عليه الصلاة والسلام، لم يُبعث بهذا وقد قال الله له كما في سورة الإسراء وهي من القرآن المكّي من العتاق الأول: ﴿وَلَوْلَا أَن تَبَتَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾⁽⁴⁾ لو قبل النبي بأي عرض من هذه

(1) أبي يعلى في مسنده ج3/ص351 ح1818.

(2) فصلت: 2_1.

(3) فصلت: 3.

(4) الإسراء: 74.

العروض ولو شيئاً قليلاً ﴿إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾⁽¹⁾ الآية فيها تهديد للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله يريد دعوته خالصة صافية لا تشوبها شائبة من هذه الأمور.

فقال هرقل: **(فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ)** يريد يصل هذا المقصد، فإذا انتفى صبّ هذا في مصلحة دلالة النبوة لصالح النبي صلى الله عليه وسلم لما سيقنع هرقل، وهو كما قلنا ملك يعرف أمور السياسة والملك وشهوة السلطان، والأمور هذه . وأيضاً قسيس يقرأ الكتاب ويعرف أحوال الأنبياء وأخبارهم، وأيضاً جمع مع ذلك النظر في النجوم كما سيأتي وانفتحت كل الواردات هذه على تأكيد دلالة صادقة في أحوال النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الرسول الذي اصطفاه الله برحمته للعالمين أجمعين صلى الله عليه وسلم.

(قُلْتُ لَا) جواب أبي سفيان لا ما فيه أحد من آبائه ملك.

(قَالَ فَأَشْرَافَ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعْفَاؤُهُمْ) هنا السؤال هذا أيضاً سؤال حكيم فعلاً وبدل على

خبرة سابقة ودراية سابقة من هرقل بجنس أتباع المرسلين.

لما كانت دعوات الأنبياء والمرسلين تحقق فيما تحقق المساواة بين الخلق وإلغاء كل الامتيازات التي

وضعها بعض الناس لأنفسهم ظلماً وعدواناً بحكم سلطان أو جاه أو شيء من هذا القبيل، ودعوات الأنبياء ستلغي هذه الفروقات كلها، وستجعل الناس في حكم الله جل وعلا سواء، لا فضل لأعجمي على عربي ولا لكذا على كذا. لن يقبلها أصحاب الامتيازات الخاصة وللا لا؟ ولن يقبلها أصحاب الذين ألفوا النظام الطبقي الذين يقسمون عباد الله إلى طبقات ومستويات.

النظام الطبقي نظام ستجده في كل مجتمع جاهلي، لا تحكمه شريعة من الله لا في قديم الزمان ولا في حديثه.

إذا درست أحوال المجتمعات في عهد النبي أو قبل أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام ، ستجدها بالفعل نظام طبقي، في أي مجتمع سواءً مجتمع العرب، أو الروم هؤلاء، أو الفرس، أو شعوب الصين والشرق الأدنى، أو شعوب الهند وغيرها. النظام الطبقي موجود ، ويعطي بعض الناس امتيازات مقدسة وامتيازات يعني معينة يتفضلون بها على من يرون أنهم دونهم في المستوى أو في الجنس أو في القداسة أو في الجاه أو في السلطان ونحو ذلك.

(1) الإسراء:75.

وكذلك في الوقت الحاضر النظام الطبقي يحكم عقليات الفرد، سواء المجتمع على مستوى المجتمعات والدول، وأنت تعرف تقسيمات يعني العالم الجديد الثالث... الخ.

تقسيمات يعني مبنية على نظرة دونية. يعني الشعوب تبني نفسها في العالم الجديد أمريكان مثلاً، البريطان، الأوربيون عموماً ينظرون إلى غيرهم نظرة دونية أنهم أقل منهم شأنًا وأقل منهم مستوى . كان هذا موجود في ذلك القرن عند الألمان والشعوب الثلاثية هذه إلى غيرها، لأجل هذا قامت حروب كثيرة وهي موجودة الآن في كل مجتمع وكل أمة يعني لا تحكمها شريعة من عند الله؛ وإنما تحكمها أهواؤها وشهواتها. قد تجد النظام الطبقي موجود، والنظر إلى الناس بالمستويات هذه التي هي من وضع البشر أنفسهم تجدها قائمة وظاهرة والنظرة الدونية محققة على مستوى الأمم والشعوب كحالمهم اليوم الذي يقسم البشر في الأرض إلى العالم الجديد وأمريكا وأوروبا والعالم الثالث. كل الشرق الأوسط وشعوب الشرق الأدنى، وشعوب الشمال الأغنياء من أوروبا وشعوب الجنوب مع أن الثروات كلها منابعا في الجنوب ، سواء الثروات النفطية والمعادن النفيسة كالأماس والذهب.... الخ، الثروات المائية كلها في الجنوب، والامتيازات في الشمال. حكم الجاهلية وتصورها من منطلق القوة ومن منطلق السيادة النظرة الدونية، طبعاً هناك اعتبارات كثيرة يعني مادام أن الذي لا يقوم بين الناس هو شرعة الله.

لما تأتي دعوات المرسلين وتلغي هذه الفروقات، وتعطي كل ذي حق حقه، وتنزل الناس منازلهم التي يستحقونها، وتجعل الناس تحت حكم واحد ما يقبل هذا أصحاب النظام الطبقي أبداً وسيرفضونه. وأول من رفضه قوم النبي صلى الله عليه وسلم وهم قريش. قريش رفضوه ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إذا أردت أن نسمع منك أن تجعل لنا يوماً خاصاً، وقالوا هذا أبو جهل وجماعته، قالوا: كيف نجلس مع بلال وصهيب وفلان وفلان وذاك وذاك، يعني رقيق ومملوكين، وهذا سيعيينا، خصنا بوقت، خصنا بجلسة خاصة. فلما وافقهم النبي صلى الله عليه وسلم عوتب عتاب شديد ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ﴾ الآية المشهورة ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ إلى أن قال له: ﴿فَتَطْرُدُهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽¹⁾ يعني لو أخرجت هؤلاء الضعفاء وخصصت الكبراء بميزة خاصة، ستكون من الظالمين.

وعاتبه في قصة الأعمى المشهورة في "عبس" لما جاءه ابن أبي مكتوم فتلهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم انشغالاً بهؤلاء الكبراء، مع أنه يعني لو نظرت إليه من جهة المقياس المادي أو البشري، كون الدعوة

(1) الأنعام: 52.

توجه إلى الكبراء ويُجرص عليهم، قد تكون الفائدة إذا أسلموا واهتدوا سيسلم بإسلامهم أمم...والخ. فلا تُهدر هذه المسألة.

قد يقول قائل: لأجل أن يستمع إلى رجل أعمى سيفرغ له غداً أو بعد غد. يعني خمسة أشخاص لا يمثلون إلا أنفسهم كبلال وعمار، ومع ذلك عوتب كأشد عتاب في القرآن للنبي صلى الله عليه وسلم، في القصة الأولى عوتب: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ وفي قصة الأعمى عوتب في سورة ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (1) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (2) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (3) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (4) أَمَا مِنْ اسْتَعْنَى (5) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (6) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (7)﴾⁽¹⁾

هذه النظرة الدونية يجب أن تلغى من البداية، حتى يقدم من يقدم على دعوة الله وعلى أمر الله وعلى طاعة الله راغباً دون امتيازات؛ لأن إذا نقلنا الامتيازات إلى شرعة الله وأضفنا إليها الصبغة الشرعية أو الأسماء الشرعية ما غيرنا الواقع. ما هي مسألة تغيير لافتات ولوحات، هي تغيير واقع.

وهذا ما جاء النبي صلى الله عليه وسلم له، ولذلك عوقب لما قبل من قريش هذا العرض عتاباً شديداً في القرآن.

وهذه بالفعل كما في سؤال هرقل سنة الله جل وعلا في جميع الأنبياء من لدن نوح عليه الصلاة والسلام إلى النبي الخاتم محمد عليه الصلاة والسلام.

أول من يقبل على دعوة الأنبياء ويرضى بها هم الضعفاء والبسطاء والفقراء؛ لأن فيها بالفعل المخرج الوحيد الذي سيعيد لهم حقوقهم المهضومة، وهو يخرجهم من النظام الطبقي القاضي عليهم من أقوى منهم أو أكثر منهم عدداً، لا يخرجهم من ذلك إلا نظام شرع من عند الله عز وجل لا يعامل الناس إلا من منظور واحد.

هذا يدل على أن أي تشريع أو أي نظام لا يكون مصدره إلهي رباني، لن يحقق للناس العدالة والمساواة والرحمة وإرجاع الحقوق إلى أهلها أبداً. يعني لما يكون من يضع النظام هم البشر أنفسهم سيراعون بالدرجة الأولى مخصصاتهم وامتيازاتهم وما يعطيهم الحضرة والسلطان على غيرهم.

وإذا كان البشر سينتظر بعضهم من بعض رحمة، وسينتظر بعضهم من بعض عدلاً، وسينتظر بعضهم من بعض مساواة، فقد طلبوا يعني محالاً، فقد طلبوا محالاً.

(1) عبس: 7_1.

والتاريخ القديم والتاريخ الحاضر المشهود واضح لكل من تأمله لا يحتاج الأمر إلى كبير تأمل حتى يثبت مثل هذه القضية.

فشرعة الله جل وعلا ليس مصدرها بشري؛ بل هو إلهي هي الوحيدة المنقذة للضعفاء والبسطاء والفقراء مما هم فيه من ظلم وهضم وإقصاء وإخراجهم إلى مستوى من الحرية وإخراجهم إلى مستوى من الكرامة يليق بالإنسان كما يقولون في عالم اليوم يسمونه عالم حقوق الإنسان، وكلها مجرد لوحات ولافتات ولا رصيد لها من واقع أبدأ.

ولذلك طبيعي أن يكون إقبال الضعفاء والفقراء على هذه الدعوة يعني سريع، ويسبقون بذلك الكبراء الذين هم في العكس عندهم حساباتهم الخاصة التي سيفقدونها، عندهم الجاه الذي سيذهب والسلطان الذي سيندر، والأموال التي أخذوها من غير وجه حق سيضع لها حد، كل هذه الامتيازات ستلغى.

إذن سيكون موقفهم من الدعوة طبيعي يكون موقف الخصومة، غياب الكبراء أو الملاء بلغة القرآن الذين استكبروا من أيام نوح إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وهذه سنة . فيريد هرقل أن ينظر هل هذه السنة متحققة في هذه الدعوة الجديدة أو لا.

فلما كان الجواب أن ضعفاء الناس هم أتباعه، عرف أنه ليس بدعاً من الرسل صلى الله عليه وسلم من أيام نوح قالوا: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِهِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾⁽¹⁾.

لكن هنا ملاحظة مهمة جداً: لم يكتفي الكبراء والملاء بتسلسل دعوات المرسلين عبر التاريخ بأن أعرضوا عن دعوة المرسلين حفاظاً على امتيازاتهم ومخصصاتهم التي أخذوها بغير وجه حق فقط؛ بل استخدموا هذا كشبهة يريدون من خلالها أن يستدلوا أو يدللوا على أن ذات الدعوة التي جاء بها النبي فاسدة وساقطة ولا قيمة لها. نظروا إليها من جهة الأتباع، لم ينظروا إليها من جهة ذاتها وحقيقتها.

والعدل إذا جاءتك دعوة، وجاءتك فكرة، أو جاءك كتاب قيل لك قيمه، تقول من مؤلفه فلان ما عجبك شكله ولا لونه تقول كتاب فاسد؟ إنما حكمه تنظر إلى الفكرة نفسها وللا لا؟ تحللها ولو كان صاحبها ما كان. قصيراً، طويلاً، ذمياً، جميلاً، هذا ما هو مقياس لمعرفة الصواب من الخطأ والحق من

(1) هود: 27.

الباطل. لكن أصحاب التوجه المادي عموماً قديماً وحديثاً، يحكمون على الأمور كلها حتى على الأفكار والدعوات وحقائق الأمور من جهة حاملها، من جهة الداعين لها.

فإذا كان هؤلاء الداعون على مستوى مثلاً من الغنى والثراء والمكانة، أعطى ذلك دعوتهم نوعاً من.. وإذا كانوا فقراء وضعفاء وعبيد ما عاد عندهم، جعلوا ذلك شبهة يتوصلون بها إلى إبطال ذات الدعوة أو للتدليل على أن دعوة النبي نفسها دعوة فاسدة. إذا كيف يعقل كما يقول أهل العقول أن يقبل عليها الفقراء والضعفاء الذين لا شأن لهم ويعرض عنها الكبراء والأشياخ والمشاهير.... الخ، إذن هي دعوة فاسدة هكذا قال قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّئِ الرَّأْيِ﴾.

طيب وماذا في هذا؟ ﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ﴾ هذه هي النتيجة ﴿كَادِبِينَ﴾ إذن دعوتكم كاذبة، إذ لو كانت صادقة لما سبقنا إليها الأراذل لكان أهل رجاحة العقل وأهل السلطان والجاه هم الذين يقبلون.

وهذا متسلسل حتى قريش استخدمت هذا الأسلوب واستدلت على فساد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، ما نأظروه في ذات دعوته ولا جاؤوا بمشروعهم. ماذا عنكم من تأصيل؟ من تأصيل عقائدي، أو عقلي، أو نظام اجتماعي عدلي. ماذا عنكم؟ هاتوا حتى نشوف ما فيه شيء ما عندهم إلا ميز الطبقات والخمور والأصنام والأوثان. كيف ستواجه دعوة ناضجة كدعوة النبي صلى الله عليه وسلم؟

إذن ألغوا الحقيقة هذه، وبدؤوا يستخدمون الظواهر والمظاهر. نظروا إلى الأتباع، هذه شبهة الكفر عموماً كما قال الله جل وعلا في سورة الأحقاف: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾⁽¹⁾ أي لو كان ما جاء به محمد خير ما سبقنا إليه عمار وصهيب وبلال والثاني والثالث من هؤلاء الضعفاء والفقراء. هذا معنى الكلام. إذن معنى كلامهم أن ذات الدعوة ما هي مضبوطة ولا صحيحة..... الخ.

ثم لاحقاً لما بدأت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم تأخذ بعدها في الزمان والمكان، توسعت الشبهة عن أهل الكفر عند أهل الشرك، لم يكتفوا فقط بالاستدلال بكون الأتباع هم الضعفاء على إبطال ذات الدعوة؛ بل تطورت عندهم القضية فذهبوا يقدحون في علم الله واصطفائه واختياره.

أنت الآن إذا قمت بمشروع وما أحسنت اختيار العامل الذي يؤدي مثلاً العمل أو المهندس الذي ينظمه لك، سيأتي أصدقاؤك فيقولون أنت الغلطان يخطئونك أنت، أنت اللي ما أحسنت الاختيار، فيدل

(1) الأحقاف: 11.

على أنك عديم خبرة وما تعرف يعني الأمور، فاخترت شخصاً عادياً لخبط لك الشغلة كلها، سيتهموني أنا في اختياري. وهذا كلام صحيح حكم عقلي.

فلما تأتي قريش تقول ما وجد الله جل وعلا من يهديه لدينه إلا هؤلاء، الحقيقة ما طعنوا في بلا ل وصهيب؛ إنما يطعنون في المصطفي الذي اختاره، اصطفى كأنهم يريدون يقولون الله عز وجل ما أحسن الاختيار عندما اختار لدعوته التي يريد أن تكون دعوة للعالمين أجمعين اختار لهم عبداً. ليش الاختيار هذا؟ اختيار غير دقيق. وهذا ذكره الله عنهم في الأنعام قال جل وعلا:

﴿بِعْضٍ﴾ ⁽¹⁾ **﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾** الشبه تطورت فقدحوا في الاختيار في المختار في الله في الذي اختار في المصطفي جل وعلا، في علمه وخبرته كأنه ما أحسن أن يختار لدعوته الرجال المناسبين؛ لأنهم يحكمون على الأمور كما قلنا بالظاهر والمظاهر، منفين تماماً الحقائق والمقاصد التي لا يعلمها إلا علام الغيوب سبحانه وتعالى: **﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّن بَيْنِنَا﴾** أي ما وجد الله أن يصطفى إلا هؤلاء؟ قدح في الله، فكان رد الله عليهم بقوله: **﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾** ⁽²⁾ علم الله جل وعلا وخبرته وهو الخبير وكفى بعباده خبيراً بصيراً. علم جل وعلا من يصطفيه لدعوته ويختاره سبحانه وتعالى.

والقضية ليست قضية أسماء ولا ألقاب ولا ألوان ولا أشكال وإنما حقائق، وهذه يرجع علمها إلى العليم الخبير سبحانه وتعالى. لكن شبهة عند أهل الكفر، حتى في الوقت الحاضر يعني هذه الشبهة ما تزال تصد كثير من الناس عن دين الله جل وعلا، وبالتالي عندما ينظرون إلى الأتباع لا ينظرون إلى حقيقة ذاك وذاك وإنما إلى ذات الدعوة بأصولها وحكمتها وعدالتها وشموليتها إلى آخر هذه الصفات التي هي صفات تشريع الله سبحانه وتعالى.

فسؤال هرقل يعني يريد أن يعرف هل هذا متناغم مع الواقع في تاريخ الأنبياء والرسل أم بدعاً من دعوات الأنبياء، فجاء بالفعل متناغماً متفقاً متسقاً ليس بدعاً من الرسل، لا في دعوته صلى الله عليه وسلم ولا حتى في أتباعه.

(1) الأنعام: 53.

(2) الأنعام: 53.

قال: **(بَلْ ضَعَفَاؤُهُمْ)** إذن أيضاً صَبَّتْ في مصلحة هذا السؤال النبي صلى الله عليه وسلم. والآن السائل كافر والمسؤول كافر، والنبي صلى الله عليه وسلم بعيد عن القضية تماماً، لكنها شهادات من كلا الطرفين على حقيقة ودعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

السؤال الذي بعده: **(قَالَ أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ)** أيزيدون أم ينقصون. هذا السؤال حقيقة فيه فائدة زائدة، زائدة خاصة بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم دون غيرها من الدعوات. وقبل أن نذكر هذه الفائدة لا بد نمهد لها بتمهيد كلكم يعرفه.

كان النبي في الأمم السابقة يُبعث إلى قومه خاصة، فاحتمال الزيادة في أتباعه احتمال يبقى محدود، والصراع داخلي يبقى داخل عشيرته وقبيلته ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾⁽¹⁾ خلاص أنت مبعوث إلى أمة معينة أسلم من أسلم وكفر من كفر والصراع سيأتي ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾⁽²⁾ ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾⁽³⁾ يعني هذه الأخبار القرآنية والآي تدل على أن أتباع الأنبياء محدودين في عددهم؛ بل خبر قوم نوح ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ لا يزيدون. لكن هنا يقول: يزيدون أم ينقصون؟ ليش هذا السؤال؟ فيه فائدة زائدة.

يعلم هرقل وكل أحباره يهود وقسطنطين النصارى في ذلك الوقت، يعلمون أنهم موعودون بنبي خاتم، فتشرق دعوته على الأرض كلها، وسيكون من خواص دعوته أنها تخرج من حدود المكان والزمان.

دعوة عامة شاملة للعالمين أجمعين، ما هي لأمة في ركن من أركان الأرض فقط؛ ولذلك اعتبار الزيادة والنقصان قد لا يكون له موقع من الحساب. لا، مادام ستشرق على الأرض كلها وستتوجه إلى الأمم كلهم فاحتمال الزيادة هو الوضع الطبيعي، خاصة دعوة جمعت كل محاسن ما سبقها من دعوات.

فعند هرقل معلومة أن نبياً موعوداً سيبعث، مُبَشَّر به في التوراة، ومُبَشَّر به في الإنجيل، وهذا النبي سيمتاز على ما تقدّم من الأنبياء بأن دعوته تتجاوز حدود الزمان والمكان؛ ولذلك يريد أن يتثبت هرقل هل هذا هو النبي القادم للعالمين أجمعين؟ أتباعه في زيادة مضطردة أم محدودين كم نفر وصراع داخلي وسينتهي

(1) هود: 36.

(2) هود: 40.

(3) يونس: 83.

في أقرب وقت وينقضي الموضوع؛ بل إن دعوات الأنبياء السابقين _ وهذه نقطة مهمة _ بعد أن جاء العذاب لأقوامهم ما ذكر القرآن أي دور من أنبيائهم بعد ذلك مع وجودهم وللا لا؟

لم أنقذ الله نوح ومن معه وأهلك قومه، ماذا ذكر الله من خبر نوح بعد ذلك؟ أي رسالة قام بها؟ دوره انتهى، الأمة التي بُعث لها انتهت خلاص. إذن خلاص ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

وكذلك هود ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾⁽²⁾ الفئة البسيطة الكم نفر الذين أسلموا والبقية من قومه اجتاحتهم العذاب. هل تطورت دعوته؟ زادت؟ لا، ما عاد فيه أصلاً ما عاد فيه؛ لأن أجل الدعوة يبقى مع أتباعه الذي آمنوا به يبلغهم أمر الله حتى يقضي الله فيهم من أجله ما يقضي.

(أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ) السؤال هذا مهم جداً. إذن يدل هذا يدل على أن قسس النصارى ومنهم

هرقل _ وكان يعني قسيساً ملكاً كما قلنا، وأخبار يهود والأخبار كذلك كثيرة قسمناها في دورة أيام خصائص الرسالة المحمدية عندما تكلمنا عن عالميتها والبشارات السابقة. ليس الآن موضع التفصيل لكن نشير لفائدة هذه فقط _ عنده علم بأن دعوة النبي القادم المبشر به في التوراة من ضمن أسسها التي امتاز بها واختص بها أنها دعوة عالمية تتجاوز حدود الزمان. يعني ليس فقط في حياة النبي المبعوث، ستسمر إلى يوم القيامة. عندهم المعلومة هذه.

حدود المكان ما هي فقط مكة ولا يثرب ولا جزيرة العرب، ستشرق على الأرض كلها، وعندهم

أصلاً في التوراة: "أشرق الرب من ساعير وتلاًلاً من طور سيناء وسطع أو استعلی في جبال طهران" جبال مكة. الاستعلاء وزهور الذي يعم السماء والأرض وهذا هناك في مكة سيكون مصدره من مكة.

أما "ساعير" وهي من بلاد الشام دعوة عيسى يعني إشراق محدود، وكله هذه حصيلة عيسى ابن مريم كما قلنا الحواريون اثنا عشر رجلاً قُتل أكثرهم. وموسى أخذت بعداً أكبر؛ لأن فيها صراع أكبر، تلاًلات نوعاً ما، لكن الإشراق الواسع والاستعلاء والسطوع كان لدعوة التي ستأتي من جبال طهران ذرية العرب من جبال مكة.

هذا النص عندهم يريد أن يطبقه الآن، يطبق ما يقرؤونه من خصائص النبي القادم... يكن منهم

طبعاً، وهذا ما سيجعل كل أخبار اليهود غير موفقين بخصوص النصارى، يُعرضون عن الحق بعدما عرفوه،

(1) الصفات:79.

(2) هود: 58.

يجادلون كما قال الله عن بني إسرائيل عن اليهود عموماً يعني ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾⁽¹⁾ كانوا يقولون للعرب وغيرهم سيُبعث نبي وسنملك به الأرض، وسنقاتلكم... الخ.

ما جاء النبي من بني إسرائيل ابن إسحاق ابن إبراهيم جاء من بني إسماعيل الطرف الآخر، فقصوا بذلك وما قبلوه مع ظهور كل الدلائل.

وهذا الشقي هرقل هذا مع كل هذه الأسئلة وكل هذه المعلومات وشهادته لليهود والنصارى بالفعل هذا هو النبي القادم، إلا أنه يعني قبيلته وملكه ورضاً قومه غلبت عليه للأسف الشديد، ولم يكتفِ بذلك كما قلنا قبل قليل.

الكبراء ما اكتفوا فقط بأن يتركوا الدعوة؛ بل سيجاهدون ويخاصمون؛ لأنها ستسقطهم وتسقط امتيازاتهم، ستدثر ملكهم؛ لذلك هم يقاومونها إلى آخر رمق، وهو ما صنع هرقل هو الذي قاد الجيش في غزوة مؤتة على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وهو الذي قاد جيشه في اليرموك ضد جيش الصديق أبي بكر، أي ما اكتفى فقط بأن أعرض في ستين دهيّة، لكن يحارب ويقاوم وهو يعلم أنها ستسطع وستستعلي، هذا يعني حمق أيضاً.

لو كان بشارات وأنت مؤمن بها، عندك كتاب تقول كتاب مقدس وأنت مؤمن ب بشارات وأنت النبي القادم سيسطع نوره ولن يقف أمامه أحد، والآن تسأل وتثبت هل هذا هو الذي أم غير هـ تثبتت وعرفت تخاصم ماذا الآن؟ هذا الذي يريد أن يغطي ضوء الشمس، أحقق طبعاً غاية في الحمق.

فما نفعته سياسته ولا كونه مثلاً دارساً للكتاب ولا كل الفوائد التي حصل عليها والحقائق التي توصل إليها ما أفادته شيء، وسيأتي في هذا تفصيل أكثر إن شاء الله في آخر الحديث.

إذن المهم جداً هنا يزيدون وينقصون سؤال انفرادي يخص دعوة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه لما تكون دعوة عامة تتجاوز حدود الزمان والمكان إذن الزيادة هي الوضع الطبيعي، لا النقصان أو القلة أو الضعف كما هي أحوال الأنبياء السابقين الذين بُعثوا إلى أقوامهم خاصة. ليش اثنا عشر رجل فقط حواربي عيسى؟ ولا قليل مع موسى؟ ولا قليل مع نوح؟ ولا كذا؟ فهي لا شيء أمام الأمم التي ستتبع النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن دعوته عامة.

(1) البقرة: 89.

فكان الجواب كما هو متوقع بناءً على الفهم: **(بَلْ يَزِيدُونَ)** إذن بالفعل هذا هو النبي القادم ليس فقط هذا هو النبي القادم؛ بل هذا هو النبي الذي سيبعث إلى العالمين أجمعين، فالزيادة هي الطبيعية هي المتوقعة.

قال: **(بَلْ يَزِيدُونَ)** وهذا شهادة خصم وهو أبو سفيان. وهذا الخصم يحسب حسابات عدوه بالدقة. كل واحد يسأل يكون سجل في كشوفات هناك يشوفون ويتابعون الموضوع ويراقبون؛ لأن وجودهم مهددة قريش وامتيازاتهم وأوثانهم وأديانهم كلها ستزول . فهو يجيب جواب دقيق ما هو جواب ظني ولا احتمالي ولا شافوا يوم من الأيام وبعد سنة أو سنتين لا، جواب خصم ورأس في هرم الخصومة من قريش فهو يقول: يزيدون. يعرف ماذا يقول، يعرف أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أخذت أبعاداً كبيرة جداً. ومعروف لكل من قرأ سيرته صلى الله عليه وسلم.

جاء السؤال الذي بعده: **(قَالَ فَهَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ)** هذا السؤال أيضاً يحقق لنا قضية، هذه القضية لما يكون الإنسان غارق في جهالة عظيمة أو في ظلم باهر أو في نظام طبقي مقيت، محروم من كل الحقوق، مهضوم فتأتي دعوة تنقذه من هذا كله. كم سيكون ترحيبه بها وتشبته بها وتعلقه بها ولا يفكر لحظة يعني أن يتركها؟ سترفع عنه جهالة. كان يعبد أحجار وأصنام وأوثان ايش الكلام هذا؟ أين العقول ذهبت؟

كان في أوضاع مقيتة، أنقذ من هذا كله أشرق له نور واسع ومعرفة عظيمة تجاوزت حتى حدود الحياة الدنيا التي سيعيشها إلى آفاق علمية واسعة جداً. يعني المسلم، المسلم فعلاً الذي قرأ كتاب الله وآمن بالله ورسله وقبل عن الله ورسوله كل ما أخبر به، هو في الحقيقة معلوماته تفوق معلومات أي أمة أخرى أو شخص آخر.

يعرف ماذا يحصل من أول عهود البشرية، ويعرف ما سيحصل إلى أن تنتهي هذه الدنيا، أعطني شخص يعرف هذه المعلومات الهائلة كلها، يعرف تاريخ البشر من أوله ويعرف ما سيحصل فيه. هذا بما فسره الله ورسوله من أمور ستحصل من أشراط الساعة، والفتن، والقيامة وتفصيلاتها، والأحوال كلها بدقة شديدة.

فالمسلم في الحقيقة تستطيع أن تقول أنه ليس فقط عمره هنا الخمسين ولا الستين سنة التي يعيشها حياً من الأحياء، عمره بما يعلم وما تعلم، عمره هو الذي يستوعب تاريخ البشرية في الماضي القديم إلى آدم. والدليل على ذلك خذ أي نظرية موجودة الآن عند المفكرين، ولا عند الفلاسفة، ولا عند المؤرخين،

ولا عند الجيولوجيين الذين يدرسون الصخور هؤلاء وأعمار الأرض وأعمار الحيوانات ويعطونك أرقام فلكية مئات وملايين السنين... الخ.

تجد كلها ظنون واحتمالات، لا يستطيعون يعطون عليها دليل يقنع أي عقل، لا المؤرخ المادي الذي لا يؤمن بالله ورسوله، ولا الفيلسوف الذي يريد أن يضع فلسفة عقلية تصورية كيف نشأت فلسفة الحياة وهل عيشتها ممتدة ولا متناهية، مخاضة طويلة، يعني يأتيك باحتمالات وظنون، أو يدرسون عمر الأرض والأفلاك والحياة في الأرض يعطون أرقام فلكية بعيدة تدل على أنها ظنون احتمالات وأوهام فقط. تجعل هذه النظريات محكمة أمام المعلومة إلى أنت تعرفها عن تاريخ البشرية كيف نشأت، وكيف خلقها الله، وكيف تكاثرت، وتسلسل التاريخ البشري، ثم كيف النهاية وتفصيل النهاية وأبعادها، وماذا بعد النهاية، لا تجد هذا إلا عند من آمن بالله ورسوله.

فلا يخرج شخص من جاهلية ما يعرف شيئاً أصنام وأوثان أمامه وأوضاع مقبلة ومعلومات لا شيء صفر إلى علم واسع كهذا. هل يفكر يتركه ويرجع إلى جاهلية وينتسكس فيها؟ ويخرج من نظام اجتماعي عادل يعطيه حقه كاملاً غير منقوص ولا يجعل على معتد عليه سبيل، يعطيه كرامته البشرية الإنسانية. لا يمكن أبداً أن يفكر في الرجوع إلى ما كان عليه بعد أن أشرق عليه هذا الخير كله. فهذا أيضاً هذا السؤال يصب في دلالة أو حقيقة أو عظمة ذات التشريع الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم، ذات الدعوة، وهي دلالة مهمة من دلالة دعوة الأنبياء والمرسلين.

أي نظام في العالم سواء قديماً أو حديثاً يريد أن ينظم حياة الناس، ستجد الخلل فيه كبيراً وكبير جداً، ولا يحقق أي نوع من العدالة والمساواة أو الرحمة والرأفة بالخلق، ولا تجد هذه الأمور: العدالة، والمساواة، والخير، والرحمة، والكرامة الإنسانية حقيقة إلا في حقيقة التشريع الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى ؛ ولذلك لا تجد في هذا التشريع إلا من أهله الذين عرفوه حقاً، وذاقوا لذته وأنسوا به، لا يسخطونه أبداً. ولذلك وينذر جداً؛ بل في بداية الدعوة ما حصل ذلك لربما حالة واحد فقط إذا استثنينا قصة عبيد الله ابن جحش ابن ذئاب الأسدي، قرشي ارتد لما هاجر إلى الحبشة. أما غير ذلك لا يوجد أن أحداً أسلم واتبع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد ساخطاً كارهاً مكتشفاً خلافاً فيما اتبعه، هذا ما حصل.

إذن ذات الدعوة دعوة ناضجة بالفعل، لا يسخطها من عرفها واتبعها. وهذا أيضاً يدل على قضية أخرى مهمة جداً أن ليس بالضروري عندما يُعرض الإنسان عن دعوة الله، أو يرتد عياداً بالله بعد أن يتبعها أن سبب ذلك أنه اكتشف نوعاً من الخلل فيها.

هناك أسباب خارجة عن هذا الوضع، شهوة صرفته وهذا يحصل كثيراً. ربما شهوة واحدة تحرم الإنسان خيرى الدنيا والآخرة. وذكر ابن إسحاق القصة التي ذكرناها في دروس سابقة قصة الأعشى الشاعر المشهور.

شاعر عربي مشهور حكيم من حكماء العرب، بلغته وكان يسكن في بني قيس في بلاد نجد هناك. فبلغه خبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويدعو إلى إحياء المؤودة، ويدعو إلى المساواة بين الناس، ويدعو ويدعو ويدعو... ويدعو إلى ترك الأصنام والأوثان والقبائح هذه، ولأنه شاعر والشاعر يعني حكيم في الغالب خاصة الشعراء الأولين طبعاً، التالي الآن لا شعر ولا حكمة، يضيعون اللغة ويضيعون المعنى لا معنى ولا لغة جميلة حتى تسمعها، حتى الشعر القديم ربما يكون المعنى فاسد لكنك تسمع شيء على الأقل.

فالحكيم لما تأتته دعوة ناضجة مثل هذا، يُعجب بها قطعاً ويأنس بها، وهذا ما حصل للأعشى. كلما جاءت أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، ازداد إعجاباً بدعوته، لهذا فإنه نظم قصيدة ذكرها ابن إسحاق في "السيرة" قصيدة دارية مشهورة يعني أذكر شيئاً منها يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأن دعوته جلييلة وهو لم يره قط.

ثم قصد مكة يريد يقابل النبي صلى الله عليه وسلم ليتبع هذه الدعوة ويكون من أنصارها وأعوانها. جميل وضع طبيعي، مادام أعجب الإعجاب سيدفعه إلى أن يقابل صاحبها، صاحب هذه الدعوة وينظر. ولو قدر له لكن لله أمر في خلقه أن يقابل المصطفى عليه الصلاة والسلام لازداد إعجاباً بصاحب الدعوة كما أعجب بذاتها لما هو عليه من الصفات الخلقية والخلقية يعني التي امتاز بها صلى الله عليه وسلم. فلما توجه إلى مكة وسمعت قريش بأن الأعشى قادم ليسلم، قامت قيامتها وثار تارثها؛ لأن الأعشى وهو شاعر مشهور جداً إذا أسلم وهو قطعاً لو قابل النبي صلى الله عليه وسلم سيسلم، كما حصل لغيره كثير، سيطوع موهبته الشعرية لخدمة الدعوة التي اعتنقها. خلاص ما عاد فيه... والكلام الفارغ هذا.

الآن سيمدح الإسلام وسيعطيه بعد إعلامي _ إن صحت العبارة _ كبير جداً، فاستقبلوه قبل أن يدخل مكة وحاولوا يصدوه بشتى الوسائل فأتوه من باب الشبهات وجدوه مقتنع بالدعوة. الشبهات مالها مكان، ما فيه مقارنة بين دعوة إلى عبادة الواحد الأحد وعبادة الأصنام والأوثان، فما نجح هذا باب الشبهة.

قالوا لعله يتعلق ببعض الشهوات، لعله تصده قالوا: يا أبا بصير إنه يحرم الزنا والفوضى التي كنت عليها سابقاً ما عاد فيها الآن. قال: فأما الزنا فلا أرى بالي فيها. شيخ عمره سبعين سنة انتهى الموضوع خلاص، أخذ تقاعد.

قالوا: إنه يحرم عليك الخمر. وجدوا ضالتهم، وجدوا نقطة الضعف، رجل متعلق سبعين سنة يعاقر الخمر عاداته في الجاهلية، فوجئ بأنه سيُحرم منها ويُمنع منها تامة، فيعني بدأ يضعف. توهجه السابق وحماسته السابقة بدأ تتناقص لما عورض بشهوة. ثم قبل أن يجعلوه يتخذ قرار يعقونه يصدونه لا يدخل مكة نهائياً ولا يقابل النبي صلى الله عليه وسلم، بادروه باقتراح كان فيه خسارته، قالوا: له ارجع يا أبا بصير هذه السنة فتزود من الخمر ما شئت _ والله يحبيك تعال السنة الجاية وتسلم معنا _ قال: خيراً قلت اقتراح جيد. رجع ومات في تلك السنة وحُرم بسبب شهوة.

إذن ليس... هذا نريده الشاهد على أنه ليس من الضروري أن كون الإنسان يعني لا يقبل أمر الله ولا يقبل دعوة الله أو يتركها بعد أن دخل فيها أنه اكتشف خللاً فيها ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾⁽¹⁾ هذا غير موجود، فيه اعتبارات أخرى: شهوات، أحقاد، حسد... الخ. يعني أمور كثيرة قد تصد الإنسان عن أمر الله سبحانه وتعالى.

ولذلك كان سؤال هرقل دقيق، هو ما سأل عن الردّة قد تحدث من شخص يدخل ثم يرجع، لكن يسأل هل الرجوع بسبب أنه اكتشف خللاً فيها بعد أن دخل فيها، أم فيه أسباب أخرى خارجية. ما علينا في الأسباب الخارجية هذه، أمر الله في خلقه يثبت الله من يشاء. لكن كونه يرتد ساخطاً لما دخل فيه أولاً كارهاً له، متبرئاً منه. هذا لم يحصل في أتباع الدعوة الأولين، ولم يحصل إلا في مُعرض خبيث لم يعرف دعوة الله يعني حق المعرفة.

فكان الجواب متوقفاً فقال: **(قُلْتُ لَا)** هذا ما حصل فكيف و هم قد سلطوا عليهم أنواع العذاب وللا لا؟ وما تركوهم على راحتهم يتخذون قرارهم يستمر. العذاب العظيم تعرفون ما حصل للضعفاء هؤلاء بلال وجماعته من قريش وللا لا؟ لكن قناعتهم بأحد أحد هذه وما أخرجتهم إليه من نور العلم والمعرفة ، وأخرجتهم من الشقاوة النفسية والروحية التي كانوا فيها، يعرفون كل الشقاوة الجسدية تعرضوا لها من عذاب وتعنت ومشقة تهون في سبيل ذلك.

عُذِّبُوا الْعَذَابَ الْكَبِيرَ، وَوُضِعَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمُورُ الْعَظِيمَةُ ثُمَّ حُورِبُوا حُرُوبًا كَثِيرَةً، وَمُرِّتْ أَرْوَاحُ كَثِيرَةٍ مِنْهُمْ، وَمَعَ ذَلِكَ هُمْ صَامِدُونَ عَلَى أَمْرِهِمْ، سَعْدَاءُ بِهِ، فَرِحِينَ بِهِ، لَا يَفْكُرُ أَحَدًا أَبَدًا فِي التَّنَازُلِ عَنْهُ وَلَا تَرَكَهُ.

هذا يدل على أن ما دخلوا فيه يقين لا مس شغاف قلوبهم وأخرجهم بالفعل من ظلمات كثيرة إلى نور عظيم، لا يمكن أن يرتدوا عنه ولو خسروا أهم شهواتهم وأموالهم وأرواحهم وأراضيهم وأوطانهم وأهلبيهم ما خسروا.

قال: **(قُلْتُ لَا قَالَ فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ)** الآن سؤال عن شخص الداعي. هذه قضية مهمة جداً؛ لأنه مما يدخل الخلل في الدعوة لما يدخل الخلل على صاحب الدعوة. فكيف تدعو الناس إلى شيء وأنت الخلل موجود فيك؟ هذا لن يعطيك لن يعطي دعوتك قناعة للناس حتى ولو كانت دعوة جيدة.

صراحة الشخص واستقامة ذاتية هذه دلالة أيضاً تصب في دلالة الأحوال والصفات، أحوال النبي صلى الله عليه وسلم. هل الكذب من عادته؟ ليس هذا فقط؛ بل هل وقفتم له يوماً من الأيام على كذبة واحدة؟ كونه كذب لكن من عادته ربما يشاركه ناس كثيرون يعني الصدق يغلب عليهم، لكنه كونه أربعين ستة كاملة ما زلّ بكلمة كذب فيها. هذا بالفعل يعني أمر يخص المحفوظ والمعصوم من مثل هذا الخلل، وهو النبي صلى الله عليه وسلم.

ولذلك شوف سؤال دقيق جداً لما قال: **(فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ)** وقبل أن يقول ما قال مدتها أربعين سنة، ما هي خمسة أيام ولا عشرة ضبط نفسه فيها ولا عشرين ولا... أربعين سنة قبل أن يُبعث نبياً صلى الله عليه وسلم ومع ذلك ما وقفوا له على زلّة. ذكرنا في دروس سابقة، وذكرنا ربما هذا النحو شيئاً عن نسب النبي صلى الله عليه وسلم كيف أن الله حفظ نسبه من خلطة الجاهلية وإباحيتها على مدى ثلاثمائة سنة إذا عددنا، لم يصبه من سفاح الجاهلية شيء.

أيضاً حفظه هذه أربعين سنة من أي حارم في قوله ولا بكذبة واحدة عليه الصلاة والسلام، ولا يمكن شخص يمثل أربعين سنة، وزلاّت اللسان أسرع ما يكون. ما حصل ذلك، محفوظ. أنت نفسك أو أي إنسان مهما كان متمكن من نفسه متحكم في أعصابه، لو قلنا له أسبوع كامل اضبط نفسك ربما تنخرم هنا وتنفلت فيقول كلمة هناك.

الشخص الذي يمثّل يخفّت عليه الأمر مهما كان بارعاً في ذلك، ولا يستطيع الصمود فترة طويلة. فكونه أربعين سنة هذا معناه ليس جهد خاص منه صلى الله عليه وسلم يريد أن لا يكذب، هو حفظ إلهي من الله له عليه الصلاة والسلام؛ لأنه سيبعث بالصدق صلى الله عليه وسلم **﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾**⁽¹⁾ لابد أن يكون خلال أربعين سنة لم يقفوا له على كذبة واحدة.

وأبلغ من هذا حُفظ حتى في جميع أحواله عليه الصلاة والسلام من كل حوار و حوار. وذكرت ذلك في دروس سابقة قصة الرداء الذي سقط أو أراد أن يخلعه عليه الصلاة والسلام لما كان وهو في البخاري الحديث لما سيأتي في المبعث النبوي لما كان يحمل الحجارة في بناء الكعبة قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة سنوات، بخمس سنوات.

كان النبي صلى الله عليه وسلم له إزار وليس له رداء. وكون الحجارة يضعها على عاتقه ستجرحه وتؤذيه فقال له عمه العباس: يا ابن أخي لو حللت إزارك فوضعت على عاتقك فاتقيت به آذى الحجارة، وهذا معناه سينكشف. والحديث معروف جاءت لطمة على وجه النبي صلى الله عليه وسلم، لطم وقائل يقول: له اجمع عليك إزارك، والعباس يتفرج ما هو شاهد اللطم ولا... هذا بالفعل أمر جد حتى في هذه ما يريد أهل الكفر والشرك أن يطلعوا على عوراته عليه الصلاة والسلام حتى لا يأتي سفيه من السفهاء بعد ذلك يعيره بها.

وقصة العرس الذي أراد أن يذهب له عليه الصلاة والسلام فألقي عليه النوم فسقط في الطريق نائماً، ولم يوقظه إلا حرّ الشمس حتى لا يحظر هذا الحفل الذي تُعاقر فيها الخمر وجاهلية... والخ. هذا حفظ إلهي ليس فقط جهد بشري من النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يضبط نفسه. إلهي من الله جلّ وعلا له عليه الصلاة والسلام. لذلك وأهم هذه الصفات الصدق في الحديث، الدالّ على صدق النفسية والوضوح والصراحة، وأن الصادق إنسان واضح ما عنده التواءات ولا عنده خيانات ولا غدر ولم يدخل في قضايا ولا يريد يخفي شيء، هذه صفات المنافقين والكذابين والدجالين اللي أهدافهم شهواتهم وأهوائهم. لا، جاء بدعوة وذلك بالفعل ما وجدوا عليه الكذب.

فكان الوضع الطبيعي أن يستمر هذا. ليش يدعون أنه الكذاب الأشر دفعة واحدة هكذا؟ هذا خلل في المقاييس عندهم **﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِّنَ الْكُذَّابِ الْأَشْرُ﴾**⁽²⁾.

(1) الزمر: 33.

(2) القمر: 26.

قال أيضاً في الجواب قال: **(قُلْتُ لَا)** يعني ما كذب قط. هذا اعتراف عجيب هذا أربعين سنة ما يكذب ويكذب دفعة واحدة في يومين؟ هل يمكن هذا؟

(قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ) هذه صفة أخرى طبعاً هي مبنية على الصدق. كما قلت الصدق كون الصادق إنسان واضح، ما عنده شيء يستحي منه فيخفيه، ما فعل قبيحاً فيريد يستره على الناس فيتخذ من الكذب وسيلة لستر ما فعل. هذه كلها غير موجودة عنده عليه الصلاة والسلام. فالكذب إذن ليس له عنده وجود ولا مبرر لوضوح حياته وصدقه عليه الصلاة والسلام، وعدم وجود أي التواء في شخصيته ولا في حياته ولا في تاريخه صلى الله عليه وسلم.

الكذب وسيلة للغادر والمخادع ليستر بها سوءته وعوراته. هذا السؤال مبني على ما قبله وإن كان الغدر يعني أبعد من الصدق أكثر ما ينطلق على القول، وإن كان بالفعل في بعده الشرعي يشمل القول والفعل، الصدق. والغدر بالفعل صفة أخرى متناغمة نوعاً ما مع الكذب؛ لأن الغادر ما معناه؟ الذي يجهاد أو يعد ثم يغدر من عاهده ويغدر به ويخونه. انتبهتوا وللا لا؟

إذا شخص مثلاً عاهدك على أمانة في تجارة بينك وبينه، ثم غدر بك وسرقت وانتهى. هذا غادر هذا كذب في الفعل. ما وفي بما قال به. وهذا أيضاً يعطيك إشارة إلى شيء آخر؛ وهو كون الإنسان يتصدى لدعوة معينة أو يتصدى لمشروع معين، فتضغطه الأمور ويحاربه خصومه، ربما يتخذ من الغدر وسيلة لدفع شيء من خصوماتهم ويجعل من عداوتهم مبرر لذلك، يجعل من عداوتهم مبرر لذلك كما يصنع كثير من الناس اليوم.

مثلاً لو أن شخصاً سبك بغير وجه حق، هل يبرر ذلك أن تسبّه وتتخذ من عداوته وسيلة لك مسوغ شرعي لك؟ لا، ما تخرج عن خلقك اللي أنت منضبط فيه وللا لا؟ صحيح وللا لا؟ أو شخص مثلاً غدر بك هل يعطيك هذا مبرر إذا كنت من أهل الخلق التام أن تغدر به أنت أيضاً؟ الجواب: لا. فتبقى أنت على خلقك ولا تعامل من عاملك بسوء كما عاملك هو بسوء. وهذا فيها انتصار للنفس أكبر من قضية يعني فقط صدق في الحديث أو شيء من هذا القبيل؛ ولذلك كان هذا خلق النبي صلى الله عليه وسلم، لم يغدر حتى مع من غدروا به، ولم يقسو على من قسا عليه، ولم يعامل غيره نظير معاملته له؛ بل كان خلقه هو الخلق النبيل والغدر ليس له مكان عنده في أخلاقه صلى الله عليه وسلم.

(قَالَ فَهَلْ يَغْدِرُ قُلْتُ لَا) هذه شهادة خصم وهو خصم محارب وهو أبو سفيان وقلنا أن أبا سفيان من بعد بدر هو زعيم الكفر يحارب النبي صلى الله عليه وسلم، فيشهد لخصمه وهو النبي صلى الله عليه وسلم الغدر ليس من طبيعته صلى الله عليه وسلم، وليس من خلقه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. ثم هنا وجد أبو سفيان تنفيس، كل الأجوبة صبّت في صالح الدعوة وهو يريد أن يقول شيء لعله خائف أن يكذب ويكتشف قومه هذا الكذب عليه فتصبح سبّة عليه. كما قلنا في الدرس الماضي لما هرقل وضعه قال: أيكم أقرب نسب، فكان أبو سفيان أقرب نسباً للنبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنه من بني عبد شمس وعبد شمس أخ شقيق لهاشم والمطلب والثالث عبد مناف، والأخ الرابع هو نوفل ليس شقيقاً. وجعلوا البقية خلف ظهره وقال: إن كذب فكذبوه. وكل الأسئلة ما استطاع أن يدخل فيها شيئاً، يفترى فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم ليشوه صورته أمام زعيم الروم هرقل الذي سيكون له كلام يدل على يعني تصديقه لهذه الدعوة وإعجابه بها.

ثم قال أبو سفيان: **(وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ)** هو لا يغدر لكن نحن الآن في مدة. المدة يقصد الصلح الذي حصل؛ لأنه قلنا في الدرس الماضي أن النبي صلى الله عليه وسلم استفاد من هذه المهلة التي وضعت الحرب أوزارها بينه وبين قريش، استفاد منها في مراسلة ملوك الأرض. وسيأتي هذا في الدرس القادم إن شاء الله وسنقرأ من كتبه خاصة رسائله إلى الملوك الأربعة عليه الصلاة والسلام، وأنها ربما كلها إلا النادر تحمل نصاً واحداً، تحمل نصاً واحداً وسنذكر هذا إن شاء الله. استفاد من المراسلة، وهذه مسألة مهمة دالة على عالمية الرسالة دالة على أنها فعلياً عالمية.

قال: **(وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ)** في صلح ومن بنود الصلح لا يجارينا ولا نحاربه ولا يجهن علينا ولا نعين عليه، ومن أتاه منا يردده ومن آتانا منه لا نرده، عدة أمور.

طيب ما الذي هو فاعل؟ **(لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا)** ثم قال أبو سفيان هو يعترف على هذا يقول: **(وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ)** ما وجدت في الحوار السابق كلمة أدخل فيها شيء لعله يعني يغض من شأن النبي صلى الله عليه وسلم عند هرقل إلا هذه الكلمة. ما وجه إدخال هذا؟

إذا شهدت له وأنت الآن عندك أربعين سنة قبل أن يُبعث، ومنذ أن بُعث إلى صلح الحديبية عندك ثلاث عشر سنة في مكة وست سنوات على الحديبية كم سنة؟ ثلاث عشر وست عشرون سنة. هناك أربعين ستين سنة ما غدر فيها قط، ونحن لا ندري ما شاء الله ما ندري ما هو فاعل في المدة هذه.

ثم كانت الكارثة على أبو سفيان هو وقومه اللي غدروا وخالفوا الشروط، فأعانوا قبيلة بكر وهم حلفاؤهم على حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، فكان فتح مكة بسبب غدرهم. وكان هذا كأنه يكاد يريدوا يقولوا نحن في مدة لا ندري ما هو صانع، أما هو فعنده ستين سنة سجل في حياته لم يكذب قط ولم يغدر قط صلى الله عليه وسلم.

نقف عند هذا القدر ونكمل في الدرس القادم إن شاء الله سنجعل ما بين الأذان والإقامة إن كان هناك تساؤلات نجيب عليها حتى نترك الفرصة لمن أراد أن يسأل. والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أولاً هنا تنبيه الإخوان يريدون أن يعلنون عن درس لفضيلة الشيخ الدكتور عابد السفياي. في كل أسبوعين مرة أسبوع فيه درس وأسبوع ما يكون فيه درس، وقد بدأ بهذا الأسبوع يوم الأحد يوم أمس بدأ أي الأحد القادم لا يكون فيه الأحد الذي بعده.

وطريقة الدرس بين المغرب والعشاء درس عام المحكمات الشريعة الإسلامية، أشباه بالمحاضرات يعني يكون ما بعد العشاء درس لمدة ساعة تقريباً في كتاب "الاعتصام" للشاطبي. وهذه في الحقيقة فرصة كبيرة. درس شيء من أصول الفقه وطرق الاستدلال ومعرفة البدع والمحدثات ونحو ذلك، ومعرفة المحكمات والمتشابهات، أصول عامة ومهمة للغاية لكل باحث ولكل طالب علم أن يوصي بالحرص على حضور خاصة أنه أسبوع أسبوع فيه فرصة.

الأسئلة:

يقول السائل: هل ستنبهون يعني على الأخطاء العقديّة واللفظية؟

جواب فضيلة الشيخ: العقديّة يمكن كالتالي وقع فيها يقصد ابن حجر العسقلاني يعني وهذا شيء من ذلك. والتنبيه لن نقصد هذا قصداً، نحن نشرح المعنى المطلوب شرعاً، بما ندين الله به، وإذا كان هناك خطأ معين ننبه عليه حتى لا يغتر به أحد، ولن نجعل ذلك عادة تتبع ابن حجر في ذلك.

يقول شعيب عليه السلام ألم يرسل إلى مدين؟

جواب فضيلة الشيخ: هذا نص القرآن ما فيها لم يرسل ﴿وَأَلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾⁽¹⁾ ومدين مدينة في الجزيرة العربية. لا، لا مدينة في بلاد الشام ليست في الجزيرة العربية، توجه لها موسى ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ﴾⁽²⁾.

هذا السؤال ليش؟ وبعدين يقول أن الإسهاب والتطويل في الشرح مفيد للعامي أكثر من طالب العالم، يعني ما دام مفيد يعني خلاص.

هناك من آمن مع النبي وارتد مثل عبيد الله ابن جحش؟

جواب فضيلة الشيخ: نعم ذكرنا قصة عبيد الله ابن جحش وارتداده بسبب قصة له مع امرأة نصرانية في الحبشة لا سخطة ولا شيء، مثل الأعشى هذا كان مع الخمر وهذا امرأة.

ألم يكن قصي ابن كلاب من أسياي قريش؟

جواب فضيلة الشيخ: كونه من أسياي، كل أجداد النبي سادة في أقوامهم ليس هذا المعنى. المعنى ملك، ملك على العرب، وأصبح له ملك وسلطان وقصور وخدم، هذا المعنى. ليس المعنى إن و كان أجداده كانوا لهم قيمة. لا، كل أجداد النبي صلى الله عليه وسلم هم أسياي في قومهم. وقصي ابن كلاب على وجه الخصوص جمع أشتات قريش وأنزاعهم لما حصلت لها حروب قديمة مع خزاعة. فجمعهم قصي ابن كلاب؛ ولذلك يعني أصبح مذكوراً فيهم وشهيراً فيهم وهو الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم. لكن ما هي الملك بمعنى الملك المصطلح على تسميته ملكاً.

يقول: هل قبل النبي صلى الله عليه وسلم عرض قريش له بالملك والسيادة والمال؟

جواب فضيلة الشيخ: لا لم يقبل لم يقبله لأنه صرف عن دعوته واضح. ولذلك تلا على الوليد ابن المغيرة صدر من سورة فصلت التي فيها دعوته الحقيقية وأنها يعني تنزيل من الرحمن الرحيم.

إذا قرأت في التشهد الأول الصلاة الإبراهيمية ناسياً هل علي سجود السهو؟

جواب فضيلة الشيخ: لا ما تصل؛ بل لو قرأتها متعمداً حتى. لو تشهدت التشهد الأول والإمام ما قام ما تبقى ساكت صلي على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد جاء فيها أحاديث حسنة بعض العلماء. ما

(1) الأعراف:85.

(2) القصص: 22.

فيه مانع والصلاة الإبراهيمية من ألفاظ الصلاة حتى لو قتلها في التشهد الأول تعمداً، هذا خير وبركة ولا فيه سجود سهو ولا أي شيء من هذا القبيل.

يقول ذكر أبو نعيم في دلائل النبوة في رواية أن اثنين من الصحابة ذهب لقيصر...؟

جواب فضيلة الشيخ: هذا المذكور في هذا الشرح، هذه قصة ضعيفة من شرح الحافظ. قصة ضعيفة سيأتي التنبيه عليها رواية سعيد ابن أبي راشد رجل كان سلوخي نصراني كان رسول هرقل إلى أبي بكر. القصة غير صحيحة حتى ما جاء أن كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وضعه هرقل في صندوق ذهب وأصبحوا يتوارثونه، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يزال الملك في أولاد هرقل مادام فيهم كتابي، هذا كله أحاديث باطلة لا يصح منها شيء.

يقول: هذا أيضاً تنبيه إلى طلاب العلم أنه يوجد درس بعد صلاة العشاء اليوم يقصد في مسجد الأمير منصور في حي النزلة لفضيلة الشيخ علي عبد الرحيم الغامدي في كتاب "بلوغ المرام"، اليوم وكل اثنين بعد صلاة العشاء درس لفضيلة الشيخ علي عبد الرحيم الغامدي تحرصون عليه.

يقول: شاب كان يستمني، يستمني يعني يتعمد إخراج المني بشهوة في نهار رمضان.

مشكلة، وبعد أن علم الحكم غلبته نفسه على فعل ذلك مرات أخرى فما الحكم؟

جواب فضيلة الشيخ: الحكم أنه آثم، آثم إثمًا عظيمًا وجرح هذه العبادة الشرعية العظيمة وهي الصيام، وعليه أن يتوب إلى ربه سبحانه وتعالى ويندم على ما فعل، ويكثر من الاستغفار، وينظر الأيام التي فعل فيها هذا الأمر يحصيها ويقضيها. لا بد يقضيها؛ لأنه يعتبر مفطر.

تعمد استخراج المني بلذة وشهوة من الصائم يفسد صومه، ويتعمد الفطر يعني. وهذا آثم إثم عظيم، والإثم لا يزيله إلا التوبة الصادقة، استغفار إلى الله رب العالمين، وأمره إلى الله سبحانه وتعالى بعد ذلك. وهناك حكم شرعي أن يقضي الأيام التي فعل فيها هذا الفعل. كل يوم في رمضان فعل فيه هذا الفعل من أيام رمضان كأنه ما صام فعليه أن يقضيه وجوباً، وينتبه ويحذر ويجتنب مثل هذه الأمور ويجرس على دينه وصيامه.

يقول: رجل يدهن جسمه بالزيت ليلاً وعندما يقوم لصلاته يتوضأ مباشرة ويذهب لصلاته من

دون أن يغسل الزيت.

جواب فضيلة الشيخ: هذا يقصد الزيت إذا كان هذا الزيت له جرم يعني أشبه بالجيل أو الكريم

الغليظ ويبقى على الجلد ويمنع ملامسة الماء للجلد، هذا بالفعل ما توضحاً، وبالتالي صلاته تعتبر فاسدة. أما إذا كان زيت عادي يشربه الجلد، ولو بقي له أثر من رطوبة أو ليونة على الجلد شرط أن لا يمنع وصول الماء إلى الجلد، فالوضوء صحيح ولا يحتاج إلى شيء. إذا كان كريمات أو شيء من الجيل هذا الغليظ الذي يبقى على الجلد ولا يمتصه الجلد بسهولة وبسرعة، وبالتالي يحدث طبقة عازلة بين الماء وبين ظاهر الجلد، هذا يمنع الوضوء ويجب إزالته قبل الوضوء.

يقول: هذا نرجو الدعاء لأخي الصغير أصيب بمرض السرطان؟

جواب فضيلة الشيخ: نسأل الله أن يشفي أخاك وأن يشفي مرضانا ومرضى المسلمين أجمعين ويرفع عنا وعن إخواننا المسلمين كل بلاء وكل فتنة وكل مصيبة وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

جواب فضيلة الشيخ: ما حكم إلقاء السلام لمن كان جالساً في المجلس إذا طلب منه

مثلاً إلقاء كلمة أو توجيه؟

السلام يلقي على كل من ورد أو دخل على أناس جالسين في المسجد يسلم عليهم، هذا شيء طبيعي. لعله يقصد قبل أن يبدأ المحاضر محاضرتة يسلم. هذا أيضاً شرعي؛ لأنه يعتبر قابل من أمامه وإذا سلم عليهم هذا أمر طيب وخير.

يقول السائل: من المعروف أن الكذب يجوز للرجل في بعض المواقف كالكذب على

زوجته أو في الحرب. هل حدث ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم؟

جواب فضيلة الشيخ: لم يحدث هذا للنبي صلى الله عليه وسلم. وتجويز الكذب في بعض الحالات يكون للناس المسلمين بشرط أن يضبطوا بضوابطه. ما تصير مسألة الكذب على الزوجة ويصير هو الأصل. يصير كل وعوده كذب. لا، يعني إذا حدث مشكلة شديدة لا بأس أن يدخل كلمة أو كلمتين تخفف من الأمور. أما أن يتخذ الأمر يعني عادة. لا، قد نفهم نحن الحكم الشرعي من غير فهمه والحديث في البخاري جعل الكذب في ثلاثة حالات في الحرب، وطبعا الحرب تحتاج إلى شيء من ذلك ربما كعدم كشف أسرار المسلمين ونحوها فيوري ربما يكذب. والرجل مع زوجته ونحو ذلك قد يحتاج إلى شيء من ذلك، لكن ليس هو الأصل. أما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يحصل منه شيء من ذلك صلى الله عليه وسلم.

قلتم أن من دلائل النبوة الإعجاز التشريعي، فما معنى ذلك؟

جواب فضيلة الشيخ: الإعجاز التشريعي شريعة الله جل وعلا. كيف ما معنى ذلك؟ الشريعة هذه التي أنزلها الله المحكمة المتقنة، أي نظام غيرها تجد الخلل فيه. والذي يدل على وجود الخلل في الأنظمة الوضعية البشرية أنه كل سنة يعدلون، كل وقت يغيرون ويحطون استثناءات قاعدين يلغون الاستثناءات، بعدين يحطون إلى ما لا نهاية من الأخطاء، كل يوم تجد خلل.

أما شريعة الله فلا خلل فيها، ما فيها خلل معجزة بليغة ووجه الإعجاز كيف تعرفه؟ تعرفه من كون رجل أمي لا يقرأ ولا يحسب ولا يكتب ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَأَرْتَابَ الْمُبْتَلُونَ﴾⁽¹⁾ يأتي بشريعة معجزة بليغة مفصلة في كل شيء في علمها الخبيري قديماً وحديثاً وفي تشريعاتها. هذا ما هو إعجاز هذا؟ هذا أبرع ما يكون من أمور الإعجاز.

ولو أردت أن تجعل لجان ومتخصصون كما هو الآن في اللجان التشريعية. كل برلمانات الدول الآن فيها لجان، لجنة لكذا أو لجنة لكذا أو لجنة تدرس وتحط القوانين والنظام، ولجنة تدرس وأنظمة وقوانين طويلة عريضة، والنتيجة لا العدالة حصلت ولا الخير ساد ولا...ويجي محامي عفريت ويطلع القضية كل هذه كلام فاضي، ضياع.

هذا الإعجاز كيف أما القرآن الكريم فأوجه الإعجاز فيه متعددة: فيه إعجاز لفظي، بلاغي أعجز العرب، وفيه إعجاز علمي بأخباره الصادقة الغيبية، وفيه إعجاز تشريعي، وفيه إعجاز حفظه من الزيادة والنقصان على مدى السنين والقرون الماضية مع وجود العداوات ووجود... وفيه إعجاز عجيب جداً وهو تأثيره في القلوب والنفوس، تأثيره في القلوب والنفوس. هذه كلها أوجه الإعجاز للقرآن وللتشريع الإسلامي العظيم. ولعلنا نأتي بهذا الحديث إن شاء الله.

الأخ جزاه الله خيراً يقول أكثر الذين يحضرون هذا الدرس ربما لا يعرف بعضهم بعضاً، فهو يوصي ونحن جميعاً أيضاً نوصي بأن يتعارف الإخوة على بعضهم ويتعاونون فيما بينهم على البر والتقوى، وعلى أمور الدعوة والمناصحة. هذا أيضاً يعني من مقاصد هذا الدرس فعلاً ومن مقاصد التشريع كله كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁽²⁾ التعارف على الأخيار وأهل العلم وطلابه هذا أعظم مكسب. خاصة إذا ذابت الفروقات وذهبت المصالح الشخصية، وأصبح التعارف في بيت الله أو على طاعة

(1) العنكبوت: 48.

(2) الحجرات: 13.

الله هذا بالفعل من أوثق عرى الإيمان، الحب في الله والبغض في الله.
درس كل يوم الثلاثاء أيضاً يُنبه له. درس كل يوم الثلاثاء في التفسير لفضيلة الشيخ أحمد سعد الغامدي في
مسجد أمير...الدرس قديم يظهر له سنوات، هذا مستمر كل يوم ثلاثاء نوصي بحضوره.

يقول: تزوج رجل بامرأة ومعها بنت يعني رجل تزوج بامرأة وهذا المرأة يعني من رجل قبله
عندها بنت إما طلقها أو مات عنها، فهل يجوز لأب هذا الرجل أن يتزوج ابنة هذه المرأة؟

جواب فضيلة الشيخ: لا، لا يجوز؛ لأن هذه ربيبة هذه تسمى الربيبة. بنت الزوجة من رجل آخر
إذا تزوج أمها زوج آخر تسمى الربيبة وهي من المحرمات على التأييد. والتحريم الأب والجد الأب وإن علا،
والابن وإن نزل.

قول عائشة (أنزلوا الناس منازلهم..). كيف يفسرها العلماء....عند توجه الأعشى....؟

جواب فضيلة الشيخ: لا لم تحرم، وهذا من كذب الكفار عليه. استشكل الأمر لما قال المشركون
للأعشى أن الخمر قد حرمت. ومن المعلوم أن الخمر حرمت بعد الهجرة؛ بل بعد غزوة أحد. لكن هم الآن
يريدون يصدونه بأي طريقة فكذبوا عليه وهو قد أخذ الموضوع وخسر بسببه والله أعلم. والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته، والله أعلم.



الدرس الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، نحمد الله ونستعينه ونستغفره، ونسأله المزيد من فضله نشكره ولا نكفره، ونخلع ونترك من يهجره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين. وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

يسأل أبا سفيان فيقول: **(فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ)** ولم يقل له: هل قاتلكم؟ فيه فرق، فيه فرق واضح؛ لأن القتال كان ابتداءً من أعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو في غالب الحال. فإن الكفار إذا لم يستطيعوا أن يثدوا دعوة الله جل وعلا في مهدها بالتشويه، أو بكتمها، أو نحو ذلك وأخذت أبعاداً واسعة، فإنهم سينتقلون بلا شك إلى صدام مسلح عسكري محاولة منهم إلى أن يطفئوا نور الله جلّ وعلا بأسلحتهم

وأيديهم كما أرادوا قبل أن يطفئوه بأفواههم وكلامهم وشبههم، ومن تصدى لحرب الله حل وعلا فهو ...
ومن تصدى بغلبته فهو المغلوب.

(قَالَ فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ) هذا هو المتوقع؛ لأنهم خصومه وأعداؤه ودلائل النبوة كلها في صالحه وليس معهم من الحجة ما يكافئ حجته ولا من البيان ما يقارن بيانه، ما بقي إلا الهنجية ومنطق القوة الذي يزعم أصحابه بما أعطوا من إمكانية أنهم ربما يعدون به الحق ويطفئون نور الله بأيديهم وأسلحتهم إذ عجزوا أن يطفئوه بشبههم وأفواههم وكلامهم. وعلى كلا الحال يأبى الله جل وعلا إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون والمشركون.

إذا رجعنا لسيرة النبوية، نعلم جميعاً أن بدايات الحروب من قريش ضد النبي صلى الله عليه وسلم كانت من قريش ضد النبي صلى الله عليه وسلم في بدر، ثم في أحد. في بدر وصفهم الله بأنهم خرجوا من ديارهم رثاءً بطراً ورثاء الناس. خرجوا بالعنجهية ومنطق القوة، ويحاربون الله ورسوله فغلبوا شر غلبة ودُحروا وكان من أمرهم ما كان.

ثم في أحد وكان لهم في أحد مكسب معين ضيق أعطى هذا المكسب لأبي سفيان المجال أن يجعل الحرب كأنها فيها نوع من التكافؤ والتساوي في النتائج من كل وجه كما سيقول بعد قليل: الحرب بيننا سجال. هي فقط ما حصل يوم أحد. وكانت البداية للمسلمين كما نعرف في الخبر والقصة المشهورة لولا ما كان من أمر الرماة وانقلاب الموازين، ولكن إذا نظرت في النتيجة النهائية لم يحصل المشركون إلا مجرد الإثخان في القتل في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والمبالغة في أذية ذات النبي صلى الله عليه وسلم بجرحه وشججه عليه الصلاة والسلام، وما حصل له من الأذى المعروف. وما وراء ذلك فلم تحسم أحد بالنسبة للمشركين وإن زعموا أنها انتصار، لم تحسم لهم قضية؛ لذلك هم عاتبوا أنفسهم بعد أن رجعوا، قال بعضهم لبعض يتلامون ما صنعتم شيئاً، ما صنعنا شيئاً قال بعضهم لبعض، تركناهم حتى إذا تمكنا تركناهم ورجعنا حتى همَّ بعضهم أن يعيد الكرة مرة أخرى. لكن الله عز وجل صرفهم.

وكذلك الأحزاب وهي أكبر تجمع كفري آلبه أهل الكفر ضد النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والقصة مشهورة معروفة.

بعد الأحزاب انقلب الميزان تماماً وأعلن ذلك النبي صلى الله عليه وسلم والحديث مشهور في البخاري

عندما قال: **((الآن نَغْرُوهُمْ وَلَا يَغْرُونَنَا))**⁽¹⁾.

(1) صحيح البخاري، رقم: 3801، "باب غزوة الخندق وهي الأحزاب قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع".

من الآن خلاص الكفر يعني في ضعف وانحدار من جهة القوة العسكرية كما كان أصلاً ضعيفاً مندحراً جهة الحجة والدليل والمقاييس العلمية والمقاييس الخلقية والروحية ونحو ذلك، إذ لا يمكن لكفر وجاهلية أن تقوم أمام نور الله سبحانه وتعالى وشرعه المطهر **((الآن نَغزُوهُمْ وَلَا يَغزُونَنَا))**.

فسؤال هرقل بناءً على معلومات طبعاً سابقة أن أعداء الرسل هم المبتدئون دائماً بالقتال كمحاولة أخيرة لإطفاء نور الله جل وعلا، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

قُلْتُ نَعَمْ قاتلناه يعني.

(قَالَ فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ) قال أبو سفيان في الجواب: **(الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ)**،

(سِجَالٌ) تعني مرة بعد مرة، وكرة تلو كرة. أخذت من السَّجَل وهو الدلو. ووجه التشبيه كما قاله عياض وغيره لماذا أخذت يعني هذه الكلمة من السَّجَل ما وجه العلاقة؟

الدلو إذا أنزلته ورميته في البئر في المرة الأولى ربما يخرج لك ماءً صافياً، الكرة الثانية يخرج لك ماءً مشوباً، ربما يخرج لك المرة الثالثة طيناً لا تستفيد منه شيئاً. فليس في كل مرة الدلو يكون في صالحك، هذا المعنى. تارة يكون ماءً صافياً تأنس به وتشرب ويروي ظمأك، وترميه مرة فترفعه فيكون ربما مشوباً مخلوطاً ببعض الطحالب والطين، ربما يكون طيناً محضاً إذا كان ماء البئر غائراً ولم تُنزع منذ زمن.

فالدلو كلما رميته لا يأتي ماؤه بالضرورة في كل مرة كما تريد. هكذا الحرب ربما يخوض القوم أو تخوض أمة من الأمم حروباً كثيرة، ليس في كل مرة تحقق ما تريد. تارة تكون لها ولصالحها، وتارة تكون عليها، وتارة تكون نكسة شديدة عليها فيكون فيها ربما اندثارها وكسرها وزوال أمرها وتشتت حالها. فأخذت هذه الكلمة من هذه العلاقة، سجال وهو الدلو وسميت سجال أي نوبة بعد نوبة، ليس هذا فقط؛ بل نوبة بعد نوبة وفي كل مرة ربما تأتي النتائج عندما ترمي الدلو تأتيك ربما على غير ما تريد في كل مرة.

(يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ) هذا تفسير سجال: تارة ينال منا. وهذه التي فاخر بها أبو سفيان مع أن كما

قلنا الآن القصة هذه في وقت الصلح، وسبقها من الحروب الكبيرة ثلاث حروب معروفة: بدر، وأحد، والأحزاب سوى السرايا والبعوث والمناوشات والأشياء التي حصلت في الفترات بين ذلك.

ما هي المكاسب التي تؤهل أبا سفيان ليزعم أن الحرب سجال ينال منا وننال منه؟ في بدر هزيمة منكرة عليهم، كسرت شوكتهم وأنزلت هيبتهم وسمعتهم في الحضيض، وقُتل من كبارهم وصناديدهم أكثرهم، وكان من حالهم ما تعرفون.

في أحد من الانقلاب الذي حصل في آخر الأمر ولم يكسب منه المشركون إلا مجرد الإثخان في القتل نحو سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قُتلوا، وبلغ الأذى إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يحققوا نتيجة معينة يمكن أن يفاخروا بها.

الأحزاب شتت الله شملهم، ومزقهم، وأرسل عليهم الريح، وفعلت بهم جنود الله من الملائكة ما فعلت فرجعوا خاسرين مدحورين.

فما فيه مجال أن يفاخر أبو سفيان فيقول حرب سجال، لكن يعني هو دائماً يضحك مكاسبه ويظهرها بأنها كبيرة بينما في حقيقة الأمر لا تقابل أبداً ما أكرم الله به النبي وأصحابه من النصر المبين في بدر وفي أول أحد وفي الأحزاب، ثم بعد ذلك لم يحقق الكفر مكسباً ولا حتى ضئيلاً.

(قَالَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ) هذا انتقال في الأسئلة. الأسئلة الأولى كما تلاحظ عن طبيعة حال النبي صلى الله عليه وسلم: أخلاقه الشخصية، علاقته مع الكفار، كيف صنعتم به، من أتباعه.

هنا السؤال عن طبيعة الدعوة. طيب ماذا يأمركم؟ ما هي الأشياء التي يدعوكم إليها التي تبرر لكم هذه الحروب؟ ليش الحروب هذه؟ ما الداعي لها مع أن شهادتكم واضحة له بالنبوة والرسالة والصدق والخيرية والأمانة...إلخ.

ثم ما هي الدعوة التي دعاكم لها التي جعلتكم يعني تجهزون الجيوش تلو الجيوش وتقيمون الحروب تلو الحروب لوأدها؟ هل هي من سوء والقبح والنكارة بهذا المستوى التي تُجهز لها الجيوش وتنصب لها الرايات وتقام لأجل خطم شوكتها ودفعها الحروب؟ فكان الجواب على غير ما هو يمكن يتوقع، هو شهادة خصم وهو أبو سفيان وكان إذ ذاك رأس الكفر.

قال: **(قُلْتُ يَقُولُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)** هذه غاية الأمر وأي شيء في هذا. هذا غاية الحسن.

(اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاتْرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ) من هذا الجواب السفياي من أبي سفيان نأخذ فوائداً:

الفائدة الأولى: يظهر كما تسمع الآن كون أبو سفيان الآن في هذه الحال ما هو عالم شريعة الآن يتكلم حيث يرتب أوليات الدعوة، ما هو عالم، على هذا الوضع هو رأس الكفر ما درس يعني أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم والآيات فيرتب أي الأمور يُبدأ بها في الدعوة ما هي الأولويات؟ ما هي قاعدة الدين الأصلية؟ لا، هو يتكلم عن وضع شاهده ففهم منه هذه الصورة.

فبداية جواب أبي سفيان بقوله في وصفه لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم يدعوننا يقول اعبدوا الله وحده دليل واضح لأهل السنة أن البدء في الدعوة التي يمارسها الأنبياء والرسل عن هذه القاعدة الأولى الأصلية وهي توحيد الله جل وعلا، وإفراده بالعبادة، ونبذ وترك كل صور الوثنية والشرك إذ لا معنى أن يؤسس نظاماً اجتماعياً أو أخلاقياً أو اقتصادياً أو ما أعرف إليه. وقاعدة الدين الكبرى وأصله الأعظم وهو توحيد الله جل وعلا الذي سينبثق منه كل نظام بعد ذلك.

عندما يترك المؤمن الربا لا يتركه لأنه أثبتت الإحصاءات الاقتصادية أنه ما هو جيد. لا، يتركه لأن هذا أمر الله وهذا دين الله، فهو يتقي الله. لا يكون هذا إلا إذا كان آمن بالله رباً وإلهاً ومعبوداً، أليس كذلك؟ عندما يترك مثلاً الكذب، عندما يترك الخيانة، عندما يترك الغش والنميمة ما هي من أجل مكاسب اجتماعية كسمعة معينة يكسبها، أو مكاسب اقتصادية، أو شيء من هذا القبيل. لا، هي أمور الشريعة ما هي بدائل لتحسين أوضاع. لا، هي منبثقة من قاعدة أصلية.

إذا لم تكن منبثقة من قاعدة أصلية، ما تعتبر دين وإن عملنا بها. لو تركت أمة من الأمم الكافرة الربا قالت الربا جرت علينا مصائب الفوائد البنكية نريد نزيلها، ما تكون بذلك مأجورة محمودة عند الله؛ لأن هذا ما انبثق من قناعاتها بأن هذا حكم الله؛ لأنه ما يؤمن بالله أصلاً وإنما كبديل اقتصادي، وربما بعد سنوات يرجعون له وهكذا، فانتبه إلى هذه القضية.

إذن البدء في الدعوة من الأصل من الجذر: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً. والنبي صلى الله عليه وسلم ليس بدعاً من الرسل ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ﴾⁽¹⁾ والقرآن يحكي لك ويبيد لك كل نبي يبعث إلى قومه.

طبعاً عندما يُبعث النبي إلى قومه فيه مشاكل كثيرة، عندهم خلل في النواحي الاقتصادية كقوم شعيب يطففون المكيال والميزان. عندهم نواحي أخلاقية كقوم لوط مثلاً وغيرهم. عندهم تكبر وتجبر مثل عاد وثمود إلى آخره. لكن الأصل ما يروح يصحح ذلك الوضع والأصل مفقود ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾⁽²⁾.

ثم بعد هذا يأتي بناء النظام الشرعي الإسلامي الذي تصلح به الأخلاق، والنفوس، والقلوب، والأموال، والأعراض إلى آخره بناءً على هذا الأصل.

(1) الأحقاف: 9.

(2) المؤمنون: 23.

فقول أبو سفيان يبدأ في جوابه بوصف دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله بأنه كان يدعو لعبادوا الله، دليل على أنه على النبي صلى الله عليه وسلم وضع لهم هذه المسألة وضوحاً لا مزيد عليه، وأنه كرس جهده الأعظم عليه الصلاة والسلام في المرحلة المكية واستمر كذلك بعد ذلك إلى تصحيح هذا الأصل الذي هو: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) هذه الفائدة الأولى.

الفائدة الثانية: كما تلاحظ في جواب أبي سفيان، نحن دائماً ندرس التوحيد وندرس معنى لا إله إلا

الله، نقول بأنها تضمنت نفي وإثبات، ما نقول هذا؟ لا إله إلا الله تنفي الألوهية عن كل ما سوى الله.

"إلا الله" تثبت الألوهية والعبادة لله وحده لا شريك له، والقرآن يؤكد على هذا ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ولم يكتف بهذا حتى قال: ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾⁽¹⁾ إذ لا يمكن أن تكون عابداً لله إذا كان في عبادتك أو في طاعتك شيء من الشركة لغير الله سبحانه وتعالى، ولو كان جزءاً ضئيلاً جداً، حتى ولو كان عمل قلبي كالخوف أو الرجاء أو الطمع ونحو ذلك. مو شرط شرك صنم ووثن، حتى في القلوب ممكن يقع ولا يقبل الله عز وجل الشرك ولو كان في أدق صورته.

(فاعبدوا الله) ما تتحقق حتى ينضم إليها (لا تشركوا به شيئاً). أبو سفيان أيضاً لا يتكلم بوصفه

عالم شريعة، ولا درسها. يتكلم يصف حال شاهده وعاصره وهو يتزعم خصومة وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهم أبو سفيان وطبعاً وهو ناطق رسمي عن حال قومه كلهم أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم

إلى عبادة الله، ليس هذا فقط وأن يتركوا كل الوثنية والشرك الذي كانوا عليها، وهذا يؤكد واقع السيرة.

يذكر أبو إسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بدأ بدعوته إلى عبادة الله وبدأ الناس

يسمعون منه ويسلمون شيئاً فشيئاً، لم تكن قريش تنكر من أمره شيئاً، ولا قامت قيامتها ولا أعلنت حتى

بدأ بعيب آلهتهم _ شوف هنا القضية _ وتقبيحها، وبيان ما هم عليه من السفاهة، وتجهيل ما كانوا عليه

هم وآباؤهم الأقدمون، و أنه يجب ألا يبقى هذا الشرك كله، هنا ثارت ثائرهم وقامت قيامتهم فبادروه

بالعداوة.

هذا يحقق لنا مقصد ومقصد علمي كبير جداً. اليوم نسمع ونقرأ دعوة مثلاً إلى الحوار كما يقولون،

الحوار مع الأديان والاتفاق على نقاط مشتركة مع أديان موجودة في عالم اليوم، سواءً كانت أديان لها أصول

كتايب قديمة كما عليه مثلاً النصارى، أو أديان تملأ عالم اليوم وهي في الغالب وثنيات وديانات وضعية من وضع البشر من عند أنفسهم.

مجرد قبولنا ونحن أصحاب رسالة جاءت لتنفي كل صرف للتأليه لغير الإله الحق لتثبت بعد ذلك التأليه كاملاً للإله الحق، إذ لا يمكن أن يقع هذا إلا بذاك، ولا يمكن أن تصل إلى الإثبات إلا عن طريق النفي؛ لذلك قال العلماء لا يمكن أن تكون مؤمناً حقاً ولا يثبت عندك تأليه الله عز وجل حتى تنفي كل ما سوى الله من قلبك وعملك وشرعك ودينك وكل حساباتك التي تعملها في حياتك.

لا يمكن، مجرد قبولنا أو تجويزنا القبول أن نقبل وجود ملة أخرى تُعبّد أرواح الناس وقلوب الناس لغير الإله الحق، هذه خسارة كبيرة جداً وهدم لأصل كبير جداً؛ ولهذا النبي صلى الله عليه وسلم لم يتحمل هذه الحروب الطويلة مع قومه إلا لأجل هذا؛ ولذلك استشهدت بخبر السيرة قبل قليل.

لم تنكر قريش، خلاص التعددية في الآلهة ما هو مشكلة عند الوثن اللات والعزى والله وهبل وكلها تمشي ما هي مشكلة. انتبهتوا وللا؟ لكن أن تقول الله فقط، وما سواه تلغيه وما سواه تنفيه، وما سواه تزيه وتقول أنه باطل وتعمل على دثره، هذا هو الذي لا يقبله أهل الكفر.

ففي عالم اليوم ما مشكلة عند ربما خصومنا أو عند الذين ربما يدعون إلى شيء من هذا القبيل أن يُجوّز، أو يُسكت، أو لا يُبطل، أو لا يعمل على إبطال ديانة تُعبّد الناس أو أتباعها لغير الله على أن يبقى لكل ناس ملّتهم، فيكون عبادة الله وتأليه الله شيء من التأليه الواقع في الأرض. انتبهتوا وللا؟

فكون هذا يؤله الرب يسوع عيسى ابن مريم، وهذا يؤله كذا، وهذا يؤله الجوس حق الهند البقرة، وهذا يؤله بوذا، وذاك يؤله كذا. تبقى القضية يعني هي تأليه وخلص، هي ديانة وخلص كل يتدين بطريقته التي يراها يعني مناسبة وأنت اعبد الله كما شئت، وادعُ لدينك كما شئت لكن لا تنتقل. ادعُ كما شئت لكن لا تنتقل إلى إبطال ما سواه، هذا الذي يأتون به عبارات نفي الآخر وما نفي الآخر والكلام الفارغ، فالنهاية ما هي؟ النهاية إذا قبلنا هذا هي إلغاء لأصل جذري في رسالة جاءت لإسعاد البشرية، وهذا واضح الآن.

الآن رأس الكفر الكتابي وهو هرقل نصراني، ورأس الكفر الوثني وهو أبو سفيان اتفقا على أنهم فهما أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ليس فقط دعوة لعبادة الله ويكتفي إذ ربما يصطلحون معه، ويوافقون يقولون خلاص ما فيه مشكلة بس تبقى لنا أدياننا، ولا تعب أو ثاننا، ولا أحكامنا، ولا أنظمتنا وإلى آخره. لكن فهموا أنه فيهنقطة أخرى، ولذلك قامت الحروب وقامت المشاكل لأجلها وهي: (لا تشركوا به شيئاً واتركوا ما كان يعبد آباؤكم).

فاتفق رأس الكفر الكتابي ورأس الكفر الوثني على هذا الفهم في طبيعة دعوة النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم، وإلا سيشكل عليك كونه خاتم الرسل، يشكل عليك كونه بُعث إلى الخلق كافة، يشكل عليك أمور كثيرة أصلية في الدين الذي ندين الله عز وجل به وندعو الناس جميعاً إليه، ونعتقد أن هو الحق وكل ما عداه وسواه باطل، ولا يغرنكم يعني دعوات أهل الحوار.

الحوار ليس مقصداً، وفرق أن تجعل الحوار مقصد كونك تتحاور وخلص دون غيره، وأن تجعله وسيلة لغاية. لا مانع عند كل مسلم يفهم كتاب الله أن يحاور على أن الحوار وسيلة لإبلاغ رسالة للوثني للنصراني، لليهودي، للشيعوي إلى آخره أن ما أنتم عليه ظلال مبین، وخطر عظيم يُخسّر الدنيا والآخرة، وهذا هو الحق ولا بأس في المناظرة وإثبات دلائل النبوة وبيان الفساد الذي هم فيه، لا بأس بذلك كوسيلة للوصول إلى غاية. لكن يريد الحوار غاية تتحاور وخلص طيب ماذا بعد؟ نسوي مؤتمر يأتي الأرت ودكس، يأتي الكاثوليك، يأتي البروتستانت، يأتي يهود، يأتي مسلمون، يأتي بوذيون. طيب وبعدين؟ جلسوا خمسة أيام في فندق، طيب وبعدين؟ ما هي النتيجة؟ كون هذا مكسب كونهم اجتمعوا وتناقشوا، وكل يتلمس قاسم مشترك يعني عنده يوافق الآخر وخلص.

لا يجوز أن يُدخل الحق الذي أنزله الله جل وعلا ويُبعث به خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتاب محفوظ من الباطل والزور والتحريف مع أديان محرّفة وشرائع مبدّلة ووثنيات وضعية... إلخ. هذا لا يمكن ولا يُقبل ولا يُوافق عليه من عرف دين الله بحق وصدق. إذن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، تؤكّد على هذه القضية.

هذه نمسكها قليلاً **(وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)** أسلوب إطلاقي مطلقاً أي شيء، مو بس اللات والعزى. الآن الخطاب لهرقل حتى جعلك بشراً كعيسى ابن مريم وإن كان رسولاً إله، نفس الوضع يشملك الحكم؛ ولذلك بعد قليل في آخر الحديث لما يبدأ هرقل يفسر لماذا سأل هذه الأسئلة سيحيد حيدة عن قضية: (لا تشركوا به شيئاً) ويحصرها في الأوثان ليخرّج ديانتها وهي شركية نفسه هي الشرك، سواءً عبت حجراً ولا بشراً ولا قمراً ولا شمساً، هو شرك.

فسيحيد عن هذه المسألة الواضحة التي سيفهمها وسيجعلها عيباً فقط للوثنيين، ليخرج دينه ودين قومه في عبادة شخص المسيح؛ بل ليس حتى عبادة شخص المسيح، عبادة الصليب الذي يضعونه في كنائسهم ويعتبرونه محور دينهم كما ربما نشير إلى شيء من ذلك. إذن اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً.

نقطة ثالثة من فوائد هذه الكلمة معلى لأن التطويل لا بأس به وإن كان بعض الإخوة يتضايقون منه. هذا يدل على فائدة جد مهمة على أن المشركين والكفار فهموا دعوة الإسلام فهماً حقيقياً واضحاً وصحيحاً واستوعبوها. انتبهتم وللا لا؟

هذه النقطة جد مهمة ينبغي عليها السؤال. مادام فقهوها وعرفوا حقيقتها وطبيعتها ليش قاوموها وحاربوها ورفضوها؟ هذه جملة تأسيس قضية مهمة.

أهل السنة رحمهم الله وجعلني الله وإياكم منهم عندهم الإنسان قد يكفر بأسباب كثيرة جداً. بعض الناس يظن أنه ما يمكن يكفر إلا إذا يعني جهل ما يُدعى إليه، أو ما اقتنع به، أو اكتشف عيباً فيه. لا، قد يعرفه حق المعرفة، ويعرف ما فيه من خيرية وصفاء، لكن مع ذلك يكون من ألد خصومه. لماذا؟ فيه أسباب خارجية، أقصد بكلمة "خارجية" يعني خارجة عن الفهم الداخلي والقناعة الباطنية. الحسد ككفر اليهود ﴿حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾⁽¹⁾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾⁽²⁾.

ليش كفروا وقد عرفوا؟ ما هو سؤال وارد وللا لا؟ ليش كفروا وقد عرفوا؟ فيه أسباب حسدوا ما أرادوا أن يكون النبي الخاتم من بني إسماعيل، يريدونه من بني إسرائيل. فلما جاءهم من بني إسماعيل قالوا خلاص ما يمكن نسلم.

طيب، الحق ثبت وعرفنا والدلائل ظهرت والأمور وضحت، كبر واستكبار مثل فرعون مثلاً ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾⁽³⁾.

إذن فيه علو واستكبار. كيف يكون ملك يعبد قومه عشرات السنين، يتنازل عن هذا دفعة واحدة ليصبح شخصاً عادياً، ولو عرف طبيعة دعوة موسى ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ﴾⁽⁴⁾.

طيب، بعد أن علم؟ الحرب التي تعلمون حتى أهلكه الله. ذكرت لكم الأسبوع الماضي كيف أن ربما شهوة حتى من الشهوات كقصة الأعمشى وكذا، يعني أمور كثيرة ليس بالضرورة كفر الإنسان بعدم قناعته أو عدم فهمه كما قد نظن؛ ولذلك ربما يضيق عليه فهم مثل هذه القضية، ونتعجب ليش الكفر ربما يكون منتشرًا وكثيراً مع أنه ربما يفقه الخصم حقيقة ما ندعو إليه.

(1) البقرة: 109.

(2) البقرة: 89.

(3) النمل: 14.

(4) الإسراء: 102.

فيه أسباب كثيرة للكفر، ولذلك عدّد أنواع الكفر العلماء وصلوا إلى ستة وبعضهم إلى سبعة: كفر الاستكبار، كفر الإباء، كفر الجحود، كفر الإعراض... أسباب كثيرة جداً ليست بالضروري القليلة. وكفر هرقل من هذا النوع وكفر أبو سفيان من هذا النوع، القناعة موجودة وعرفوا وفقهوا (ادعوا الله ولا تشركوا به شيئاً ويدعوننا إلى الصلاة والصدق والعفاف، ماذا تريد أحسن من هذا؟ ليش هذا يدعوكم إلى ماذا إذن؟ ليش العداوة هذه؟

أنت رجل عاقل، قارن بين ما أنت عليه من وثنيات وجاهلية وبين ما يدعوكم إليه. ما تجد مجال للمقارنة، كان المفروض أنك تقبل ليش العداوة والحرب وقتال وكذا؟ فيه ملابسات أخرى، فيه حسد، فيه كذا، فيه كذا.

حتى رؤوس الكفر الكبار ربما ليس بالضرورة عدم قناعتهم وعلمهم بأن هذا هو الحق؛ بل يعرفونه تماماً؛ ولذلك يحاولون يائسين أن يطفئوه ويأبى الله إلا أن يظهر دينه عليهم.

أبو جهل رأس الكفر معروف قصته مع الأسود ابن شريق الثقفي لما قال له الأسود: يا أبا الحكم _ يكونه أبا الحكم _ أتشك في صدق محمد؟ يعني هذه عداوة أبو جهل ليل نهار ما يترك فرصة هل هذا عنده مجرد شك أنه كاذب؟ قال: ما جربنا عليه كذباً. عنده قناعه بأنه صادق. ما جربنا عليه كذباً. طيب، ليش هذا التحزب الضخم هذا والتأليب العظيم والعداوة؟

قال: (كنا نحن وبني هاشم) نحن يعني قومه بني المغيرة ابن مخزوم، وبنو هاشم قبيلة النبي صلى الله عليه وسلم. يعني المسألة قبلية فقط وبينهم تنافس قبلي قديم. (أطعموا أطعمنا وسقوا فسقينا حتى إذا جثوا فينا على الركب وكنا نحن وهم سواء) كل ما سوا شيء سوينا مثلهم حتى لا يفخروا علينا حتى قالوا فينا (نبي)، والله هذه كيف ما عندي قدرة أي أحد من بني المغيرة نبي، وهذه كلها مشكلة عند هذا الرجل الهالك حتى هلكه الله في بدر.

قلنا القناعة ما عندهم ولا كان طرح قال: كذا وهذا كلام تناقض مع كذا. هات برنامحك، هات حجتك ما فيه ولا شيء، ليش بنوها؟ مثل اليهود ليش بنو إسماعيل؟ نفس القضية.

مثل الآن الجنس مثلاً الجنس الأوروبي مثلاً ولا الأمريكي لا يرضى أن يكون مثلاً عند غيره كالعرب مثلاً من المقومات الخلقية والدينية والروحية والنظام والتسامي أعظم مما عندهم؛ فلذلك يحاولون يعني بشتي الوسائل أن يعيبروه أو يخربوه أو يعنوا يجاربوه، ويخربهم الله سبحانه وتعالى كما أخزى من كان قبلهم.

طيب، نتجاوز هذه **(وَأْتَرَكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ)** هذا تعميم بعد تخصيص. من أهم ما يقوله آباؤهم هو الوثنية. وقد نصّ عليها بقوله: **(وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)** فيكون اتركوا جملة ما كانوا عليه في الجاهلية من أخلاق، وأفكار، وخرافات، ولا هامة ولا طيرة ولا صفر. كل أمور الجاهلية داخلة، كل ما كانوا يعتقدونه من خرافات وكانوا عليه من أخلاقيات يدعوهم النبي صلى الله عليه وسلم بتركه حتى يحل محله التوحيد، ويحل محله النظام الإسلامي والشرعي النبوي الذي جاء به عليه الصلاة والسلام.

(وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ) الصلاة هي ركن الإسلام العملي الكبير العظيم.

(وَالصِّدْقِ) في رواية في كتاب "الجهاد" وغيره أضاف إلى الصلاة الزكاة **(بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ)**. قال:

بالصلاة والصدقة والصدق. الثلاثة ذُكرت في ألفاظ أحاديث أخرى في مواضع أخرى في نفس الصحيح. إذن الصلاة ذُكرت والزكاة قرينة الصلاة ذُكرت.

(وَالصِّدْقِ) وهو الناحية الخلقية.

(وَالْعَفَافِ) التعفف عن الفواحش والفجور والزنا والأمور التي كانوا عليها في أخلاق الجاهلية

فاسدة.

(وَالصَّلَاةِ) صلة الأرحام، صلة الفقراء، وصلة... نظام كامل كما ترون.

هنا مسألة سينبني عليها خلاف أصولي، سنشير إلى الخلاف الأصولي بعد أن نذكر مسألة فقط. يعني بدون تطويل كثير. هذا يدل على أن في هذه المرحلة أنت تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم في المرحلة المكية _ نحو ثلاثة عشرة عاماً _ ما كان يدعوهم إلى زكاة ولا إلى صلاة إلا قبل الهجرة بسنتين لما فُرضت الصلاة أو بسنة على رواية أبي إسحاق.

قبل ذلك ما فيه أحكام مثل هذه. وأكثر الأحكام هذه بل ربما جميعها ما عدا الصلاة كانت بعد الهجرة في المدينة. وللا؟ كانت الدعوة فقط منصبه إلى: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واركبوا ما يقول آباؤكم).

فمن أين جاء أبو سفيان بالمعلومة بأنه يدعوهم إلى الصلاة والزكاة والصدقة والصلاة والعفاف؟ وهو إلى هذا الوقت يعادي النبي صلى الله عليه وسلم. هذا يجر إلى خلاف مشهور. هل الكفار يُخاطبون بفروع الشريعة _ معروف هذه المسألة _ كما هم مخاطبون بالأصول؟

هذه من أدلة القائلين أن الكفار مخاطبون بالشرعية كلها وسيحاسبون عليها كلها. انتبهتوا وللا لا؟ وبطبيعة الحال مادام كفروا بأصولها، سيكفرون بتعاليمها وأحكامها وهذا من باب أولى، ولذلك يعني يُركز على الدعوة إلى الأصول وتأتي الفروع تبعاً لذلك.

فأبو سفيان يتكلم الآن بعد ست سنوات من الهجرة، وقد بلغته شريعة كاملة من عند النبي صلى الله عليه وسلم منها الأصل الذي دُعي إليه في مكة، ومنها ما سوى ذلك مما بدأ يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يدل على أن خبر دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بجميع أصولها وفروعها وأحكامها بلغ الكفار جميعهم؛ ولذلك ذكر أبو سفيان ذلك، ذكر أولاً الأصل الأكبر (اعبدوا الله) ثم ذكر شيئاً يتعلق بالنظام الإسلامي من الصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة.

(فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ) انتهت الأسئلة، فيبدأ هرقل يذكر ليش اختار هذه الأسئلة بالذات، وماذا سبني عليها. سبني عليها دلائل النبوة كما قلنا في أول الدرس.

(فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ) أي هرقل يقول للترجمان.

(قُلْ لَهُ) أي قل لأبي سفيان.

(سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ) هذه النتيجة التي بينها **(فَكَذَلِكَ**

الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا) وقلنا في درس سابق ليش الله يبعث النبي معلوم النسب؟ حتى يمنع أي مطعن في شخصيته أو في نسبه. لا يمكن أن يبعث نبياً غامض النسب، أو مطعون النسب، أو مجهول النسب أبداً، يبعث الأنبياء في صليبة قومهم.

(فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا)

ما الذي يريد أن يبينه؟

قال: **(فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتِسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ)** فكرة

موجودة يريد يعني أن يجيها مرة أخرى، وهذا غير موجود ليست القضية أنه يبعث أفكار قديمة فيريد أن يعيدها مرة أخرى ليكسب من ورائها شهرة أو مقاماً أو مالاً أو شيئاً من هذا القبيل.

(وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ) أو من مَلِكٍ على الضبطين كما قدمنا ذلك.

قال: **(فَذَكَرْتَ أَنْ لَا)** ما كان أحد من آبائه ملكاً أو مَلِكٍ.

(قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مَلِكاً أَبِيهِ) أيضاً هذه أُغلق بابها، فهو ليس

رجل يطلب ملك أبيه.

(وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهَمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ) دلالة الأحوال والصفات. نبهنا

عليها في الدرس السابق حال النبي من الصدق هل هو يعني مجرب عليه الكذب؟ فلو جُرب عليه الكذب لقلنا هذه واحدة من كذباته. لا، ما عشر على كذبة واحدة أربعين سنة، شيء عجيب فعلاً.

(قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ

عَلَى اللَّهِ) هذه نتيجة معلومة ومسلّمة وطبيعية وحقيقية.

(وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافَ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعْفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضَعْفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ)

هذا ذكرناه في الدرس الماضي بالتفصيل.

(وَسَأَلْتُكَ أَيْزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ) أي في زيادة مطردة أم تراجعوا وتنازلوا واكتشفوا خللاً ففروا منه،

لا.

فكان الجواب: (فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ) ما هي النتيجة التي يريد هرقل أن يبينها على هذا السؤال؟

(وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ) وفي لفظ آخر عند البخاري (وكذلك أمر الدين).

(حَتَّى يَتِمَّ) يعني لا زال الدين الحق طبعاً قائم على بعثة من الله جل وعلا يبدأ طبعاً بسيطاً قليلاً

في عدده قليلاً في تشريعه، ثم لا يزال ينمو ويزكو ويربو حتى يتمه الله جل وعلا.

فبين البداية السريّة في دار الأرقم وبين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾⁽¹⁾

مرحلة زمنية نزل فيها من أمر الله ما نزل وخاض النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الحروب ما خاضوا حتى أتمّ الله أمره، وهذه سنّة الله جل وعلا في أنبيائه ورسله مع خصومهم.

(وَسَأَلْتُكَ أَيَّرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ) هل أحد منهم ارتد سخطاً على هذا الدين

مكتشفاً عوّاره وخلله؟

فكان الجواب: (فَذَكَرْتَ أَنْ لَا) وذكرنا الدرس الماضي أنه لا يشكل على هذا ما وقع في قصة عبيد

الله ابن جحش ولا أسبابها التي ذكرناها في الدرس الماضي.

(وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ يَخَالِطُ بِشَاشَةَ الْقُلُوبِ) هنا ضبطين لهذه الكلمة. إما أن تقول: (حين

يخالط) بالياء حين يخالط أي الإيمان (بشاشة القلوب).

إذا دخل الإيمان وخالط شغاف القلوب، لا يمكن أن يرتد أحد إذا عرف حقيقته ولا مس وذاق

طعمه. ((ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا))⁽¹⁾ هذا لا يمكن أن يترك

هذا أبداً، ولو سُوم على دينه بالدنيا وما فيها كما تعرفون. لكن إذا ما خالط الإيمان بشاشة قلبه، كان إيمان سطحي أو دعاية فقط أو اسمي أو جغرافي بس ماشي مع المسلمين ماشي وخلاص، هذا بيع دينه بسندويشة ربما.

قلت يعني والضبط الثاني: (حين تُخالط بشاشته القلوب) فتكون البشاشة من وصف الإيمان. حين تخالط بشاشته القلوب، فشبه الإيمان كأه يعني يحيي القلوب ويؤنسها ويعيها من موتها إلى لذة وذوق وأنس. انتبهتوا؟ تخالط بشاشته القلوب، لا يمكن إذا خالط شغاف القلوب وذات لذته أن يسخطة أحد أو يتركه أو يهجره. إذن هذا الضبطين: "حتى تخالط بشاشة القلوب" أو "بشاشته القلوب".

(وَسَأَلْتِكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ) لاحظ هنا هرقل ما التفت إلى الكلمة التي حاول أبو سفيان أن يدخلها كذا ويقول ونحن في مدة والله ما ندري يمكن، ما تدري وعندك سبعة وستين سنة قبلها كنت تدري فما بال هذه جاءت سبعة وستين سنة وشهدت له أربعين سنة قبل النبوة وثلاثة عشر في مكة والآن ست سنوات بعد الهجرة ما غدر قط، بس يريد يدخل قضية ما التفت إليها هرقل؛ لأنه عرف أنه لا قيمة لها مادام أن الشاهد أنه لا يغدر أربعين سنة قبل النبوة، والآن على هذه القصة ثلاثة عشر وستة، تسعة عشر سنة بعد النبوة ما غدر قط صلى الله عليه وسلم ولم يغدر وليس الغدر أصلاً من طبيعته ولا من خلقه عليه الصلاة والسلام.

هذا يعني شهد له الأعداء قبل أتباعه وأصحابه ومحبه صلى الله عليه وسلم. لم يلتفت إلى كلمة هرقل بقوله: "نحن في مدة"؛ لأنها لا قيمة لها ولا وزن لها أمام هذا الوضوح والأجوبة العظيمة التي حصلت.

(وَسَأَلْتِكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ) عن حقيقة الدعوة.

(فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَأَكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ) قلت قبل قليل سيحيد هرقل ولا لا؟ لما جاوبه أبو سفيان وقال يأمرنا يقول: (اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واركعوا ما يقول آباءكم)، لا تشركوا به شيئاً إطلاقاً ولا لا؟

كل شيء يدخل تحت هذا النفي الأصنام والأوثان والشمس والقمر والأنبياء والناس لا يثرك بالله شيء. لكن هنا هرقل خرج ملته وضيق القضية على أنها فقط خاصة بعبادة الأوثان، لو كان الشرك فقط

(1) صحيح مسلم، رقم: 49، "باب الدليل على أن من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فهو مؤمن وإن ارتكب المعاصي الكبائر".

عبادة أثنان لما قال (وينهاكم عن عبادة الأوثان)، وينهاكم وينهاك أنت أيضاً عن عبادة عيسى ابن مريم أو عبادة الصليب أو ما أعرف ايه أو أحبارهم أو رهبانهم كل هذا سيدخل.

هذه حيدة تدل على أنه بقيت عنده بقايا من النصرانية وهذه البقايا ستهلكه كما سرعرف في قصته ستهلكه وستجعله مثل أبو سفيان فقه الحق تماماً، ومع ذلك ذهب بجيش الجيوش في مؤتة واليرموك وغيرها، حتى طرد من بلاد الشام ومات في غياهب أوروبا يعني على نصرانيته.

(وَبِأَمْرِكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصَّدَقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ) طيب ما هي نتيجة هذا الحوار الطويل؟ ما هي

الثمرة؟

(فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ) في رواية أخرى في كتاب "الجهاد" في

الصحيح: **((وَإِنْ يَكُ مَا قُلْتَ حَقًّا فَيُوشِكُ أَنْ يَمْلِكَ))** ⁽¹⁾ ف (سيملك) قناعة مؤكدة من هرقل أنه سيملك، لكن (يوشك) تدل على نوع من القرب.

(يوشك) تدل على المقاربة يسمونها، هو سيملك متى؟ الأمر جد قريب. (يوشك أن يملك) وبالفعل

هذه القصة سنة ست أو بداية سبع أيام بداية الصلح واليرموك في ثلاث عشرة من الهجرة، يعني ما فيه إلا سنوات معدودة وانتهى وجود الروم في بلاد الشام كلها.

(فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ) وكان هذا الموضع هو بيت المقدس القدس، وكان هرقل إذ ذاك

كان فيها؛ لأنه كما قلنا في أول درس لما بدأنا الحديث أن هرقل لما خرج ظاهراً منتصراً على الفرس في المعركة الفاصلة بينهما في الجزيرة والجزيرة حلة من الأرض بين الشام والعراق، حج يعني شكراً لله إلى الأراضي المقدسة التي يقدها النصارى الي هي يعني بيت المقدس والناصره والأماكن هذه، فوفاه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بلاد الشام، وجرى هذا الحوار مع أبي سفيان في بيت المقدس، وتحقق ذلك في سنوات معدودة والحمد لله رب العالمين.

(مَوْضِعَ قَدَمِي هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ) في الهواية التي في كتاب الجهاد في البخاري قال:

((وَهَذِهِ صِفَةُ النَّبِيِّ قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ)) ⁽²⁾ هذه الأوصاف والأسئلة تدل على أنه كان يسأل أسئلة

عن معلومات هو مجهزها يقول: وهذه صفة نبي سبيعت، موعودون به لكن من أين؟ من أي الأرض؟

(1) صحيح البخاري، رقم: 2723، "باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وقوله تعالى: { ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب } إلى آخر الآية".

(2) صحيح البخاري، رقم: 2723، "باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وقوله تعالى: { ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب } إلى آخر الآية".

هرقل يقول: **(كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ)** وكان الجميع ينتظره فعلاً، كانت الأحبار والرهبان والقسوس كلهم كانوا ينتظرون النبي القادم واليهود؛ ولذلك اليهود وساكني الجزيرة لما كانوا يجري عليهم شيء من العرب في ذلك الوقت أيام الجاهلية، كانوا يستفتحون عليهم يقولون أنه سيخرج نبي وسنقاتلكم به إلى آخره. كانوا ينتظرون فقط ويعدون الأمور ويقرؤون الأوصاف وينظرون، حتى هُيئ العالم كله في ذلك الوقت ببعثته صلى الله عليه وسلم. ولكن لما بعث من بني إسماعيل من العرب اختلفت طبعاً المواقف تماماً، سواءً من اليهود، أو من هرقل وقومه، أو من بني المغيرة المسكين ذاك اللي راح فيها.

(لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ) هذه أيضاً مهمة جداً؛ لأن العرب الأعراب كما تعرف الحال في الجاهلية كانوا في أسوأ الأحوال. أعراب في الصحراء هكذا كانوا مبعثرين، يعني يقتل الرجل أخاه إذا سرق منه دجاجة أو بعبيراً أو... هذه حالهم أي ميزان قوة أي شيء ما كان يعمل حسابه. حتى القسيس هذا الملك هرقل كان ينتظر النبي القادم فكان ربما يرشحه من إحدى الأمم التي كان لها صولة وجولة كما يظن هو أو يفهم، وما كان العرب معمول حسابهم تماماً؛ لذلك كما سيأتي في آخر القصة لما كان هرقل يعني ينظر في النجوم، فرأى ملك الختان قد ظهر، فسأل من يختتن في هذه الأمة؟ يعني من يختتن في العالم اليوم في وقته؟ فالأحبار والمستشارون والمجلس الاستشاري والوزارات والمخابرات إلى آخره قالوا ما عندنا أحد في معلوماتنا وملفاتنا يختتن إلا اليهود. ما هم المذكورين العرب نهائياً ولا محسوب حسابهم في شيء. فما كانوا يعرفون أنهم مجهولين تماماً. انتبهتوا للنقطة هذه؟ فكيف يتوقع أن يخرج من العرب؟ ثم كيف سيكون وقع الأمر عليه _ هذه النقطة المهمة _ إذا جاء من الأمة التي ما كان يعمل حسابه قط ولا حتى مجرد التفكير فيها.

فهنا تختلف المواقف فعلاً ويتبين من يريد الله به الخير ويهديه إلى الحق؛ ولذلك سيأتي مقارنة معنا بين حال هذا الملك وحال ملك آخر من النصارى وهو النجاشي، وكيف اختلفت مواقفهم بناءً على حيثيات مهمة جداً يأتي الإشارة إليها.

(فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلَصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ) التجشم هو التكلف. هنا قد تسأل سؤال: لو أني أعلم أني أخلص إليه، ما الذي يمنعك أن تخلص إليه؟ هذا سؤال كأن الأمر صعب جداً أن أصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن عرف أنه هو النبي الحق. ما هي المعوقات؟ طبعاً المعوقات كبيرة جداً ما هي؟

عندك أولاً: الملك، ملك الروم يروح يتبع العرب ايش العرب؟ مشكلة كبيرة عند البطارقة والدهاقنة والقسس؛ ولذلك سيأتي في هذه القصة ما يدل على ذلك.

أيضاً ربما هناك حاجز نفسي كونه يترك الملك والأبهة ويصبح يعني تابعاً من أتباع النبي صلى الله عليه وسلم، هذه ربما أيضاً يعني تبقى لها جوازها، تبقى لها جوازها؛ ولذلك قلت أكرر هذا بالتفصيل بأنه لم يكتف فقط بعدم الاستجابة؛ بل انتقل منها إلى الحرب والعداوة وهذا يدل فعلاً على أنه يحارب عن مصلحته، وعن شهوته، وعن ملكه، وعن رضا قومه، وعن رضا قومه، وإلا ما فيه شيء يمنع من أن يخلص إليه.

وربما أيضاً خشي أن يُقتل يقتله قومه كما قتلوا يعني من أعلنوا إسلامهم من الروم... وغيره. ولكن طبعاً لو كان أيقن وأراد الله له الخير، القتل يصبح حين أمام يعني فلاح الدنيا وفوز الآخرة، يصبح حين يعني.

(لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ) أي تكلفت لقاء النبي صلى الله عليه وسلم.

(وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَعَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ) يعني يظهر مبالغته في الاعتراف بأن هذا هو النبي صلى الله

عليه وسلم الذي وعد به هو وغيره.

(ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةَ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ

إِلَى هِرْقَلِ)، (دِحْيَةَ) ابن خليفة الكلبي، صحابي معلوم معروف من المهاجرين، كان حسن الوجه وكان هو رسول النبي صلى الله عليه وسلم بكتابه الذي سيأتي ذكره إلى هرقل. فدحية حمل كتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى عظيم بصرى.

بُصْرَى ولاية إن صحت العبارة تابعة للمملكة يعني الرومية. يعني عظيم الروم وهو الحارث ابن أبي

شمر الغساني وهو من نصارى العرب وذكرت لكم حيثيات هذا في درس سابق،

حملة أي حمل دحية والكتاب حتى أدخله على هرقل لما نزل بيت المقدس.

(فَدَفَعَهُ إِلَى هِرْقَلِ) يعني عظيم بصرى دفع الكتاب إلى هرقل.

(فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ) هذا نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي كتبه إلى هرقل عظيم الروم.

(فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هذا يعني يدل على كما سيأتي في كتاب العلم وسيأتي هذا

الحديث ينبغي افتتاح الكتب و المراسلات وكل أمر ذي شأن بذكر الله واسمه سبحانه.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) وكل أمة تفتتح خطابها وكلامها وكتبها مقروناً بأسماء المعظمين عندها، أليس كذلك؟ النصارى يقولون باسم الأب والابن والروح القدس، ولا يقول إلهاً واحداً والثاني: يقول باسم الشعب، والثاني يقول لك باسم الوطن.....الخ.

فالمؤمن ما عنده شيء أعظم ولا أقدم من ربه وخالقه سبحانه وتعالى فيقول بسم الله الرحمن الرحيم. والنبى صلى الله عليه وسلم يقتدي في هذا بنبي سابق وهو سليمان عليه الصلاة والسلام لما أرسل كتابه المعروف والمشهور إلى ملكة سبأ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (30) أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾⁽¹⁾.

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) شوف النبي صلى الله عليه وسلم وصف نفسه بوصفي، ن ليس الكتاب كتاب رئاسة ولا خطاب ملك. ما وصف نفسه بملك العرب، ولا ملك كذا، (عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ).

هذا الخطاب فيه شيء مهم جداً (عَبْدِ اللَّهِ) أولاً فيه تواضعه صلى الله عليه وسلم المعروف عنه مع ربه جل وعلا أنه عبد الله. ووصف العبودية لله أشرف الأوصاف وأقدسها وأجلها وأعظمها؛ ولذلك يخاطب الله نبيه في مقامات التشريف ومقامات التكريم بوصف العبودية لا بوصف النبوة والرسالة: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾⁽²⁾ في مقام الإسراء وهو معجزة باهرة. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾⁽³⁾ إنزال الشريعة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾⁽⁴⁾ ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾⁽⁵⁾ في العبودية وفي الرسالة وفي إنزال الكتاب، إنزال الشريعة في الإسراء. كل الاسم الذي تكرر ما هو؟

وصف العبودية، أشرف مقام أن يكون الإنسان عبداً لله وكلما كان أكمل في تحقيق العبودية لله، كلما كان أشرف وأجل وأكرم عند الله سبحانه وتعالى. ولم يحقق هذا المقام أحد أعظم من تحقيق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك كان إذا خاطبه أصحابه في شيء فيه نوع من الإطراء، كان ينهاهم عن ذلك.

(1) النمل: 30_31.

(2) الإسراء: 1.

(3) الفرقان: 1.

(4) الكهف: 1.

(5) الجن: 19.

لما قالوا أنت سيدنا وابن سيدنا، وهو كذلك عليه الصلاة والسلام قال يعني: **((لَا تُظْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ))**⁽¹⁾ إلى آخر الحديث المعروف عنه صلى الله عليه وسلم.

(وَرَسُولِهِ) المهمة الوظيفة ما هي؟ العبودية تخصه هو كونه عبد الله والله أعظم من أي شيء، كأعظم عبد من حقق هذا المقام. لكن الآن هو يخاطب هرقل بأي وصف؟ لا بد؛ لأنه رسول، رسول الله إلى العرب وإليك هرقل وإلى كسرى وإلى كل الخلق الموجودين إلى اليوم، والآن هو يمارس عمله عليه الصلاة والسلام الحقيقي، يرأس الملك، يرأس الرؤساء والكبراء يدعوهم بدعاية الإسلام، يعرفهم أنه رسول رب العالمين إلى العالمين أجمعين صلى الله عليه وسلم.

(عَبْدِ اللَّهِ) المقام الذي يريد أن يحققه صلى الله عليه وسلم وقد حققه.

(وَرَسُولِهِ) فيها بيان مهمته. أيضاً لعل في هذا كما ذكر بعض الشراح من قوله: **(عَبْدِ اللَّهِ)** فيها نوع من التنبيه لهرقل.

هرقل هم جاءهم نبي النصرى وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، وللا لا؟ وعيسى وصف نفسه بالعبودية والرسالة. إذن جاءكم عبد ورسول فجعلوه بعد التحريف الطويل _ الذي ربما سنذكر شيئاً منه _ جعلوه ابناً لله، ثم لاحقاً جعلوه هو الله. هو يريد أن ينبهه إلى أن مقام الرسالة ومقام البشرية والعبودية هذا يعني هو مقام الأنبياء جميعاً، والتأليه هو صفة الواحد الأحد سبحانه وتعالى.

(إِلَى هِرْقَلِ عَظِيمِ الرُّومِ)، **(هِرْقَلِ)** لا بد أن يجرب بالفتحة نيابة عن الكسرة للعلمية والعجمة.

(عَظِيمِ الرُّومِ) طبعاً وصفه بواقع الحال أنك أنت كبير الروم وعظيمهم، وفيها أيضاً إشارة إلى يعني فتح جسراً إليه حتى يسمع هذا الخطاب، خاطبه بوصفه وحاله اللائق به أنك عظيم الروم، وأن في إسلامك واهتدائك خير لمن وراءك وفي إصرارك على الكفر شر لمن وراءك.

(عَظِيمِ الرُّومِ) قلنا الروم في نسبهم ذكرنا هذا.

(سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى) قال بعض العلماء: السلام سنة المؤمنين بعضهم مع بعض. وهذا أمر معروف ما تلقي السلام إلا على المؤمن "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته". فإذا خاطب غير المسلمين أو خاطب مسلمون وغيرهم أخلاط يعني مجتمع فيه أخلاط من الناس كخطاب عام يستخدم هذا الأسلوب:

(1) صحيح البخاري، رقم: 3189 .

(سلام على من اتبع الهدى)، فتقع على من اتبع الهدى ولا تقع على من أعرض عنه. كما قال قبل موسى وهارون لفرعون لما خاطبوه قالوا له في النهاية: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾⁽¹⁾ الآية في سورة طه. **(سَلَامٌ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ)** إذا اتبعت الهدى يشملك هذا السلام، وإذا لم تتبعه فأنت خاسر له محروم منه.

(سَلَامٌ عَلَىٰ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ أَمَّا بَعْدُ) قال بعض العلماء: أول من استخدم كلمة (أما بعد) النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الخطاب وسيأتي لها باب في الصحيح، "باب أما بعد". وبعضهم قال: استخدمها العرب قبل، وذكروا أسماء بعض شعراء العرب وفصحائهم ممن استخدموها فذكروا قس ابن ساعدة الإيادي على أنه هو أول من استخدم كلمة "أما بعد" الفاصلة لما قبلها كأن يكون مقدمة ولما بعدها وهو الخطاب المقصود أصالة. وحقق السهيلي وغيره واختاروا أن أول من استخدم كلمة "أما بعد" هو النبي صلى الله عليه وسلم وذكروا له بحث سيأتي في حينه.

(أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ) هذا الدين اسمه الإسلام. وأيضاً كل دين بعث الله به الأنبياء السابقين هو الإسلام حقيقته، وهو ما سماه شيخ الإسلام: الدين المشترك في أصوله وإن كان ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾⁽²⁾ لكن الدعوة واحدة وهو الإسلام لله والخلوص له وعبادته وحده. فكل الأنبياء من نوح إلى محمد صلى الله عليهم وسلم، وكل أتباع الأنبياء هم مسلمون كما قال الله جل وعلا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾⁽³⁾ قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾ ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ﴾⁽⁵⁾ إبراهيم وإسماعيل ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا﴾.

فكل الأنبياء هم مسلمون في الحقيقة؛ ولذلك بدعاية الإسلام. هذا يدل على أن كل من انحرف عن دعوات الأنبياء، هو غير مسلم وإن انتسب إليهم كالنصراني. في الصحيح هو اتبع عيسى لكنه هو بدل دين عيسى وغيره وانحرفت النصرانية وإن كانت توحيدية في الأصل رسالية نبوية كتابية، إلى ديانة يعني

(1) طه: 47.

(2) المائدة: 48.

(3) المائدة: 44.

(4) النمل: 44.

(5) البقرة: 128.

أصبحت وثنية تثبته فيها ما فيها كما هو معلوم معروف. هو يريد يرجعه إلى الأصل، أدعوك بدعاية الإسلام اللي هو دين نبيك عيسى عليه الصلاة والسلام، ودين موسى، ودين إبراهيم، ودين هود، وصالح، وشعيب، ونوح، وآدم عليهم جميعاً الصلاة والسلام. ما هو دين يخصني أنا ولا يخص قريش، أدعوك بدعاية الإسلام التي دعا إليها كل بُعث من قبل بما فيهم عيسى عليهم السلام الذي تعظمه وتفخمه، ما دعاك أن عبدوا الله ربي وربكم، ما قال هذا عيسى؟ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾⁽¹⁾.

(أَسْلِمُ تَسْلِمًا) هذا الأسلوب أيضاً فيه إشارة إلى خطورة الأمر، وأنه هذا خطاب له ما وراءه يعني نحن الآن كلمناك بالخطاب وما قبلت، فيه أمور أخرى ستأتيك.

أولاً: (أَسْلِمُ تَسْلِمًا) معناته فيه مفهوم مخالفة. إذا لم تسلم لم... طيب لم تسلم من أي شيء؟ لم تسلم من جاهلية التي أنت فيها والوثنية والتثليث وإلى آخره. لم تسلم من عذاب الآخرة وهو الخلود في النار؛ لأنه من مات على غير الإسلام هذا مصيره، ولن تسلم أيضاً مما سيأتيك بعد سنتين أو ثلاثة من كتائب الإسلام وجنوده الفاتحين سيحلونك أنت وقومك من هذه الأرض فستخسر الدنيا وستخسر الآخرة.

فالسلامة كلها ستفقدوها إذا لم تسلم، والسلامة كلها ستحصلها إذا أسلمت. قلنا "أسلم تسلم" يتناغم هذا الخطاب مع آية الأمن التي في الأنعام في خطاب الخليل إبراهيم لقومه لما ناظرهم قال هذا ربي يعني الكوكب، ثم القمر هذا ربي، ثم الشمس هذا ربي هذا أكبر إلى أن قال: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾⁽²⁾ الأمن هو السلامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجواب ما هو؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾⁽³⁾.

فالذي لم يسلم ولم يؤمن وألبس إيمانه بظلم، هذا لن يسلم ولن يأمن لا في الدنيا ولا في الآخرة. هذا معنى قوله: (أَسْلِمُ تَسْلِمًا).

(يُؤْتِكُ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ) نقف عند كلمة (يؤتك الله أجرك مرتين) لأن فيها كلام سنذكره تفصيلاً عن حال هرقل إن شاء الله تعالى. وأريد أن ننهي الدرس قبل أن نحتاج أن ننصرف عندنا ارتباطاً بمسجد

(1) المائدة: 117.

(2) الأنعام: 81.

(3) الأنعام: 82.

آخر بعد صلاة العشاء إن شاء الله. نكتفي بهذا القدر اليوم، ولا بد تأتون الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى؛
لأننا نريد أن ننهي الكلام عن حديث هرقل يعني قبل.....



الدرس الثاني عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين وقيوم السماوات والأرضين وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

ما زال الحديث موصولاً بتدارس حديث ابن عباس عن أبي سفيان ابن حرب في قصته مع هرقل، وبلغنا إلى نص كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل.

من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كاتب وراسل ملوك النواحي من عربي وعجمي في ذلك الوقت، ممارسة عملية منه لما خصّ به من كونه أرسل إلى الناس كافة.

في مسند أحمد بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على أصحابه فقال لهم: إني بعثت إلى الناس كافة، وإني أريد أن أرسل ملوك النواحي أو كما قال فأعينوني ولا تختلفوا علي. ثم دعا بكتابه وكتب فقالوا له إنهم لا يقبلون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً عليه الصلاة والسلام من حديد نقشه أو نقش عليه "محمد رسول الله" لفظ الجلالة "الله" سطر و"محمد رسول" سطر، وختم به كتبه ودفعها وبعث بها مع بعض أصحابه إلى الملوك.

في الصحيح عندنا هنا في صحيح البخاري لم يذكر أو لم يرو الإمام البخاري رحمه الله أي نص كتاب من كتب النبي عليه الصلاة والسلام ما خلا هذا الكتاب الذي هو كتابه إلى هرقل، هو الذي روى البخاري نصّه. أما غيره من الكتب فلم يرو الإمام عليه رحمة الله في الصحيح نص كتاب آخر من كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك الآخرين. اللهم إلا أنه ذكر في حديث في كتاب "المغازي"، ذكر خبر إرسال النبي عليه الصلاة والسلام رسالة أو كتاب إلى كسرى ملك الفرس، فقال الإمام رحمه الله في آخر كتاب "المغازي" من الجامع الصحيح قال: "باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر، ثم أسند حديث عبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة ابن مسعود عن ابن عباس قال: ((بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن حذافة السهمي بكتابه إلى كسرى فدفعه عبد الله ابن حذافة إلى عظيم البحرين فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى فمزقه)) هذا الذي في الصحيح فمزقه ولم يذكر النص.

قال ابن المسيب وهو سعيد التابعي المشهور ((فحسبت أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم أن يمزقوا كل ممزق))⁽¹⁾ وهكذا حصل.

فذكر خبر الإرسال والتصرف الأرعن الطائش من كسرى في تمزيق كتاب النبي عليه الصلاة والسلام، وكان في ذلك يعني إدبار أمره وأمر جماعته ودولته. أما غير ذلك من كتب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر في الصحيح؛ ولذلك اهتم بعض العلماء بجمع الروايات التي فيها نصوص كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، سواءً ملوك العجم كالروم وكسرى وغيرهم، أو بعض ملوك النواحي من العرب كالحارث ابن أبي شمر ملك غسان، والمنذر بن ساوى ملك البحرين وأمثالهم، جمعوها في كتب يعني مستقلة مفردة يحسن الاعتناء بها مما لو كان له اعتناء بجوانب من السيرة، قد لم تعطى حقها من الدراسة والعناية لما في هذه الرسائل والكتب من فوائد ثمينة وطريقة بليغة ومختصرة في إبلاغ رسالة الإسلام إلى الملوك ومن في معناهم في ذلك الوقت.

ومن أهم هذه الكتب التي يعني أفردت كتب النبي صلى الله عليه وسلم وقد أحضرت معي يعني شيئاً منها كتاب اسمه "إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين" صلى الله عليه وسلم هذا كتاب المؤرخ المشهور محمد ابن طولون الصالحى الدمشقي متوفى سنة 953هـ، جمع فيه أكثر من ثلاثاً وخمسين كتاب كتبها النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض وملوك النواحي من عربي وعجمي، ومن ضمنها كتاب كسرى.

أوسع منه وأكثر فوائد وجمع، كتاب اسمه حتى يعني تعتنون بهذه الكتب مهمة حقيقة، تخدم جانب من السيرة قد لم يعطى حقه كما ينبغي من الخدمة؛ لأن فيها قضايا بلاغية ولغوية وأدبية وطرق المراسلة بدل ما تجيب لي مراسلات شكسبير ومراسلات ماني عارف مين وكتب جيب كتب الرسول صلى الله عليه وسلم، وطريقته في المراسلة، وتعامله مع الملوك وإعطائه حقه حتى يفتح يعني قلوبهم لاستقبال كتابه. ثم وجازة الألفاظ واختصارها من غير تطويل، ثم يعني جمال الأسلوب وبراعته. وقد أعطي عليه الصلاة والسلام جوامع الكلام كما تعلمون.

الكتاب الثاني اسمه: "المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي" محمد ابن علي ابن حديد الأنصاري هذا أقدم من ابن طولون توفي سنة 783هـ، محمد معاصر للحافظ ابن حجر. كتاب في مجلدين هذا المجلد الأول، وفيه مجلد آخر له يعني هذان كتابان وفي معناهما

(1) صحيح البخاري، رقم: 4072، "باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر".

كتب أخرى أصغر منهما قليلاً يحسن الاعتناء بها؛ لأن جمعت ألفاظ كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الأرض بالأسانيد التي في أغلبها أسانيد صحيحة.

ثم بعد هذه نقول كنا قد تدارسنا شيئاً من ألفاظ كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى هرقل في قوله: **(فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمُ تَسْلِمُ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ)** في رواية صالح ابن كيسان التي أخرجها البخاري في "كتاب الجهاد" فيه زيادة وهي: **((أَسْلِمُ تَسْلِمُ أَسْلِمُ يُؤْتِيكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ))**⁽¹⁾ فكرر كلمة "أسلم" مرتين.

(أَسْلِمُ تَسْلِمُ) طالبه بالإسلام ورتب عليه السلامة أسلم تسلم، ثم طالبه بالإسلام مرة أخرى ورتب عليه كونه يؤتى أجره مرتين.

قال العلماء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هنا أجرين أو أمرين عظيمين كريمين سيحصلهما هرقل ومن في معناه إذا أسلم، أو ثوابين ثواب عاجل في حياة الحياة وهو قوله: **(أَسْلِمُ تَسْلِمُ)** تسلم من الكفر طبعاً ومن الشرك، وتسلم مما سيأتي من الجهاد والغزو ضده وفرض الجزية والصغار والقضايا كلها التي ترتبت على يعني الفتوحات التي حصلت. فمن أسلم سلم من هذا، عُصم دمه وماله وعرضه كما تعرفون في أحكام الشرع العظيم.

(أَسْلِمُ تَسْلِمُ) أي الآن الحياة. ومفهوم الكلام كما قلنا إذا لم تسلم أنت معرض للقتال والحرب والصغار والطرود والإبعاد والذل، وهذا الذي حصل والحمد لله.

ثم قال له أسلم ورتب عليها أجر أخروي: **(يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ)** فعندنا إذن ذكر النبي ثوابين: الثواب لهرقل فيما لو أسلم أن يسلم في الدنيا من يعني القتل والقتال وما يتبع ذلك من أمور. وربما لو أسلم، ثبتته النبي صلى الله عليه وسلم على ملكه وعلى قومه كما يعني ثبت النجاشي ولم يعارضه في ملكه ولم يبعث إليه جيشاً ولا شيء من هذا القبيل؛ بل صلى عليه لما توفي، وسنذكر هذا عندما سنقارن بين موقف النجاشي وهو ملك نصراني من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وبين هرقل وهو ملك نصراني آخر من دعوة النبي وكيف افتقرت بهما السبل والطرق، ولذلك جذور تاريخية وأشياء سنذكرها إن شاء الله عند المقارنة. والأجر الثاني وهو كونه يثاب عند الله في الآخرة بأجرين مضاعفين.

(1) صحيح البخاري، رقم: 2723، "باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله وقوله تعالى: {ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب} إلى آخر الآية.

وقوله: **(يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ)** هذه فيها إشارة إلى أن الكتابي سواء كان يهودياً أو نصرانياً، إذا آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ودخل في دين الله أنه يؤتى أجره مضاعفاً مرتين، بسبب أولاً يؤتى أجره لإسلامه بأنبياؤه وإيمانه بأنبياؤه الذين بعثهم الله إليه، كإيمانه ببعيسى إن كان نصرانياً، أو بموسى مثلاً إن كان يهودياً، أو شيء من هذا القبيل، ويؤجر أيضاً على إيمانه الثاني أو الآخر بالنبي صلى الله عليه وسلم. وهذا يصدقه القرآن، قال الله تعالى في القصص: **(وَلَقَدْ وَصَّيْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (51) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ (1) كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا (2) يعني عيسى والإنجيل، محمد والقرآن، موسى والتوراة، يعني كلهم كل من عند ربنا (3) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (53) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) الآيات من سورة.**

وأيضاً صلى الله عليه وسلم في حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: **(ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين))** وذكر من هؤلاء الثلاثة: **(رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بي)) (4)** وهذا يفتح لنا مسألة، وهي لفظ الآية كما سمعتم أنا تلوتها بقصد مقيدة بقيود **(أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ)** ما كل من انتسب للنصرانية على أي وضع وعلى أي حال، أو انتسب لليهودية على أي وضع وعلى أي حال وإنما مقيدة: **(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ)** على خلاف التفسير في "به" الضمير يعود على كتابهم الذي أرسل إليهم، أو على الكتاب الذي جاءهم وهو القرآن.

واستظهر أكثر المفسرين "هم به" أي بالقرآن. مؤمنين ليش مؤمنين بالقرآن واعتبرهم مؤمنين؟ باعتبار أنهم بالفعل كل من آمن بالتوراة وموسى كما أنزلها الله، وموسى كما أرسله الله. وكل من آمن بالإنجيل كما أنزله الله، وبعيسى كما أرسله الله، ما يبقى عنده إشكال نهائياً في أن يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ولا بالقرآن؛ لأن عنده البشارات والدعوات والصفات، وما عنده في ذلك إشكال.

(1) القصص: 51 _ 53.

(2) آل عمران: 7.

(3) القصص: 53 _ 54.

(4) صحيح مسلم: رقم: 219، "باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته".

الإشكال يأتي عند المحرف المبدل المغير الذي آمن بالإنجيل غير الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، فيه إنجيل يسمى "متى" وإنجيل "لوقا" ما هي الإنجيلات التي أنزلها الله رب العالمين. لو أنزل بأسفار زعم اليهود أنها أسفار موسى، وكلها أو أغلبها أو في معظمها لا علاقة لها بتوراة موسى، وحرفوا وبدلوا. فهؤلاء سيشكل عليهم كثيراً، وسيكبر عليهم كثيراً أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن وهذا الذي حصل؛ ولذلك عارضوه وصادموه وخالفوه ليه؟ لأن المعارضة عندهم موجودة عارضوا أنبياءهم أصلاً. عارضوا موسى وتوراته وحرفوها وغيروا، وعارضوا عيسى وإنجيله وحرفوه وغيروه. فلن يصبح عندهم إشكال في أن يعارضوا محمد عليه الصلاة والسلام، خاصة إذا انضاف إلى ذلك من الناحية العنصرية، والحسد والقضايا هذه الأخرى تزيد الأمر أيضاً عمقاً عندهم في شدة نفورهم وعدم رضاهم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم.

إذن الآية مقيدة: ﴿هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (52) وَإِذَا يُنْتَلَى عَلَيْهِمْ﴾ أي القرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ كما قال النجاشي لما تليت عليه سورة ﴿كهيعص﴾، مريم القصة المشهورة لما تلاها عليه جعفر، ماذا قال؟ قال: والله أو كذا إن ما جاء به عيسى وهذا يخرج من مشكاة واحدة. هذا مؤمن بكتابه الحقيقي فعلاً؛ لذلك لما جاءه القرآن أعلن اعترافه وقبوله ورضاه وتسليمه ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾ عندنا المعلومة هذه أي كنا مؤمنين ومنتظر النبي هذا، وعندنا صفاته. انتبهتم وللا؟ ما هو وثني ما يدري عن النبوة والأنبياء فجاءته دفعة واحدة، فيبقى يفكر فيها ويتردد.

عنده الأخبار كاملة، وقف ينظر هل هذا النبي الذي بعث؟ إذا طبق الصفات التي عنده على هذا الذي بعث وجدها بالفعل متفقة، فآمن وما يبقى عنده أي إشكال.

كذلك الحديث كذلك أيضاً مقيد ((ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين)) ذكر منهم قال: ((رجل آمن بنبيه ثم آمن بي)) هذا يقتضي أنه آمن بنبيه نبياً مرسلأ إليه. ما يؤمن بعيسى رباً أو إلهاً أو معبوداً أو ثالث ثلاثة أو إلى آخره. لم تذكر أصلاً في القضية هذه؛ ولذلك هذا يفتح لنا مسألة مشكلة أثارها بعض الشراح، وإن كان ربما في الفتح هنا ما أعطيت قدرها من البحث؛ وهي هل كل من انتسب إلى ملة من الملل السابقة كيهودية أو نصرانية رغم ما طرأ عليها من تحريف عظيم وتبديل، أي النصرانية.

لو قلت النصرانية الآن مثلاً ما هي النصرانية؟ تثليث. الآلهة عندهم ثلاثة إلى آخر هذه المسائل. هل النصراني المثلث هذا الذي يعتقد أن الله ثالث ثلاثة، ويعتقد أن عيسى ابناً لله، أو يعتقد أن عيسى هو الله، تعالى الله عن هذا الكفر العظيم. هل إذا أسلم بهذا الوصف يؤتى أجره مرتين؟ إذا أسلم يؤتى أجره

بالإسلام، لكن يؤتى أجره قبل على ماذا؟ يؤتى أجره على التثليث؟ أو يؤتى أجراً على إيمان بكتاب كتبه الأحرار بأيديهم وقالوا هو من عند الله؟ أو يؤتى أجراً على نسبة الولد لله؟ هذه حقها التأثيم والتعذيب ما حقها الأجر.

إذن كأن هذا سيقودنا إلى مسألة، وهي أن الذين يؤتون أجرهم مرتين ليس كل نصراني وليس كل يهودي؛ وإنما النصراني المؤمن بالنصرانية التي جاء بها عيسى، المؤمن بعيسى نبياً، ورسولاً لا إله ولا ابن لله ولا ثالث ثلاثة ولا غير ذلك. يؤمن بما جاء به عيسى فعلاً، يؤمن بما جاء به موسى فعلاً. لا يؤمن بالأحبار والرهبان وما كتبوه وافتروه هؤلاء، لا علاقة لهم بالأنبياء؛ ولذلك من يؤتون أجرهم مرتين؟ الذي يؤتى أجره مرتين من كان ما يزال متمسكاً بأتارة من علم من أحوال الأنبياء السابقين.

فإذا جاءه خبر النبي عليه الصلاة والسلام، أولاً ما يبقى عنده نوع.. أي تردد؛ لأنه ينتظر. انتبهتوا وللا لا؟ وجزئيات إيمانه السابقة أن يؤمن بالنبي القادم المبعوث من نسل إبراهيم والموعود به في التوراة والإنجيل، النبي الأمي الذي أوصافه عندهم. فإذا جاءه هذا النبي بالأوصاف المذكورة، هو مؤمن من قبل **﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾** بس ينتظرون. انتبهتوا وللا لا؟

أنت الآن مؤمن تؤمن بأشياء لم تحصل بعد أليس كذلك؟ بالجنة، والنار، مؤمن بها. فإذا رأيتها تقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله. الآن ما كنت تؤمن به غيباً صار الآن عياناً شهادة، هذا المقصود بقولهم: **﴿آمَنَّا بِهِ﴾** **﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ﴾** يعني مؤمنين به على أنه خبر غيبي سيأتي، سيبحث نبي هذا وصفه وهذا حاله ويدعو إلى كذا.

ولما بعث النبي وأصبح الخبر الغيبي شهادة، صار يجب عليهم أن يؤمنوا، وهذا الذي حصل ممن لم يدخلوا في التبديل. أما أهل التثليث، وأهل الديانة التي افتراها بولس والأحبار و الرهبان، وأهل الكتب المبدلة، هؤلاء قبل أن يؤمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم بينهم وبين ذلك أمور وأمور كثيرة؛ لذلك لم يؤمن منهم إلا أقل القليل، إلا أقل القليل. ولذلك نقول: الذين يؤتون أجرهم مرتين هو الكتابي الذي آمن بنبيه الذي بعث إليه كما بعث إليه، ومن ضمن ما بعث به إليه أنه سيؤمن بنبي قادم.

فإذا جاء النبي القادم الموعود به، فأمن به هذا الذي سيحصل أجره مرتين. آمن بنبيه كما طلب به، وآمن بالنبي الموعود به أيضاً كما طلب به. ما دخل أهل التثليث والوثنيات هذه، والذين حرفوا الكتاب بأيديهم في هذا التضعيف في الأجر والثواب.

هذا سيفتح لنا أيضاً مسألة ثانية. ما دام هذا الكلام يقرر الآن. كونه صلى الله عليه وسلم يخاطب هرقل ويغريه ويرغبه بأنه إذا أسلم به وأسلم بهذا الدين الإسلام، وآمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سيؤتى أجره مرتين، كأن فيه إشارة واضحة إلى أن هرقل ممن لم يدخلوا في التبديل. أليس كذلك؟ مادام قررنا هذا، لابد نرتب عليه هذه. وإلا سنقول القول الثاني أنها شاملة حتى لمن دخلوا في التبديل، مع بقاء الإشكال: كيف يؤتى أجره مرتين وهو لم يؤمن بالنبي كما بعث إليه؟ يؤمن بوثنيات ثم يؤجر عليها كيف؟ ما الفرق بين ثالث ثلاثة عند النصراني، وبين من اتخذ أصناماً ثلاثة واتخذ آلهة ثلاثة، أو إلهين؟ كله شرك يدخل بثلاثة باثنين، ينقض التوحيد من أصوله، ويجعل بين هذه الأديان فرق في الاعتقاد حقيقة بالفعل.

والمح إلى هذا بعضهم كالقاضي عياض، إلا أن كتابة النبي صلى الله عليه وسلم لهرقل بقوله: (أسلم تسلم أسلم يؤتك الله أجرك مرتين) يخاطب هرقل بأمر هرقل يعرفها من قبل؛ ولذلك الأسئلة السابقة قلنا ما جاءت من فراغ. كأنه يقول له: يا هرقل أنت عرفت أن عيسى نبياً واعتقدت ذلك بصرف النظر عن ربما أظهرت ذلك لقومك ولم تظهره، أنت في حقيقة أمرك مقتنع بأن عيسى بشر، وأنه نبي، وأنه كذا، ولا ثالث ثلاثة والكلام هذا كله افتري على الله وعلى عيسى عليه الصلاة والسلام، وعلى دين الله جل وعلا، فاتبع ما أنت معتقد به بالدين الجديد الذي أنت أصلاً تعرف تفاصيل النبي المبعوث؛ ولذلك الأسئلة التي سألتها أبا سفيان كانت أسئلة عن معلومات ومعرفة، فما بقي إلا أن تؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فتؤتى أجره مرتين. فإن لم تفعل ستنقض الأجر الأول وتخسر الأجرين كليهما، مع خسارتك أيضاً للسلامة من غزو الصحابة له، وطردهم له، وفرض الجزية على أتباعه، إلى آخر هذه الأمور التي تعرفونها.

هذا بالفعل هو الذي.. وشيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح يعني ألمح إلى هذه القضية، أنه ليس كل منتسب للكتاب أو لأهل الكتاب يؤتى أجره مرتين إذا أسلم. التثليثي إذا أسلم، سلم من عذاب الدنيا والآخرة، سلم من الشرك الذي كان فيه، ما يعطى أجراً على شرك كان يعيشه. من اعتقد منذ أن اعتقد أن عيسى إله، ما آمن بعيسى نبياً رسولاً، آمن به على طريقة شركية كفرية. فكيف يؤجر عليها؟ إشكال كبير جداً. وهذا إذا قررنا هذه المسألة الأولى، نقرر أن هرقل بالفعل ممن لم يدخل في ...

وهذه قضية مهمة ولذلك الكلمة الثانية وهي كلمة (الأريسيين) وسبني عليها قضية أيضاً تؤكد هذا المعنى؛ ولذلك تلاحظ الخطاب هنا الخطاب كأنه بضمير الإفراد، كأنه لشخص هرقل بالذات. انتبهتوا وللا لا؟ لشخص هرقل بالذات.

أسلم يؤتك، يخاطب هرقل. والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم ما عند هرقل من دين، نوعية الدين الذي عليه عموم النصارى ممن دخلوا في الوثنيات، ودخلوا في التثليث، ودخلوا في تحريف الكتاب، ودخلوا في هذه الأمور والمتاهات الكثيرة التي ستحرمهم يعني من كونهم منتسبين لديانة نبوية رسالية توحيدية، وهي ديانة موسى عليه الصلاة والسلام وديانة عيسى عليه الصلاة والسلام. إذا قررنا هذا نكمل لنربط أول الكتاب بآخره.

(فَإِنْ تَوَلَّيْتَ) ما رضيت بهذا الإغراء أنك تؤتى أجرك مرتين، وفيه تحذير له أنك ستخسر الأجرين، وتخسر السلامة وهذه أعظم خسارة ممكن يحسرها إنسان.

(فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمٌ) اسم "إن" و(عليك) جار ومجرور متعلق بخبر تقديره كائن حاصل خبر "إن" مقدم. والتقدير: فإن إثم الأريسيين عليك. انتبهتوا وللا لا؟

(فَإِنَّ عَلَيْكَ) لكن قدمت عليك للاعتناء أنت الأول ممن يقع عليه الإثم أنت، فقدمت (عليك) لأن حقها التقديم الآن وإن كان حقها التأخير في الوجه الإعرابي.

(فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمٌ الأريسيين) في الرواية الأخرى (فإنما عليك إثم الأريسيين) والمعنى واحد. من هم الأريسيون؟ وما مصدر هذه الكلمة؟ وما معناها؟ أولاً نحتاج أن نضبطها ونأخذ هذا الضبط من كتاب "مشارك الأنوار" للقاضي عياض. وهذا الكتاب قلت لكم غير مرة اشتروه واقتنوه.

كل دارس للحديث، خاصة للصحيحين والموطأ، لازم يكون عنده أو لابد يكون عنده كتاب "مشارك الأنوار على صحاح الآثار" للقاضي عياض. اعتنى بضبط كل الكلمات التي تحتاج إلى ضبط في الصحيحين والموطأ معها.

يقول القاضي عياض، ضبط يعني ذكر ما يتعلق بضبط هذه الكلمة. يقول: في معظم روايات أو نسخ البخاري وكذا في معظم نسخ مسلم، ضُبطت الكلمة هكذا (الأريسيين) الهمزة عليها فتحة والراء مكسورة والياء الأولى ساكنة والسين ساكنة وبعدها الياء مشددة. الأريسيين، جمع مفردة: أريسي. أريسيين جمع مفردة: أريسي.

رواية المروزي، والنسفي من نسخ الصحيح، النسفي والمروزي عندهم الكلمة ضبطت: "الياريسيين) أبدال الهمزة ياءً. الياريسيين.

في رواية الجرجاني، نسخة الجورجاني الشريف الجرجاني للصحيح: "الأُرَيْسِيِّين" الهمزة مفتوحة والراء ساكنة، والياء الأولى مفتوحة (الأُرَيْسِيِّين).

أبو عبيدة القاسم بن سلام، انتهينا من القاضي عياض نرجع إلى أبو عبيدة القاسم بن سلام في كتابه: "غريب الحديث" وهو كتاب مطبوع في أربعة مجلدات للحافظ المشهور واللغوي الكبير أبو عبيدة القاسم بن سلام، اسم الكتاب: "غريب الحديث" لكل كلمة غريبة في عموم الأحاديث.

يقول أبو عبيدة القاسم بن سلام: الضبط الصحيح لهذه الكلمة: (الأُرَيْسِيِّين) بدون يائين (الأُرَيْسِيِّين) جمع أُرَيْسِي. (الأُرَيْسِيِّين) ياء واحدة مؤشدة: (الأُرَيْسِيِّين).

قال أبو عبيدة: هذا هو المحفوظ. هذا ترجيح أبو عبيدة يرى أن هذه الكلمة أصح ضبط لها الأُرَيْسِيِّين بدون تشديد وبدون ياء أخرى، هذا بالنسبة لضبط الكلمة. أما معناها، فيظهر واضح أن الكلمة ليست عربية. أليس كذلك؟ ما هي عربية ولذلك لا نبحت عن اشتقاقها وفعالها الثلاثي والكلام هذا. كلمة يعني أعجمية، هذا مهم جداً.

لماذا النبي صلى الله عليه وسلم اختار هذه الكلمة وما معناها؟ ولماذا في هذا الموضوع في كتابه لهرقل مع إغرائه السابق بقوله: (يؤتكَ اللهُ أجْرَكَ مرتين)، ذكر الأُرَيْسِيِّين؟

طبعاً أهل الغريب أكثرهم تواردوا على تفسير الكلمة، فقالوا هذه الكلمة أعجمية تعني الأكارين، أو تعني الفلاحين، أو تعني الزراعين. والمقصود كما يقولون أنه لما كان هرقل رأساً في قومه، كأنه النبي صلى الله عليه وسلم يحمله تبعات ضلال قومه. كأنه إذا كفر هو ولم يقبل، فسيكون طبعاً فتنة لعامة الناس اللي هم في الغالب ما بين فلاح وأكار وزراع وما في معناه. انتبهتوا ولولا؟ الذين في الغالب يعني ينظرون أحوال ملوكهم وكبارهم ﴿رَبَّنَا إِنَّا أٰطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا﴾⁽¹⁾ كما تعرفون ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾⁽²⁾ ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾⁽³⁾ كنا نشوفكم كيف ماشيين نمشي، ما عندهم قدرة على النظر والاستنباط، فلاحين وزراعين وما في معناهم.

(1) الأحزاب: 67.

(2) البقرة: 166.

(3) إبراهيم: 21.

فأنت يا هرقل كأنه يقول له أنت يا هرقل مسئول؛ لأنك رأس في قومك، وكونك رأس من جهة الملك أيضاً رأس من جهة الديانة أنه قسيس كما قلنا، ويقرأ الكتاب وكذا، فستفتن قومك من جهة الملك، وتفتنهم أيضاً من جهة وضعك الديني يعني كقسيس ورأس أو عالم فيه أو حبر في الدين أو شيء من هذا القبيل.

وأكثر فتنة الخلق من هذا الباب، من باب الملوك والأخبار الذين ضيعوا أمر الله. أعظم ضلال الخلق من هذا الباب، فسيحملهم التبعة وطبعاً من غير أن ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً كما جاءت.. كما قال الله جل وعلا: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾⁽¹⁾ وقوله عليه الصلاة والسلام: ((من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً))⁽²⁾ أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

هذا معناها على تفسير أن الأرسبيين أو الأرسيين والأرسيين، معناه الأكارون والفلاحون أو الزراعون، يعني الطبقة المتوسطة من هذه الأمة الذين ضلال كبارهم وملوكهم سيعود أيضاً بالضلال عليهم. لكن هنا أيضاً مسألة واختيار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الكلمة في هذا الموضع مع ملابسة تاريخية عند النصارى يجب أن يُنظر إليها، مع أي حقيقة مع طول التتبع لم أجد من ألمح إلى قضية الأرسبيين وأن لها علاقة بتاريخ قديم عند النصارى إلا موضعين: القاضي عياض في "المشارك" أعطاهما سطر واحد مع ذلك كان ينبغي أن تعطى أكثر، وشيخ الإسلام ابن تيمية في "المنهاج" أعطاهما نوعاً من يعني البحث أكثر. قال القاضي عياض: (والأرسبيون أتباع رجل يسمى أريوس، كان على دين عيسى قبل التحريف. هذا نربط إيش؟ (ويؤتك أجرك مرتين) و(الأرسبيين) اختيارها يعني هذا كتاب نبوي يعني اختيار العبارات له وقعه. أتباع رجل اسمه أريوس كان على دين عيسى ابن مريم ولم يدخل في التبديل، يعني ما دخل في تحريفات النصارى، ماسك ما جاء به عيسى.

ثم إذا رجعت إلى التاريخ النصراني وما كتبه، تجد بالفعل شخصية أريوس شخصية فاعلة ولها دور كبير جداً، وكان بالفعل هو ومن معه من الأرسبيين آخر ممكن نسميهم آخر خط مقاومة ضد تيار الوثنية الذي دخل على الديانة النصرانية، وبموته ويعني ما حصل من مقتلة عليه وعلى أتباعه كما سنذكر بعد قليل، يعني اجتاحت الوثنية الديانة النصرانية.

(1) النحل: 25.

(2) أخرجه مسلم كتاب العلم باب من سن سنة حسنة رقم 2674.

كلنا يعلم ما طرأ على الديانة النصرانية بعد رفع عيسى ابن مريم كما نعتقد أو صلبه كما يعتقدون، وما حصل من قتل أتباعه الحواريين مما أدى إلى تشتتهم في البلاد، واختفاء نسخ الإنجيل التي جاء بها عيسى، ونحو ذلك من أمور، وامتد بهم الوقت حتى دخل في النصرانية بعض من عمل على تحريفها، وبالذات رجل مشهور جداً سمي نفسه لما تنصر ببولس يسمى بولس الرسول، أعظم شخصية في التاريخ النصراني. يعني يعرفون عنه ما لا يعرفونه عن عيسى نفسه من معلومات، وتاريخ، وكيف عاش، وأين ولد، وكيف تنصر. القصة المهم طويلة.

بولس الرسول هو في الحقيقة رجل يهودي اسمه "إيلي شاؤول" وكان حثيثاً في اضطهاد حواريي عيسى وأتباعه وكل من تنصر، ويزعم أن تاب، القصة ليس الآن موضع ذكرها، وانتقل من مضطهد للديانة إلى أعظم مبشر بها مع خلفياته اليهودية التي تجعل طبعاً قبول ما يزعمه هو ويزعمه من إصلاح النصرانية في محل شك كبير.

قام بولس بنشاطين كبيرين: نشاط عملي دعوي، ونشاط فكري إن صحت العبارة، أو تحريفي في الحقيقة.

النشاط الدعوي: بولس هو الذي استطاع أن ينقل النصرانية من بلاد الشرق. النصرانية في بلاد المشرق في فلسطين، ايش جابها في أوروبا؟ كيف وصلت إلى أوروبا وأصبح الأوروبيون إلى اليوم نصارى؟ من قام بإبصارها إليهم وقد كانت أوروبا وثنية قبل أن تنصر؟

الذي أوصلها بولس، قام بنشاط محموم جداً واستقر في أثينا في اليونان وقام بدعوة واسعة مع صديق له اسمه بطرس، أسقف أنطاكية في التبشير بالنصرانية في عالم وثني كانت عليه أوروبا، إلى أن وصل بهم الحال إلى أن قسطنطين الحاكم في الدولة الرومية الإمبراطور يعني تنصر وقبل هذه الدعوة. ولكن بنوع من التعديل أو التطوير الذي يمكن يسمى أو كذا، كان اليونانيون وثنيون، والرومان وثنيون يعبدون أصنام وأوثان وكانت عندهم الآلهة ثلاثة، وذكروا أسماء "يزروس وحزروس" وما نعرف الثالث من هو **﴿وَمَنَاة﴾** **الثالثة الأخرى** ⁽¹⁾ ثلاثة أصنام وأوثان يعتقدون أنها هي التي لها علاقة بالأفلاك العلوية. الثلاثة، التثليث. والوثني الوثني تكثير الآلهة عندهم طبيعي بل هو الأصل؛ لذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لقريش إلهاً

(1) النجم:20.

واحداً قالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾⁽¹⁾ مستغربين كيف صارت ثلاثمائة وستين إله نلغيها، ما يمكن، ما هي مقبولة عند الوثني، ما يقبلها.

فتوصل بولس ومن معه إلى نوع من الاتفاق مع الرومان ويمثلهم قسطنطين ومن معه إلى أن يبقوا التعددية هذه في الآلهة، لكن بدل إزيروس وحيزروس والأصنام هذه التي كانوا يعبدونها من قديم الزمان، بدل هذه تصبح ماذا؟ الأب يعنون به الله، والابن يعنون به عيسى، ثم أدخلوا بعد ذلك الروح القدس. ففيه إرضاء للوثني، التعددية مازالت موجودة، والشركة والشرك مازال موجود، المهم تغيرت فقط يعني الأقاليم التي كانت التي كانوا بها مشركين.

هذا التحريف الخطير الذي تولاه بولس، ونقل به الديانة النصرانية من إيمانية توحيدية ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ قال سبحانك ما قلت لهم إلا ما أمرتني أن اعبدوا الله ربي وربكم. هذه دعوة عيسى كيف جاء التثليث؟ كيف جاء الأب؟ الأب والأم والكلام هذا فين جاء؟ من هؤلاء المحرفين، من بولس وبطرس إلى آخره.

كان هناك بقية من أولي العلم من أحرار النصارى الحقيقيين اضطروا أن يقاوموا هذه الوثنية التي أدخلت على ديانتهم. انتبهتوا وللا لا؟ من هؤلاء ومن أبرزهم هذه الشخصية المعروفة اللي اسمها من؟ أريوس.

خذ هذه المعلومات عن أريوس؛ لأنها مهمة جداً. أريوس ولد في القيروان، والقيروان بلدة معروفة في شمال إفريقيا، الآن تتبع لتونس ولا ليبيا؟ لتونس سنة مائتين وسبعين (270) ميلادي، بعد (270) من ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام. ودرس في الكنيسة اللاهوتية في الإسكندرية وبها استوطن إلى أن أصبح يعني أسقف الكنيسة النصرانية في الإسكندرية، أكبر.. يعني أسقف هو أعلى درجة يعني علمية إن صحت العبارة أو دينية يعني عندهم.

كنيسة الإسكندرية أسقفها هو أريوس. أريوس هذا ما أعجبه فعلاً ما أحدثه بولس ومن جاؤوا بعده من تحريف خطير للديانة النصرانية إلى التثليث، وإلى زعم أن عيسى اللي هو بشر مخلوق من تراب ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾⁽²⁾ إلى جعله ابناً لله، ثم لاحقاً جعلوه هو الله وهذا شرك خطير يجب أن يقاوموه. وبالفعل قام بمقاومته أريوس إلى أن وصل الحال إلى أنه عقد مجمع

(1) ص: 5.

(2) آل عمران: 59.

مشهور جداً في التاريخ النصراني اسمه: "مجمع نيقيا" أقامه الإمبراطور قسطنطين. ليش أقامه؟ لينظر أحبار وقسس النصرانية التثليثية أريوس في زعمه أن هذا تحريف وتبديل، وأن عيسى بشر؛ وإنما هو نبي ورسول ليس إله ولا ابن لله، وعُقد بالفعل المجمع الذي هو "مجمع نيقيا"، وجرت فيه مناظرات كثيرة مع أريوس. كان فيها يرد كل ما افتراه بولس وأتباعه من بعده على الله وعلى نبيه عيسى، إلى أن انتهى الأمر إلى أن أصدر المجمع وثيقة يسمونها وثيقة، اتهموا فيها أريوس يعني ملحد وأنه خارج عن الديانة. لما عجزت الحجة، ما بقي إلا أسلوب التهديد ونُفي من البلاد، نفاه قسطنطين من البلاد وأحرقوا كل مؤلفاته وكتبه وهدموا أيضاً كنيسة التي كان يعني يعمرها وكان يصلي فيها إلى آخره. وتبعوا كل من اتبعه، ولهذا يعرف في التاريخ بالأريسيين على نفس عبارة كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، الأريسيون يعني أتباع أريوس. أريوس يمثل هنا الحبر الأخير إن صحت العبارة، أو الخط الأخير ممن بقوا على العهد القديم على ديانة عيسى. والقاضي عياض أشار قال: وهم أتباع رجل اسمه أريوس، كان على دين عيسى ورفض الدخول في التبديل. فین رفض؟ في مجمع نيقيا والنتيجة نُفي، وصودرت كتبه وأحرقت، وُسجن أتباعه وقتلوا، وقرروا في هذا المجمع مجمع نيقيا أن عيسى إله كالله _ تعالى الله عن قولهم _ قالوا بالتثنية. ثم في مجمع الإسكندرية، ولاحظ هنا نكالا في أريوس؛ لأن موطنه الإسكندرية ذهبوا فعقدوا مجمع اسمه مجمع الإسكندرية عام ثلاثمائة وواحد وثمانين (381) من الميلاد قرروا فيه التثليث، لينهوا بذلك آخر خط مقاومة في الكنيسة التي في الإسكندرية التي كان يمثلها أريوس. فبقي أتباعه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية مختلفين ومنتشرين في البلاد؛ لأنهم مضطهدين يعني مثل الحواريين الأولين، مثل أتباع عيسى نفس الحواريين لما اضطهدهم ماذا صنعوا؟ الذي راح سكن في الحبشة مثل "متى"، واللي راح سكن في كذا، واللي هرب هنا واللي هرب هنا، وبدؤوا يدعون إلى الحق بخفاء وضعف وخوف ويتناقصون ويتلاشون شيئاً فشيئاً.

عرفنا هذا الخبر وعرفنا أن أريوس شخصية مهمة وحقيقية، وكان يمثل الديانة النصرانية التوحيدية كما جاء بها عيسى؛ ولذلك ناظر وجادل وعقدت له مؤتمرات ومجامع وكذا، ثم اتفق أهل التحريف الذين أصبحوا هم لهم الكلمة خاصة لما دخلت الدولة الرومية معهم في ذلك، أبادوا وحاولوا أن يخفوا تماماً كل أثر للأريسيين اللي هم كلمة الأريسيين تعني الديانة الحقيقية اللي كان عليها النصراني.

هؤلاء اللي يؤتون أجرهم مرتين، مو قسطنطين التليثي وبطرس التليثي والثاني الوثني، هؤلاء ما لهم علاقة، إثمهم مرتين حتى. كفروا بالله من أول الأمر، وكفروا بعيسى والآن ألحقوها بالكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام. وهذا هو الواقع ما آمنوا بعيسى كما ينبغي، فكيف يؤمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام؟

ما يمكن إلا إن يشاء الله لبعضهم وقليل ما هم ممن ربما يعني ممن نظر الله بصائرهم وكتب لهم الخير .
فخطاب النبي الذي هنا لهرقل فيه معلومات تاريخية قديمة مهمة جداً انتبهتوا وللا لا؟ وعلم النبي صلى الله عليه وسلم بما علمه ربه أن أنت يا هرقل ربما عندك خبر الأريسيين، وربما أنت مقتنع بمقالاتهم ومعارض لهذا التثليث الذي لا يقبله عقل وليس فيه حتى ما في أيديهم من الكتاب المقدس ما يسنده، لكن ربما ما يظهر ذلك؛ لأنه ربما... هو من سلالة قسطنطين، وسيفقد الملك. سيفقده لو كان أعلن أريسيته يعني التزامه بتعليم أريوس التي تعتقد أن عيسى ليس إلهاً وليس ابناً لله، فكيف لو آمن بمحمد؟ سيضيع الأريسية وسيظهر الإسلام؛ فلذلك الخطاب له بقوله: (يؤتكَ أجرك مرتين) و(عليك إثم الأريسيين) كأنك يا هرقل يعني الأمل _ ربما إن صحت العبارة _ الباقي لمن هم على طريقة أريوس، وربما كان فيهم بقايا في ذلك الوقت.

فلربما إن انحرفت أنت كنت فتنة لهم، فانطفأ بقية الخير في البقايا الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب الذين هم الأريسيين الذين كانوا على الدين الحق، ولم يدخلوا في التحريف.
هذا يعني ما أقول أولى ربما من تفسيره بالفلاحين والزراعيين، ولكل منهما معنى أو اجتهاد على هذا الاعتبار، والكلمة ليست عربية ولكن اختيار النبي صلى الله عليه وسلم لها في هذا الموضوع له وقعه، فهو يعمق القضية إلى جذور تاريخية يعرفها هرقل، وبها سيعرف أن محمد صلى الله عليه وسلم بالفعل نبي.
حصلت المعلومات هذه مائتين وسبعين (270) ميلادي والنبي صلى الله عليه وسلم بعث على رأس 600 يعني فيه أربعمائة سنة وهو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب، والمعلومات هذه كيف عرف قصة أريوس وجهاده التوحيدي ضد وثنية قسطنطين ووثنية بولس... إلى آخره، إلى أن نُفي وأحرق وانتهى كل أمل للتوحيد في الديانة، وبقي البقايا الذين يتلقون التعاليم التوحيدية ربما أفراد وأشخاص وربما. أقول ربما طبعاً الله أعلم ربما هرقل من هذه الفئة؛ ولذلك نص عليه بأنك ستؤتي أجرك مرتين؛ لأنك ما دخلت في التحريف وبقيت على طريقة أريوس. وإن انحرفت، ستحمل إثم من بقي من الأريسيين؛ لأنهم سيفتنون بك باعتبار أنك أنت رمزهم الباقي وبينك وبينهم نجوى وعلاقة. فإذا انحرفت كنت فتنة وانطفأ بقية شيء من التوحيد مما ربما بقي في الديانة النصرانية. ولكن كل هذا مع الأسف الشديد ما جعل هذا الرجل يعني..
كل هذه البيئات والخطاب، خطاب فيه إشارات واضحة يعني خاطبه بها النبي صلى الله عليه وسلم ويعرف معنى (يأتيك أجرك مرتين) و(الأريسيين) والكلام هذا كله، لكن ما أفاد ذلك عنده يعني في إسلامه وكما سنذكر بعد قليل.

إذن هذه الأريسيين تنتقل منها إلى ثم بقية الكتاب (وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ) هنا واو (وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ) هذه الواو ثابتة هنا في الرواية التي معنا هنا في كتاب بدء الوحي، وهذه الواو ساقطة من رواية صالح ابن كيسان التي أخرجها البخاري في كتاب الجهاد، ونص رواية صالح ابن كيسان كما يلي: (فإن عليك إثم الأريسيين) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ بدون واو على نص الآية.

والواو هنا أتارت سؤال أو إشكال، يعني الآية إذا رجعت إليها في سورة آل عمران ما فيها واو ما فيها: (ويا أهل الكتاب) والني صلى الله عليه وسلم تلا الآية كاملة أو كتبها كاملة في كتابه: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ فالواو هذه إن كانت بالفعل من كتابة النبي عليه الصلاة والسلام قد تكون يعني واو عاطفة، عطف الآية التي استشهاد بها على ما تقدم من كلام، كأن هناك سؤال مقدر: إلى ماذا تدعوننا؟

ندعوكم إلى هذه الكلمة السواء التي بيننا وبينكم (وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ) عاطفة عطف جملة على جملة باعتبار جامع المعنى، ولا حرج في ذلك.

لما تقول مثلاً: والدليل قوله تعالى كذا، (و) تقول: (و) مو شرط تقول: وقال الله تعالى. إذا قلت مثلاً: الدليل قوله تعالى مثلاً: (يا أهل الكتاب) و(يا أهل الكتاب) ذكرت آية أخرى مو شرط. السامع يعرف أنك تعطف آية على آية ولا يفهم أن الواو من ضمن التلاوة.

ذكروا أن الكلام هذا ربما هذا الذي ذكره ربما من كلام أبي سفيان وأنه ما ضبط الحديث، هذه قد لا يحتاج إليه. فطبيعي أن يعطف جملة على جملة، وكأنه يعني جعل الواو عاطفة على الكلام السابق استشهاداً بهذه الآية. وهذا أيضاً قضية أخرى.

هذه الآية من سورة آل عمران، اتفق أهل التفسير وأهل.. على أنها نزلت في قصة نصارى نجران الذين وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم. نصارى نجران وفدوا، وكان هذا في سنة تسع، تعرف في السيرة بسنة الوفود.

من ضمن الوفود الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم نصارى نجران، كانوا نحو ثلاثة عشر رجلاً فيهم السيد والحارث والعاقب، وجلسوا دخلوا المسجد وجرى بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم حوار طويل معروف مذكور في كتب السير والتراجم، ودعاهم النبي بعد المناظرة إلى المباحلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾⁽¹⁾ القصة المشهورة المباحلة، ثم نتهل هل عيسى إله ولا بشر ني، نتهل

(1) آل عمران: 61.

فنجعل لعنة الله على الكاذبين. ما وافقوا؛ لأنهم يعرفون النتيجة.

ثم دعاهم يا أهل الكتاب تعالوا، الآية نزلت في نصارى نجران. والإشكال هنا أين هو؟ وفد نصارى نجران سنة تسع، فتكون الآية نزلت سنة تسع وقصة كتاب النبي إلى هرقل سنة ست كما ذكرنا بعد صلح الحديبية، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الآية كاملة قبل أوان نزولها. فهتمم وجه السؤال؟

أجاب العلماء بما يلي. طيب، أجاب بعضهم بقوله أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الآية قبل نزولها، فوافق لفظها لفظ ما كتب، وهذا يكثر. إذا كان وافق القرآن عمر وهو ليس نبي ووافقه في مواضع كثيرة. الحديث المشهور في الصلاة عند الحاجة اسمه المقام، وآية الحجاب، يعني وافقه. فأن يوافق كلام النبي صلى الله عليه وسلم يعني لا غرابة في ذلك ولا يُعد فيه. هذا أجاب به بعضهم أنه كتب الآية قبل نزولها، ثم نزلت في وفد نصارى نجران كما كتبها النبي إلى هرقل.

والجواب الثاني وهو الذي ذكره ابن كثير في التفسير، أن الآية مرتين. وهذا نذكره في التفسير قد تنزل الآية مرتين وذكرنا نماذج كثيرة لها.

نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في سنة ست وكتب بها إلى هرقل، كان دعوى إلى توحيد الله الذي هو ديانة موسى وعيسى السابقة. ولما جاء نصارى نجران مرة أخرى ولا فيه مانع لا عقلي ولا شرعي يعني من ذلك والله أعلم.

طبعاً الآية تراجعون تفسيرها. دعوى صريحة إلى أهل الكتاب إلى ﴿كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ نتفق عليها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ ما هي؟ ﴿أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، هذه فيها إشارة إلى الأبحار والرهبان جعلوهم أرباب من دون الله ﴿إِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ نعلن إسلامنا وتوحيدنا وإن لم توافقوا عليه وتقبلوه..

(قَالَ أَبُو سُفْيَانَ فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَعَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخْبُ)، (الصَّخْبُ) في رواية صالح ابن كيسان التي في كتاب الجهاد (كثر عنده الصخب من عظماء الروم) الصخب ما هو من العظماء الكبار؛ لأنهم عرفوا أن الموضوع يعني في غير صالحهم من الآن. يعني شهادات وهرقل ولأغسل عند قدميه وكتاب وأريسيون يذكروهم بالتاريخ القديم، وعرفوا أن القضية يعني ستذهب عليهم مناصبهم فصخبوا وضوضاء، وأحدثوا هذه الضجة حتى يفسدوا النتيجة التي طبعي سيصل إليها هرقل، وأن هذا هو الحق ويجب علينا أن نقبل.

(كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ) أي من العظماء كما زادها صالح ابن كيسان في روايته التي أخرجها

البخاري في كتاب الجهاد.

قال أبو سفيان: **(وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ)** في كتاب الجهاد زاد: (فلا أدري ماذا قالوا). طبعاً لا

يدري؛ لأنهم أعجميون وكلامهم لا يفهمه أبو سفيان.

المهم الصخب كان مفتعل لإلغاء النتيجة بعد الحوار الطويل، والأسئلة هذه، وقراءة الكتاب، والمعلومات التاريخية التي تضمنها الكتاب النبوي على وجازته في قصة الأريسيين، ما فيه نتيجة، ما فيه بحث، ما فيه مناظرة، ما فيه حجج، ما بقي إلا الضوضاء والصخب. وهذا كله فقد حجته وعرف أنه هزم، يرجع إلى الصخب والصياح ليلخبط الأمور ويلغي النتيجة الطبيعية، وهي أنه هُزم في موضع البحث والنظر والمناظرة، وما بقي إلا أن يعترف بالحق، وأنه لا يريد أن يعترف بالحق لعنصريته لصليبيته ل..... الخ مالوا إلى الصخب والضوضاء ليشوشوا هذا الجو الحوارية العظيم الذي كانت نتيجته الطبيعية أن ما جاء به محمد هو الحق المصدق لما جاء به عيسى وموسى ومن قبلهما من أنبياء الله ورسله.

(وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا) أخرجوهم لأن الموضوع انتهى.

(فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي) القائل أو سفيان، **(لِأَصْحَابِي)** أي للوفد الذين معه.

(حِينَ أُخْرِجْنَا لَقَدْ أَمَرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ)، **(أَمْر)** أي ظهر. أمر الأمر أي ظهر وبرز. و**(أَمْرُ ابْنِ**

أَبِي كَبْشَةَ) يقصد النبي صلى الله عليه وسلم. لقد ظهر أمره مادام ملك الروم يعني يقول سيملك

موضع قدمي، وملك الروم يقول أغسل قدميه، وملك الروم يقول هذا الكلام، نهاية الموضوع يعني

أمر أمره أي ظهر وبرز، وهو في صعود وارتفاع.

(ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ) لكن أبا سفيان لا يزال على دين قومه. يعني ما وجد شيء يفرغ به شيء مما في

نفسه عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن يختار له هذا اللقب بإضافته إلى أبي كبشة، وهوة جد متأخر

للنبي عليه الصلاة والسلام.

كان من عاد العرب وهي عادة قبيحة ولا زالت عند بعضنا مع الأسف التعبير هذا. إذا أردت أن

تعبير شخص، تنظر شيئاً في نسبه أو اسم قبيح فتنسبه إليه، ما تختار أجمل أسمائه وألقابه كما هو الواجب.

لا، إذا غضبت عليه، تختار شيئاً تنبزه به؛ ولذلك حرّم الله النبز بالألقاب. هذا لأنه مازال في وضعه الجاهلي

(لَقَدْ أَمَرَ) عندك ابن عبد الله، ابن عبد المطلب، ابن هاشم، ابن عبد مناف، ابن قصي، كل هذا تركه

وراح، يعرف أن أحد أجداده يكنى بأبي كبشة، سمي أبي كبشة؛ شوف يكنى بأبي كبشة.

(إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ)، (أَمْرَ أَمْرِ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ) أراد به النبي صلى الله عليه وسلم وهو

جد للنبي صلى الله عليه وسلم من جهة أمه حتى، جده من جهة أم النبي صلى الله عليه وسلم وليس من جهة أبيه، وهو وهب والد آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم، كان يلقب إذا غوضب وينسبه ويقول يكونه بأبي كبشة يكونه بأبي كبشة، هذا يعني الفائدة أنه يريد أن يبرز النبي صلى الله عليه وسلم بشيء، فما وجد إلا هذه الكنية لجده لأمه فقال: أمر أمر ابن أبي كبشة.

(إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الْأَصْفَرِ)، (إِنَّهُ يَخَافُهُ) تفسير ل(أمر أمره). ليش أمر؟ ملك بني الأصفر يرهبه

ويعظمه ويخافه. فإذن الأمر هذا له ما بعده، ملك بني الأصفر. بنو الأصفر هم الروم ويعني سموا بذلك قال إبراهيم الحربي اللغوي والمحدث، أحد تلامذة الإمام أحمد.

إبراهيم الحربي له أيضاً كتاب مطبوع في غريب الحديث، يقول إبراهيم الحربي: نُسبوا سمي الروم بني الأصفر لأنهم ينتسبون إلى الأصفر ابن الروم ابن عيصو ابن إسحاق. وهذا اختاره القاضي عياض وهو الصواب. وبعضهم يقول: لا سموا بالأصفر لألوانهم؛ لأنهم يعني إلى الشقرة وفي شعورهم وألوانهم أقرب، فيسمون ذلك لألوانهم. لكن الصواب هو الأول الذي نص عليه إبراهيم الحربي، ونص عليه بعده القاضي عياض أنه نسبة إلى الأصفر من أجدادهم الأولين ابن الروم ابن عيصو ابن إسحاق ابن إبراهيم، وقد ذكرنا نسبهم في أول تدارس هذا الحديث.

قال أبو سفيان: (فَمَا زَلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ) مادام هذه كلها، عرف أبو سفيان أنه سيأتي يوم

يظهر فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم موقناً.

في رواية صالح ابن كيسان التي في "الجهاد": (فما زلت ذليلاً موقناً) يعني القصة هذه عند أبي

سفيان أيضاً صغار وذوق، إذا كان ملك الروم يعمل حساب ونحن يعني.. ذلته وجعلته موقناً.

(مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ) أي مازال على هذا الحال أنه موقن وذليل

وخائف حتى وثقه الله جل وعلا إلى الإسلام فأسلم، وأبو سفيان أسلم عام الفتح قبيل دخول النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة كما هو معلوم من أحوال أبو سفيان، واستمر إسلامه وأصبح صحابياً رضي الله عنه.

في رواية صالح ابن كيسان في "الجهاد": (حتى أدخل الله قلبي الإسلام) يعني أدخل الله الإسلام في

قلبي.

زاد أيضاً صالح ابن كيسان في رواية كتاب "الجهاد": (وأنا كاره) هذه مشكلة هذه الكلمة. بعضهم

فهم من كلمة (وأنا كاره) أي كاره للإسلام، وهذا يعني ما ينبغي أن يفهم. (وأنا كاره) أي متعلقة بما قبلها موقناً ذليلاً. أنت قد توقن بشيء وفي نفس الوقت تكرهه ولكن لا حيلة لك في دفعه. موقن بأنه سيقع معك كراهيتك له، هو تعبير على ما في نفسك وإن كنت تعلم أنه لا قبل لك برده. لكن كاره للإسلام، مادام دخل الإسلام قلبه، (كاره) ينبغي ألا يكون لها موضع؛ لذلك تركيب الكلام قد يفهم هذا الفهم. نقرأ نص الرواية التي في الجهاد: (فما زلت ذليلاً موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله قلبي الإسلام وأنا كاره) السياق قد يفهمك (وأنا كاره) أي إدخال الإسلام في قلبي وللا لا؟

يقول العلماء، علماء اللغة وعلماء.. فيه تخصيص يسمى التخصيص بمجاورة. كلمة (كاره) هنا لما جاورت إدخال الإسلام ينبغي أن يكون معناها هو هذا، أي كاره لإدخال الإسلام في قلبي؛ لذلك هذا الفهم غير صحيح. ليش غير صحيح؟

أولاً مادام دخل الإسلام في قلبه، ستزول يعني كما القرآن إذا دخل الإيمان وخالط بشاشة القلوب كل كراهية وحقد وكذا ستزول قطعاً؛ لأنه لا يجتمع دخول الإسلام والإيمان في قلبه مع بقاء كراهيته له، هذا لا يمكن، وهذا واقع كثير.

كثير من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، قبل أن يسلموا كانوا شديدي الكراهية للنبي عليه الصلاة والسلام، شديدي الحرص على إيصال الأذى له بأي طريق وللا لا؟ ثم لما أسلموا صاروا شديدي التعظيم والمحبة والتفخيم له كما قال عمرو ابن العاص لما أسلم قال: (والله ما من أحد أبغض إلي منك قبل أن أسلم، وما من أهل خباء أحرص أن أوصل لهم أذى من أهل خبائك).

يقول للنبي عليه الصلاة والسلام: (أما الآن فوالله ما خلق الله ذي عينين أحب إلي منك، ولا أهل خباء أحب إلي من أن لا يصلهم سوء من أهل خبائك). مادام دخل الإيمان في قلبه حقاً وصدقاً، سيزول كل وهذا كثير جداً. ومن هذا أبو سفيان كان كارهاً محارباً، نعم هذا كله صحيح، وليس هو الوحيد في ذلك، أكثر الصحابة كانوا كذلك. أليس عمر كان محارباً وشديد الخصومة، فلما أسلم كيف ماذا صار عمر رضي الله عنه؟ شيئاً آخر تماماً. فما يمكن يدخل الإسلام في قلبه ويضل مع ذلك كاره لإدخال الإسلام في قلبه، هذا ينتقض مع طبيعة أو حقيقة الدين والإسلام والإيمان إذا خالط القلوب ودخل فيها. ثم فيه إساءة الظن بهذا الرجل أنه كيف يكره الخير والإسلام وقد دخل قلبه. هذا غير صحيح والدليل على أنه استمر مؤمناً مسلماً، وحسن إسلامه، وشارك في الغزوات والجهاد أيام الخلفاء الراشدين بعد ذلك، حتى ختم الله له بالخير.

فلا بد أن ترجع (وأنا كاره) وتربطها بما قبلها من الدلة والإيقان، ويكون تقدير الكلام: فما زلت

موقناً ذليلاً أنه سيظهر وأنا كاره، أي كاره لهذا الظهور أثناء كفري وحرري له. وهذا صحيح نفسياً وواقعياً. قد تكره شيء كرهاً شديداً، لكن توقن أنه سيقع، ولا حيلة لك في دفعه، وهذا هو الذي حصل لأبي سفيان، عرف أنه سيظهر بما جرى من قصة، وهذا أعطاه وكساه ذلاً وصغاراً، ومع ذلك كان كارهاً لهذا الظهور. لكن لما دخل الإسلام في قلبه، زال الذل والصغار وزالت معه الكراهية. فيجب علينا أن نفهم ما هو تركيب السياق، لا يشكل علينا والحمد لله.

طيب، نكمل إلى هنا تقريباً يعني انتهى سياق الحديث في قصة أبي سفيان مع هرقل. الإمام الزهري أضاف لنا إضافة متعلقة بقصة هرقل وتطورات القضية بعد ذلك، الحديث انتهى. قصة هرقل وأبي سفيان والسؤالات والأجوبة والنائج وما فيها من معاني انتهى.

كلمة: **(وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ)** هذه معزولة عن الحديث. قد تقرأها تظن أنت الآن من تمام الحديث.

من قائل: **(وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ)**؟ القائل هو الإمام الزهري راوي أصل الحديث؛ لأنه لو رجعت لأصل الحديث تجده من سند سند البخاري عن أخبرنا عبدان، أخبرنا عبد الله ابن المبارك، أخبرنا يونس عن الزهري، حدثنا بشر ابن محمد قال عبيد الله إلى عبد الله ابن عباس قال... لا، الحكم ابن نافع، أخبرنا شعيب عن الزهري، قال أخبرني عبيد الله ابن عبد الله عن عبد الله ابن عباس أن أبا سفيان، وذكر القصة الطويلة التي انتهت عند كلمة: **(فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ)** انتهت القصة.

أراد الإمام الزهري أن يزيدنا فائدة، لها تعلق ما بقصة هرقل، لها تعلق ما بهذه القصة وخبرها. وهذه القصة من كلام الزهري، فهي ليست حديثاً، لا من كلام ابن أبي عباس، ولا من كلام أبي سفيان، ولا علاقة لها بالحديث من جهة الرواية. لكن الزهري القصة موجودة عنده سمعها، ربما بلغته، ربما المهم حصل عنده القصة فأراد أن يضيفها إلى هذا الحديث من باب الفائدة. فهي بلاغ من بلاغات الزهري عليه رحمة الله، وهو الإمام راوي الحديث من باب زيادة الفائدة. واضح وللا لا؟ وليست حديثاً مرفوعاً ولا موقوفاً ولا علاقة لها لا بأبي سفيان ولا بابن عباس، ما ذكروا هذا الكلام.

كلمة أو قصة زادها الزهري، قد تقول لماذا زادها؟ زادها لأن لها تعلق كما سنقرأ في الحديث.

فيكون تقدير الكلام: قال الزهري: **(وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ)**.

إذا أردت حتى لا تشكل عليك، حط هذه: "قال الزهري" فتكون من بلاغات الزهري، وهذا يقع

كثير، يقع كثير في الصحيح وفي غير الصحيح، وفي الروايات والأحاديث. لكن المشكلة بعض الكلام قد

يدرج فيظن أنه من جنس الحديث كما هنا، الظاهر ما فيه فواصل، ما فيه إشارة تدل على أن الحديث انتهى وبدأت قصة جديدة. انتبهتوا وللا لا؟

فقد يدرج وقد يشكل مثله تماماً ما ذكرته لكم إن كنتم تذكرون في حديث عائشة: ((أول ما بدئ به النبي من الوحي الرؤية الصادقة)) الحديث الطويل، نهاية الحديث: ((ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفترة الوحي)) وانتهى الحديث. جاءت في رواية زائدة في كتاب "التعبير" من رواية معمر عن الزهري: ((فترة حزن فيها النبي صلى الله عليه وسلم وكان يذهب إلى شواهِق الجبال، فيريد أن يتردى بشواهِق الجبال فيتبدي له جبريل فيقول له يا محمد إنك رسول الله فيسكن فإذا...)).

هذه القصة كلها من عند (فترة حزن...) وما فيها من هم النبي وإلقاء نفسه من شواهِق الجبال، قلنا ليست من الحديث؛ إنما بلاغ من بلاغات معمر، من زيادته عن الزهري؛ لذلك لا تنسب إلى الحديث، وليس من الأحاديث؛ بل ولا يجوز حتى أن تقول تنسب إلى البخاري. ما تقول هذا رواه البخاري أو ذكره إلا في التقييدات، تقول ذكرها البخاري وهي من بلاغات الزهري، وانفرد بها عن رواية معمر. انتبهتوا وللا لا؟ لأن البلاغ حكمه حكم الحديث المعضل حتى، ليس المنقطع، المعضل من أشد أنواع الحديث ضعفاً البلاغ، ما له سند بلغني مثل بلاغات مالك في الموطأ. يا إما يوضح سنده وإلا لا تقبل. فقد يذكرها بعض الرواة استطراداً؛ لأن لها تعلق ما.

أما إذا أردنا أن نبنى عليها مواقف وأحكام لا، نلغيها؛ لأنها بلاغات ولا علاقة لها بسند الحديث. مثل هذه قصة ابن الناطور ليه؟ لأنه سيأتي في قضية النجوم والتنجيم، فهناك إشكال عند الشراح قالوا: كيف يروي البخاري حديثاً فيه تأكيد لقضية النجوم، وأن علم النجوم قد يستفاد منه أخبار يقينية، ما هي قصة، ما هو حديث أصلاً. بلاغ من بلاغات الزهري، ذكره استطراداً بعد تمام الحديث؛ لأن له تعلق ما بالحديث. فأنت خذ التعلق الجملي واترك التفصيلات، وإن أردت أن تحقق تقول: هذا بلاغ من بلاغات الزهري والبلاغ حكمه حكم الحديث المعضل لا يبنى عليه حكم أصلاً ولماذا؟ لأنه من باب الزيادة، والبلاغات معمول بها عند المحدثين يذكرونها بلاغ انتبهتوا وللا لا؟

وليس من الضروري الإمام في كل موضوع يقول لك هذا بلاغ ويفصل، باعتبار أنك طالب حديث وتبحث وتنظر، والشراح خدموك في هذه القضية والحمد لله رب العالمين.

إذن (وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ) من كلام الزهري، قصة استطرادية من هو ابن الناطور؟

(وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ وَهَرَقْلَ سُقْفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ) ذكره بعدة: ابن الناطور رجل

صاحب إيلياء، أي كان هو يعني أمير إن صحت العبارة.

(إيلياء) القدس، إيلياء هي القدس، وذكرنا ضبط هذه الكلمة. أيضاً صاحب هرقل أي صديق

هرقل، وبينهما يعني أوجه شبه. هناك ملك الروم، وهذا عامله على القدس على إيلياء. هرقل يعني بنظر في

الكتاب المقدس، وعنده معلومات لاهوتية كثيرة، وابن الناطور أسقفاً يعني عنده أيضاً الناحية الدينية

الشرعية على نصارى الشام. لكن هو كان رأس الكنيسة في بلاد الشام.

إلى هنا نقف والحديث انتهى. بقي قصة ابن الناطور لا بأس أن نلمح لها إن شاء الله في أول درس

بعد أن نعود بعد الحج إن شاء الله تعالى إلماحة صغيرة، ونختم بها كتاب "بدء الوحي"، ونبدأ بكتاب الإيمان

إن شاء الله تعالى.

ما أريد أن أخبر به الآن هو أن الدرس سيقف خلال الفترة القادمة، وسنرجع مباشرة إن شاء الله

تعالى في أول اثنين بعد الدراسة اللي يوافق 20 من شهر الحج إن شاء الله تعالى لنواصل، نبدأ في كتاب

الإيمان بعد تختم كتاب بدء الوحي إن شاء الله تعالى.

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد والرشاد. والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله

وصحبه أجمعين.

نستغل الوقت إلى إقام الصلاة نجيب على بعض ما يسره الله من الأسئلة.

الأسئلة:

هذا يعني يقول: ألا يمكن أن نقيس أن الله عز وجل يؤتي الأجر مرتين لكل كتابي أسلم حتى

لو كان على التبديل والتحريف لمن تاب وكان على معاصي فإن الله يبدل سيئاته حسنات؟

جواب فضيلة الشيخ: لا، لا يمكن أن تقيس. هذه منحة وهبة من الله لأهل الإسلام. فالمسلم إذا

ارتكب شيئاً مما نهى الله عنه، ثم تاب وحسن أمره وصلح حاله، فإن الله عز وجل يبدل سيئاته حسنات

كما نصت الآية قال الله جل وعلا: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽¹⁾.

أما القياس في هذا الموضوع يعني لا مورد له، لكن نقول هناك قول آخر للعلماء أن كل كتابي، وأنا ألححت إلى

هذا. كل كتابي ولو كان على التحريف والتبديل، إذا آمن وأسلم يؤتى أجره مرتين. فيه قول للعلماء بهذا،

(1) الفرقان: 70.

وعمموا الخطاب، ومنه الحافظ ابن حجر هنا. لكن القول الأول يعني في لعله يعني أقرب إلى الأدلة والله أعلم.

طيب، يقول: هل المؤمن الذي يؤمن برسالة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء يؤتى أجره

مرتين؟

جواب فضيلة الشيخ: هذا يؤتى أجره مرات ليس مرتين، يؤتى أجره مرات كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: (مثلكم ومثل من كان قبلكم كمثل رجل استأجر أجراً فشرط لهم أن يعملوا إلى غروب الشمس فعملوا إلى وقت صلاة الظهر أو نصف النهار فقالوا له لا حاجة لنا في أجرك، وانصرفوا هم اليهود) المقصود بهم اليهود. ثم استأجر آخرين وشرط عليهم ما شرط على الأولين فعملوا له إلى وقت صلاة العصر ثم قالوا له لا حاجة لنا في أجرك ثم انصرفوا، ثم استأجر آخرين وهو هذه الأمة فعملوا له بقية النهار فأخذوا أجر الأولين والآخرين، أجور مضاعفة والحمد لله رب العالمين ليس مرتين فقط إن شاء الله؛ بل لا يوجد من آمن بالأنبياء كلهم إلا المسلم. المسلم فقط هو الذي آمن بالأنبياء جميعاً. أما يهودي، نصراني تجده يكفر ببعضهم ويؤمن ببعض. اليهود يؤمن بموسى ويكفر بعيسى ومحمد. النصراني يؤمن بعيسى ويكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام، الوثنيين طبعاً كافرين بهم جميعاً. ما يمكن لا تجد أحداً آمن بالأنبياء جميعاً إلا عبد الله المسلم فقط والحمد لله.

يقول: هل نفهم أن الذي يدينون باليهودية والنصرانية اليهودية اليوم لا تنطبق عليهم أحكام

أهل الكتاب؟

جواب فضيلة الشيخ: لا، لا تفهم هذا. ما تكلمنا على الأحكام شكلم عن مسألة معينة وهي يؤتى أجره مرتين. أما أحكام أهل الكتاب من حل الذبائح، ونكاح النساء وأمثال ذلك، فهذه على العموم والآيات التي نزلت في هذا والأحكام نزلت بعد التحريف. يعني القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم بعث هذا وأكثر النصارى؛ بل جلهم إن لم يكن كلهم إلا بقايا واليهود قبلهم محرفين مبدلين، ومع ذلك نزلت الأحكام بحل الذبائح وحل نكاح نسائهم بالشروط الشرعية المعروفة. فهذا لا علاقة له بقضية (يؤتون أجرهم مرتين).

يقول: هل ورد اتخذ خاتماً نقشه من حديد....

جواب فضيلة الشيخ: هذا الخاتم الذي يُحتم به الكتب، ليس الخاتم الذي يتحلى به. فرق بين الخاتم الذي تحتم به الكتب، والذي يُتحلى به. يُتحلى به يكون من الفضة، وقد ورد النهي عن التحلي بالذهب هذا التحريم بالنسبة للرجال، وأيضاً ورود النهي عن التحلي بالحديد على ما صححه بعض العلماء. أما كتاب الختم فهو شيء آخر.

يقول: هذا مات قبل أيام المفكر أنور الجندي ولم تكتب عنه وسائل الإعلام.

جواب فضيلة الشيخ: هذا طبيعي ما تكتب عنه وسائل الإعلام. ماذا تصنع وسائل الإعلام بأنور الجندي؟ يعني هذا يعني المفكرون والعلماء والصالحون يندرجون ويذهبون، ويعني من حالهم مع أمتهم يعني ألا يذكروا لا في حياتهم ولا حتى بعد وفاتهم إلا ما نذر، وقل قليل وأجرهم على الله هذا يعني من وضع الأمة الغريب في هذا العصر.

طيب، أليس الكتاب لعظيم بصرى؟

جواب فضيلة الشيخ: هذا الرجل كأنه استشكل أن في النص أن النبي صلى الله عليه وسلم دفع كتابه إلى دحية، ودفعه دحية إلى عظيم بصرى، ودفعه عظيم بصرى إلى هرقل. والكتاب ليس لعظيم بصرى، عظيم بصرى مجرد مبلغ ساعي يريد يبلغ الرسائل؛ لأن دحية ما يستطيع أن يوصل إلى هرقل مباشرة. ملك الروم ما أحد يستطيع إلا بطريق عظيم بصرى، وليس عظيم بصرى بالذات؟ لأن عظيم بصرى عربي، وإن كان يعني متبع خاضع للدولة الرومية، فهو بطريقته الخاصة استطاع أن يوصل الكتاب إلى هرقل. مثل كتاب عبد الله ابن حذافة السهمي الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى كسرى، ما يستطيع يدخل على كسرى مباشرة، فاضطر أن يدخل به عن طريق من؟ عظيم البحرين المنذر ابن ساوى. وكان أيضاً يعني له مقام عند كسرى، فأدخل الكتاب عليه ولا هو مجرد فقط واسطة لإيصال الكتاب والمقصود به هرقل.

ما تفسير: ﴿وَلَتَجِدَنَّ...﴾

جواب فضيلة الشيخ: هذا استشكل أيضاً تفسير قوله تعالى في وصف النصارى. الآية تقول في سورة المائدة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً

لَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ نحتاج أن نكمل الآية حتى يظهر من هم النصارى المقصودون هنا ﴿ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَّيْنَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾⁽¹⁾ هات لي نصراني يقول هذا الكلام. النصراني هذا هم الأريسيين بس ينتظر، عنده معلومات وينتظر النبي القادم فتجده مؤمن مباشرة. ما كل نصراني اتخذ هذا الاسم، تنطبق عليه هذه. أكمل الآية يتضح لك إن شاء الله من هم المقصودون.

هذا الأخ يقول: دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم التي ذكرتها مهمة جداً فهلا أعدتها

علينا؟

جواب فضيلة الشيخ: لا، طبعا الإعادة غير واردة. لكن أرشد نحن أقمنا دورة بفضل الله سبحانه وتعالى وتوفيقه هنا في هذا المسجد ربما قبل سنة، ليس العام قبل عام تقريبا. دورة هنا بعنوان: "دلائل خصائص الرسالة المحمدية" وألقينا فيها مجموعة دروس مسجلة في أشرطة يمكن ستة أو نحو ذلك، يعني ممكن تراجعها لتأخذ تفاصيل واسعة عن دلائل نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وعالمية رسالته عليه الصلاة والسلام.

يقول: متى يصح الحديث المرسل؟

جواب فضيلة الشيخ: الحديث المرسل عند جمهور المحدثين من قبيل الضعيف. ومادام مرسل إذن فيه حلقة في السند سقطت، والمرسل هو ما يرفعه التابعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بدون ذكر الصحابي. قطعاً التابعي ما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم أليس كذلك؟ فيكون هذا نوع من الانقطاع سمي مرسلًا، وهو من قبيل الضعيف عند أكثر المحدثين، إلا أن بعضهم قبل مراسلات بعض التابعين الكبار. فالشافعي رحمه الله يحتج بمراسلات سعيد ابن المسيب التابعي المشهور، لجلالته وأمانته وأنه لا يكاد يرسل إلا ما سمعه من الصحابة رضي الله عنهم.

أما التمثيليات فلنا فيها فتوى مفصلة تراجعها في موقعي في الإنترنت اسمه "الإسلام اليوم"، تجد الأدلة

والتفصيلات والقيود والضوابط.

لماذا لا تكون هذه السنة النبوية مخاطبة ملوك العصر؟

جواب فضيلة الشيخ: نحن قادرين يعني من وجد مجالاً فالله يعينه.

_ هذا سؤال مكرر في الزواج من أهل الكتاب وكذا وأكل ذبائحهم ذكرنا هذا.

هل من الأفضل من أراد أن يحج أن يصوم في شهر الحج إلى يوم عرفة أم أن يفطر؟

جواب فضيلة الشيخ: الحج عمل طيب والصيام عمل طيب، ويدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام: ((**ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام**))⁽¹⁾ فيفعل من الخير ما استطاع من صيام وصلاة وصدقة ونحو ذلك.

هذا يقول: أنا شاب أكثر من الكذب وأنا أكرهه وأحاول تركه.

جواب فضيلة الشيخ: وهذا خطر عظيم، الكذب صفة قبيحة وهي مجانبة لوصف المؤمن، لا يمكن أن يكون المؤمن كذاباً. أما إذا كان يكثر من الكذب، هذه صفات المنافقين. قال عليه الصلاة والسلام: ((**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب**))⁽²⁾ و((**لا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**))⁽³⁾ فيجب عليك أن تجتنب هذه الصفة القبيحة، وهي مخلة بالإيمان إخلال عظيم، حتى روي عن أبي بكر الصديق أنه قال: الكذب مجانب للإيمان. ما يمكن. وسئل النبي يقول: ((**قال هل يكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم، قال: هل يكون المؤمن بخيلاً؟ قال: نعم، هل يكون المؤمن كذاباً قال: لا**))⁽⁴⁾ فإذا أردت أن يسلم لك دينك وإيمانك وتكتب عند الله صديقاً صادقاً، فاجتنب هذه الخلة وحاسب نفسك عليها حساباً عظيماً، وإلا فأنت توقع نفسك في إثم عظيم وكبيرة خطيرة مجانبة لصفة المؤمنين.

(1) أخرجه أحمد (346/1 ، رقم 3228) ، والبخاري (329/1 ، رقم 926).

(2) صحيح البخاري، رقم: 32 ، باب علامة المنافق.

(3) صحيح مسلم، رقم: 4721 ، "باب قبيح الكذب وحسن الصدق وفضله".

(4) مالك في الموطأ ج2/ص990 ح1795.

_ هذا سؤال عن أبي حامد الغزالي....

هذا الخلاف يسأل عن الأفراد في الحج؛ وهو نسك من الأنسك هل هو الأفضل أم غير

الأفضل؟

جواب فضيلة الشيخ: بحث طويل مشهور عند أهل العلم، وخلافات واسعة. كثير من العلماء يرى التمتع أفضل الأنسك كالإمام أحمد وغيره؛ لأنه هو الذي أمر به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه. وقال: أمرهم أن يخلوا وأن يلقوا، وقال: **((لو لم أسق الهدى لأحللت معكم))** ⁽¹⁾ ونحو ذلك. فكون النبي يأمر به أصحابه ويتمناه لنفسه، فهذا أفضل الأنسك.

وفريق من العلماء يرى الأفراد أفضل بشرط أن يفرد للعمرة سفرًا مستقلًا في غير أشهر الحج. هذا نص عليه ابن تيمية عليه رحمة الله وعزاه إلى الخلفاء الأربعة الراشدين. إذا جرد للعمرة سفرًا من بلاده في غير أشهر الحج، في غير أشهر الحج ورجع ثم جرد للحج سفرًا مستقلًا آخر مفردًا بدون عمرة، يرى فريق من العلماء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره أن هذا أفضل حتى من التمتع، والخلاف مشهور بمحوث في موضعه من كتب الفقه وكتب التفاسير.

يعني يقول: كيف نتعامل مع شروح البخاري وهل يكفي الاقتصار على "فتح الباري".

جواب فضيلة الشيخ: "فتح الباري" كتاب مبارك وعظيم وجليل ومميزته أنه متأخر وحوى كثير من الشروح المتقدمة، ونقل أجود ما فيها، ونقد ما فيها من ضعف. فأنت تستفيد من "فتح الباري" وطالب العلم لا يشبع ويقراً ما تيسر له ويبحث. والاهتمام بالجانب اللغوي واللغوي والنحوي لا بأس به بشرط أن لا يطغى، ليس فقط يكون دورك في قراءة صحيح البخاري، وإعراب الكلمات، واشتقاقاتها اللغوية، هذا يعني جيد في حدود يعني الكلمات المشكلة، الإعرابات المشكلة. أما ينشغل بالجانب اللغوي عن المعاني والمضامين الجليلة الروحية والإيمانية والفقهية والتشريعة والخلقية التي تضمنتها أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، فهذا يعني ربما يعني فيه ما فيه.

هل وصول الخطاب في وقت أبي سفيان هل هو دخل في الإسلام؟

(1) الطيالسي في مسنده ج 1 / ص 234 حديث رقم: 1676.

جواب فضيلة الشيخ: هرقل والنجاشي قلت لكم كان عندي في الدفتر هنا مقارنة طويلة جداً، بين هرقل والنجاشي. لكن الوقت يعني سأعلمكم بها في أول درس بعد الحج إن شاء الله وفيها ما يمتعك ويزيل عنك الإشكال إن شاء الله تعالى.

هل من مرت عليه... التغيير الإسلامي... هل معنى أن يكون كان كارهاً... عند البخاري

ومسلم...

جواب فضيلة الشيخ: المتفق عليه ليس بالضروري السند ، يكون الصحابي متفق عليه إذا رواه البخاري عن الصحابي واحد والمتن متقارب طبعاً، ولو فيه خلافات بسيطة يحق لك أن تقول أنه متفق عليه.

ونكتفي بهذا القدر ونسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد والرشاد والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.



الدرس الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.
أما بعد:

حقيقة بقي علينا قطعة من حديث هرقل الطويل الذي كنا تدارسنا بعض أموره في دروس سابقة، ونحب أن نتمم دراسته في هذا الدرس إن شاء الله لننهى به أول كتب "الجامع الصحيح" وهو كتاب بدء الوحي. ونبدأ إن شاء الله الدرس القادم بكتاب الإيمان.

كنا قد وقفنا عند رواية الإمام الزهري لهذا الخبر عن ابن الناطور، وأكدنا في آخر درس قبل الحج أن الحديث المسند المتصل انتهى عند قول أبي سفيان: **(فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ)** فأراد الإمام الزهري أن يتم الفائدة، وعنده قصة متعلقة بشأن وخبر هرقل يرويها الإمام الزهري عن رجل اسمه ابن الناطور، ونبها في الدرس السابق أن هذا الجزء لا علاقة له بالحديث من جهة الاتصال؛ وإنما هو خبر يرويها الزهري عن ابن الناطور. فهو متصل السند إلى الزهري، والزهري أراد أن يتم الفائدة، فذكر لنا هذه القصة التي سمعها الزهري من هذا الرجل الذي اسمه ابن الناطور.

وقد بين أبو نعيم الأصبهاني في كتاب "الدلائل"، دلائل النبوة أن الإمام الزهري لقي ابن الناطور في دمشق أيام خلافة عبد الملك ابن مروان وسمع منه هذه القصة، التي لها تعلق واضح بخبر وشأن هرقل وماذا انتهى إليه أمره بعد هذه القصة الطويلة.

يقول الزهري: **(وَكَانَ ابْنُ النَّاطُورِ صَاحِبَ إِبِلِيَاءَ وَهَرَقْلَ)**، **(صَاحِبُ)** هكذا بالضم في رواية أبي ذر الهروي عن شيوخه الثلاثة عن الفربري عن البخاري؛ وهي الرواية المعتمدة. صاحبه بالضم، ويكون موضعها الإعرابي الخبر نعت صفة، نعت لابن الناطور. وكان ابن الناطور وصفه صاحب إيلياء وهرقل. ورواية غير أبي ذر بالنصب: (وكان ابن الناطور صاحب إيلياء) ووجه نصبها إما على الاختصاص أو على تقدير فعل "أعني": (وكان ابن الناطور) أعني صاحب إيلياء، أو على الحال، حالة كونه صاحب إيلياء، هذا وجه النصب، والرفع نعت.

(صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ وَهَرَقْلَ)، **(صَاحِبُ إِبِلِيَاءَ)** يعني أميرها. **(إِبِلِيَاءَ)** مدينة وهي القدس. بيت المقدس كانت تسمى قديماً إيلياء، أي أميرها والمتولي لها من قبل الحكم الروماني في ذلك الوقت.

(وَهَرَقْلَ) أي وصاحب هرقل، فهو أمير إيلياء. (صَاحِبُ إِيلِيَاءَ) يعني أميرها، وصاحب هرقل؛ لذلك بعض الشراح قال: لا بد من تقدير المحذوف: صاحب إيلياء وصاحب هرقل. فصحبته لهرقل أي صداقته له وكونه من عماله ووزرائه والمتولي عنه إمارة هذه المدينة. و(صَاحِبُ إِيلِيَاءَ) أي أميرها. (سُقْفًا عَلَى نَصَارَى الشَّامِ) والتقدير: كان ابن الناطور سقفا على نصارى الشام. (سُقْفًا) هذه لها ثلاثة أوجه من الضبط ووجه واحد من الإعراب.

أما ضبطها سُقْفًا هكذا أغلب روايات الصحيح سُقْفًا بضم السين وضم القاف أيضاً والفاء مشددة سُقْفًا. ورواية الكشميهني أبي الهيثم الكشميهني وهي إحدى روايات الصحيح المعتمدة، والكشميهني يروي الصحيح عن الفربري والفربري هو الراوي المشهور عن البخاري.

الكشميهني انفرد من دون بقية رواة الصحيح بضبط هذه الكلمة كما يلي: (وكان ابن الناطور سُقِفَ عَلَى نَصَارَى الشَّامِ)، (سُقِفَ) أي عين أسقفاً أو وضع بموضع الأسقف على نصارى الشام، وسيأتي معنا أسقف. الضبط الثالث: وهي رواية الحموي والمروزي أيضاً عن الفربري بإضافة همزة: "أُسُقْفًا". إذن رواية أبي ذر وأغلب رواة الصحيح سقفاً. الكشميهني لوحده (سُقِفَ) على البناء لما يسمى فاعل يسمى بناء للمجهول.

ورواية المروزي والحموي بإضافة الهزة أُسُقْفًا. أُسُقْفًا وسُقْفًا معناه منصب ديني. هذا ثلاث أوجه الضبط. الإعراب سقفاً لا بد جعلها منصوبة قولاً واحداً؛ لأنها خبر، خبر إيش؟ خبر كان (كان ابن الناطور) كان تنصب وترفع، اسمها مرفوع وخبرها منصوب (كان ابن الناطور سقفاً) ما معني سقفاً أو الأسقف؟ الأسقف منصب ديني لدى النصارى، والنصارى ما أكثر مناصبهم الدينية وهي لها مراتب. يبدأ واعظاً، ثم يصبح شماساً، ثم بطريرك، ثم قسيس، ثم أسقف. أسقف يعني رئيس أو كبير أهل الديانة في كنيسة ما أو في ناحية ما من النواحي.

فابن الناطور بلغ هذا المنصب، أصبح أسقفاً أي رأساً أو أعلى منصب ديني على نصارى الشام في ذلك الوقت، أيام يعني هرقل وأيام يعني قبل الفتح الإسلامي وقبل هذه الأمور كلها. الأسقف أعلى منصب يمكن أن يصل إليه الشخص عند يعني في مناصب النصارى. وطبعاً أيضاً الأرثوذكس لهم مناصب لها أسماء خاصة بهم، وكل طائفة تحط مناصب وتسميها بأسماء، لكن هذا هو المشهور عند الكاثوليك خاصة.

ابن الناطور الذي كان أسقف على نصارى الشام يحدث، أي حدّث ابن الناطور حدث الزهري، وقلنا أنه لقيه في دمشق أيام عبد الملك في هذه القصة التي له تعلق بخبر هرقل. ماذا يحدث ابن الناطور؟
ابن الناطور يقول: **(أَنَّ هِرْقَلَ حِينَ قَدِمَ إِيْلِيَاءَ)** فعرفنا من الدروس السابقة ليش قدم؟ لما انتصرت الروم على فارس، حج هرقل إلى الأراضي التي يقدسها النصارى في بيت المقدس وما حولها، فلما وصل إيلياء وبقي فيها قبل أن يأتيه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم أو ربما بعد أن أتاه كتاب النبي عليه الصلاة والسلام، غير معلوم موضع هذه القصة.

(حِينَ قَدِمَ إِيْلِيَاءَ) أي القدس، **(أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِثَ النَّفْسِ)** أصبح يوم من الأيام هرقل يعني متكدر الخاطر، منزعج، خبيث النفس لأمر ما حصل له.

(فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ) البطارقة جمع مفردها بطريق وهم الوزراء والأعوان وجلساء مجلس الملك، يسمون البطارقة، فهو منصب سياسي ما هو منصب ديني. منصب ديني أسقف وساقفة، والبطارقة يعنون الوزراء والأنصاب والمستشارين، وكل ملك كما تعلمون لا بد له من وزراء وأنصار ومستشارين.

(فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْتَكَ) يعني وجدوه بالفعل متكدر الخاطر، خبيث النفس، منزعج فسألوا قالوا: **(قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْتَكَ)** كأنهم يستطعمونه الحديث ويريدون أن يعرفوا ما هو السبب الذي كدّر خاطر ملكهم وأزعجه ونغص عليه، فأصبح بهذا الوضع خبيث النفس.

(قَالَ ابْنُ النَّاطُورِ وَكَانَ هِرْقَلُ حَزَاءً يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ)، **(حَزَاءً)** الحزاء من حزا يجزو أي يتعاطى الكهانة، أي كاهن، ما هو مكفيه يعني يريد أن يتعاطى أمور الكهانة. يحاول يعني يعرف مستجدات الأمور ومستقبل الأحداث فيتعاطى الكهانة.

(يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ) ينظر في النجوم إما أن تكون تفسير لكلمة (حزاء) أو تكون وصف آخر، والحقيقة أنها وصف آخر. فحزاء: كاهن. وينظر في النجوم: منجم. والتنجيم قد يلتقي مع الكهانة وقد يفترق عنها. قلنا الكهانة كما تعرفون تعاطي أو محاولة معرفة الغيوب القادمة، وفي الغالب هي تكون باستخدام الشياطين ومردة الجان، لا بد لأنهم يسترقون السمع ويأتون بالأخبار للكاهن الذي يخبر بها الناس ويزعم من خلالها أن عنده القدرة يستشف بها الغيب القادم المجهول.

هذه الكهانة قولاً واحداً، لا بد فيها من تعاطي معرفة أسباب الغيب القادمة، هذه واحد. ولا بد يكون فيها يعني رأي من الجن أو الشياطين. أما النجوم فقد تلتقي مع الكهانة في ذلك، وقد تلتقي مع السحر أيضاً كما قال صلى الله عليه وسلم: **(مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ**

مَا زَادَ)⁽¹⁾ أو كما قال عليه الصلاة والسلام. وقد تنفرد به الخواص بما كانوا يرتبون الأحداث والأمور على مطالع النجوم، ومشارك الأفلاك ومغارها، وأبراج السماء وغير ذلك من علوم التنجيم الكثيرة التي يعني ربما تعرفون شيئاً منها. والصواب أنه هنا يوصف بوصفين: أنه كان حزاءً أي كاهناً، وأيضاً يتعاطى النظر في النجوم.

هذا يدل على أن هرقل جمع عدة صفات: فهو ملك على قومه، وهو كما عرفنا في الدروس السابقة يعني يتعاطى علم الكهنوت أو علم الكتاب المقدس، يعني عنده شيء من هذا قسيس؛ ولذلك سأل الأسئلة السابقة لأبي سفيان فيها معلومات شرعية ودينية من خلال الكتب السابقة وأحوال الأنبياء كثيرة؛ لأنه لا يعرفها إلا دارس للكتاب المقدس كما يقولون. وأضاف إليها الكهانة والنظر في النجوم ليعرف المستجدات والأمور كما يريد وكما يعني يزعم؛ ولذلك قيل هنا أو كما نقل الحافظ في "الفتح"، يعني اعترض على البخاري كيف يورد هذه القصة التي فيها تأييد أو ربما يعني بيان أن علم النجوم فيه معلومات قد تكون مناسبة وصحيحة؛ لأنه ينظر في النجوم، فقال لهم بعد النظر في النجوم، أن ملك الختان قد ظهر، وهذا بالفعل ظهر وبدأت أموره. فصار علم التنجيم يفيد علوم وقد تكون صحيحة.

والقاعدة الشرعية عندنا أن علم النجوم علم مردود ومنهي عنه. الكهانة، والعرافة، والسحر، والتنجيم، هذه من مخلفات الجاهلية الوثنية، لا يجوز لمسلم أن يتعاطها، وتخرجه إلى قوادح في التوحيد ولا يجوز لمسلم أن يسأل كاهناً ولا يأتيه، ولا يسأل منجم، وإن صدقه وقع في نواقض خطيرة لإيمانه وتوحيده كما تعرفون، وبحوث كثيرة في كتب الاعتقاد وكتب التوحيد.

هذا لا يعني بطبيعة الحال أن المنجم قد يصدق في بعض توقعاته، والكاهن قد يصدق، وقد اعترض بهذا على النبي عليه الصلاة والسلام، أو سئل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال لما نهاهم قال: **((من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد))**⁽²⁾ قالوا له: يا رسول الله، إنهم يحدثون بأمر فيكون.

حصل أننا سألنا كاهناً في يوم من الأيام فقال سيقع كذا فوق، سألنا المنجم فقال فوق. هم يريدون بهذا السؤال يعني يعرفون مادام أنت نهيئنا الآن عن علم التنجيم والكهانة وذميتنا ونهيئنا عنه طيب لماذا؟ هم يصدقون في بعض ما يقولون، فبين عليه الصلاة والسلام سبب كونهم يصدقون أو يقع منهم أو

(1) سنن أبي داود، رقم: 3406، "باب في النجوم".

(2) مسند أحمد، رقم: 9171.

يتحقق ما يخبرون به ويبيّن سبب ذلك، ثم بيّن أيضاً أن حتى ولو صدقوا في بعضها لا يبرر ذلك يعني إجازة علم الكهانة أو الثناء عليه أو تعاطيه أو استخدامه لأي ظرف من الظروف، وتحت أي سبب من الأسباب.

فأخبر عليه الصلاة والسلام، فقال: **((تلك الكلمة يسترقها مسترق السمع فيقرقها في أذن الكاهن))** كقرقرة الدجاجة أو كما قال عليه الصلاة والسلام **((فيكذب معها مائة كذبة))**⁽¹⁾ هذه الكلمة التي التقطها مسترق السمع، ولما يدركه الشهاب الثاقب وألقاها إلى من هو دونه حتى بلغت أذن الكاهن، واحدة فيضيف معها ماذا؟ مائة كذبة، فيخدع بتلك الكلمة الصادقة الناس وهي ليست من جهده، لكن كانت من أخبار الغيب التي تمكن مسترق السمع من الجن من التقاطها قبل أن يخترقه ويحرقه الشهاب الثاقب، فيستغلها فيضيف معها عشرات ومئات الكذبات، فقبل أن.. لو كان الناس عندهم عقول، قبل أن ينخدعوا بتلك الكلمة التي صحّت المفروض يحاسبونه على المائة كذبة، إذ لا تناسب بين واحد إلى مائة وللا لا؟

ومن غير كهانة ومن غير عرافة، لو جئت أنت وأنا وحطيت لك ورقة كهذه وحطيت توقعاتك للأحداث العالمية خلال السنة القادمة مثلاً، حط جرب حط لك خمسين وسبعين ومائة ومائتين توقع، سيصيب منها ستة سبعة ثمانية كما توقعت هل أصبحت بذلك كاهناً أو استشرفت علم.. التوقع شيء وقد يصيب هذا التوقع، وأنت لا تحتاج كهانة. لكن قبل أن أخدعك بما صدق من توقعاتي، المفروض تحاسبني على المائة والمائتين والثلاثمائة توقع التي ما أصاب منها شيء، إذا لا تناسب بين واحد إلى مائة لو كان للناس عقول، فهذا المعنى.

فكانت هذه الكلمة التي وصلت هرقل من خلال نظره في النجوم وتعاطيه الكهانة، بلغته فكانت من الحق الذي أخبر عنه النبي عليه الصلاة والسلام. وهذا لا يبرر أبداً تثبيت علوم المنجمين، ولا الكهان، ولا تبرير سؤالهم ولا إتيانهم؛ لأن هذا يقدر في اعتقاد المؤمن.

علم الغيب حجه الله جل وعلا عن الجن والإنس، لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، ومن أراد الله من عباده المرسلين فقط **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (26) إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ**⁽²⁾

(1) صحيح البخاري، رقم: 3045، "باب صفة إبليس وجنوده".

(2) الجن: 26_27.

يفتح الله لهم _ أي الأنبياء والرسل _ بعض أمور الغيب التي هي حق كلها ولا تخطئ واحدة والحمد لله.
وهذا هو الحق وهذا هو الصدق.

طيب، **(فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مُلْكَ الْخِتَانِ)**، كلمة
(مُلْك) أيضاً لها وجهان من الضبط:

- إما مُلْك بضم الميم.
- وإما مَلِك

فتقول مُلْك الختان أو مَلِك الختان قد ظهر. وصل هرقل من طريق النظر في النجوم إلى هذه المعلومة
الكلية الجمالية التي ربما أوصلها له يعني الشياطين مسترقي السمع أن مُلْكاً أو مَلِكاً للختان قد ظهر.
(الْخِتَانِ) يعني قوم يختنون. والختان معروف هو إزالة جلدة تأتي على حشفة ذكر الرجل كما هو
معروف، ولم يكن في ذلك الوقت قوم يختنون إلا من بقي من اليهود والعرب، وكان هذا من الإرث الذي
ورثوه عن ملة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، مع أن كلا الطائفتين انحرفت عن أصل ملة إبراهيم،
سواءً العرب إلى الوثنية واليهود إلى ما تعرفون. لكن بقيت فيهم بقايا منها الختان. فوافق أن في ذلك الوقت
من كان يختن تبعاً لملة إبراهيم؛ لأنه هذه من سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما قال عليه الصلاة
والسلام: **((اختن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقدم))**⁽¹⁾ الحديث معروف في الصحيحين.

فكان كل من ينتسب إلى إبراهيم ديانة وملة، الختان من سنته. طبعاً جاء ديننا فأكد الختان واعتبره
النبي صلى الله عليه وسلم من أمور الفطرة، ولا بد لكل مسلم ذكراً خاصة أن يختن، ويستحب للنساء
بشروط ليس هذا موضع ذكرها. واليهود لكن اليهود حقيقة بعد أن دخلوا فيما يسمى بعصر الشتات،
والذي استمر ألفي عليهم تقريباً لما عاشوا بين الأوربيين والرومان، بعد أن طردهم الحاكم الروماني "تيطس"
من بلاد الشام وسباهم إلى أوروبا، يسمى عصر الشتات. تركوا كثيراً ونسوا كثيراً مما كانوا عليه بما في ذلك
الختان، فأصبح اليهود بعد ذلك لا يختنون كغيرهم من الأوربيين؛ نظراً لأنهم عاشوا معهم وخالطوهم هذه
السنين الطويلة.

فكانت هذه المعلومة الكلية الجمالية **(مَلِكِ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ)** احتاجت من هرقل أن يستفصل
ويستفسر فقال للبطارقة للوزراء **(فَمَنْ يَخْتَنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ)؟** يعني هل يوجد الآن بشر، هل توجد أمة من
الناس تختن؟ يسأل ما عنده المعلومة هذه. فقال له البطارقة: **(لَيْسَ يَخْتَنُ).. (فَمَنْ يُخْتَنُ) آسف (فَمَنْ**

(1) صحيح البخاري، رقم: 5824، "باب الختان بعد الكبر وتنف الإبط".

يُخْتَنُّ) بضم الياء قولاً واحداً، لا بد تضبطها هكذا: (فمن يُخْتَنُّ) أي من الأفعال التي لا بد تأتي على صيغة ما لا يسمى فاعله، مثل يُعْنَى، يُعْنَى بكذا لما تقول يُعْنَى، هنا يُخْتَنُّ، ما تقول: يُخْتَنُّ أنا قرأتها قبل قليل خطأ.

فَمَنْ يُخْتَنُّ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَالُوا لَيْسَ يُخْتَنُّ إِلَّا الْيَهُودُ) ما كان عندهم معلومة. طبعاً العرب كما قلنا مراراً في ذلك الوقت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، يعني ما كانوا أهل شأن يذكر، فما كان يعمل لهم حساب، فما كان حاجة للدول العظمى في ذلك الوقت كالدولة البيزنطية تجمع للعرب معلومات؛ لأنهم ما هم محسوبين في أي معادلة، فكانوا مهملين تمام؛ ولذلك الوزراء لما قال لهم من يختن قالوا له ما يختن إلا اليهود، ما نعرف أحد يختن الآن إلا اليهود، ولا العرب كانت كما قلت أمة جميعها تختن.

فَلَا يُهَمِّنُكَ شَأْنُهُمْ أيضاً بالضم، **فَلَا يُهَمِّنُكَ شَأْنُهُمْ** اضبطها هكذا.

وَكَتَبَ إِلَى مَدَائِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ) هذه مثل المشورة التي أشار بها ملاً فرعون لفرعون لما رأى أن رجلاً من بني إسرائيل _ القصة المشهورة _ سيكون زوال ملكه على يده، فأصبح منزعجاً مثل انزعاج هرقل، فاستشار قومه فقالوا له يعني كل مولود من بني إسرائيل يُقتل ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ﴾⁽¹⁾ ويعقون الإناث النساء حتى لا يخرج هذا الذي رأى فرعون أنه سيزول ملكه زوال ملكه على يده؛ ولأن الله له أمر سبحانه وتعالى وله حكم نجى موسى فلم يُقتل ولم يُذبح، ووضع في الثابت، وزيادة في إرغام فرعون ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾⁽²⁾ وهم اللي ربوه ونشووه ليكون زوال ملكهم على يد موسى عليه الصلاة والسلام.

نفس الوضع اقترحه البطارقة على هرقل قالوا: تبعث ما فيه إلا الشواذ من اليهود، تبعث في مدائن ملكك يقتلون من فيها من اليهود، ولا تزعل خاطرک ولا تكدر نفسك.

فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ) هذه تحمل معنيين قولهم: **فَبَيْنَمَا هُمْ**) قول الراوي وهو ابن الناطور. **فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ**) تحمل معنيين:

• المعنى الأول: أي بينما هم فيها يتشاورون في المجلس السابق قالوا أنك اليوم أصبحت خبيث متكدر الخاطر، وما شأنك قال: رأيت ملك الختان، قالوا ما يختن إلا اليهود ونفعل بهم كذا، في أثناء

(1) الأعراف: 141.

(2) القصص: 8.

المشاورة هذه أتى هرقل برجل. هذا المعنى الأول.

● المعنى الثاني: يحتمل أنه أخذ بهذه المشورة، وبدأ يعني يصدر أوامره بقتل من في مملكته من اليهود، فبينما هم على أمرهم أي من التنفيذ لما أشار به البطارقة في قتل يعني من كان تحت حكمهم من اليهود، حتى لا يحصل ما رآه في النجوم من ملك الختان، وهذا شيء عجيب. إذا كنت يا هرقل تعتقد أن علم النجوم علم حقيقي، تقتل ولا ما تقتل، ما رأيته سيقع وللا لا؟ وإذا كنت تعتقد أنه محتمل كغيره من الظنون والأوهام، فارتكاب جرائم كثيرة بهذه الطريقة لتفادي أمر محتمل ظني فيه الحماقة السياسية ربما، وفيه يعني من العدوان والظلم ما فيه. إذا كان حق ما رأيت من أن ملك الختان قد ظهر، سيظهر مثلما حصل لفرعون، مع أنه قتل كل الذكور إلا موسى نجى بأمر الله عز وجل، وكان هو الذي أزال ملك وأغرق آل فرعون بسببه وعلى يده عليه الصلاة والسلام.

(فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ) الحافظ في "الفتح" اختار كأنه القول الأول، أي فبينما هم يتشاورون ماذا نصنع؟ نقلت اليهود أو ما نقتلهم؟ من يختن ومن لا يختن؟ بينما هم على ذلك إذ أتى، دخل على هرقل في مجلسه برجل أرسل به ملك غسان، وأهل القول الثاني.

(أَتَىٰ هِرْقَلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ) قلت كم فيما مضى أن غسان قبيلة عربية تنصرت أيام الجاهلية، كقبائل الشمال غسان ولخم وجوزان وأمثالهم اللي كانوا يسكنون شمال الجزيرة وأرض البلقان اللي هو جنوب الأردن وكذا، تنصروا بحكم يعني كانوا في جاهلية والدولة الرومية اللي سيطرت عليهم فدخلوا تحت حكمها السياسي، وتحت أيضاً ملكها أو حكمها الديني، فكانوا تابعين الغساسنة كانوا تابعين للروم. **(مَلِكُ غَسَّانَ)** وهو اسمه الحارث ابن أبي شمر، ذكرت اسمه فيما مضى غساني كان هو الملك في ذاك الوقت، وهو الذي لما أرسل النبي كتابه أرسله مع دحية ابن خليفة الكلبي فدفعه إلى عظيم بصرى. عظيم بصرى هو الحارث ابن أبي شمر هو ملك غسان، ليتوسط هو بدوره في تقديم هذا الكتاب وإيصال دحية وكتابه إلى الملك العام وهو هرقل.

(أَتَىٰ هِرْقَلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) هذا يدل على أنه فيه استنفار، استنفار يعني في المملكة الرومية وأطرافها، يعني يتتبعون أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، فيه كتاب وصل وأسلم تسلم، وسيملك موضع قدمي، أصبح الأمر يعني مقلق وله شأن. فأصبح ربما هرقل يطلب أي معلومة تخدمه حتى عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك بمجرد ما ملك غسان جاءه أو عثر على رجل من العرب عنده أخبار عن النبي عليه الصلاة والسلام، مباشرة أرسله إلى

هرقل؛ لأنه يريد أي خبر أي معلومة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن العرب كأمة؛ لأنه عنده معلومات أن ملكهم قادم.

(فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ) هرقل سأل هذا الرجل عن أخبار النبي صلى الله عليه وسلم.

(قَالَ اذْهَبُوا فَانظُرُوا أَمْحَتَيْنِ هُوَ أَمْ لَا) يريد يشوف مُلك الختان هل هذا الرجل العربي البدوي هذا، هل هو محتتن؟ فتصدق عليه ما رأينا في علم النجوم وكذا، بالإضافة إلى الإرهاصات الكبيرة الصادقة أم لا؟

(فَنظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُحْتَتْنٌ) إذن صار فيه أمة ثانية غير اليهود الآن، والمعلومة هذه جديدة

بالنسبة لهم، ما كانت موجودة في حساباتهم، فعرف هرقل أن الشأن ليس شأن اليهود، وأن الملك القادم والأمر القادم والنصر القادم والفتح القادم لا علاقة له باليهود؛ وإنما أمة قادمة جديدة، فكانت هي أمة العرب الذين بعث فيهم أولاً النبي صلى الله عليه وسلم.

(وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ فَقَالَ هُمْ يَخْتَتِنُونَ) إذن أصبح ما هو حاله هو، الأمة كلها تحتتن وهذا ملك

الختان.

(فَقَالَ هِرَقْلُ هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ) هذا ملك العرب، طبعاً ليس ملك العرب كعرب، يعني

أنتم تعرفون يعني الأمة العربية التي بعث فيهم النبي العربي سيكون لهم شأن وأياماً شأن، وقد قال قبل عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه سيملك موضع قدمي هاتين لما درسنا الحديث في الدروس السابقة.

(ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبِ لَهُ بِرُومِيَّةً) ، **(رُومِيَّةً)** بالتخفيف برومية، رومية هي روما وروما من

عهد منذ أن دخل الرومان في الدين النصراني في أواخر المائة الأولى بعد ميلاد المسيح وأوائل الثانية على يد بولس الرسول وبطرس وغيرهم، لما نقلوا الديانة وبدؤوا يدعون وييسرون بالنصرانية في أوروبا، كانت أوروبا وثنية، دخلت الرومان، الروم دخلوا اللي هم الأوروبيون دخلوا في الديانة النصرانية، وأول ملك تنصر الي هو قسطنطين. كانت رومية كانت يعني حاضرة وملك للرومان أصبحت في ذلك الوقت يعني مدينة مقدسة ومعظمة عند عموم النصارى.

فهرقل مع كل المعلومات السابقة، كل الأمور السابقة أراد أيضاً أن يتثبت زيادة هل جاء وأن أوان

النبي المنتظر وملك الختان، فأرسل إلى صديق له أو صاحب له في رومية يستخبره.

(وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ) يسأله ما عنده من معلومات فأرسل له.

بعد ذلك **(وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمَصَ)** ، **(حِمَصَ)** بلدة معروفة مدينة في الشام.

(فَلَمْ يَرِمْ حِمَصَ) أي لم يغادر حمص ولم يخرج منها.

(حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ) الذي في رومية (يُؤَافِقُ رَأْيَ هِرْقَلٍ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ) الآن اجتمعت كل الدلائل لهرقل. كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وصله عليه الصلاة

والسلام، الأسئلة سأهاها أبا سفيان، وملك الحتان، والنظر في النجوم، وصاحبه اللي في رومية، يعني كل

الدلائل دلت على أن هذا هو النبي المبشر به في الإنجيل والتوراة، والنبي القادم المنتظر والنبي الخاتم وإلى

آخره. المعلومات تمت والحجة قامت، ولكن ماذا صنع هرقل؟

(فَأَذِنَ هِرْقَلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةِ) جمع كبار دولته من وزراء عظماء وقسس وغيرهم.

(فِي دَسْكَرَةِ) أي في غلية في قصر مرتفع يشرف عليهم ويخاطبهم في أمر مهم جداً.

(ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا) هذه الدسكرة أو هذا القصر (فَعَلَّقَتْ ثُمَّ أَطَّلَعَ) عليهم من مكان عال.

(فَقَالَ) هذا كلام هرقل. (يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ) ، (الرُّشْدِ) هنا أيضاً

الروايات ضبطتها بضبطين:

● الرُّشْد بالضم.

● أو الرشد بفتح الراء والشين والمعنى واحد.

(هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ) _ أو الرشد _ وَأَنْ يَثْبِتَ مُلْكُكُمْ) أغراهم بمنفعتين:

● آجلة وهو الفلاح في الآخرة وهذه آجلة.

● وعاجلة وهو أن يثبت ملككم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له في الكتاب (أسلم

تسلم).

وقد ذكرنا هذا إذا أسلمت سلمت في الدنيا، سلم لك يعني وفي الآخرة أيضاً تسلم من عذاب الله

ومقته وأليم عذابه، فهو يستخدم نفس الأسلوب.

(هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبِتَ مُلْكُكُمْ فَتَبَايَعُوا هَذَا النَّبِيَّ فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ

الْوَحْشِ) هنا هذا يؤكد ما قلته قبل قليل، وهو أنه أصبح خبر النبي خير شاع؛ لذلك ما سألوا قالوا أي نبي؟

من تقصد؟ ما فيه مجال عارفين المقصود. فهمتم؟ مباشرة يعني تحولوا إلى النفرة؛ لأنهم يعني خبر المصطفى

عليه الصلاة والسلام أصبح شائعاً وأصبح يعني ظاهراً، وأصبح يعني علامات نبوته وظهوره أصبحت

كالشمس المشرقة، ما عاد فيه مجال لإنكارها، فبقي أن يتخذ القرار، نتبعه ولا يعني يكن لنا شأن آخر؛

لذلك ما استفصلوا قالوا أي نبي؟ ومن تعني؟ ومن تقصد؟ لأن الأمر أصبح شائعاً معروفاً، فتبايعوا هذا النبي

المعلوم لديكم الذي خبره عندكم وأوصافه وأموره.

﴿فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمْرِ الْوَحْشِ﴾ هذا الجواب. الجواب يعني نفرة شديدة، شُبهت في هذه الرواية

بحيصة حمر الوحش. الحمر هم الحمير _ أكرمكم الله _ وتشبيهم بهذا؛ لأن الحمار يعني بليد الذهن، ما في مجال أن يفكر في عواقب الأمور ويدرسها كهياة العاقل. أي أمر يأتيك إن كنت عاقل حتى ولو نفسيتك في البداية ما قبلته.. تدرسه وللا لا؟ تنظر وتدرس إيجابياته وسلبياته وما أعرف ماذا إلى آخره، فتتخذ القرار.

لما تنفر مباشرة هكذا، دل على أن البلادة في الذهن وعدم التوفيق، فشبههم بالحمير كما في الآية

الكريمة في وصف عموم المعرضين عن النبي صلى الله عليه وسلم، ماذا قال في المدثر كيف؟ **﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ﴾** (1) أي حمير فارة هاربة مستنفرة، **﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾** (2) تخيل قطع من الحمير يهجم عليها الأسد، فتهرب بدون تفكير في كل اتجاه، ربما يصدم أحدها في خشبة أو في شجرة ربما لأنه خلاص أغلق الذهن.

حُمُر الوحش، فشبههم بهذا التشبيه دلالة على أنهم ملغين تماماً يعني عقولهم وتفكيرهم، ولو فكروا لنظروا لكان الفلاح والرشد هو يعني النتيجة التي سيصلون إليها.

﴿فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمْرِ الْوَحْشِ إِلَى الْأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ﴾ فهذا هرقل لما شافهم هكذا، يعني

متعصبين ملتهم، متصلبين على صليبيتهم، ما عندهم استعداد حتى للتفكير ولا للسمع نهائياً، مع علمهم بالنبي كما قلنا قبل قليل وأوصافه وأخباره، وقيام الدلائل على نبوته عليه الصلاة والسلام.

لما رأهم كذلك، أصبح القرار يرجع له الآن، هم اتخذوا القرار بالصورة التي عرفنا بقي هو، إما أن يسلم

وقد عرف الحق وأيقن به، وكل الدلالات تدل على ذلك ومع ذلك سيخسر الملك طبعاً، ويخسر الدولة،

وكل هذه سيخسرهما مقابل أن يكسب الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم والفلاح والرشد وإلى آخره، أو

أن يرضى بملكه ويشح بمنصبه ورضا قومه ويخسر الإيمان ويخسر إيمان واتباع النبي صلى الله عليه وسلم،

ويخسر السلامة في الدنيا والآخرة. لكنه لعدم توفيق الله له اتخذ القرار الثاني كحال كثير ممن يعرفون الحق،

ولكن لشبهات أو لشهوات أو لأمر أخرى خارجة عن طبيعة الحق في ذاته، تصرفهم عن أمر الله وعن

(1) المدثر: 50.

(2) المدثر: 51.

الاستجابة، وهذا كله يرجع إلى من سبق في علم الله أنه يعني لو وُفق لتوفق، ولو هُدي لاهتدى، ومن لا يصلح لهذا في هذا المقام.

(فَلَمَّا رَأَى هِرْقْلُ نَفَرْتَهُمْ) هذه وهروبهم الشديد وعصبيتهم هذه.

(وَأَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ) أي يئس أن يؤمن قومه.

(قَالَ) هذا قراره الخائب.

(قَالَ رُدُّوهُمْ عَلَيَّ) فرجعوا **(وَقَالَ إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آتِئًا)** ما قصدي أنكم تتركون دينكم لا، بس

أريد أختبركم.

(أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ) أشوف تراكم صليبيين مضبوط يعني، ولا يعني ممكن تجيكم أشياء

ممكن تلخبطكم.

(فَقَدْ رَأَيْتُ) أي رأيت ما يسرني من شدتكم على دينكم وكذا فرضوا عنه وسجدوا له أو **(فَسَجَدُوا**

لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ) هذا قرار واضح جداً أن هرقل ماذا صنع؟ رضي بملكه ورضا قومه، ويبقى على ديانتته

النصرانية السابقة، ويعرض عن الإيمان مع ظهور جميع الدلائل، وكنا نتحدث في الدروس السابقة كلها عن الدلائل التي استقرت عند هرقل من جميع الطرق، حتى من الطرق الغير مسوغة شرعاً كعلم النجوم والكهانة وغيره. ولكن كل هذا ما أخرج له نتيجة.

(فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرْقَلِ) هنا سؤال لا بد من إيراده، هل هرقل بمعرفته السابقة وإيقانه ويقينه

بأن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي حق وهو القائل: "لو استطعت لخلصت إليه ولغسلت على قدميه" وهو القائل: "سيملك موضع قدمي هاتين" وهو القائل إلى آخره، عرف يعني عرف هرقل يقيناً أن محمد صلى الله عليه وسلم هو الرسول المنتظر وأنه خاتم النبيين، وأنه ظاهر لا محالة. هل هذه المعرفة تفيده عند الله جل وعلا؟ أو بعبارة أصح هل هذه المعرفة كافية في اعتباره مؤمناً مسلماً أم لا؟

هذا سؤال مهم وقديماً أثار إشكال عند حتى بعض العلماء؛ ولذلك نقل الحافظ شمس الدين الذهبي في ترجمة هرقل في السير أن بعض العلماء يعتقد أو رأى أو قال بأن هرقل ينجو يوم القيامة ويدخل الجنة بهذه القناعة التي حصلت عنده، وهذا خطر كبير وخلل عظيم. مجرد القناعة ونكر هذا وسيأتي له دروس مفصلة إن شاء الله لما نبدأ في "كتاب الإيمان".

لما نتدارس المذهب الحق، ومذهب الأئمة والعلماء والصحابة أن الإيمان قول وعمل. اعتقادات وشهادة وانقياد عمل، لا يعني أحد الثلاثة عن الآخر، لا بد منها كلها. انتبهتوا وللا لا؟ فمجرد يقين

داخلي أو باطني أو قناعة أو كذا بأن هذا حق، ما ينقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، ولا من الشرك إلى التوحيد، ولا يخرج من النار ولا يدخله الجنة، ما يفيد ذلك حتى يتبعه بالشهادة، ويتبع ذلك أيضاً بالانقياد بحسب المستطاع. الذي حصل لهرقل ما هو؟ جمع الدلائل فاستقر في ذهنه وخاطره ونفسه، أيقن أن هذا هو الحق، ولكن ما شهد وللا لا؟ ولا انقاد؛ بل على العكس كما سأذكر لك بعد قليل، على العكس كان هو يعني خصم وندّ شديد؛ بل أقام حروب، هو قائد الروم في غزوة مؤتة يحارب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، هو يعني على الخلاف كما سنذكر هو أيضاً قائد الروم في اليرموك في عهد الصديق، يعني يجهز جيوش هذا ويحارب، قناعاته النفسية هذه لا قيمة لها ولا تنفعه عند الله شيئاً. انتبهتوا وللا لا؟

وهنا يعني عقد بعض الأئمة، وهذا منقول البحث هذا تقريباً من "الجواب الصحيح" لشيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله، ومنقول من كتاب ابن القرطبي وهو "الإعلام بما في دين النصارى من الأوهام" وغيرها، مقارنة بين ملكين كلاهما كان نصرانياً وكلاهما كان ملكاً، لكن اختلفت يعني نهايتهما. هرقل ملك الروم وديانته نصراني، النجاشي ملك للحبشة وأيضاً ديانته نصراني، هذا قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وسلم، بُعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم وكلاهما ملك على قومه وديانته نصراني. لكن النجاشي رجمه الله لما بلغه خبر النبي صلى الله عليه وسلم وهاجر أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، وكما سنذكر يعني أيقن أن هذا هو الذي بشر به عيسى، وشهد وأدى ما يستطيع من عمل، يعني أتى بالأركان المطلوبة: اليقين، والقناعة الذي نسميه التصديق، وشهد وسأذكر لك الدليل على ذلك، شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهذه إلغاء للنصرانية وللا لا؟

إلغاء للتثليث، والكلام الفارغ هذا كله، ولكن بحكم وضعه في الحبشة يعني وكذا ما استطاع أن يعمل كل ما يعني نزل من أحكام، عمل بما ربما بلغه واستطاعه، والانقياد منوط بالاستطاعة ما فيه شك ولا فيه حرج في ذلك. انتبهتوا وللا لا؟ يعني تعمل ما تستطيع، وما تعجز عنه لسبب من الأسباب، تسقط عنك تبعته. لكن أن تلغي العمل كاملاً أو تلغي الانقياد ولا تستعد له؛ بل تستعد لنقيضه هذا هو الخلل الذي وقع فيه هرقل وسلم منه النجاشي.

فذكر العلماء أوجه في المقارنة:

أولاً: مجرد العلم بنوّة محمد عليه الصلاة والسلام، مجرد العلم بنوّة محمد صلى الله عليه وسلم وصدقه وأنه رسول من عند الله بدون النطق بالشهادتين والقبول والانقياد لما تضمنتها الشهادة من أحكام الله جل وعلا وشرعته بحسب المستطاع، لا يعتبر عند الله ولا عند رسوله ولا عند أصحاب رسوله ولا عند المؤمنين

إيماناً، وإلا لكان نصف أهل الأرض مؤمنين. فرعون يصبح مؤمن بهذا الاعتبار لو كان مجرد أمور نفسية، وقد قال الله عن فرعون وقومه لما جاءهم الآيات والبينات على يدي موسى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾⁽¹⁾ فهل هذا الاستيقان سيجعل فرعون مؤمناً ناجياً؟ من يقول هذا إلا من لا يعرف دين الله أبداً. انتبهتوا وللا لا؟

وقلّ أن يكفر الإنسان بأنه غير مقتنع. قد يكون مقتنع وعارف الحق، ولكن يعني كما قلنا فيه أمور أخرى خارجة كملك أو شهوة أو عصبية أو قبلية أو ما أعرف إيه إلى آخره، تصرفه عن الانقياد بعد معرفته للحق وظهور دلائله عليه.

طيب، ثانياً يقوي ما تقدم أن هرقل لا يعتبر بذلك مؤمناً أبداً ولا ناجياً أن هرقل واضح جداً من القصة؛ قصة ابن الناطور أنه بقي على دين قومه وأعلن ذلك قال: إنما أختبركم على دينكم؛ لأنه أصبحت القضية إما تؤمن وتسلم وتحسر الملك، خلاص وصلنا لمفترق الطريق، لا بد تتخذ قرار، وقد اتخذ القرار والقرار أن يبقى مع قومه على دينهم، وحتى لا يغضبون عليه ولا يعزلونه من ملكه. يقوي ما تقدم أنه بقي على نصرانيته أثراً ملكه كما دلت عليه قصة ابن الناطور: (فرضوا عنه وسجدوا له).

ثالثاً: أيضاً وجه ثالث مما يقوي ما تقدم أنه حارب المسلمين في مؤتة، جهز مائتي ألف مقاتل حارب بهم جيش النبي صلى الله عليه وسلم وأنت شخص مقتنع يحارب؟ المحاربة أعظم ما يمكن من المفاصلة والمخاصمة والعداوة. جهز مائتي ألف في مؤتة، وقتل القادة تعرفون زيد ابن جعفر، وزيد وابن رواحة رضي الله عنهم ونعاهم النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تذرّفان، قصة معرفة عزوة مؤتة في آخر التاسع أو الثامن التاسع قلنا بعد الفتح هنا مؤتة بعد الفتح وللا لا؟ بعد يعني في مرحلة متأخرة، أي بعد القصة هذه كلها يحارب، وعلى قول الكثير من المؤرخين هو الذي أيضاً جهز الجيوش في اليرموك سنة 13 آخر حياة الصديق أبي بكر، يعني ما اكتفى بالحرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً واصل الحرب. وبعض المؤرخين يرى أن الذي جهز الجيش لحرب اليرموك ابنه، مورك ابن هرقل. خلاف، لكن سواء هو أو ابنه معناته يعني من شابه أباه فما ظلم كما يقولون، فهو يعني محارب كيف يجهز جيوش ويحارب. هذا يدل على أنه بالفعل يعني رضي بملك قومه وأعرض عن أمر الله جل وعلا؛ ولذلك يحارب حرب اليائس الذي يعلم أن حربه خاسرة، وصفقته خاسرة، وبضاعته بائرة، وقد علم أن ملك الحتان ظهر وأنه سيملك موضع قدميه وهذا الذي حصل وطُرد هو وقومه من الشام إلى غير رجعة إن شاء الله.

(1) النمل: 14.

طيب، أيضاً مما يقوي ما تقدم، ما أخرجه الإمام أبو حاتم ابن حبان في صحيحه. ابن حبان أخرج في صحيحه هذا الحديث، وترجم عليه باب الدعاء إلى الإسلام. يعني باب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ثم روى هذا الحديث عن طريق حميد ابن أبي حميد الطويل عن أنس قال أنس: (كتب النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى إلى هرقل).

هذا يدل على أن النبي صلى الله عليه وسل يعني كتب له مرة ثانية، يا هرقل استحي على وجهك وأنت تعرف الأمور وأسلم تسلم، مرة ثانية كتب له النبي عليه الصلاة والسلام. خاطبناك المرة الأولى فما هذا، وجهزت جيوش وحاربت، الآن مرة ثانية (كتب النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام وأن هرقل كتب للنبي صلى الله عليه وسلم (إني مسلم) هرقل شوف الآن هرقل مهم جداً الآن سيصدر النبي صلى الله عليه وسلم حكم على هرقل، وما بعد حكم النبي صلى الله عليه وسلم عاد فلسفة ولا كلام.

هرقل كتب إلى النبي يقول له ترى أنا مسلم، ليش أنت مو معتبرني إلى الآن مسلم؟ مسلم وأنت جايب مائتين ألف جندي تحارب الله ورسوله في مؤتة؟ وجايب الجيوش في اليرموك؟ الإسلام ما هو ورقة تكتبها، ولا يعني دعاية تعلنها، الإسلام له يعني شروطه وله تكاليفه وله أموره. فهرقل كتب للنبي: (إني مسلم وبعث بهدية دنانير من الذهب) يعني يظن إيش يمكن يقبل رشوة يعني اقبلني مسلم، وأنا ربما أدمعك ببعض الأموال والدنانير الذهبية قال أنس: (أما الدنانير ففرقها النبي صلى الله عليه وسلم في الفقراء من أصحابه، ثم قال عليه الصلاة والسلام كذب عدو الله ليس بمسلم هو على نصرانيته) هكذا في ابن حبان.

نفس الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند أنس في المسند المعروف. نفس الحديث أيضاً أخرجه أبو عبيدة القاسم ابن سلام في كتاب "الأموال" من طريق بكر ابن عبد الله المزني التابعي المشهور. ثلاثة مصادر بأسانيد صحيحة، حكم فيها النبي صلى الله عليه وسلم؛ أوردت هذا الحديث لأهميته جداً وهو حكم نبوي واضح وللا لا؟ كذب وسماء عدو لله هذه حقيقته، هذه حقيقته هو على نصرانيته وليس بمسلم. فما يجيني أحد بعد ذلك يقول لي، هذا حكم نبوي صادر ليش؟ لأنه مجرد قناعات ما هي معتبرة عند الله ولا عند رسوله عليه الصلاة والسلام.

خامساً: وجه آخر يوضح ما تقدم. ليس حال هرقل بأحسن من حال أبي طالب عم رسول الله عليه الصلاة والسلام. أبو طالب مقتنع إلى النخاع أن محمد أن ابن أخيه محمد عليه الصلاة والسلام نبي، وأنه صادق، وأن ما جاء به خير، ولا عنده ذرة شكة في ذلك واحد. اثنين أبو طالب قام بجهود كبيرة جداً في

حماية النبي صلى الله عليه وسلم وللا لا؟ ودافع عنه وتعرفون الخبر هذا، ودخل الحصار في الشعب معهم، أي كل التبعات التي تحملها الصحابة تحملها أبو طالب معه. لكن ما هي نهاية أبي طالب؟
لم حضرته الوفاة كما تعرفون، حديث المسيب ابن حزن المخزومي في الصحيحين قال: **((لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ جَاءَهُ))** جاءه النبي عليه الصلاة والسلام وجلس عند رأسه وكان أبو جهل ابن هشام وعبد الله ابن أبي مكية حاضرين فقال عليه الصلاة والسلام: **((يَا عَمَّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ))**⁽¹⁾ القناعات ما فيها نقاش؛ لأنها حاصلة، يريد الخطوة التالية، الركن الآخر قل لا إله إلا الله. العمل الآن في حاله متعذر؛ لأنه سيموت بعد قل علي. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم نطلع بهذه الكلمة حتى يكون هناك مجال لأن يشفع له عند الله جل وعلا؛ لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ))** فقال الحاضران وهما أبو جهل وابن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب يا أبا طالب؟ أيضا يؤز **﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾** {الأعراف 202 فكان آخر أمره أنه مات على ملة عبد المطلب، ورفض أن يقول لا إله إلا الله. طيب ما الذي حصل؟ ما هو الحكم الإلهي الشرعي في حقه؟ ما هو أنا ولا أنت سينزل القرآن سيحكم.

المصطفى عليه الصلاة والسلام بحكم حزنه على عمه، ويعني حزنه على كونه ما استخرج منه كلمة التوحيد قال: **((لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِمْكَ عَنْكَ))** فقبل أن يتحرك لسانه عليه الصلاة والسلام باستغفار واحد، ينزل حكم الله جل وعلا: **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾** سماه مشركاً **﴿وَلَوْ كَانُوا أَوْلِيَا فُرُبِي﴾** كعمك أو خالك **﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** **﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾** إلى أن قال: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** لذلك أخبر عليه الصلاة والسلام أن أبا طالب في ضحضاح من النار يغلي منه دماغه.

إذن لو تقارن بين حال أبي طالب وحال هرقل، أبو طالب أحسن وللا لا؟ يعني مو حارب، دافع عن النبي وقدم خدمات، وعنده يقين أن هذا حق وهو القائل: "ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتن سمحاً بذاك مبيناً".

(1) صحيح البخاري، رقم: 4399، باب قوله: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}.

أما العلم، ما عندي شك. لكن أساساً قريش تأتي تقول لا تركت ملة آبائك وأجدادك ويعيرونه بذلك، هذه ضيقت له نسأل الله العافية والنجاة، فإيش عاد تقولون في هرقل بعد هذا؟ وهو القائل في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في اللامية المشهورة:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه **** في معنى اليتامى عصمة للأرامل

هذا كأنه شعر يعني لابن رواحة ولا.. لكنه شعر أبي طالب. فليس هرقل بأحسن من أبي طالب، وهذه نتيجة أبي طالب وهذا مصيره. هذا يؤكد أن الإيمان فعلاً قول وعمل، فناعات نفسية وكذا كلها، وأن هذا حق وعرف وأيقن دون أن يشهد ويعمل، لا تقيم له عند الله ولا وزناً، لا تقيم له عند الله وزناً ولا يخدع الإنسان نفسه.

هذه أحكام الله وأحكام رسوله حكم الله في أبي طالب سمعناه، وحكم النبي في هرقل أيضاً سمعناه. أما النجاشي لا النجاشي مختلف وضعه. النجاشي أيقن وصدّق وشهد وعمل بما ظروفه ووضعها يعني يدلّه عليه. إذن أتى بالإيمان الذي يستطيعه فنجى وللا لا؟ فرق بينه وبين حال هرقل.

تعرفون قصة النجاشي لما هاجر الصحابة إلى الحبشة، وأرسلت قريش بعض رجالها يطلبون من النجاشي أن يخرج الصحابة، فاستدعاهم النجاشي وسمع كلام جعفر وتلا عليه سورة: ﴿كهيعص﴾ في قصة مريم وعيسى، فاعترف أن هذا هو الحق، وأن ما في سورة مريم لا يختلف عن ما جاء به عيسى وشهد، وشهد.

ودخول النصرانية إلى الحبشة، كان أقدم بزمان طويل من وصول النصرانية إلى القسطنطينية. الشام هي مهد النصرانية، عيسى شامي ولد عيسى في بت لحم وفي الناصرة، يعني الديانة النصرانية شرقية شامية ما فيها كلام. لكن كيف وصلت إلى أوروبا؟

هذا بعد موت جميع الحواريين حتى على يد بولس، وهو رجل يهودي اسمه إيلي شاؤول، وبطرس أيام قسطنطين وهذا بعد رفع عيسى ابن مريم أو كما نعتقد بأكثر من مائة وسبعين سنة تقريباً. لكن في الحبشة أقدم، الحبشة نقل النصرانية إليها نفس الحواريون، نفس الحواريون هم أدخلوها "متى" الحواريين كما قلنا في ما مضى وربما في دروس سابقة، لما تأمرت اليهود على عيسى عليه الصلاة والسلام لقتله وصلبه، ونجاه الله ورفعاه، بدؤوا يتتبعون أصحابه وحوارييه، فمنهم من قُتل وهم الأكثر، ومنهم من هرب ونجا، لم ينبج من الحواريين إلا اثنين "متى" الذي استقر في الحبشة وعاش فيها بقية حياته، ومرقس الذي استقر في بلاد مصر؛ ولذلك انتقلت النصرانية بسرعة يعني بعد رفع عيسى ابن مريم بفترة وجيزة إلى الحبشة وعلى يد

الحواريين، يعني نقولو النصرانية الحقبة الصحيحة، مو على يد محرفين كبولس الذي يتحمل وزر تحريف النصرانية من ديانة نبوية توحيدية إلا تثليث ومشاكل الكفر الي وقعوا فيها النصارى. ففرق حتى في الجذور تفترق قضية نصارى أوروبا عن نصارى الحبشة حتى الجذور؛ ولذلك عند النجاشي الديانة معلومات حقيقية وصحيحة، فلما جاءته المعلومات الجديدة التي جاء بها جعفر وتلا عليه صدر سورة ﴿كهيعص﴾، قال هذا هو الحق وهذا هو النبي الموعود وشهد وتبع.

في حديث ابن مسعود، اسمع الفرق بين هرقل والنجاشي. في حديث ابن مسعود أخرجه الإمام أحمد في المسند، والبيهقي في "دلائل النبوة"، عن ابن مسعود ذكر القصة الطويلة المشهورة أنه لما أرسلت قريش رجلين فاستدعاهم، فجاء جعفر شرح له دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وقرأ له صدر سورة كهيعص، قال النجاشي هذا موضوع الشاهد (أشهد أنه رسول الله فإنه الذي نجد في الإنجيل وأنه هو الذي بشر به عيسى ابن مريم)، هذا إعلان صريح وواضح. (فبلغت شهادته) يقول ابن عباس (فبلغت شهادته) يقول ابن مسعود (فبلغت شهادته النبي صلى الله عليه وسلم فاستغفر له) هناك: قال: ((كذب عدو الله)) وللا لا؟ وهنا استغفر له، ودل على أن شهادته بالفعل يقينية وحقيقة وصحيحة.

في مسند أحمد أيضاً، هذا الحديث السابق قال ابن كثير عنه: إسناده جيد وقوي، ذكره في التاريخ وجود وقوى إسناده. في مسند أحمد أيضاً بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها ذكرت هذه القصة أيضاً، القصة الطويلة قصة جعفر لما خاطب النجاشي وقرأ عليه الآيات، فقال النجاشي: (إن هذا الذي قلت وما جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة وأنه الذي بشر به عيسى وأشهد أن إلا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فنخرت البطارقة) هناك حاصت، هنا نخرت أي ما أعجبهم الكلام، على طول استحباب بسرعة هكذا، فنخرت وغضبت فقال النجاشي: (وإن نخرتم والله وإن نخرتم والله وإن نخرتم والله) ما قال لا لا، آسف، آسف معلش أنا كنت أختبركم وترك. لا، قال: وإن نخرتم هذا هو الحق وأنا قابله وإنتمو عاد كيفكم. وإن نخرتم ثلاث مرات (وإن نخرتم والله، وإن نخرتم والله وإن نخرتم والله).

ثم تصديق النبي صلى الله عليه وسلم لإيمانه وشهادته له هو الفاصل طبعاً، أن لما حديث جابر في الصحيحين تعرفون القصة لما توفي النجاشي في أرض الحبشة، خرج النبي صلى الله عليه وسلم فعنى النجاشي لأصحابه، وقال: ((**إِنْ أَخَا لَكُمْ صَالِحاً أَصْحَمَةً**))⁽¹⁾ اسم النجاشي مات بأرض الحبشة فصلى عليه صلاة الغائب.

(1) صحيح البخاري، رقم: 3588.

فرق بين حكمه على هرقل وحكمه على.. هذا أسلم وآمن وشهد، وإن لم يرضَ قومه ولم يقبلوا وعمل بالمستطاع بحكم وضعه. فلما توفي، قبل الله إيمانه بدليل أنه أمر نبيه بالثناء عليه والصلاة عليه صلاة الغائب في حديث جابر كما هو معروف. خلاص هذا تقريباً مجمل ما قيل.

(رَوَاهُ صَالِحٌ) ختم البخاري الحديث بهذه المتابعات الثلاث.

يقول البخاري: **(رَوَاهُ صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ)** صالح بن كيسان أبو محمد الغفاري مولاهم المدني، مؤدب ولد عمر ابن عبد العزيز توفي سنة مائة ونيف وستين. سئل عنه الإمام أحمد فقال: **بَخٍ بَخٍ** وهي من أوثق درجات التعديل، يعني لا يسأل عن مثل صالح ابن كيسان.

ورواية صالح ابن كيسان لهذا الحديث عن الزهري موجودة في الصحيح في "كتاب الجهاد"، أخرجها البخاري في كتاب الجهاد عن طريق إبراهيم ابن سعد، عن صالح ابن كيسان، عن الزهري، عن عبيد الله ابن عبد الله ابن عتبة ابن مسعود، عن ابن عباس الحديث لكنه مختصر في كتاب الجهاد.

(وَيُونُسُ) يونس هو ابن يزيد الأيلي أيضاً يروي الحديث عن الزهري. ورواية يونس ابن يزيد الأيلي عن الزهري أخرجها البخاري في موضعين: الموضع الأول في كتاب "الجهاد" عن طريق الليث ابن سعد عن يونس والموضع الثاني في كتاب "الاستئذان"، من طريق ابن المبارك عن يونس. ثم قال: **(وَمَعْمَرٌ)** معمر هو ابن راشد الصنعاني، الإمام الحافظ المشهور. أيضاً **(عَنْ الزُّهْرِيِّ)** وروايته أخرجها البخاري في كتاب "التفسير".

فكلا الروايات الثلاثة موجودة في الصحيح، لكن كل موضع إيراد البخاري لهذا الحديث أخرجته في مواضع كثيرة متعددة تقارب اثني عشر موضعاً، حديث القصة نفسها حديث ابن عباس عن أبي سفيان، أخرجها في كل المواضع مختصراً ولم يخرجها كاملاً مطولاً إلا في هذا الموضع، هذا أولاً.

ثانياً: قصة ابن الناطور (وكان ابن الناطور...) لم يخرجها البخاري إلا هنا فقط، وأشار إليها إشارة عابرة مختصرة جداً في رواية يونس التي في كتاب الاستئذان، فليس لها وجود قصة ابن الناطور وكلام الزهري عنه إلا في هذا الموضع الواحد. بقية المواضع يخرج قطعة من الحديث يحتاجها ربما للاستنباطات والاستدلالات والحديث ثري كما سمعنا في الدروس السابقة بكثير من الوسائل والاستنتاجات والاستنباطات.

طيب، في هذا نختم كتاب يعني "بدء الوحي" وحديث هرقل وتفصيله وفي الدرس القادم إن شاء الله تعالى لنا موعد مع "كتاب الإيمان".

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد والرشاد وأن يلهمنا رشدنا وأن يقينا شرور أنفسنا.
نجيب على ما تيسر من أسئلة قبل الآذان. بقي خمس دقائق وبعد الآذان أيضاً نأخذ ما تيسر منها.

الأسئلة:

هذا الأخ يسأل يقول أنه ظهرت في القنوات الفضائية يعني برامج أو كذا للتنجيم والعقارب

فما حكم هذا العمل؟

جواب فضيلة الشيخ: ما فيه حكم هذا العمل التنجيم يعني من قوادح الإيمان، من قوادح التوحيد، حكمه واضح سواء من المنجم أو ممن يسأله ويصدق، أو يبني على أحكامه. كل من فعل ذلك، فقد خرم توحيده ويعني ضييع إيمانه نسأل الله العافية. لا يجوز طبعاً.
لا يجوز التنجيم، والأبراج، وقراءة الفنجان، هذه كلها أمور وشعوذات لا يجوز للمسلمين فعلها ولا سؤال أهلها أبداً. المؤمن عقيدته ما شاء الله كان وما لم يشأ الله لم يكن، ولا ينجي حذر من قدر.
إذا كنت تتصور أنك إذا قلت للكاهن أو المنجم أي أريدك تعطيني معلومات إيش يصير لي الأسبوع القادم، يقول لك أنت مثلاً من مواليد شهر ديسمبر ولا ماني عارف سبتمبر وكذا، ثم يطلع لك برجك الحوت طيب وبعدين؟ قال وبعدين أنت ستواجه مشكلة وماني عارف إيه، اربط نفسك واربط جأشك، أنا رابط جأشي كل يوم وكل المشاكل يتوقعها الإنسان يريد أن يستيقظ، فيه أحد يعيش بدون مشكلة أسبوع كامل؟ هذه لا ينظر لا إلى حوت ولا إلى عقرب ولا شيء من هذا الكلام.

هل البابا أعلى منصب؟

جواب فضيلة الشيخ: البابا طبعاً النصرانية انقسمت إلى طوائف، كل طائفة تختلف عن أخرى حتى في الجذور، حتى في تفسير حقيقة من هو يسوع عيسى هل هو إله ولا جزء من إله، يعني طوائف النصرانية كل طائفة تعتبر دين مستقل انتبهتوا وللا لا؟ ومنصب البابا يعتبر رأس كل طائفة.
يعني الكاثوليك في العالم كلهم بجميع يعني كنائسهم يرجعون إلى بابا الفاتيكان، اللي هو الكنيسة الغربية يسمونها. الأرثوذكس في العالم كله يرجعون إلى رأس الكنيسة البابا رأس الكنيسة الشرقية التي موضعها في اليونان، ثم انتقلت إلى روسيا. والبروتستانت لهم طبعاً تقسيماتهم ولهم في أمريكا هناك في الولايات المتحدة يعني البابا وهو أعلى منصب. ومنصب البابا يعني بالانتخابات، بالانتخابات يعني لا بد

ينتخب ولا بد يكون يعني قطع مراحل معينة، ولا بد يعني بالانتخابات المهم. إذا مات البابا مثلاً، يجتمعون في الفاتيكان هناك ويرشح من يرشح نفسه ممن تنطبق عليه شروط الترشيح، ثم يعني الكنائس والقسس هذه يدلون بأصواتهم فالذي يفوز في الانتخابات هذه، يصبح هو يعني يسمونه هذا البابا.

الختان..؟

جواب فضيلة الشيخ: نعم واجب على ذكور الرجال من المسلمين واجب، هذا هو الصحيح وهو من سنن الفطرة، ولم يتركه مسلم ولا يجوز تركه أبداً بالنسبة للرجال. أما في حق النساء، فهذا يعني مستحب إذا يعني احتيج إليه.

رجل يزعم أن اسم الشخص يدل على بعض صفاته ويقوم هو بإعطاء كل شخص صفاته زاعماً

أن ذلك....

جواب فضيلة الشيخ: يعني هذا كلام ليس صحيحاً ، لكن له تأصيل شرعي وهو الاسم الحسن مطلوب شرعاً، أن تسمي نفسك وولدك بالأسماء الطيبة الحسنة؛ لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الأسماء القبيحة هذه ويغير عبد عمر يسميه عبد الرحمن، عبد شمس عبد الرحمن ابن عوف سماه ابن عبد الرحمن، وهكذا يعني الاسم القبيح ينبغي تغييره لا لأنه يدل على كذا ولا لأنه يدل على كذا ولا لأنه يدل على شخصية الإنسان، هذا قد يكون اسمه صالح وهو أفسق فاسق، ما يمكن؟ يمكن فما فيه ليس من الدلالة فقط، ما له معنى.

هل تعبير الأحلام من الكهانة؟

جواب فضيلة الشيخ: لا، الرؤية الصالحة أو الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة هكذا قال عليه الصلاة والسلام بشرط أن تكون صادقة وصالحة، ولا تكون صادقة وصالحة إلا بشروط: أن يراها المؤمن الشخص الصالح أو تُرى له، وأن تكون واضحة المعالم مو ملخبطة بحيث إذا استيقظت بتصور لها تمام من أولها إلى... أما تجيك ملخبطة وكذا وداخلة بعضها البعض، هذه أتفل على يسارك ثلاثاً واصحك تسأل عنها؛ لأن ما يراه الإنسان في نومه ثلاثة أقسام في الحديث المتفق عليه، قسم مما تعانيه أنت في حياتك اليومية من حديث النفس. عندك أماني معينة، عندك مشروع، عندك مشكلة في العمل، عندك ترى أمور تتعلق بهذا الجانب، هذا حديث نفس يعني مثل ما أنت تفكر في المشكلة وتخططك وتبني وتهد وكذا،

يعني أحلام يقظة وأحلام منامية لا يبنى عليها شيء، مثل هذه لا يسأل عنها ولا ينبغي تفسيرها حتى، حديث نفس.

والنوع الثاني: تلاعب الشيطان بالإنسان في المنام انتبهتوا وللا؟ الشيطان له على الإنسان مداخل، وربما الشيطان يدخل عليك فيريك في المنام أمور من هذه القبائح والأمور المحزنة وكذا، مثل هذه إذا استيقظت ورأيت رؤيا ملحظة وقبيحة أو مثل هذا، فاستعد بالله من شرها ومن شر الشيطان وانفث عن يسارك ثلاثاً فإنها لا تضرك كما قال عليه الصلاة والسلام. حديث جابر عند أحمد وغيره، جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رأيت البارحة أن رأسي سقط شوف، الرؤية هذه، هذه يسأل عنها؟ يقول له رأسي طاح في الأرض فجعلت أتبعه وهو يتدهده، يعني رأسه سقط وشرد فقال عليه الصلاة والسلام: ((لا تحدث بتلاعب الشيطان بك في منامك)) ما فسرها، ولا مه على أنه يتكلم بأحلام فارغة كهذه، وأمره أن لا يحدث بها. أحلام لا تُفسر ولا ينبغي الحديث عنها ويكتمها ويتفل عن يساره، فإنها لا تضره كما قال عليه الصلاة والسلام.

والرؤيا الثالثة هي التي من الله وتكون في أمور الخير عموماً، وتكون واضحة ولها يعني واضحة المعالم، هذه ممكن يسأل عنها من هو عالم بالشرع، وعالم بتفسير الرؤيا، ويأخذ منها مو أحكام أو مواقف، يأخذ منها بشرى فقط. أما أن تبني عليها ترتيبات معينة في حياتك، هذا خطأ كبير جداً، تبني يعني على أمور غير صحيحة، لا تبني عليها لا حكم شرعي ولا تغير حتى، يعني تستبشر بها بشرى إن كانت خير فقط لا غير، كما قال مالك وغيره: الرؤيا الصالحة تسر المؤمن ولا تغره. لكن الآن المشكلة أصبحت يعني في التلفاز وفي المجالس وفي المحاضرات وعشرات الرؤى، وتفسيرات لا لها أول ولا لها آخر، هذه تجعلك تعيش في أوهام ترى.

أنا أخشى من هذا أن يصبح الإنسان عايش في وهم، كل رؤيا يراها يلقط الهاتف ويتصل على الشخص فلان أو المفسر فلان ويقول له أنت كذا ستتزوج ستطلق ستموت ستقعد.. ويا ابني ليه هذه الأمور؟ ليش تفتح على نفسك هذا الوهم. إن كانت من الخير استبشر بها، تسرك ولكنها لا تضرك، ولا تبني عليها موقف أبداً.

وقد تكون الرؤيا كلها مجرد يعني نذارة إشارة فقط، تأخذ منها أمر كله وهو أنك تنتبه لنقص عندك أو كذا فقط. كابن عمر لما رأى قال: رأيت رجلين أتياي فأوقفاني على شفير النار فرأيتها مطوية كطي البئر وبعضها يحطم بعضاً، فرعبت وجاء رجل ثالث فخلصني منهما وقال لي: لم ترع، قصة طويلة وللا؟ لو تحكى اليوم لأحد المعبرين يسوي لك مشروع يبدأ ولا ينتهي، سيحصل وتجي وتطلع، فقال النبي صلى الله

عليه وسلم لما سألته حفصة: ((إن عبد الله رجل صالح لو كان يقوم من الليل)) إشارة فقط أن عندك تقصير في قيام الليل وانتهى الموضوع.

نكمل الأسئلة بعد الأذان إن شاء الله.

الحمد لله فيه عدة أسئلة عن تقول يعني ما اعترض به على الإمام البخاري في إيراده القصة

التي فيها إشعار بعلم النجوم وأنه يعني قد يستفاد منه في بعض المعارف والعلوم...

جواب فضيلة الشيخ: هذا الاعتراض ذكره بعضهم والجواب كما قلنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن بعض ما يقول هؤلاء يكون صواباً وعرفنا ما مصدر هذا الصواب وأنهم مسترقين السمع. وإيراد القصة لا يعني تصحيح يعني علم النجوم، ولكن يعني أن تجمعت كل الدلائل في ذلك الوقت كجواب الحافظ وغيره الدالة على بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ما تمكن مسترقو السمع من التقاطه، فأصبح يعني مما يعني من العلوم التي حتى عند المنجمين وصلت إليهم وظهرت لهم وبلغتهم هذه المعلومة، فدل على أن ظهور أمر النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته من كل الطرق توصلت. وأما علم النجوم صحيح أو غير صحيح، هذا له بحثه وله يعني وإيراد القصة لا يشعر بشيء من ذلك.

هذا إشكال غريب حقيقة، ما أدري كيف أشكل على الأخ، فهم لما قلنا أن ملك غسان جاءه رجل عربي عنده أخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر ملك غسان الرجل هذا وأرسله إلى هرقل، وأن هرقل قال لهم أنظروا هل هو مختنن يعني الرجل العربي، ففهم أن هرقل أرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينظرون هل هو مختنن أم لا؟ ما أدري كيف حصل هذا، هو رجل عربي أخذه ملك غسان وأرسله لهرقل، رجل من العرب عنده معلومات سمع أن فيه نبي بعث وكذا، فهرقل سأل هذا الرجل عن النبي صلى الله عليه وسلم فوجد عنده بعض المعلومات، فأراد هرقل أن يتأكد من هذا العربي هل هو مختنن وهل العرب يختننون؟ فلما كشفوه وجدوه مختنن، هذا الرجل ما علاقة هذا بالنبي؟! ما أدري كيف فهم هذا يعني.

هذا سؤال طويل يقول يعني إذا كان الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ الناس كافة

فهل نحن بعد النبي مأمورون؟

جواب فضيلة الشيخ: نعم مأمورون. أمة النبي عليه الصلاة والسلام تتحمل تبعات الرسالة بعده من

البلاغ، والبيان، وإقامة الحجّة، والجهاد في سبيل الله، ونشر دين الله. كل الوظائف التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، الأمة مكلفة بها، وتأثم الأمة إثم عظيم إذا تخلت عنها أو هجرتها وتركها. سواءً في باب الدعوة أو البلاغ والبيان، وإقامة الحجّة على الخلق، والجهاد في سبيل الله، وغير ذلك من الأمور. فكلها من واجبات الأمة؛ لأنها الأمة الخاتمة وهذا الدين هو الدين الخاتم والنبي هو النبي الخاتم، وكتاب القرآن هو الكتاب الخاتم، ويقول عليه الصلاة والسلام لأصحابه ولأمته يعني بلغوا عني ولو آية، بلغوا لا بد هذا واجب على الأمة للأمة جميعاً وتأثم إذا اتفقت على تركه، وهي لن تتركه في مجموعها إن شاء الله تعالى.

هذا يسأل عن الحج أنه يعني تجاوز الميقات وهو يفكر بالحج، ولكن بعد وصوله إلى جدة

هنا حصل على حجة يعني نيابة عن شخص متوفى فحج عنه من جدة.

جواب فضيلة الشيخ: مادام حججت نيابة عن شخص متوفى وأن الشخص المتوفى في جدة، فإن شئت الحج من جدة هذا لا حرج فيها إن شاء الله تعالى.

هل كان النجاشي...

خلاص استشكل هذا النجاشي يحكم بما أنزل الله وكذا يدوب يصلي.

هل نصارى اليوم يعدّون من المغضوب عليهم كاليهود؟

جواب فضيلة الشيخ: المغضوب عليهم هم اليهود، والنصارى ضالون. وكل له نصيبه من غضب الله، وكل كافر له نصيبه من غضب الله سبحانه تعالى.

مسألة الكافر الذي يدعي الإسلام وهو يحارب...؟

جواب فضيلة الشيخ: يعني يستشكل قضية يعني من يظهر الإسلام وه و ربما يتلبس في بعض أمور الردة كمثلاً موالاة الكفار، ومعاداة المؤمنين، غير ذلك. الردة يعني لها بحث، وقد يرتد الإنسان بفعل من الأفعال، قد يرتد باعتقاد من الاعتقادات، وقد يرتد بكلمة يقولها من كلمة الكفر قال الله جل وعلا: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا﴾⁽¹⁾ استهزاء مثلاً، استهزاء بالله، استهزاء بدينه،

(1) التوبة: 74.

استهزاء بنبيه لو فعله المسلم وقع في أمور الردة نسأل الله العافية
**﴿قُلْ أِبَالَهُ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ
تَسْتَهْزِئُونَ (65) لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ﴾**⁽¹⁾ كذلك موالاته الكفار، وتصحيح أديانهم، ونصرتهم على
المؤمنين كل هذه من ضروب الردة ولها بحوث طويلة يعني ليس الآن موضعها.

هذا كلام تكلمنا عليه، نسخ الصحيح. أفضل ما يمكن الوصول إليه من نسخ الصحيح هي النسخة
السلطانية والطبعة السلطانية، التي طبعت أيام السلطان عبد الحميد سنة ألف وثلاثمائة وعشرة (1310 هـ)
للهجرة المطبوعة على الأصل التي عند الحافظ المغازلي الذي هو أصل عن النسخة اليونانية. هذه إن وُجدت
هي أتقن وأضبط ما يمكن الوصول إليه.

يعني هذا يقول ما الفرق بين المسيحية والنصرانية؟

جواب فضيلة الشيخ: هي ديانة واحدة، لكن نحن نسميهم النصارى وهم يسمون أنفسهم
المسيحيين انتساباً للمسيح عيسى ابن مريم، لكن اسمهم الحقيقة النصارى قال الله جل وعلا: **﴿وَمِنَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾**⁽²⁾ الآية.

ما نعيد الأسئلة السابقة وكذا، يعني هذا يسأل إذا دعيت إلى كنيسة يلقون محاضرة وندعوهم
للإسلام يعني هذه بعدين نتفاهم عليها ما يصلح الجواب عنها هكذا.

المتفق عليه هل هو أن يكون السند والمتن متطابقين عند البخاري ومسلم؟

جواب فضيلة الشيخ: لا، المتفق عليه يكون الصحابي، يكون الحديث عند الصحابي واحد، ويكون
اللفظ متفق عليه طبعاً إلا في اختلافات بسيطة لا تغير المعنى، لكن ما يكون عند الصحابي. فإذا كان
الحديث عن صحابي آخر، يكون هذا حديث آخر، يكون هذا حديث آخر.

يسأل عن بعض المنكرات كالصور في الإعلانات وكذا...

جواب فضيلة الشيخ: نعم ينبغي الإنكار، يُتصل على الجهة المعلنة أو على الشركة المعلنة إذا كان

(1) التوبة: 65_66.

(2) المائدة: 14.

فيها إعلان شيء مما يغضب الله كصور نساء أو كذا، وينصحون ويوجهون، ويبلغ أيضاً من له سلطة في البلد أن يتقون الله جل وعلا وأن ينكروا إعلان صور النساء في لوحات الإعلانات أو كذا.

السؤال الأخير يقول: ما معنى تناسخ الأرواح في عقيدة النصارى؟

جواب فضيلة الشيخ: تناسخ الأرواح هي عقيدة ووثنية قديمة، أول من يعني قال بها براهمة الهند، براهمة الهند. والبراهمة الهندود الديانة البرهمية الهندية ديانة قديمة وثنية، تقول بتناسخ الأرواح، ومعناه: إلغاء، إلغاء لفكرة البعث والنشور والانتقال من حياة إلى حياة؛ وهو أن الجسد تعمده روح. فإذا فني الجسد، انتقلت الروح إلى جسد آخر، عادة حيوان، بهيمة، كلب بحسب يعني، وتبقى الدورة هكذا مستمرة. الأجساد تفنى والأرواح تتناسخ من جسد إلى جسد إلى ما لا نهاية، هذا تناسخ الأرواح.

أول من قال به براهمة الهند، وانتقل إلى فلاسفة الإغريق القدماء. كل فلاسفة الإغريق الذين هم الفلاسفة اليونان يقولون بهذا كلهم أرسطو طاليس وأفلاطون وإيش اسمه سقراط وأبيقور وديمقريطيس. كلهم هذه عقيدتهم، الوثنيون ما عندهم ما يعرفون يوم آخر وبعث كل هذا غير موجود. انتبهتوا وللا لا؟

والذي أعرفه في معلوماتي، ليس هذا موجود عند النصارى إلا عند بعض من تلبس بالفلسفة من النصارى؛ ولذلك عقيدة نصرانية، عند النصارى نهاية، بصرف النظر عن ما هي هذه النهاية، عندهم شيء اسمه نهاية وعودة ثانية للرب يسوع ومملكة قادمة سعيدة إلى آخر هذا الكلام.

هذا الذي أعرفه والعلم عند الله سبحانه وتعالى، والحمد لله وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. وموعداً مع "كتاب الإيمان" في الأسبوع القادم إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

